غير مخصص للبيع

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد 246 - ذو الحجة 1417 هـ - أبريل/مايو 1997م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE 246 - APR/MAY 1997

الحج واقتصادياته

الاستنساخ الحيوي البشري: حقيقة أم خرافة؟

الحديقة اليابانية.. فلسفة وتاريخ



معالي الشيخ صالح الحصين في منتدى الفيصل

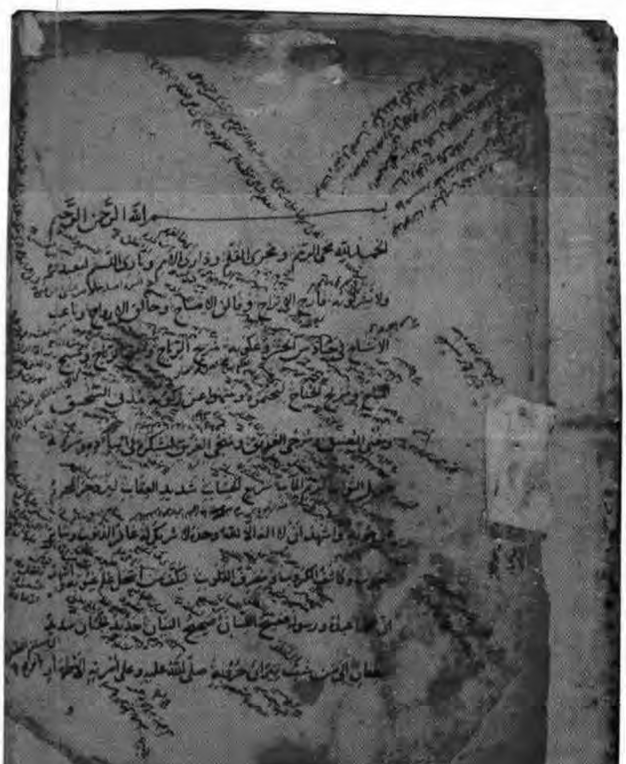
- المجتمع الذي يطلب الإصلاح بالرهبة ووسائلها سوف يفيق على اكتشاف ضياع جهده.
- الكفاح الناجع ضد الجريمة يكون بخلق الشعور بعدم الرغبة فيها.
- الإسراف في إصدار القواعد التنظيمية يرسخ التخلف الإداري والقانوني.
- وجود الفراغ الفقهي أفسح المجال للتنظيمات المقتبسة من الفقه الغربي.

مشارق الأنوار النبوية

من صحاح الأخبار المصطفوية

للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني (المتوفى سنة 650 هـ).





جمع فيه من الأحاديث الصحاح من صحيح البخاري وصحيح مسلم ألفين ومئتين وستة وأربعين حديثًا، وبيَّن في آخر كل باب أو نوع عدد أحاديثه وقال:

هذا كتاب ارتضيته وأستضي

بضيائه والعقل هذا يقتضي

وقد ألفه الصغاني لخزانة المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء، ورتب الأحاديث حسب أول كلمة أو حرف منها، وقسم الكتاب اثني عشر بابًا:

الأول: في مَنْ الموصولة أو الشرطية، ثم مَنْ الاستفهامية، والثاني: في إنّ، والثالث: في لا، والرابع: في إذا، والخامس: في ما وأنواعها، ثم في يا وأقسامها، والسادس: في بعض الكلمات كقد ولو وبين، والسابع: في المبتدأ المعرَّف باللام وما أشبه ذلك، وهكذا بقية الأبواب في الماضي ولام الابتداء والعدد والكلمات القدسية، وانتهى بالباب الثاني عشر في جوامع الأدعية.

كُتبت المخطوطة بخط النسخ الرئاسي على يد يحيى بن الصفي الحنفي في مدينة دمشق سنة 719هـ على ورق مشرقي سميك. وقد كُتبت رؤوس الفقرات والأبواب والفصول بالحبر الأحمر. عليها شروح وحواشٍ وتعليقات، وقد قوبلت هذه المخطوطة بالأصل. أما الجلد فهو من الورق المقوَّى المغلَّف بالمشمع الأخضر.

تقع المخطوطة في 108ورقات، مسطرتها 23 سطرًا، ومقاسها 26× 18,8سم.

والمخطوطة من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 2263.

إعداد: **د. عابد المشوخي.**

في العدد القادم:

- الهجرة إلى المدينة وحي لا خيار فيه.
- شعرنا العربي في ضوء العراقة والتفتح.
- المسرح والفنون الأدبية الأخرى.

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



عن العدد الماضي

تصفحت العدد (245) من مجلتنا «الفيصل» الغرّاء فسرّتني واحاتها الجامعة لشتى الفنون من الثقافة الأصيلة. وبالقدر ذاته من استمتاعي بهذه الواحات كان تقديري لجهود القائمين على تحريرها، فالإخراج في مستوى يليق بمسمّاها، ثم إطلالة العدد التي جاءت كعادتها تواكب الأحداث العامة تتحدث عن الظاهرة العلمية «الاستنساخ»؛ تلك الظاهرة التي شغلت العالم وكان لرئيس التحرير تميزه في الرؤية والمعالجة.

كما استرعى نظري التناسق في موضوعات العدد، وعلى الرغم من أنها كُتبت بأقلام كتاب كبار إلا أنها تبدو كأنها صيغت بقلم واحد لصاحبه همّه وشعوره ونظراته الخاصة.

فالتناغم واضح بين ما طرحه د. محمد سيف يس في موضوع «التسامح والمساواة بين ثقافات العالم» وما تحدث عنه الكاتب الكبير الأستاذ عبدالعزيز السالم في موضوعه «الكتابة بين المواهب الأصيلة والمحاولات الفاشلة» عن الأدب وأنه حق مباح لكل البشر، كما أن الثقافة هي سبيل الإنسان المتحضر لبناء مقوماته وفي النهاية لا يصح إلا الصحيح.

كما يبدو بين موضوع «تنمية الشخصية: شروط ومبادئ» و«مواقف من السيرة النبوية» تناغم آخر، وكأن موضوع د. بكّار ما هو إلا إضاءة لموضوع د. الحميدي، وغير ذلك كثير..

وتتوالى واحات المجلة الغنّاء يتنقل فيها القارئ من دوحة إلى أخرى:

قضية الكتاب المدرسي بين الإثارة والاستثارة، والشرق في حياة أجاثا كريستي، وملوك الطوائف في الأندلس، ثم الفصحى في الحوار القصصي، إضافة إلى ما يكتبه د. حسن ظاظا ويجلّي فيه الحقيقة عن اليهود، والأبواب الثابتة الأخرى كالطريق إلى الله، ومن تجاربهم الذي خُصص في هذا العدد للناقد والكاتب المعروف د. يوسف عزالدين.. هذا التنوع والعمق جعل المجلة تتبوأ هذا المركز السامق بين مثيلاتها الأمر الذي أصبحت بسببه مطمح كثير من الكتاب.

أدعو لكم بمزيد من التوفيق والله يرعاكم.

د. خالد بن عبدالله السماعيل

مستشفى الملك خالد الجامعي، الرياض.

ملاحظات عامة:

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية:

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات:

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

«إعصار «دوللي» فجرته «الفيصل» عربيًا»

.. عجيب أمر الإعلام المرئي العربي على وجه الخصوص عندما وقف صامتًا - ليس عن عجز، فلديه الإمكانات المادية والتقنية كافة - وبَدَا عاجزًا واضعًا رأسه في الرمال عندما تركنا في حيرة بالغة لا ندري ماذا نفعل إزاء ذلك الإعصار القادم في نهايات القرن العشرين «إعصار دوللي»؛ الذي اجتاح - في الأسابيع الماضية - محطات التلفاز العالمية فقابلته بذهول سرعان ما أفاقت منه بمناقشات وندوات لهذا الحدث الفريد بتفصيلاته العلمية الدقيقة، بينما أفاضت المطبوعات العالمية من صحف ومجلات أبرزها Sunduy Independant وNewsweek وTimes وTime بتحقيقاتها العلمية التحليلية المطولة عن «دوللي» إعصار القرن العشرين.

وإلى جانب تلك الصحف والمجلات الكبرى جاءت «الفيصل» الغرّاء بقامتها المديدة وثقافتها الرفيعة لتفجر إعصار دوللي «عربيًا» في العدد 245 في إطلالة أستاذنا النابه الدكتور زيد الحسين رئيس التحرير؛ لتكون بذلك أول مجلة ثقافية عربية تحقق هذا السبق الكبير، فتعلو مكانتها رفعة وسموًا في قلوب عشاقها (وليس هذا تقرّبًا، أو زلفى، ولكنه كلمة حق يجب أن تقال، ولا تخجلوا من نشرها).

.. نعم، لقد أصبحت «همجية» الإنسان في إساءة استخدامه للعلم إحدى سمات القرن العشرين من بين الأزمنة التي سبقته كافة، والأدلة على ذلك كثيرة نجتزئ منها:

.. قيامه بوضع أحجار الأساس لبناء الآلاف من مصانع الذخيرة في بقاع المعمورة، والتطور الهائل الذي أحدثه في صنع آلات الدمار، فتقاتلت دول العالم فيما بينها قتالاً مريرًا في أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ومانتج منهما من دمار وتخريب وبلاء. وازداد الجبروت الإنساني، فأُلقيت القنبلتان الذريتان على «هيروشيما» و«نجازاكي» باليابان فخلّفتا آثارًا سيئة على البشرية حتى يومنا هذا. وابتُلي العالم بالقرصنة الجوية، وتكاثرت أعداد اللاجئين والمشردين، وأحداث القتل الجماعي.

وبدلاً من أن يُسَخِّر الإنسان ما منحه الله من علم في دحر مظاهر التخلف الاقتصادي والعوز المادي التي ملأت كثيرًا من الأنحاء؛ استكثر على نفسه أن يفعل خيرًا فآثر أن يسجل في نهايات القرن العشرين دليلاً جديدًا على جبروته وطغيانه وعدم مبالاته أو اضطراب فؤاده من نظر الله إليه؛ فطرق بابًا محرّمًا في الشرائع السماوية كافة أذهل العقول وضاعف مآسينا في هذا العصر بنجاحه بعد 277 محاولة في استنساخ أغلى نعجة في العالم: «دوللي» التي تكلفت أبحاثها ثلاثة أرباع المليون دولار، ثم ولادة أول توأم من قرود «الريزوس» - وهما من أقرب الثدييات للإنسان - بطريقة الاستنساخ الجسدي وسُمِّيا: «نيتو، ويتو».

والأدهى من ذلك اتجاه العلماء بقوة إلى استنساخ الإنسان «فهناك المشروع القومي لعمل الخريطة «الجينية» البشرية، الذي سوف يتكلف ثلاثة مليارات من الدولارات على مدى خمسة عشر عامًا ينتهي العمل فيه عام 2005م لمعرفة الخريطة الجينية لجسم الإنسان، وما يترتب على ذلك من معرفة أسرار علاج الأمراض المختلفة، وقد تم ذلك فعلا لبعض الأمراض الوراثية التي عولجت عن طريق العلاج الجيني» [د. عبدالهادي مصباح أستاذ علم المناعة، أخبار الأدب المصرية، العدد 193، 23 مارس 1997م].

ومادام الأمر قد وصل إلى هذا الحد من المخاطر التي ستلحق بالبشرية بعلمائها الذين يتحدون الذات الإلهية - تبارك الله في عليائه - بانحرافهم عن جادة الصواب، فإن العالم الإسلامي مُطَالَبٌ اليوم بعلمائه ومؤسساته الدينية الكبرى أن يواجه تلك الانتهاكات ممن حادوا عن جادة الصواب، وترفض عقولنا وأرواحنا وضمائرنا علمهم الذي سيقضي على الإنسان والطبيعة الإنسانية بعبثهم الملعون بخلق الله. نحن مطالبون بعملية تنويرية عبر وسائل الإعلام العالمية الكبرى لإيضاح مخاطر ما يطمح إليه هؤلاء «الجبابرة»، وكفى البشرية ما تحملته من مآس بفعل غرور الأفكار والتجارب العلمية الجانحة عن جادة الحق والعقل والمنطق والإرادة الإلهية التي كَرَّمت الإنسان بوصفه المستخلف في الأرض لإعمارها.

ولا أظنهم سيفلحون في مراميهم، فقد قال الحق تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين: *حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*. **يونس: 24.**

مهندس زراعي
عبدالمقصود السعيد عبدالمقصود
الإدارة الزراعية بالمنصورة
محافظة الدقلهية، مصر.

زاوية تربوية

الموضوعات المتنوعة والشائقة التي يحتويها كل عدد من أعداد «الفيصل» دليل على حرصكم ودأبكم على أن تحافظ هذه المجلة على مكانتها العلمية المرموقة.

ولما لمسته من تطور في أداء «الفيصل» رأيت أن أقترح عليكم تخصيص زاوية تربوية، تتم فيها مناقشة مشكلات التربية والتعليم، عبر ندوات يشارك فيها المختصون من الجامعات السعودية.

د. حمزة بن عبدالله عقيل
رئيس قسم الإدارة التربوية والتخطيط/جامعة أم القرى.

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الردّ على بعضها الآخر للقراء يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض

كتب تتجنى على التاريخ !

وقع تحت يدي كتاب عنوانه «تاريخ سورية ولبنان وفلسطين» يقع في جزأين، ومؤلف هذا الكتاب هو فيليب حتّي.. وهو مؤرخ معروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين ومشوّهٌ من الطراز الأول للتاريخ الإسلامي المجيد.. واستعمل في هذا الكتاب - وبخاصة في جزءه الثاني الذي يبدأ بظهور الإسلام - جل براعته في الكذب والافتراء والتشويه والنيل من المسلمين، وقد ركّز اهتمامه على الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وقد خطر في بالي أن أقترح على المجلة تخصيص باب أو فقرة ثابتة في كل عدد تعرِّف القارئ الكريم بكتاب من هذه الكتب المنتشرة بكثرة في الأسواق، أو تعرّفه إلى كاتب من هؤلاء الكتّاب والسموم التي نفثوها في تاريخنا المجيد. ففي المجلة أبواب ثابتة تزود القارئ بمعلومات عن المخطوطات القديمة أو الكتب التي صدرت حديثًا أو الرسائل الجامعية في عدد من البلدان.. فلا ضير من وجود باب ثابت لما اقترحت، وذلك خدمة للعرب والإسلام والتاريخ.

د. حسن محمد بكري
قارة، سورية.

لنستمد الطاقات من أعلام الأمة

لقد عودتنا مجلتنا الأثيرة «الفيصل» المبادرات المفيدة التي تعزز مكانتها في نفوس قرائها المنتشرين في أنحاء العالم. وكان أحدث هذه المبادرات باب «منتدى الفيصل» الذي يمثل نافذة رحبة للقاء بين العلماء في شتى الميادين والقراء بثقافاتهم المختلفة، وهذا شيء طيب يباركه القراء الحريصون على الثقافة الراقية.

إنني أنتهز هذه السانحة لأعرض عليكم اقتراحًا، فلقد لاحظت أن كثيرًا من اقتراحات القراء تأخذ طريقها إلى التنفيذ عبر صفحات «الفيصل»، وهذا مؤشر واضح على قوة العلاقة المتبادلة بين المجلة وقرائها. أما اقتراحي فهو تخصيص باب يتناول في كل عدد شخصية من الشخصيات الإسلامية التي قدمت خدمات جليلة للأمة في سبيل إعلاء كلمة الله.

آمل أن تدرسوا هذه الفكرة، فكم نحن في حاجة إلى أن نستمد الطاقات من أعلامنا.

ل.ب.ع.ص
ولاية توزر 2200، الجزائر.

«المنتدى» فكرة رائعة .. ولماذا غابت الملفات ؟

لماذا غابت الملفات الخاصة الرائعة من صفحات مجلتنا العزيزة؟ هذه الملفات تُعدّ من السمات البارزة المميزة للفيصل، فهي - إضافة إلى المقالات الأخرى - تضفي على المجلة الجدية والعمق؛ لأن المجلات الثقافية الجادة أصبحت نادرة. لقد استمتعت كثيرًا بملفات «إقبال» و«الرافعي» و«مالك بن نبي» و«القدس» و«اللغة العربية»، و«الحوار» و«الترجمة»، وغيرها من الملفات، ولاحظت - مؤخرًا - أنكم قللتم هذا النوع من الموضوعات.. أما الباب الجديد «منتدى الفيصل» فهو فكرة رائعة حقًا، وحبذا لو أفردتم له صفحات تناسب هذا المنبر حتى تكون هناك حوارات ومناقشات من القراء لما سبق نشره، ولا يتوقف دورهم عند طرح الأسئلة فحسب، ولا أعتقد أن مثل هذه الإضافة ستكون تكرارًا لباب مناقشات وتعليقات.. فحوارات المنتدى ستأخذ طابعًا آخر غير صفة التعقيب الذي يُنشر في «مناقشات وتعليقات».

محمود صديق رشوان
معيد بكلية الشريعة والقانون
جامعة الأزهر، مصر.

التحرير: نشكر للقارئ الكريم متابعته لخطوات المجلة، ونأمل أن ينال «منتدى الفيصل» تجاوب الإخوة القراء وإعجابهم، وأن يكون على المستوى المأمول. أما الملفات المتخصصة، فالمجلة ماضية في إعدادها، وسيتتابع نشرها مع المنتدى، وسوف يطالع القراء ملفات مهمة خلال العام الهجري الجديد الذي سيشهد خطوات تطويرية عديدة إن شاء الله.

رسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعناوين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب(٣) الرياض ١١٤١١

حين يرفض العلم



لم يكن عالم الأحياء النمساوي هيـر لانت واهمًا حين قـال فـي عـام 1902م: إن التكاثـر من طريق الاستنساخ سيطبق يومًا ما في المستقبل، كما أن العالم روبرت سيشيـمر لم يبتـعد كثيرًا من الحقيقة حين صـرح عام 1968م بأن في الإمكان تطبيق أسلوب الاستنساخ خلال عشر سنوات من ذلك التاريخ؛ فـهمـا على الأقل لم يذهبا إلى مـا ذهب إليه ألدوس هكسلي الذي تخيل في روايته «عـالم جديد شـجاع» BRAVE NEW WORLD أن استنساخ البـشر سيتم بعـد ستة قرون، وقد كـان يتحدث في العام 1932م. وهذه المفارقـة تؤكد أن الواقع يمكن أن يكون أكـثر إثارة ـ في بعض الأحيـان ـ من الخيال مهمـا كان جامحـا، فها هو آرثر كابلان مدير مركز الدراسات الحيوية في جامعة بنسلفانيا يتوقع أن يتم استنساخ الإنسـان في غضون سبع سنوات فقـط، بعد أن نجح العلماء في معهـد روزلين في أسكتلندا في استنساخ النعجـة «دوللي» من خلية حية من ضرع نعجة أخرى، ولا يستبعد أحد أن يكون مثل هذا التطبيق في زمن أقل من تلك السنوات السبع.

وهذا التطور الهائل الذي يشهده علم الأحياء (البيولوجيا) هو ما يجعل العلمـاء يشيرون إلى أننا نعيـش في عصر القنبلة الجينيـة، بعد أن تجـاوزنا عـصر القنبـلة النووية الذي تـضاءل أخـطاره بالموازنة مع هذا العصر الجيني الذي يبدو أنه سيمتد طويلاً، مما يوجب ضرورة الإسراع في وضع القـواعد والضـوابط التي يلتـزمهـا علماء الأحـياء، حتى لا تنقلب إنجازاتهم إلى انتكاسات للحضارة الإنسانية، ومعاول هدم تهدد أسسها ومكوناتها الإنسانية.

وهذا التنادي بضـرورة وجـود ضوابط توجه إجـراء التجـارب المعملية على الإنسان ليس شيئًا جديدًا، وإنما هناك بالفعل بعض القواعد الدوليـة التي وضـعت لتحقـيق هذا الهدف منذ زمـن بعيـد، ولكن لا يلتزمها العلماء في كثير من الأحيان، لأنهم ينظرون إليها على أنها قيود تحد من حـريتهم العلميـة، وتعوق أبحـاثهم، ومن أشهر تلك القـواعد: دستور نورمبـرج الذي تم وضعه في عام 1947م بعد التحقـيقات التي تمت بشأن قـيام هتلر بإجراء التجـارب الطبية على المعتـقلين. ووضعت الجمعية الطبية العالمية بعد ذلك مسـودة دستور عام 1961م، وتبع ذلك إعلان هلسنـكي في عام 1964م. وقد أكـدت هذه القواعـد ضرورة إجراء التـجارب على الحيوان قـبل إجرائها على الإنسـان، وألا تسبب هذه التجارب إعاقات جسدية أو نفسـية للإنسان. وهناك قوانين كثيرة تنظم البحث العلمي في كل دولة على حـدة، ولكن ما حققتـه التقنية الحيوية من خطوات لم تؤخذ في الحسبـان، يفرض واقعًا جديدًا ينبغي التعامل معه بما يضمن إنسانية الإنسان، ويحقق في الوقت نفسه حرية البحث العلمي، من أجـل مزيد من الاكتشـافات والإنجازات العلمـية التي تحقق توافقًا أكثر بين الإنسان وبيئته.

ولا ينبغي أن تقتصر هذه الضوابط على معالجة واقع اليوم، وإنما عليها أن تتطلع إلى آفاق مستقبلـية بعيدة، لأن ما يطرأ في عالم التقنية الحيـوية من جديد يجعله قـادرًا على تجاوز هذه الضـوابط قبل أن يتم تطبيقهـا، ما لم تكن موضوعة بنظرة مسـتقبلية فاحصة تـتمخض عنها ضوابط ومعـايير تتوجه أسـاسًا لمعالجة كل المحاذير والمخـاطر التي تهدد إنسانية الإنسان.

ولا يفوتنا أن كثيرًا من الإشكالات التي أوجدتها التقنية الحيوية لم يتم بعد وضع الإطار القـانوني الصحيح الذي يـحكمها، ولاسـيما في المجتمع الغربي الذي يطبق هذه الـتقنية على نطاق واسع، فلا يكاد يمر يوم من غير أن تثـار قضية تتعلق بهذه التقنيـة، وهي بلا شك قضايا ذات أبعاد إنسانية عـميقة، لأنها تمس صميم حـياة الإنسان، ووجوده الاجتـماعي. فـقد أدت ظاهرة تأجيـر الأرحام ـ مثـلاً ـ إلى كثير من المشكلات، كـأن ترفض المرأة التي تقوم بعـملية الحمـل بدلاً من امرأة أخـرى تسليم الطفـل إلى الأبوين بعـد ولادته، أو أن تقـوم هذه المرأة بعـملية ابتـزاز لوالدي الطفل الذي تحـمله، مـهددة بإجـهاضـه، أو أن يرفض الأبوان اسـتلام الطـفل إذا ولد مشـوهًا لسـبب من الأسبـاب، بالإضـافة إلى مـا يحدث من اختـلاط الأنساب حين تلقح بويضـات المرأة تلقـيحًا صناعـيًا بحـيوانات منوية من واهب غـير الزوج. وتـتجه النوايا في الغرب إلـى تطبيق ما يماثل «نكاح الاسـتبضـاع» الذي كان شائعًا عند العرب في الجاهلية، حين كان الرجل يقدم امرأته إلى واحد من كـبار القـوم ممن يتوسـم فـيهم النجابة، عـلى أمل أن يماثله الطفل المولود من هذا النكاح في نجـابتـه. والاختـلاف بين مـا كان يقـوم به العرب، وما يُـتجه إلى تطبيقه في الغرب، أنه لن تكون هنـاك معاشرة، وإنما سيـتم نقل الجيـنات الوراثية من الرجـال ذوي الصفات الـوراثية الممتازة لإخصاب البويضة، وإنجاب أطفال يتمتعون بالصفات المنقولة، ولاسيما أنـه أصبح في الإمكان تحييد الصفـات الوراثية لأحد الطرفين (الرجل أو المرأة)، حتى يأتي المولود حـاملاً للصفـات الوراثية للطرف الآخر وحده.

وشيـوع مثل هذه الممارسـات والتطبيقـات للتقنية الحـيوية وفق المنظور القـيمي للغـرب يمثل تهديدًا للـمجتـمعـات الأخرى التي لـها تقـاليدها وقـيمهـا التي لا تـتفق مع هذا المنظور، بحكـم ما للغـرب من آليـات تأثير واسع، وبما يمتلك من إعـلام فاعل ومـؤثر في المجتـمعات الأخرى، استطاع به تـنميط جوانب كثيـرة من حياة هذه المجتـمعات، التي غدت تنظـر إلى تلك الجوانب بمنظور قيـمي غربي من غـير وعي منها، وفي الوقت نفسـه لا يمكن إنكار أن بعض هذه الممارسات تلقى معارضة شديدة في الغرب من جهات كثيرة، ولكن تذرع المؤيدين لها بالحرية يجعلها أمرًا واقعًا في أغلب الأحيان.

ويبدو أن التلاعـب بالجينات لا تحده حدود، فإن هـناك توقعات مستقبليـة لوجود كائنات تحمل صفات أنواع حية مـختلفة، ولعل أكثر الأمور إثارة للـجدل الاتجاه إلى المزج بين الصـفات الآدمـية والنبـاتية، لينتج منه مـا يعرف بالإنسـان الأخـضر الذي يسـتطيع أن يتغـذى ذاتيًا كالـنبات تمامًا، مسـتفـيدًا من الطاقـة الشمـسـية أو الضوئـية، بل إن الأساطير التي كانت تشيع في الحـضارات القديمة، والتي كانت تصور إنسانًا يجمع بين صـفات الإنسان وصفات بعض الحيـوانات التي تتمتع بقدرات خاصة كـالقوة والضخامة والشجاعـة وغيرها، لا يرى العلماء بأسًـا من تحقـيقهـا في الواقع، بأن يكون هناك حـيوان يحـمل المورثات البـشرية، وقـد أطلق عـليـه مـصطلح «MANIMAL» أو أن تكون هناك كائنات وسـيطة بين الإنسان والحيـوان اصطلح على تعريفـها بـ «SUB-HUMAN»، ويذكر أن العلمـاء نجحوا في حـقن البكتيريا بجينات بشرية لإنتاج أنواع معينة من البروتينات التي تدخل في علاج بعض الأمراض. وهناك شركات كبيرة تشارك في دعم تجارب الهندسة الحيوية من أجل إنتـاج أدوية لبـعض الأمراض المسـتعصـيـة، ويدور جدل واسع حـول العلاقة بين هذه الشـركات والباحثين، إذ يتخـوف بعض المهتمين بآداب البحث العلمي من أن يكون لهـذه الشركات تأثير في مـواقف الباحثين الذين يشارك بعـضهم في هذه الشركـات بوصفهم مـستثمرين بها أو مستشارين لها، ولاسيـما أنه ثبت وجود أدوية يتم طرحها في الأسواق قبل التأكد من فعاليتها. ويُقدَّر حـجم الاستثمار في فروع التقنية الحيوية بنحو 112 بليون دولار أمريكي في عام 2000. ومن أغراض التلاعب في الجينات إنتاج فيـروسات وكائنات دقيقة يمكن توظيـفها في الحرب البيولوجية التي يطلق عليها الحرب الصامتة، لأنها لاتريق دماء، بقدر ما تؤثر في وظائف الأجـهزة العـصبيـة بدرجات متفـاوتة، وفقًا للـتحكم المسبق فـي الفيروسـات. وذكرت مـجلة (جينز) البـريطانية مـؤخرًا أن المعامـل الروسية أنـتجت ـ باسـتخدام الهنـدسة الوراثيـة ـ سلالات من ميكروب الجمـرة الخبيثة تسـتطيع مقاومة كل أنواع المضـادات الحيوية، وتصيب عـدوى الجمرة الخـبيثـة الحيوانـات وبخاصة الماشـية والأغنام، وخطورة هذا الميكروب في قدرته على الكمون في المياه أو التربة لعدة سنوات، كمـا يمكن وضعه في شكل مسـحوق، واستخدامـه في إنتاج الأسلحة البيـولوجية. وما لا يمكن إنكاره أن تطبيقـات الهندسة الوراثية قد حـققت نجاحات كـبيرة في إنتاج نبـاتات بمواصفات عاليـة الجودة، وكـذلك في تهجين الحـيـوانات وتحسين سـلالاتهـا، ومع هذا لا يمكن إغـفال الآثار السـلبيـة الناتجة من ذلك، كمـا وضح في رفض الاتحاد الأوربي استيراد نوع من الذرة من الولايات المتحدة تم إنتاجه باستخدام الهندسـة الوراثيـة، خوفًا من أن يكون ضارًا بالإنسـان، وليـست مشكلة جنون البـقر منـا ببعيـدة، فـقـد نتج هذ المرض الذي أصـاب البقـر من تغذيتها بأجزاء من لحم الغنم.

وهكذا، تتفـاعل الجوانب المفيـدة والضارة في تطبـيقات التـقنية الحيـوية بصورة دائمـة، كمـا لا ينقطع سيل التطورات الهـائلة في هذا المجال، لأن الـعلماء مـاضون في تجـاربهم؛ فكلما فـتحـوا بابًا من العلم طرقـوا أبوابًا جـديدة، حتى ليـشك المرء أن يتـوقف العلم عند حـدود بعينهـا، مهـما كانت المزالق الـتي يمكن أن يقود إليهـا الإنسـان رافـضًا بذلك كل الأطر والقواعد التي تحاول تنظيمه وتوجيهه.

والتسـاؤلات التي تطرح نفسها ونحن نشهد كل هذه التفاعلات الناجمة عـن التقنية الحيويـة: أين نحن العرب من كل هذا؟ وهل لدينا الوعي الكافي بالآثار والنتـائج الإيجابيـة منها والسلبيـة لهذه التـقنية؟ وإلى متى ستستمر هذه الحالة من الاسترخاء التي تطبع واقعنا العلمي؟

إن من دواعي طرح مثل هذه التسـاؤلات غلبة تأثير المفاجأة على ردود الأفعال الخاصة بقضية الاستنسـاخ الجسدي للنعجة دوللي. ولعل التسـاؤل الأكثـر إلحاحًـا في هذا الوقت ينبـغي أن يتركـز على رؤيتنا للمسـتقـبل، وما ينبغي أن تـكون عليه مؤسـساتنا التـعليميـة ومناهجنا الدراسـية؛ مما يؤدي إلـى إثارة إشكالية العـلاقـة بين التـعليم والحيـاة، والتسـاؤل عن دور المؤسسـات التعليـمية فـي تزويد الطلاب بالثقـافة

أن يتوقف!

العلمية التي تهيئ عقولهم لاستيعاب الجديد في مجالات العلوم المختلفة، والتفاعل الإيجابي مع ما يستجد فيها من مفاهيم ونظريات واختراعات من غير أن تلجم الدهشة عقولهم، أو يكبل الانبهار مسارات تفكيرهم.

والشاهد أن الأمم المتقدمة تحرص أشد الحرص على التأكد من فعالية نظمها التعليمية ومناهجها باتخاذ وسائل علمية وموضوعية في التقويم الشامل الذي يفضي إلى تكوين صورة حقيقية عن واقع التعليم من غير أن تخدعها مظاهر التقدم الذي تعيشه.

ولا أدل على ذلك من التقويم الشامل الذي تجريه دول أوربا لأنظمتها التعليمية، حتى تواكب تطلعاتها لمنافسة الدول المتقدمة الأخرى في مجالات العلوم والتقنية، ويتم مثل هذا التقويم من خلال المؤسسات المتخصصة كالأكاديمية الأوربية والمؤسسة الدولية من أجل دراسة فعالية التعليم، ولا تخفى - كذلك - تلك المراجعة الدائمة التي تجريها الولايات المتحدة الأمريكية لنظامها التعليمي، في سبيل أن يستجيب لطموحها في البقاء في صدارة دول العالم، وهي في هذه المراجعة تركز - بشكل واضح - على العلوم والرياضيات بوصفهما الميدان الرئيس للسباق مع الدول المتقدمة الأخرى من أجل امتلاك مفاتيح التقنيات الجديدة التي تفتح أمامها آفاقًا من التقدم المادي. وكان تقرير «أمة في خطر» الذي أعدته اللجنة القومية للتميز في التربية قد أكد أهمية أن تزداد أعداد الذين يتجهون إلى دراسة الرياضيات والعلوم في المدارس الثانوية، وهناك مشروع «أمريكا عام 2000â الذي يرمي إلى أن يكون طلاب الولايات المتحدة الأوائل في العلوم والرياضيات بحلول عام 2000. ولا يتوقف البحث عن وسائل تفعيل المناهج التعليمية في الولايات المتحدة - ولاسيما مناهج العلوم والرياضيات - وجعلها تستجيب لتطلعاتها في اطراد التقدم، والمحافظة على مسافة من التقدم بينها وبين الدول الأخرى، إذ تكونت لهذا الغرض كثير من اللجان وأجريت العديد من الدراسات التي أكدت أهمية الارتفاع بمستوى المعلمين وتأهيلهم لمواكبة التطورات التي تطرأ في مجالات تخصصهم، وضرورة أن يشارك الطلاب بأنفسهم في إجراء التجارب العملية، مع تنقيح الكتب المدرسية من الأخطاء العلمية التي تشتمل عليها، وزيادة ميزانيات التعليم لتأمين المعامل والوسائل التعليمية المتطورة.

أما المتتبع لأساليب تدريس العلوم في عالمنا العربي والإسلامي، فلا يستطيع إلا أن يصفها بالجمود، فالطالب الذي يكمل ثلاث مراحل دراسية ويقف على أعتاب الجامعة لا يكاد يحصل على المستوى العقلي والفكري الذي يؤهله لاستيعاب المعلومات العلمية الأساسية والتفاعل الواعي مع التطورات السريعة المتلاحقة لأن المناهج الدراسية تظل جامدة لسنوات طويلة من غير تطوير أو تجديد. ففي مجال متجدد مثل علم الأحياء نجد المقررات الدراسية في كثير من بلداننا لا تكاد تتجاوز نظرية مندل في الوراثة أو نظرية النشوء والتطور لدارون، وهما نظريتان تعودان إلى القرن الماضي. والطالب لا ينصب اهتمامه الأساس إلا على الامتحانات، وحين يجتازها تنقطع الصلة بينه وبين ما تلقاه من علوم، لأن المناهج التي تعمل على إعداده للحياة قاصرة عن إكسابه الاتجاهات العلمية الإيجابية، وتنمية مهاراته، وصقل مواهبه، وإشباع ميوله العلمية. ولعل هذا القصور يفسر ردود الفعل المتسمة بالانبهار والاستغراب التي يستقبل بها العامة كل تطور علمي ينجزه الغرب، ووضعه في عداد الأعمال الخارقة، أو الطفرة التي لا صلة لها بما سبقها أو بما سيليها من أعمال الباحثين والدارسين. بل إن كثيراً من المتخصصين في عالمنا العربي والإسلامي تنقطع بهم السبل عن متابعة التطورات المتلاحقة التي تستجد في مجال تخصصهم، فيبدون عاجزين عن فهم الأسس والقواعد التي قامت عليها، أو تفسير المصطلحات والمفاهيم التي تتولد عنها، بينما تأتي استجابات العامة في الغرب وردود أفعالهم - في مجملها - إزاء ما يعلن عن فتح في أي باب علمي متوازنة وموضوعية لاستناد الجمهور غير المتخصص هناك إلى قاعدة واسعة من الثقافة العلمية الحديثة المواكبة التي تنمي فيه الحس النقدي، وتتيح له أدوات التحليل والاستنتاج المنطقي؛ مما يعينه على تفسير ما يشاهده من تقدم وفق أسس علمية واضحة، اكتسبها من خلال تراكم معرفي أتاحته له المتابعة الدائمة لحركة المجتمع من حوله عبر وسائل تعليمية ومعلوماتية متعددة.

ولعل رصد أنماط الاستجابة وردود الفعل المصاحبة لإعلان الاستنساخ الحيوي، وقراءتها بتمعن، يوضح الفروق الجوهرية بيننا وبين العالم المتقدم فيما يتصل بأساليب التفكير وأنماط الاستجابة للجديد. فقد اكتفى كثيرون منا بمقتطفات مما جاء في وسائل الإعلام المختلفة عن هذه القضية على الرغم من احتمالات وجود أخطاء في المعلومات التي أوردتها تلك الوسائل بسبب الاهتمام بعامل السرعة، أو لركاكة الترجمة، أو لتركيز المتلقي على ردود الفعل من غير الاهتمام بمعرفة الحدث وتفصيلاته، وكل ذلك من شأنه ألا يؤدي إلى الوصول إلى المعلومات الموثوقة التي تعين على فهم أبعاد الحدث بعمقيه العلمي والتاريخي، ومن ثم يترتب عليه إساءة الحكم، وإشاعة نوع من البلبلة العلمية، وبخاصة إذا قُدِّر لصاحب هذا الحكم أن يتصدى للموضوع في وسائل الإعلام، وهو ما حدث في الواقع، ولاسيما من أولئك الذين أدلوا بدلوهم في النواحي العلمية من غير أن يكون لهم الرصيد العلمي الذي يؤهلهم لذلك.

والشائع في الغرب في مثل هذه الظروف أن تأتي وسائل الإعلام المختلفة بفيض من الأخبار والمعلومات والآراء المتخصصة التي تتيح للمتابع تلمس الحقائق، والوصول إلى تفسير مقبول للحدث، وإذا ما أراد المرء مزيداً من المعلومات، فهناك المراجع العلمية المتخصصة التي تتفاوت مستوياتها وأساليب تناولها للقضية، بحسب الجمهور الذي تتوجه إليه، وهذا من شأنه أن يتيح المعلومات الموثقة بأسلوب سهل لكل باحث عنها.

وقد بدا قصورنا الإعلامي واضحًا في تناول قضية الاستنساخ الحيوي، لأن الإعلام - في حقيقته - ليس إلا انعكاساً للمجتمع، وتعبيراً عنه، فإذا كان القطاع الأعظم لمجتمعاتنا يفتقر إلى الثقافة العلمية الضرورية للتفاعل مع محيطه، فإنه من الطبعي أن يكون هناك قصور في إعداد الطاقات الإعلامية القادرة على معالجة الموضوعات العلمية في وسائلنا الإعلامية بالعمق المطلوب والأسلوب المناسب اللذين ييسران على العامة فهمها واستيعابها. فقد حفلت كثير من الطروحات الإعلامية لجوانب الموضوع بالأخطاء الناتجة من قلة الإلمام بالموضوع أو من سوء الترجمة أو عدم دقة المصطلحات، حتى اختلط الأمر على المتابع، الذي لم يعد يعرف الصحيح من الخطأ، بسبب التفاوت الكبير في المعلومات التي يطالعها في كل وسيلة من وسائل الإعلام.

إن تداعيات هذه القضية ومثيلاتها من القضايا المتعلقة بالتقنية الحيوية وأبعادها وتأثيراتها في حياة البشر أصعب من أن تُحصر، مما يستوجب أن تُعدّ لها العدة، ونحسب أن من أهم متطلبات الاستعداد لما ستسفر عنه الأيام، وما ستخرج به علينا البحوث العلمية التي تجرى في مراكز عديدة في أنحاء العالم، أن نكون - نحن المسلمين - أكثر فهماً لجوانب هذه التقنية، وأن نضع ما حدث وما قد يحدث في الإطار الصحيح دون أي إفراط أو تفريط، وخاصة من جانب وسائل الإعلام التي تخاطب مستويات مختلفة من الناس، والتي عليها أن تراعي الدقة في إيراد المعلومات في مثل هذه القضايا الشائكة. لأنه من المؤسف حقًا أن يبلغ عدم الدقة ببعض وسائل الإعلام في وصف ما قام به العلماء في معهد روزلين بالخلق، مع أن دلالة هذا المصطلح هي إيجاد الشيء من العدم، وهو ما ينفرد به الخالق سبحانه وتعالى وحده. ومثل هذا الاستخدام الجزافي للمصطلحات، بلا تعمق في دلالاتها، يقود إلى الوقوع في مزالق خطيرة، لمساسها بعقيدة المسلم. مع أنه ليس من العجيب أن ترد مثل هذه المصطلحات في أحاديث أولئك الذين لا يقرون بتوحيد الله، ومن بينهم بعض العلماء الذين يأخذهم التيه بما صنعوا بعيداً من مقتضيات الإيمان، وتوجد أمثلة كثيرة على ذلك، منها ما ذكره الدكتور عبدالمحسن صالح - رحمه الله - في كتابه «التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان» من أن أحد علماء الأحياء وقف في المحكمة العليا في الولايات المتحدة عام 1979م مدافعًا عن نفسه في قضية تتعلق بنقل صفات وراثية جديدة إلى كائنات دقيقة؛ فقال: «إن براءة اختراع هذا الكائن من حقي، فقد شاركت في خلقه».

أما المتأمل في قيم الإسلام وتعاليمه فلا يملك إلا أن يؤمن حقًا بأن كل ما وصل إليه الإنسان وما سيصل إليه لم يكن ليتم لولا نعمة العقل الذي خصه الله به، وميزه به بين خلائق الأرض والسماء، حاثًا إياه على توظيفه في التدبر والتفكر والتبصر والتعقل، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية؛ ليمضي الإنسان قدمًا في طريق العلم لكشف ما غاب عنه وفهمه وإدراكه، حتى ينهض بأمانة التكليف وفق ما أمره به الخالق سبحانه وتعالى، فتتكامل بذلك شخصية الإنسان حين يترافق فيها العلم والإيمان، ويكون كل منهما سببًا في رسوخ الآخر وثباته في دواخل النفس، لتطمئن بهما معًا، من غير تنازع أو تناقض بينهما.

التساؤل الأكثر إلحاحًا في هذا الوقت ينبغي أن يتركز على رؤيتنا للمستقبل، وما ينبغي أن تكون عليه مؤسساتنا التعليمية ومناهجها الدراسية

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد 246 - السنة 21 - ذو الحجة 1417هـ - أبريل/مايو 1997م

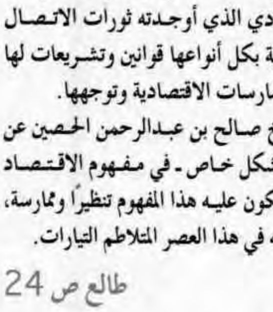


الشيخ صالح الحصين في «منتدى الفيصل»:

مع أن النشاط الاقتصادي لازم الإنسان منذ أولى خطواته على الأرض؛ إلا أنه لا يزال يكتنفه كثير من الغموض الذي يدفع الإنسان إلى التساؤل الدائم بحثًا عما يجلّي هذا الغموض، ولاسيما أن العالم أصبح في هذا العصر سوقًا مفتوحة؛ يُتاجَر فيها بكل شيء، مما لا يخطر على بال، أو يستسيغه عقل. وقد ترتبت على هذا الواقع الاقتصادي الذي أوجدته ثورات الاتصال والمعلومات والتقنية بكل أنواعها قوانين وتشريعات لها منطلقاتها المختلفة في سبيل إيجاد صيغ وقواعد تضبط الممارسات الاقتصادية وتوجهها.

في «منتدى الفيصل» في هذا العدد يجيب معالي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين عن تساؤلات تتناول المفاهيم الاقتصادية، مدليًا برأيه - بشكل خاص - في مفهوم الاقتصاد الإسلامي، مقوِّمًا نتائج تطبيقه، ومشيرًا إلى ما ينبغي أن يكون عليه هذا المفهوم تنظيرًا وممارسة، إلى جانب تناوله قضايا تتعلق بحياة الإنسان المسلم ومعاشه في هذا العصر المتلاطم التيارات.

طالع ص 24



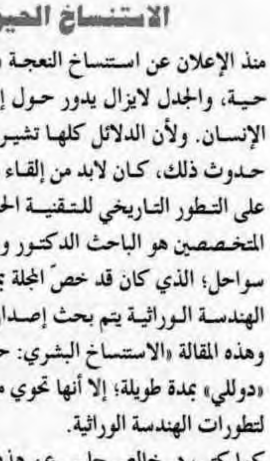
الاستنساخ الحيوي البشري

منذ الإعلان عن استنساخ النعجة «دوللي» من خلية حية، والجدل لايزال يدور حول إمكان استنساخ الإنسان. ولأن الدلائل كلها تشير إلى احتمالات حدوث ذلك، كان لابد من إلقاء مزيد من الضوء على التطور التاريخي للتقنية الحيوية بقلم أحد المتخصصين هو الباحث الدكتور وجدي عبدالفتاح سواحل؛ الذي كان قد خصّ المجلة بمقالات قيمة عن الهندسة الوراثية يتم بحث إصدارها في كتاب.

وهذه المقالة «الاستنساخ البشري: حقيقة أم خرافة» - طالع ص12 - مع أنها كُتبت قبل زوبعة «دوللي» بمدة طويلة؛ إلا أنها تحوي معلومات قيمة تثبت أن ما حدث لم يكن مفاجأة للمتابعين لتطورات الهندسة الوراثية.

كما كتب د. خالص جلبي عن هذه الثورة الأحيائية مشيرًا إلى الجديد والمثير في الاستنساخ الجسدي، مبديًا رأيه فيما يثيره هذا الموضوع من إشكالات.

طالع ص 54



الحديقة اليابانية: بساطتها سر جمالها

تمازج النباتات الطبيعية في الرمل والماء والصخر، وتكامل هذه كله، يعطيان الحديقة اليابانية تميزًا واضحًا، ولاسيما أن هناك تنوعًا في أساليب تقسيم سطح هذه الحديقة، مما يغني الروح الجمالية فيها. تلك الروح التي يعبر عنها أحد معلمي البستنة اليابانية بقوله: «في الحديقة اليابانية كل حجر ينبغي أن تكون له حياته الداخلية، ولا بد أن يحظى بجمال ريفي بسيط». فالبساطة - إذن - هي سر تميز الحديقة اليابانية. ولكن أليس مستغربًا أن يكون هناك من ينظر بتشاؤم إلى مستقبل الحديقة اليابانية؟

كامل يوسف حسين تناول فلسفة الحديقة اليابانية وحياتها وتاريخها ومستقبلها.

طالع ص84

أدب وفكر

الدين والحياة

ترجمة

تراث وتاريخ

شخصيات

من كتاب العدد



عبدالقادر محمد مايو (قدري مايو)

- من مواليد حلب، سورية 1935م.
- حاصل على إجازة في اللغة العربية وآدابها، جامعة دمشق 1957م، ودبلوم في التربية من الجامعة نفسها، وإجازة في الحقوق (القانون)، اختصاص منظمات دولية، جامعة حلب1967م.
- عمل بالتدريس إلى أن أصبح مديرًا لدار المعلمين ومعهد المدرسين، كما عمل بالمحاماة.
- من مؤلفاته: له عدد من الدواوين منها: «موت ميت حياة»، «موسم الهجرة إلى الجنوب»، «هموم صريع الغواني». وله مجموعة قصصية: «جنازة مالك الحزين»، وروايتان: «ملف القضية 77»، «وتستمر الحياة». وفي شرح الدواوين: «ديوان الشماخ بن ضرار»، «النابغة الشيباني»، «كثير عزة»، «عمر بن أبي ربيعة»، «ابن الرومي» مجلدان منه، وديوان «ناصح الدين الأرجاني». وله في علوم اللغة العربية: «علم النحو»، «علم الصرف»، «فن الإنشاء»، «علم الإملاء والخط العربي»، «علم العروض».
- له مقالات منشورة في الصحف المحلية والعربية.



حسين مجيد العطية

- من مواليد البصرة، العراق 1950م.
- حاصل على ماجستير أدب إنجليزي من جامعة بومباي.
- عمل أستاذًا مساعدًا للأدب الإنجليزي في كلية الآداب، جامعة البصرة، ويعمل حاليًا أستاذًا مساعدًا في المعهد العالي لإعداد المدربين في مصراته بليبيا.
- من أعماله: شاعر في نيويورك، لوركا (ترجمة)، رامبو: الشاعر والإنسان (ترجمة)، لوركا وفن الغناء الأندلسي العميق (ترجمة). وله أكثر من عشرين بحثًا منشورًا في مجلات علمية باللغتين العربية والإنجليزية.



زيد بن محمد الرماني

- من مواليد بلدة الحريق، جنوب الرياض، السعودية 1385هـ.
- حاصل على ماجستير اقتصاد إسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1413هـ، ويعد حاليًا لنيل درجة الدكتوراه بأطروحة عنوانها: «اقتصاديات البيئة والتنمية المستديمة من منظور إسلامي - دراسة نظرية وتطبيقية».
- يعمل محاضرًا بقسم الاقتصاد الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- عضو جمعية الاقتصاد السعودية، والجمعية الدولية للاقتصاد الإسلامي في بريطانيا، وعضو الجمعية المغربية للاقتصاد الإسلامي، وعضو الجمعية المصرية للاقتصاد والإحصاء والتشريع.
- من مؤلفاته: مجالس ووقفات مع كتاب الله عز وجل (دار الغيث 1414هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية (دار الغيث 1415هـ)، الواقع الاستهلاكي للعالم الإسلامي، المفاهيم الاستهلاكية في ضوء القرآن والسنة (صدرا عن رابطة العالم الإسلامي عامي 1415و1416هـ).



عمر عبدالرحمن أبو راس

- من مواليد الخرطوم، السودان 1955م.
- تخرج في كلية الآداب جامعة القاهرة، كما درس في لندن.
- عمل مراسلاً صحفيًا لكثير من الصحف العربية، ويعمل حاليًا في قسم التحرير لمجلة اليمامة السعودية.
- باحث وناقد، شارك في إعداد «معجم الأدباء السعوديين» بمؤسسة الدائرة للإعلام، و«الموسوعة المعرفية السعودية».

تدخين الآباء يسبب السرطان للأبناء!

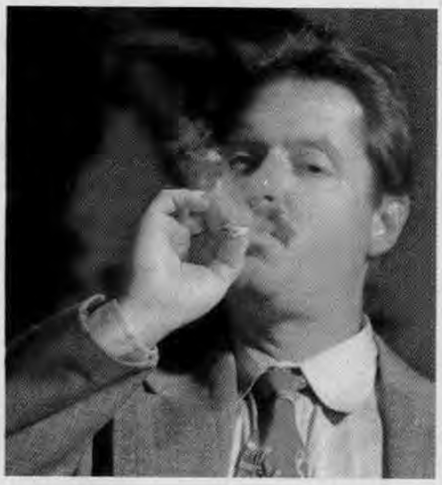
توصل الباحثون إلى مؤشرات قوية تفصح عن وجود علاقة بين ممارسة الآباء عادة التدخين وإصابة الأطفال بالسرطان. إذ يعتقد هؤلاء الباحثون أن نحو 15٪ من إصابات الأطفال بالسرطان - بما في ذلك اللوكيميا (سرطان الدم) وأورام الدماغ - قد تكون نتيجة تدخين الآباء. وكشفت دراسة أجريت في جامعة برمنجهام عن أن الرجل الذي يُكثر من التدخين يجازف بإتلاف حيواناته المنوية. ويقول البروفسور جوردن ماكفي المدير العام لحملة أبحاث التدخين في بريطانيا: إنهم يعلمون مسبقًا أن معظم إصابات الأطفال بالسرطان ناجمة عن عوامل تحدث قبل الولادة، لذلك فإنه من الجدير بالتصديق أن تدخين الآباء قد يكون أحد هذه العوامل.

النتائج التي ترجح وجود صلة بين إصابة الأطفال بالسرطان وتدخين الآباء ارتكزت على إحصاءات مستقاة من دراسات عن سرطانات الأطفال أجريت في جامعة أكسفورد، ووازنت بين أسلوب حياة أكثر من 1500 من الآباء الذين توفي أطفالهم بسبب السرطان قبل أن يبلغوا السادسة عشرة من العمر، في المدة من 1953 إلى 1995م، وبين العدد نفسه من الآباء من ذوي الأطفال الأصحاء. وقد أُخذ في الحسبان، عند إجراء الموازنة، متغيرات مثل: الطبقات الاجتماعية، وجنس الطفل وتاريخ ميلاده، وأعمار الوالدين، وما إذا كانت الأم قد خضعت لتصوير بالأشعة في أثناء الحمل. وقد عُدّت النتائج جديرة بالثقة، وبخاصة أن الصلة بين الآباء المدخنين وسرطان الطفولة لم تكن موضع شك، عندما تم تصنيف الإحصاءات.

وذكر د. توماس سوراهان رئيس فريق أبحاث برمنجهام أن الناس قدموا إجابات أكثر دقة عندما سئلوا عن مقدار تدخينهم، لأنهم لم يكونوا يدركون الأخطار الصحية الناجمة عنه.

وكان د. سوراهان قد ذكر لصحيفة ديلي ميل اللندنية أن المعطيات الجديدة كشفت عن عينة مماثلة لعينة نُشرت العام الماضي، وأوضح أنه لدى إضافة هذه النتائج إلى الدراسات السابقة، فبالوسع الحصول على نتيجة ذات شأن تربط بين تدخين الآباء وسرطان الطفولة.

أوضحت التجارب المخبرية السابقة أن المواد الكيماوية الموجودة في التبغ تتلف الأحماض النووية DNA التي تمثل أحد مكونات الحيوان المنوي؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى الإصابة بالسرطان.



وبالنظر إلى ذلك فإذا عُدَّ غير المدخنين بوصفهم مقياسًا يعادل واحدًا صحيحًا، فإن مستوى الخطر الإحصائي بالنسبة لتدخين 1-9 سجائر يوميًا يعادل 1,03 (أكثر بمقدار 3٪)، وبالنسبة لتدخين 10-20 سيجارة يعادل 1,31 (أكثر بمقدار 31٪)، وبالنسبة للتدخين الشره، أي أكثر من 20 سيجارة يوميًا، فالنسبة 1,42 (أكثر بنسبة 42٪).

نباتات لتنظيف حقول المتفجرات

كشفت الأبحاث التي أجرتها مجموعات خبراء في الولايات المتحدة عن أنه بوسع النباتات أن تقلل من خطر النتروجلسرين وثالث نترات التولوين TNT، دون مساعدة من الكائنات العضوية الدقيقة، مثل البكتيريا والفطريات. ومن الخطورة بمكان، في الوقت الحاضر، استصلاح مواقع الذخيرة القديمة من أجل تشييد مبان فوقها، ولكن ذلك قابل للتغيير إذا ما استُخدمت النباتات الرخيصة في استخلاص (نزع) المتفجرات من التربة والماء بتحليلها (تفكيكها).

لقد أوضح جو هيوز وزملاؤه في كلية هندسة جورج براون التابعة لجامعة رايس في هيوستن أن نباتات جار النهر تستطيع امتصاص مادة TNT والتقليل من شأنها. ومن طريق تغذية نبتة الريش الببغائي MY-RIOPHYLLUM AQUATICUM ونبتة الونكة العناقية CATHARANTHUS ROSEUS بالمتفجرات أثبت الفريق أنه لا علاقة للكائنات العضوية الدقيقة بعملية تفكيك المتفجرات.

يقول هيوز: لأول مرة تثبت قدرة النبات على تأيض (تمثيل) TNT. وفي كلا النوعين لم يعثر على TNT في أنسجتها خلال أسبوع.

النباتات المعقمة قللت من شأن الـ TNT



بالسرعة نفسها التي قللت بها نباتات ميريوفايلوم سباتيكوم، المدعومة بالميكروبات، التي يقول الباحثون عنها: إنها تنمو في برك القندس القائمة على أرض ملوثة في مصنع ألاباما لذخيرة الجيش في تشيلدرسبيرغ.

ولكن إلى أي مدى يتم تحلل TNT؟ لقد وجد هيوز جزيئات تولوين نيتروجينية في الأعشاب؛ إلا أنه يعتقد أن ذلك لا يشكل خطراً، ويضيف: إنهم أحرقوا النباتات كجزء من أبحاثهم ولم يحدث أي انفجار.

وحديثا أوضح الفريق أن النباتات تعالج مادة TNT ومنتوجاتها المتحللة في حجيرات خلوية تدعى حويصلات، حيث تتحلل هناك قبل أن تُطرح (تفرز)، وهذا مماثل للطريقة التي تطرح بها أكبادنا السموم، وذلك حسبما جاء في تقرير لـ إندي كوغلان في NEWSCIENTIST نيوسينتست في عدد فبراير الماضي.

ويعتقد هيوز أنه في خلال عشرة أيام يمكن استخدام النباتات بطريقة روتينية لتنظيف مستودعات الذخيرة الملوثة، ويقوم مركز الجيش البيئي في ميريلاند بمحاولات للارتقاء بنظام أعشاب البرك للقيام بأعمال تنظيف رئيسية.

وخلال ذلك أوضح جريجوري باين وزملاؤه من جامعة مريلاند في مقاطعة بالتيمور أن خلايا نبات بنجر السكر وعصاراته تستطيع أن تمتص المادة المتفجرة وأن تقلل من شأنها.

غرائب هونج كونج قبل العودة

مع اقتراب موعد تسليم مستعمرة هونج كونج من قِبَل الإدارة البريطانية إلى السيادة الصينية، في شهر يوليو القادم، تتسابق وسائل الإعلام لتسجيل هذه الحقيقة التاريخية الموشكة على الانتهاء، ومن ثم تسليط الضوء على الأنماط الحياتية المختلفة في هونج كونج، والتغيرات المتوقعة عند زوال الهيمنة البريطانية على الجزيرة.

كانت مجلة «الفيصل» قد قدمت في العدد 241 موضوعًا شاملاً عن هونج كونج، ومجلة ناشيونال جيوجرافيك NA-TIONAL GEOGRAPHIC الأمريكية أشارت ضمن استطلاع عن المدينة نفسها في عددها الأخير (مارس 1997م) إلى عادات أهل هونج كونج في الأكل وأنواع الأطعمة التي يحبذونها. وقالت: «على الرغم من أن جميع المأكولات الفرنسية والإيطالية منتشرة في مناطق جنوب الصين؛



إلا أن مشاوي الفئران والكلاب لاتزال معروضة بشكل بارز في مطاعم جوينجو». وتسهب المجلة في إيضاحها هذه العادة الصينية، وتشير إلى أنه كان من بين وجبات الكانتونات التي تناولها مصور المجلة مايك ماشيتا، وجبة من دود حرير القز، والخنافس السوداء والفئران.

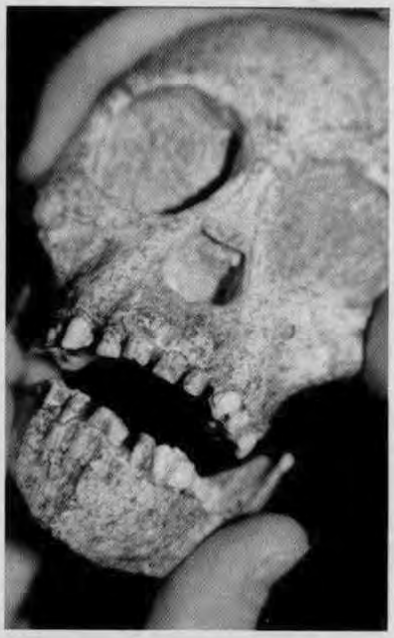
سيارة من دون مقود!

هكذا تكون الاختراعات والابتكارات، مثيرة للاستغراب في بداياتها، ولكنها سرعان ما تصبح جزءاً من حياة الناس. فسيارة المرسيدس - بنز من نوع F200، التي لاتزال في طور التصور، لا يوجد بها مقود، ولا دواسة وقود، أو دواسة كباحات (الفرامل). وبدلاً من ذلك تم تزويد الكابينة المنتظمة بحامل للوحات المفاتيح، والدواستين، وعصا تحكم جانبي، يدفعها السائق إلى الأمام لتتحرك السيارة وتسرع، ويدفعها إلى الخلف لإيقاف السيارة، بالإضافة إلى عصاوي تحكم على كل من لوحتي البابين الأماميين.



ما السبب وراء هذا التجريب الغريب؟ الإجابة - كما تقول مجلة بيولاينس الأمريكية - هي تأكيد الدور المنتظر لتقنية القيادة السلكية في سيارات المستقبل، فهذا النوع من القيادة، الذي سبق أن استخدم الوصلات الخانقة والفرامل، أخذ يحل محل الأجهزة الميكانيكية المباشرة، المزودة بأنظمة مبرمجة إلكترونيًا وميكانيكيًا. إن تركيب العصا الجانبية يجعل مقعد السائق أكثر أمانًا، حيث لا يوجد عمود قيادة يمكن أن يندفع إلى الخلف، في حالة حدوث ارتطام شديد. وقد أوضح اختيار النموذج التجريبي أنه لدى استخدام السائقين لأجهزة التحكم بالعصا الجانبية سيصبح في وسعهم التفاعل بشكل أسرع مع الحالات الطارئة التي تتطلب مناورات بارعة لإيقاف السيارة، وتوجيهها على الطرق السريعة، كما أن عصا التحكم الثنائية تلغي الحاجة إلى تصميمات القيادة على

منجم إفريقي يقذف بثروة غير منتظرة



أحدث اكتشاف بقايا متحجرة لسن قرد عمره 18مليون سنة ضجة في الأوساط العلمية، وأثار أسئلة عديدة لاتزال تنتظر إجابات. فقد ألغى هذا الاكتشاف ملعومات كانت ترقى إلى مستوى اليقين، عند بعض العلماء، عن الموطن الذي نشأت فيه العائلة القردية الإفريقية.

وقد ظهرت هذه السن - وفقًا لما ذكرته مجلة ديسكفري - عندما قابل مدير المنجم الذي يقع في منطقة صحراوية تُعرف باسم «مانا جالاند» عالمين بالمستحاثات كانا يعملان في تلك المنطقة، هما بريجيت سينون من المتحف القومي الفرنسي للتاريخ الطبيعي، ومارتن بيكفورد من الكلية الفرنسية في باريس، وهما عضوان في مشروع أبحاث تعاوني بين فرنسا وجنوب إفريقيا.

يقول الباحثان: إن هذه السن تعود لفصيلة كينيا بيثيكوس KENYA PITHECUS؛ وهي فصيلة من القرود لم توجد في شرق إفريقيا، وقد وُجد مع تلك السن أسنان متحجرة لخنازير عاشت في حقبة ما قبل التاريخ، وحيوان لاحم معروف باسم الكلب الدبِّي، وهي أنواع كشف عنها علماء المستحاثات مع فصيلة كينيا بيثيكوس أكثر من مرة من قبل.

ويقول دون كلارك عالم المستحاثات في جامعة ويتو وترسراند في جوهانسبرغ: إن ذلك كان أول دليل على أن ذلك الجنس الخاص من القرود عاش في جنوب إفريقيا. ويضيف: إنه كان يعتقد، سابقا، بأنها لم تعش إلا في شرق إفريقيا. وقبل أربع سنوات وجد الباحثون عظام فك في ناميبيا لقرد قديم هو أوتافيبيثيكوس النامي OTAVIPITHECUS NAMIBIENSIS عمره 13 مليون عام.

اليمين واليسار للأسواق الدولية. ومن مميزات «السيارة من دون مقود» أن أجهزة استشعار المفاتيح والتشغيل تجتمع لتشير إلى مكان مقعد السائق هل هو على اليمين أم على اليسار، ثم تنشط عصا القيادة على ذلك الجانب فقط، ومن ثم تتحول شاشات الفيديو، التي تزود السائق بالمعلومات، ذاتيًا إلى الجانب الذي يجلس فيه.

مشروع لتمكين المكافيف من الرؤية!

إذا قُدِّر لأحد مشاريع الأبحاث البريطانية أن يمضي قدمًا كما هو مخطط له فقد يصبح المكافيف قادرين على الرؤية بوساطة آذانهم!

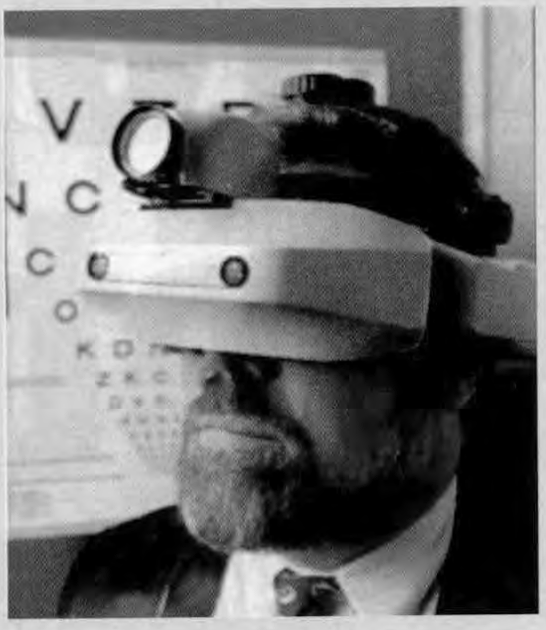
فالآن يباشر فيل بيكتون PHIL PICTON، المعيد في كلية NENE في نورثامبتون لتدريس أنظمة التحكم الهندسية، العمل في مشروع يستغرق ثلاث سنوات لبناء «مسماع بصري»، وهو جهاز يحول الضوء إلى صوت لمساعدة المكافيف كليًا، والذين يعانون من فقد القدرة على الإبصار جزئيًا.

يقوم مشروع بيكتون - وفقا لما أوردته مجلة NEWS-CIENTIST نيوسينتست - على أعمال طالب سابق هو أدريان أوهيا ADRIAN O'HEA، الذي توفي قبل أن ينهي مشروعه. وفي «نظام أوهيا» يتم ترقيم كل «انطباعة ذهنية»، ثم تُعطى كل صورة موجة جيبية ذات تردد خاص. تُعطى الصور المتحركة في قمة الانطباعة الذهنية ترددات عالية، وتُعطى في قاعها ترددات بطيئة، وسعَة (نطاق) الموجة المخصصة لكل صورة تتناسب مع مدى لمعانها، وأخيرًا فإن مجموعة الموجات الجيبية في كل عمود من الصور تتجمع لإنتاج صوت واحد.

يقول بكتون: إن الحاسوب (الكمبيوتر) لن يحاول التقاط الأشياء بل إن مستخدمي الجهاز سيتعلمون تدريجيًا تمييز ما يحيط بهم وتتبع الأصوات في مواقف خاصة. ويضيف: إن الحاسوب لن يترجم أي شيء، فالشخص هو الذي سيكون الجانب الذكي في هذا النظام.

ويعتقد بيكتون أنه بعد التدريب قد يتمكن المكافيف من استخدام المسماع البصري لقيادة سفينة في البحر.

وفي اتجاه مواز للمشروع البريطاني، بدأ الأطباء في الولايات المتحدة خطوة مثيرة؛ إذ نجحوا في إعادة الإبصار الكامل لعدد من المكافيف من طريق زرع جهاز استقبال



رقمي دقيق في المركز البصري في قشرة الدماغ. يقول أوسبورن البالغ من العمر 32 عامًا - وهو أحد الأشخاص الستة الذين خضعوا لهذه التجربة، ولم يكن قد رأى النور قط -: عندما زرع الجراحون الجهاز، لم أصدق أنه سيعمل، وبالفعل لم يحدث شيء خلال شهرين من تاريخ الزراعة، ولكن بعد ذلك أصبحت ألتقط وميضًا من النور، وخلال أسابيع قليلة أصبحت أرى بوضوح كل شيء يقع عليه بصري.

الجهاز الجديد المزروع اسمه كليرفويير CLAIR-VOYEUR، وينبغي على الذين يستخدمونه ربط نظاراتهم بسلك يمتد إلى الجمجمة، وإذا ما نجحت التجارب المستمرة فقد يُطرح الجهاز في الأسواق بحلول عام 2100م، وفي ذلك الوقت لن يحتاج مستخدموه إلى توصيل سلك إلى الجمجمة.

الاستنساخ الحيوي البشري

د. وجدي عبدالفتاح سواحل

إن الدلائل كافة تعلن صراحة أن البشرية تتجه الآن، وبسرعة رهيبة، إلى عالم مختلف وغريب ومثير وبالغ الخطورة اسمه «عالم الاستنساخ البشري»، الذي يُجمع أغلب العلماء على أنه سيكون عالمًا يسوده «التوائم» المتماثلون بالعشرات وربما المئات مع اختلاف تكوينهم الوراثي عن توائم اليوم. لقد أدخل الاستنساخُ البشري - الذي يعتمد على تقنية استبدال الأجهزة الوراثية - العالمَ في آفاق مفزعة ومثيرة لأشد الجدل.

في النصف الأخير من عام 1416هـ أرسل الباحث الدكتور وجدي عبدالفتاح سواحل إلى المجلة مجموعة من البحوث العلمية عن التطورات العلمية في الهندسة الوراثية، مع التوقعات المستقبلية لها.

وقد رأت إدارة التحرير أن هذه البحوث تصلح - في مجموعها - لأن تصدر في كتاب عن دار الفيصل الثقافية بعد أن يراجعها الباحث ويضيف إليها، من أجل إتاحة الفرصة للقارئ ليقف على المعلومات التي تهمه في هذا المجال الحيوي بأسلوب سهل مدعم بالصور والرسوم التوضيحية، ولاسيما أن الباحث متخصص بهذا المجال، وحاصل على درجتي دكتوراه؛ إحداهما في فلسفة العلوم من جامعة ليدز ببريطانيا، والأخرى في العلوم من جامعة نيتبردج بالدنمارك، ووصل إلى رتبة «باحث أول» في المركز القومي للبحوث بمصر، إلى أن أُعيرت خدماته - مؤخراً - لهيئة الأمم المتحدة، كما أنه عضو بلجان تحكيم بحوث الهندسة الوراثية في عدد من المجلات العلمية في بريطانيا وأمريكا وكندا.

وعندما أثيرت قضية الاستنساخ الحيوي رأت المجلة أنه لا بأس في أن تستلَّ هذا البحث الذي يتناول الاستنساخ من مجموعة البحوث التي كتبها د. سواحل، وبخاصة أن التأخر في النشر لا يقلل من قيمة المعلومات العلمية الواردة فيه؛ علمًا بأن مجلة «الفيصل» سبقت - منذ أربعة أعوام - إلى إثارة هذا الموضوع الحيوي الذي أصبح الآن الشغل الشاغل لوسائل الإعلام [انظر: ما تبشر به البيوتكنولوجيا، د. فوزي عبدالقادر الفيشاوي، العدد 199- محرم 1414هـ - يوليو/ تموز 1993م].

ولأن العالم بات - عبر وسائل الاتصال والمواصلات الحديثة - مجرد قريه صغيرة، يُلقي فيها الشمال بإنجازاته وصراعاته على الجنوب، فان التجاهل لم يعد ممكنًا؛ حيث يؤدي عدم المعرفة إلى اضطراب كبير في تقدير أمور تتعلق بعقيدة الانسان وصحته وآليات تواصل الحياة والأجيال.

التكاثر في الكائنات الحية

منذ قرابة 40 عامًا فقط ومن طريق التحليل الكيماوي ثم الفيزيائي ثم بوساطة الميكروسكوب الإلكتروني تمكن العلماء من اكتشاف نوع من الأشرطة - في أعماق نويات الخلايا الحيوانية - تَكْمُن فيها «ذاكرة الحياة ومواصفاتها» وتُعدّ لُب التكاثر ومفتاح البقاء للمخلوقات الحية كافة بما فيها الإنسان. وتحتوي هذه الأشرطة على الوحدات الوراثية (الجينات) التي يتركب كل منها كيماويًا من الحامض النووي (DNA) الموجود في نويات الخلايا ويحمل الصفات المتوارثة من الآباء إلى الأبناء.

وتبدأ جميع الكائنات الحية حياتها بالسعي المتواصل لتأمين بقائها كأفراد أولا وتوفير الطاقة اللازمة لنموها حتى مرحلة معينة، ثم تبدأ بعدها في السعي لتأمين بقاء أنواعها بالتكاثر فتوجه له معظم طاقاتها وسلوكها. وتتكاثر الكائنات الحية بطريقتين أساسيتين هما:

أ - التكاثر الجنسي (التزاوجي) SEXUAL RE-PRODUCTION:

تتطلب هذه الطريقة من التكاثر وجود فردين (أب وأم) لإنتاج الأمشاج GAMETES وبذلك تجمع الأفراد الناتجة بين صفات الأبوين، ويقتصر الإنجاب على الإناث فقط، ويتميز التكاثر الجنسي بأنه يزيد من فرص التباين والتنوع في الأجيال الناتجة بسبب التلاقي المتكرر للأمشاج؛ مما يوفر للأجيال الناتجة تجديداً مستمراً في بنائها الوراثي يُمكِّنها من الاستمرار أمام تغيرات البيئة. ويتم التكاثر الجنسي بإحدى الصورتين التاليتين:

- **الاقتران CONJUGATION:**

يحدث في بعض الأوليات والطحالب والفطريات عند تعرضها لظروف بيئية غير ملائمة مثل الجفاف أو تغير حرارة الماء أو نقاوته، ويتم التكاثر من طريق اقتران مكونات الخيطين (أحدهما مذكر والآخر مؤنث) إما سُلميًا أو جانبيًا كما هو الحال في طحلب الإسبيروجيرا SPIROGYRA الذي يتركب من خيوط غير متفرعة.

- **الأمشاج الجنسية GAMETES:**

يحدث في الأحياء النباتية والحيوانية المتقدمة حيث يقوم المشيج

حقيقة أم خرافة؟



عالم الغد: توائم متشابهون ومختلفون عن توائم اليوم

الذكري بنقل مادة النواة الأبوية إلى المشيج الأنثوي عند الإخصاب.

ب ـ التكاثر الجسدي (اللاجنسي ـ اللاتزاوجي) ASEXUEL RE-PRODUCTION:

يشيع في عالم النبات وفي الأنواع البدائية من عالم الحيوان، وفيه يتم انفصال جزء من الجسم سواء كان خلية جرثومية واحدة أو عدة خلايا أو أنسجة ونموها إلى فرد جديد يشبه تمامًا الأصل الذي انفصلت منه لأنه تسلّم المادة الوراثية نفسها. لذا يتميز التكاثر الجسدي بالمحافظة على جودة الصفات الوراثية للنوع. ولا يقتصر الإنجاب من طريق التكاثر الجسدي على الإناث فقط بل ينجب جميع الأفراد.

ويتم التكاثر الجسدي بإحدى الصور الآتية:

ـ التبرعم BUDDING:

وهو شائع في الخمائر YEASTS وأشباه الهيدرات (الإسفنج ـ الهيدرا) حيث تتبرعم الخلية الأم مكونة خلايا أصغر.

ـ التجدد REGENERATION:

يقوم الكائن الحي، عند تعرضه لحادث أو تمزق، بتجديد الأجزاء المفقودة بالانقسام الميتوزي. وهذه العملية شائعة في النباتات وتشتمل على نمو البراعم الكامنة والجذور العرضية. وتتمتع جميع الحيوانات ببعض القدرة على التجدد؛ إلا أن عملية التجدد تظهر واضحة في «نجم البحر» الذي تنمو له ذراع جديدة في حالة فقدانه واحدة، وكذلك إذا قُطعت دودة البلاناريا لعدة أجزاء في مستوى عرضي وطولي فإن كل جزء ينمو إلى فرد مستقل. كما تلجأ كثير من السحليات إلى فصل أذنابها في حالة تعرضها لهجوم مفترس، فتصرف انتباه المفترس وتهرب ومن ثم يتجدد ذلك الجزء.

ـ التكاثر الخضري VEG-ETATIVE PROPAGATION:

مثل التطعيم والترقيد والتعقيل، وكلها تعتمد على الانقسام الميتوزي لخلايا جسم النبات لإنتاج نباتات جديدة مطابقة للأصل، وتُستخدم هذه الطريقة لإنتاج العُقل والبصلات والقرم والجذمود والرؤد والبُصيلات (وهي بصلات صغيرة تنمو في الزهرة لاجنسيا) والبُريعيمات (وهي تَجَمُّع من الخلايا تنتجها الكبديات).

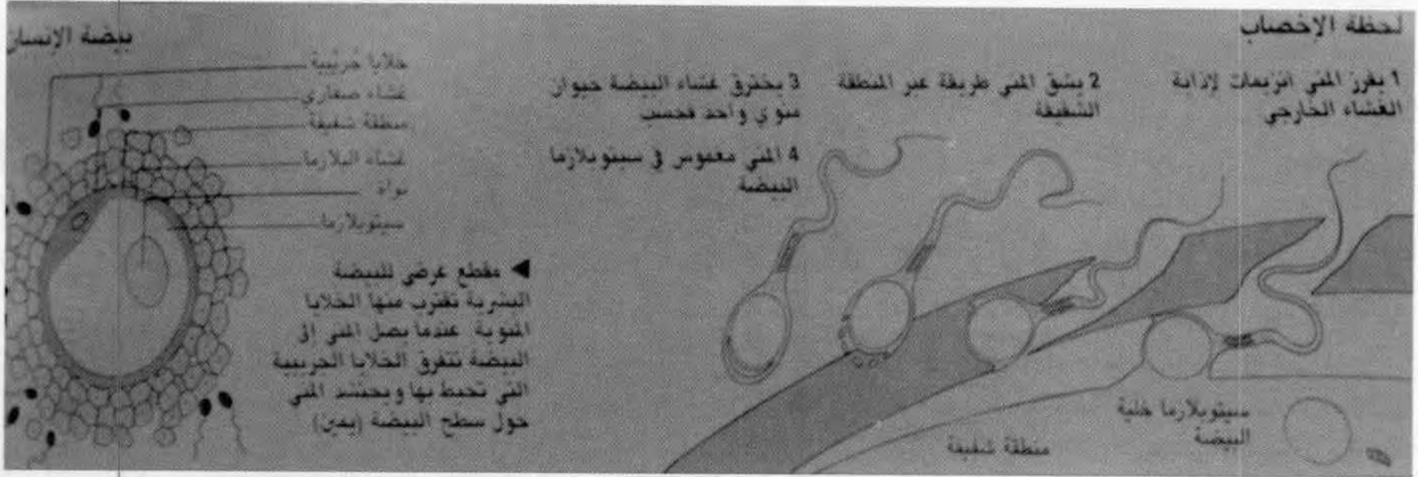
ـ الانشطار الثنائي BINARY FISSION:

ويحدث في الأميبا والباراميسيوم ـ من الأوليات الحيوانية ـ حيث تنقسم النواة ميتوزيًا ثم ينشطر جسم الكائن وحيد الخلية قسمين متساويين ليصبح كل منهما فردًا جديدًا.

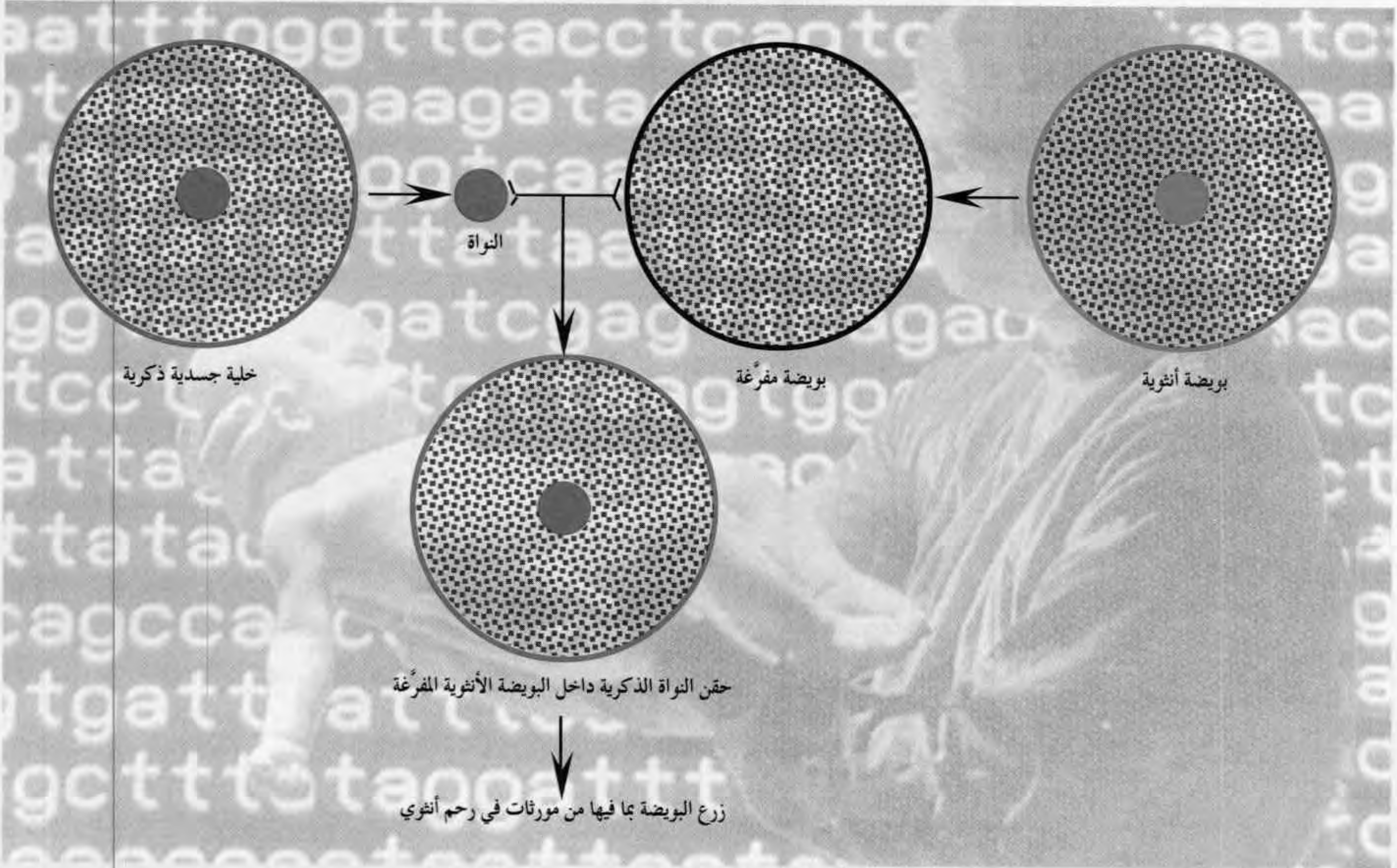
ـ التكاثر البوغي SPO-ROGONY:

كثير من الفطريات (عفن الخبز ـ عيش الغراب) وبعض الطحالب والسراخس (الفوجير) تنتج أبواغا تحتوي على جراثيم. وعندما تصل الجرثومة الناضجة إلى وسط ملائم ينشق جدارها وتمتص الماء لتنمو إلى فرد جديد.

ـ التوالد البكري (العذري)



الإخصاب في الإنسان



خطوات الاستنساخ الحيوي البشري

PARTHENOGENESIS:

هو قدرة البويضة على النمو لتكوين فرد جديد من دون إخصاب بمشيج ذكري، ويعد صورة من صور التكاثر اللاجنسي حيث يتم إنتاج الأبناء من أب واحد فقط. يحدث التوالد البكري في بعض الديدان والقشريات والحشرات، مثل نحل العسل حيث تضع الملكة نوعين من البيض: بيض غير مخصب ينتج منه ذكور، وبيض مخصب ينتج منه ملكات وشغالات حسب نوع غذاء اليرقات.

التكاثر في الإنسان

يتم التكاثر في الإنسان من طريق إخصاب بويضة من الأم بحيوان منوي من الأب، وحيث إن نواة البويضة والحيوان المنوي تحتوى كل منهما على 23 وحدة وراثية فيكون مجموع الوحدات الوراثية بالخلية الأولى التي يتكون منها الجنين بعد الإخصاب 46 وحدة (نصفها من الأب والنصف الثاني من الأم).

ويتم الإخصاب في الإنسان بإحدى الطرائق الآتية:

أ ـ المعاشرة الزوجية.

الاستنساخ الحيوي البشري حقيقة أم خرافة ؟

ب ـ الإخصاب الصناعي ARTIHICIAL INSEMINATION:

هو إخصاب لبويضة الأنثى بحيوان منوي بوساطة وسائل طبية ودون أن يكون هناك أي اتصال جنسي بين الذكر والأنثى.

ج ـ الإخصاب خارج الرحم (أطفال الأنابيب) IN - VITRO FERTILIZATION:

هو عملية إخصاب تتم بين البويضة والحيوان المنوي خارج الرحم، وتُترك البويضة المخصبة لتنمو لمدة معينة، ثم يتم زرعها في رحم الأنثى لإتمام مراحل الحمل.

وقد كان الغرض من هذه العملية هو حل مشكلة عقم النساء اللواتي يعانين من انسداد في قناة «فالوب»، وقد شهد عام 1978م مولد أول طفلة بهذا الأسلوب (لويز براون) في إنجلترا. وفي عام 1991م نجح العلماء في سنغافورة وإيطاليا في استخدام الأسلوب نفسه لعلاج عقم الرجال حيث يتم الإخصاب المجهري السيتو بلازمي لبويضة الأنثى بوساطة حيوانات منوية مستخرجة من البربخ والخصية.

الاستنساخ الحيوي البشري والإخصاب الذاتي

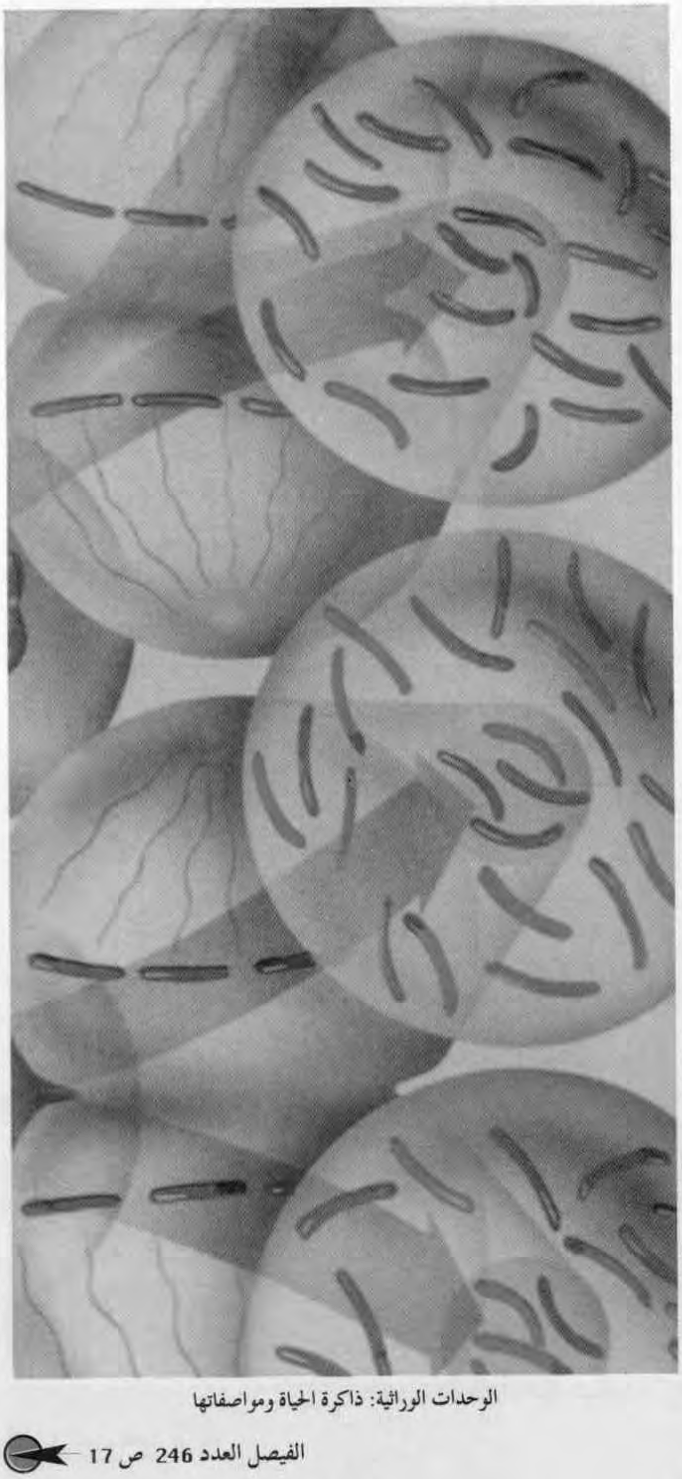
الاستنساخ البشري هو نسخ صورة طبق الأصل من الإنسان، والإخصاب الذاتي هو: صورة من صور التكاثر اللاجنسي حيث يتم فصل خلية جسدية، وباستخدام تقنية استبدال الأجهزة الوراثية يتم تخصيبها ثم نموها إلى إنسان جديد (نسخة جديدة) تشبه النسخة الأصلية تمامًا لأنها تحتوي على المادة الوراثية نفسها. ولا يقتصر الإنجاب باستخدام الإخصاب الذاتي على الإناث فقط ولكن ينجب جميع الأفراد.

وتتم عملية الاستنساخ البشري باستخدام الإخصاب الذاتي من طريق أخذ رقعة جلد من الرجل وتُنزع إحدى خلاياها بحرص شديد. ثم يُرفع من الخلية الجهاز الوراثي ـ وهو النواة الحاملة لشريط مورثات الرجل الشخصية ـ وتغرز هذه النواة في بويضة أنثوية مفرغة أي لا يوجد بها جهاز وراثي (النواة). وأخيرًا تُزرع البويضة بما فيها من مورثات في رحم امرأة متطوعة. وفي نهاية شهور تسعة كاملة يولد طفل ـ بكيفية طبيعية ـ يحمل صورة ومواصفات الرجل الشخصية كافة. وتتم العملية بالكيفية نفسها إذا كانت المرأة هي التي ترغب في الحصول على نسخة طبق الأصل منها.

وتختلف عملية الاستنساخ الحيوي البشري عن عمليات التكاثر بالأمشاج الجنسية في الإنسان ـ سواء تمت بوساطة المعاشرة الزوجية أو الإخصاب الصناعي أو الإخصاب خارج الرحم ـ حيث تؤخذ الخلايا الجسدية الكاملة الوحدات الوراثية (46 وحدة وراثية) من أي من الوالدين سواء كانت في قطرة دم أو شعرة رأس أو أثر من لعاب أو في رقعة جلد... إلخ. وسواء أخذت حاليا أو هي من تركة أعوام مضت ـ مهما طالت ـ ثم تُغرز في بويضة سبق تفريغها من وحداتها الوراثية. وأخيرا تُزرع البويضة في رحم أنثوي.

حكايات عن الاستنساخ البشري

نشرت إحدى الصحف الأمريكية أنه في ولاية لويزيانا الأمريكية كان يقيم رجل أعمال بالغ الثراء والنفوذ يتحكم في إمبراطورية اقتصادية شاسعة؛ إلا أنه يعيش وسط حجرات قصره العديدة وحيدا بلا زوجة ولا ذرية. وعاما وراء آخر راحت تؤرق الرجل فكرة مبهمة عمن ستؤول إليه أمواله وأملاكه الطائلة والأهم: من يحافظ عليها؟ غير أن بحثه بين أفراد عائلته أو أصدقائه طالما أخفق في العثور على الوريث الذي يطمئن إلى طموحه وامتلاكه لقدراته وحسن تصرفه. وهنا قرر رجل الأعمال اللجوء إلى عالم في الأجنة صديق له حتى يستنسخ من أجله طفلاً يكون صورة طبق الأصل من ذاته ليورثه إمبراطوريته. وقد قيل إنه تم



الوحدات الوراثية: ذاكرة الحياة ومواصفاتها

الاستنساخ الحيوي البشري حقيقة أم خرافة؟

استنساخ طفل لرجل الأعمال في آخر شهور عام 1986م، وأكدت أكثر من رواية أن أمنية رجل الأعمال تحققت بعد وفاته في بقاء ذاته بمواصفاتها نفسها ممثلة في ابنه من بعده!!

نشرت مجلة «ستار» الأمريكية على لسان رئيس جمعية تبريد الأجسام في ولاية كاليفورنيا أنه التقى بمندوبين عن رئيس إحدى الدول وبحث معهم إمكانية تبريد خلاياه الجسدية والجنسية أو ربما جثته نفسها لعل العلم في المستقبل يجد طريقة لإعادة الحياة إليها. وقالت المجلة إن فريقا من العلماء والإخصائيين ذهب بالفعل إلى عاصمة الدولة وأحضر صندوقا مثلجًا من الخلايا الجسدية والجنسية لرئيس الدولة لحفظها في أحد البنوك، وأضافت المجلة إن رئيس الدولة يريد تخزين خلاياه ليستطيع العلم إنتاج ملايين الأشخاص المشابهين له بعد وفاته بمدة طويلة.

الاستنساخ البشري والخبل الإنساني:

إن محاولة تغيير الخلقة وتبديل فطرة الإنسان والعبث بتركيبه الوراثي من طريق الاستنساخ البشري يُعدّ مخالفًا للسنن الإلهية ولفطرة الله التي فطرنا عليها، إذ يقول الله جل جلاله: *إِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا. ولأُضِلَّنَّهُمْ ولأُمَنِّيَنَّهُمْ ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا*. **النساء**:117-119؛ أي إن أي محاولة لتغيير خلق الله ما هي إلا استجابة لما يأمرنا به الشيطان.

إن اكتشافًا كهذا من الممكن أن يقضي على العلاقات الإنسانية التي تربط الناس بعضهم ببعض ويقضي على تكوين الأسرة، فلا الرجل ولا المرأة بحاجة إلى أسرة للحصول على طفل، كما أنه يتناقض مع المفاهيم المستقرة للأبوة والأمومة والبنوة والأسرة، وهو ما يخالف سنن الله في كونه، ولا يتفق مع طبيعة الإنسان التي جرى عليها القدر الرباني لقوله تعالى: *وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ*. **الروم**:21.

لقد أثار الاستنساخ البشري العديد من الأسئلة منها على سبيل المثال لا الحصر: كيف ستنظم العلاقة بين النسخ الجديدة التي نتجت من طريق التكاثر الجسدي (الاستنساخ البشري) مع أبناء النسخة الأصلية الذين جاؤوا من طريق التكاثر الجنسي؟

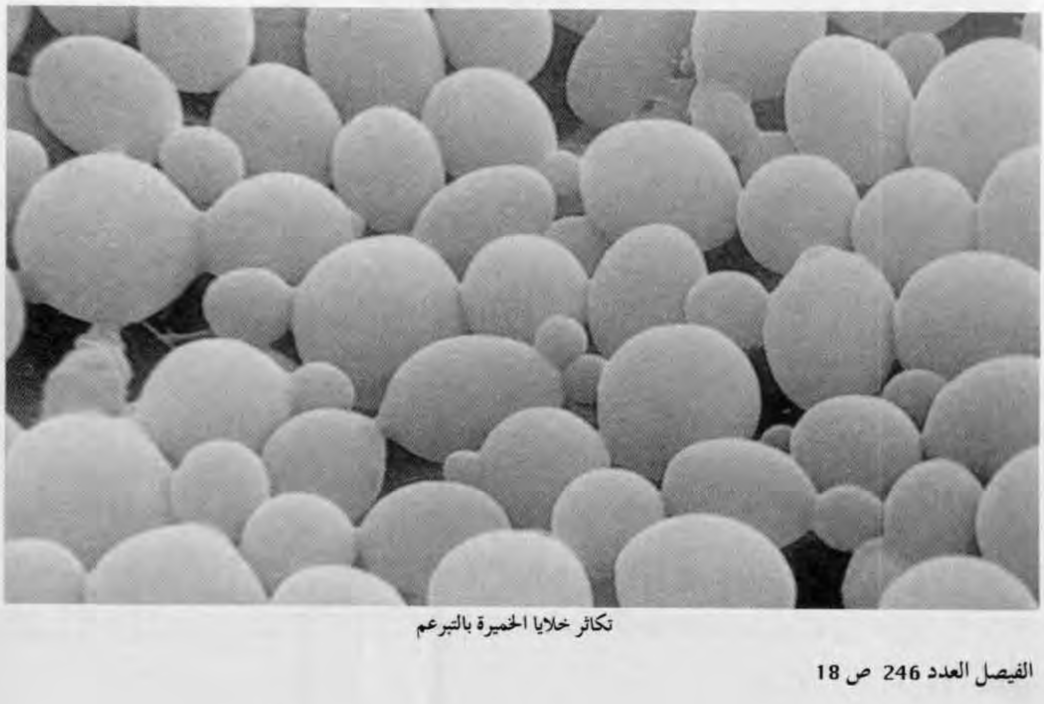
ألم يدرك الإنسان الذي يريد أن يصبح أزليًا من طريق تكاثر خلاياه الجسدية، أن هذه الفكرة تصطدم بكون الموت آتيا لا محالة؟ هل سيخرج علينا الاستنساخ الحيوي بجنس بشري من طراز جديد تجتمع له بفعل مكوناته الداخلية، من الصفات، ما يمكن أن يتّخذ أساسًا لسحق ما تبقى من الجنس البشري الحالي بحسبانه من مخلفات الماضي البالية؟!

هل يُعدّ نسخ صورة طبق الأصل من الإنسان خلْقًا؟!

على المحاذير العلمية والدينية والأخلاقية والاجتماعية المحيطة بالاستنساخ الحيوي البشري فإنه ليس خلْقًا ـ فالله سبحانه هو الخالق وحده ـ ولكنه مجرد تحول الكائن الحي من التكاثر الجنسي (التزاوجي) إلى التكاثر الجسدي (اللاتزاوجي) وهذا التحول موجود في الطبيعة. فبالنظر إلى صور التكاثر الجسدي نجد أن الاستنساخ البشري من طريق الإخصاب الذاتي ما هو إلا تقليد للتوالد البكري (العذري). وقد حسم القرآن الكريم ـ الذي يثبت للعلماء يومًا بعد يوم أنه قد سبقهم إلى كل الاكتشافات العلمية ـ هذه القضية عندما قرر أن الله وحده هو الخالق لكل شيء قال تعالى: *اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ*. **الرعد**: 16. وفي آية أخرى: *إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ*. **الحج**:73.

خاتمة

إن علم الهندسة الوراثية محايدٌ من ناحية المبادئ والأخلاق وهو لا يعود للخلف، وإنما جرائمه هي من صنع الجنس البشري به، وذلك أدعى الأسباب إلى الفزع من بعض جوانبه ولاسيما بعد أن ظهر أن مدى الخبل الإنساني بغير حدود! وفي النهاية نأمل أن يتخلص الإنسان من مراهقته العلمية البادية للعيان ويتأمل جيدا النواحي الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تواكب تحديات الهندسة الوراثية بدلاً من أن يكتشف بعد فوات الأوان أن الأمور قد صارت في الطريق الخطأ وأن ثمار فكره ونتاج عقله كانا سببًا في شقائه.



تكاثر خلايا الخميرة بالتبرعم

الإصلاحيون اليهود.. وصخرة التلمود



د. حسن ظاظا

لا يمكن المساس بهذا الموضوع، دون أن نضعه في إطاره الجغرافي والتاريخي، حتى تتجلّى أبعاده الحقيقية. وإذا كان رائد الإصلاح اليهودي الأول، في العصر الحديث، هو الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا - كما أوضحنا في العدد السابق من هذه المجلة بمقال لنا بعنوان «اليهود الإصلاحيون.. والمسيرة الشاقّة» - فإننا نلاحظ أن دعوة هذا المفكر اليهودي قد انطلقت من أمستردام بهولندا - أي من أوربا الغربية - حيث كانت حرية الفكر قد قطعت أشواطًا بعيدة من التقدم بالمقابلة بما كان في أوربا الشرقية والوسطى في ذاك الوقت نفسه وبعده بكثير. فاليهود في أوربا الغربية كانوا أحرارًا، وكان أكثرهم أغنياء، وكان ظهور المذهب المسيحي البروتستنتي ضد الكاثوليكية صيحة تدعو الناس إلى التفكير المتزن في عقائدهم الدينية بعد أجيال طويلة من تحكم البابوية الكاثوليكية في ضمائر الناس وحرّياتهم، واعتمادها في ذلك على القهر لدرجة إحراق الناس أحياء إذا تجرؤوا فسألوا أسئلة محرجة لكهنة الفاتيكان. وكانت «محاكم التفتيش» تتزعم هذا النهج من الإرهاب الفكري، وتخص بقدر كبير منه اليهود، وكذلك بقايا المسلمين في الأندلس، وكل مفكر جريء ونشيط حتى من الكاثوليك أنفسهم، مع الصراع الدامي الذي نشب بين البابوية في روما، والبروتستنتية بزعامة مؤسسها «مارتن لوثر»، وما أعقب ذلك من حروب وثورات سياسية ودينية في آن واحد، في أوربا الغربية، كانت نتيجة منطقية لقرنين من الزمان من الحروب الصليبية التي انغمست فيها أوربا الغربية ضد الإسلام بتحريض البابوية الكاثوليكية، وهي حروب انتهت بهزيمة الصليبيين نهائيًا، ومهدت لظهور حركات دينية وعلمية وفنية في أوربا الغربية، هادئة حينًا وعنيفة أحيانًا، نالت كثيرًا من سلطات البابوية وجبروتها.

تحولات القوى في العالم

وفي تلك الأزمان كانت الكنيسة المسيحية الشرقية (الأرثوذكسية) قد تعرضت بدورها إلى أحداث هائلة أهمها استيلاء الأتراك المسلمين على القسطنطينية نفسها، وانهيار الإمبراطورية البيزنطية، وظهور القيصرية الروسية قوة سياسية وعسكرية يُحسب لها حساب، خصوصًا في حكم بطرس الأكبر، ثم الإمبراطورة كاترين، التي أرادت أن تحذو حذو أوربا الغربية في التقدم والحضارة، مما جذب إلى روسيا والشعوب التابعة لها في أوربا أعدادًا كبيرة من اليهود، يبحثون عن فرصة من فرص الربح المادي، في تلك المجتمعات التي كانت متخلفة - بالنسبة لأوربا الغربية، وللإسلام - في تلك الأزمان، فاستوطن أولئك اليهود شرق أوربا بكثافة، خصوصا في روسيا وأوكرانيا وأقاليم البلطيق وبولنده وألمانيا الشرقية ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وأقاليم من هنغاريا كانت تمتد حتى ميناء البندقية. وكان نجاح أولئك اليهود في التجارة والصناعة والملاحة البحرية، ومعرفتهم بكثير من المعلومات الفلكية والطبية، سببا في وصولهم - أول الأمر - إلى مستوى طيب من العيش في هذه البلاد. ونحن نعلم أن الدين اليهودي ليس دين دعوة عامة للناس كافة، كالإسلام الذي يحرص على إيصال دعوته إلى كل الشعوب؛ إذ الدين اليهودي - في صورته العملية التي أقرها كهنته - هو عقيدة وانتماء عرقي في آن واحد، وهذا الانتماء العرقي يمثل فيه الشطر الأهم! ولو كان دينًا تبشيريًا لدخلت فيه أمم كثيرة، وأعراق متعددة وانزوت فيه الصهيونية في زاوية النسيان.

أرقام غير قابلة للتصديق!

ولو أننا تأملنا - حتى من خلال التوراة التي بين أيديهم الآن - في دقائق الدعوة التي نادى بها إبراهيم، ثم موسى عليهما السلام، لوجدناها دعوة للناس كافة لا أثر فيها للعنصرية، فإبراهيم يترك قومه ووطنه وبلده، بل يترك أباه وعشيرته، وينطلق بدعوته إلى حيث تلوح له بارقة أمل في جذب الناس إليها، مع العلم أن إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا بل كان حنيفًا مسلمًا كما ذُكر في القرآن الكريم. وموسى عندما خرج من مصر يائسًا من فرعون وكهنته والخاضعين لدينه، لم يخرج ببني إسرائيل وحدهم، إذ تذكر التوراة أن عدد الداخلين إلى مصر مع يعقوب للَّحاق بيوسف عليهما السلام كان سبعين: «وكانت جملة النفوس الخارجة من صلب يعقوب سبعين نفسًا» (سفر الخروج 3:1). فكيف - بعد نحو قرنين فقط - يخرجون من مصر - مع موسى - وتعداد الرجال فقط من الذين جاوزوا سن العشرين ويقدرون على الحرب وحمل السلاح، دون النساء والأطفال والصبيان، وباستثناء قبيلة اللاويين، لأنهم السبط المخصص وحده للسلطة الدينية والمُعْفى من الحرب.. كيف يصل عدد قوم موسى إلى هذا الذي تذكره التوراة نصًّا: «وكان جميع المعدودين من بني إسرائيل، بحسب بيوت آبائهم، من ابن عشرين سنة فصاعدًا، كل خارج إلى الحرب في إسرائيل، كان جميع المعدودين ستمئة ألف وثلاثة آلاف وخمسمئة وخمسين» (التوراة، سفر العدد 45:1، 46). وعلى هذا الحساب يكون عدد الخارجين مع موسى، بالنساء والأطفال والأحداث والعبيد والخدم، أكثر من مليون نسمه على أقل تقدير! ومن الصعب أن نتصور أن سبعين فردًا من بني الإنسان يتكاثرون على مدى أربعة أجيال أو

خمسة ليصل عددهم إلى هذه الأرقام المستحيلة. وإن كنا نعلم أن الأعداد في كتابهم الديني، وعند مؤرخيهم أيضا، أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. وقد توقف كثير من علماء اليهود ومفكريهم ومؤرخيهم أمام هذا العدد الضخم، فقال بعضهم: ربما كانت هذه الزيادة الخارقة لكل حساب (معجزة)! لكن الله جل شأنه لم يغلب فرعون بهم، بل بمعجزة أخرى هي الغرق في البحر! ووقف كثير من العقلانيين حائرين، وآخرهم الطبيب النفسي ومحلل الأساطير «سيغموند فرويد» وهو يهودي ولد في النمسا ومات في إنجلترا، إذ قال في كتابه الأخير «موسى والتوحيد»: إن موسى لم يخرج من مصر بني إسرائيل وحدهم، بل كانت حركته تشمل كل أجنبي في مصر ضاق ذرعًا بالسخرة والعبودية، وكانوا أخلاطًا من الناس، بعضهم من سواحل اليونان وجزرها، تحطمت سفنهم أمام السواحل المصرية، فنزلوا إلى الأرض، ولم يستطيعوا الرجوع إلى بلادهم، وكان فيهم أسرى حروب لم تدفع بلادهم عنهم الفدية الإجبارية، وفيهم جموع من عامة المصريين المُعدمين، الذين لا يملكون في بلادهم شيئًا، وفيهم بقايا كثيرة من الهكسوس الذين كانوا يحكمون مصر بعد أن احتلوها وحكموها في الحقبة التي تولى فيها الوزارة في مصر سيدنا يوسف عليه السلام، ولحق به أبوه وإخوته، فلما تخلصت مصر من حكم الهكسوس - وهم رعاة ومروّضو خيل في بوادي الشرق الأوسط - كان الفراعنة الوطنيون بعد حركة التحرير هذه، يضطهدون أولئك البدو الأسيويين وأتباعهم، وهنا قام موسى - بأمر الله - قائدا لأولئك المعذبين في الأرض، وخرج بهم من مصر، وتعقبهم الفرعون الحاكم إذ ذاك - وهو غير معروف بصورة مؤكدة - حرصًا منه على ألا يعبروا البحر الأحمر إلى بوادي الشرق الأوسط، فيُجهزون هناك جيشا لغزو مصر، وقد عبّرت التوراة عن ذلك صراحة: فقام ملك جديد على مصر، لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: إن شعب بني إسرائيل قد أصبح أكثر وأضخم منّا، فهيّا نحتال لهم حتى لا يكثروا، فإذا وقعت حرب ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا ويغادرون الأرض (التوراة - سفر الخروج 1: 8-10). وفي التوراة الموجودة بين أيديهم الآن مواضع كثيرة يُذكر فيها أن الخارجين مع موسى كانوا أخلاطًا من الناس، من أجناس مختلفة، مصريين وسيناويين ومدينيين وأدوميين وعمالقة.. وغيرهم، حتى إن موسى اضطر إلى أن يتخير من بين عشيرته الأقربين سبعين رجلاً يُعينونه على تنظيم هذه الجموع المختلفة التي كان الكثير منها لا يؤمن ولا يطيع موسى إيمانًا وإنما رغبة في النجاة من فرعون. وقد أشرنا في مقال سابق إلى عدد من حركات التمرد على موسى في أثناء رحلة الخروج الشاقة التي طالت أربعين سنة، مات موسى في نهايتها قبل أن تصل هذه الجموع إلى «أرض الميعاد» حتى رجّح كثير من الباحثين أن هؤلاء الناس اغتالوا موسى في آخر حركة من تمرّدهم عليه، حتى تختم التوراة قصتها بقولها: «فمات موسى عبد الربّ في صحراء مؤاب (جنوب الأردن) بأمر الرب الذي دفَنه في الوادي، في أرض مؤاب، تجاه (بيت فغور) ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا! (سفر التثنية 34: 5، 6) والعبارة الأخيرة تشير إلى أن كاتب الخبر متأخر جداً.

دعوى نقاء اليهود من الناحية العنصرية خرافة أضرّت بهم ولم تفدهم شيئًا؛ مما جعلهم يُكذّبون المسيح - عليه السلام - لأنه سوّى بين اليهود وغيرهم أمام الله

وبعد، فإن دعوى نقاء اليهود من الناحية العنصرية خرافة، أضرّت بهم ولم تفدهم شيئًا، إذ أغلقوا على أنفسهم باب هذه العقيدة لدرجة أن المسيح عيسى بن مريم البتول عليه السلام عندما بُعث إليهم كذّبوه وآذوه وكفروا به وحكموا عليه بالقتل على الصليب، لولا معجزة رفعته إلى السماء. وتقوّلوا عليه وعلى أمه الطاهرة الأقاويل، واتهموها بالزنا مع يوسف النجار، فلم يفعلوا شيئًا إلا أن جعلوا المسيح عليه السلام يهوديًا أمًا وأبًا! ومع ذلك كذّبوه لأنه كان يدعو الناس كافة إلى الله، ولو كان كعشرات الدجالين الذين ادّعوا أنهم المسيح المخلّص المنتظر، وجعلوا الدين لليهود فقط، وفلسطين كذلك، والسيطرة على أمم العالم كلها، لآمنوا به واتبعوه. وقد اضطرّوا أخيرا إلى الاعتراف بالجنسية الإسرائيلية للمولود من (أمّ) يهودية، حتى لو كانت أمومتها سفاحا لا نكاحا، إلا المسيح عليه السلام، لأنه سوّى بين اليهود وغيرهم أمام الله.

ظهور موسى مندلسون

فليس عجبًا أن يجد يهود شرق أوربا مرتعًا بعيدًا من ثقافة المسلمين، وعقلانية أوربا الغربية في السهوب غير النهائية من أوربا الوسطى إلى أطراف سيبيريا، حيث يتجاور الناس من ملل وشعوب مختلفة، تاركين الحبل على الغارب لما في (الغيتو) وهو المستوطنة أو المحلة أو الديرة التي يقطنها اليهود، حيث ظهرت أسر كاملة من اليهود المتصوفين والأتقياء (حسيديم بالعبرية) حيث يرث الابن شيخ الطريقة، ويجني من ذلك أعظم الفوائد المادية - المباحة والمحظورة - إلى جانب التكريم والتعظيم الذي يرفعه إلى مصاف الأولياء وصانعي المعجزات ومانحي البركات.

في هذا الوسط، وفي بلدة صغيرة من بلدان ألمانيا الشرقية اسمها «دساو» وُلد موسى مندلسون عام 1729م. وكان أبوه ورّاقًا فقيرًا يرتزق من نسخ التوراة بالعبرية بخط جميل للأغراض الدينية. وأصيب الولد الصغير بمرض مزمن في ظهره بقي يلازمه حتى احدودب ظهره. وعندما بلغ سن الدراسة دفعه أبوه إلى حاخام بالبلدة يُدعى «دافيد فرانكل» كان عالمًا تقليديا من علماء التوراة والتلمود، ولزمه الصبي موسى إلى أن اختير الأستاذ حاخامًا أكبر ليهود برلين، وقرر التلميذ أن يتبع الأستاذ، فسافر إلى برلين عام 1743م وعمره إذ ذاك أربعة عشر عامًا، ولم يكن وصوله إلى برلين بالأمر السهل، إذ كان لابد من كفيل مسؤول عنه حتى يحصل على حق الإقامة في المدينة، وحصل على تلك الكفالة من أحد الأثرياء من أقاربه الأبعدين مقابل التدريس لأطفال هذا الرجل، كما اشتغل ناسخًا للمخطوطات واستمر مع ذلك في دراسته وتزويد عقله بثمرات الفكر والثقافة. وكانت معرفته التامة باللغة الألمانية وكذلك العبرية حافزًا له إلى تعلم اللغة اللاتينية، لغة العلماء المتبحرين في ذلك الزمان، ثم أقدم على دراسة اليونانية والفرنسية، وأضاف إلى كل هذا دراسة الفلسفة والرياضيات، وبدأ يتصل بالطبقة المثقفة من يهود برلين، الشباب، فعرف منهم أبراهام كيش، ثم تعرف إلى الكاتب المسرحي «ج.ا.ليسنغ» الذي كان يكن له صداقة متينة. واستمر مع ذلك يعمل معلما خاصًا للصغار إلى أن دخل شريكًا في مؤسسة تجارية عام 1754م حيث بقي يشتغل بالتجارة بقية حياته. ومع ذلك حرص مندلسون على ألا يقطع صلته الوثيقة بالأدب والفلسفة. وفي عام 1762م تزوج ابنة أسرة يهودية عريقة - من مدينة هامبورغ - هي «فوزيت غوغنهايم» ورُزق منها بستة من البنين والبنات. وفي السنة التالية 1763م حصل من الحكومة في برلين على حق الإقامة الدائمة، بعد أن قضى في برلين عشرين عامًا من حياته.

بدأ مندلسون بنشر أعماله الفلسفية منذ عام 1754م، وأتبعها بأعماله الأدبية. وفي عام 1763م نال الجائزة العلمية الأولى من الأكاديمية الملكية

الإصلاحيون اليهود.. وصخرة التلمود

لبروسيا؛ بكتاب له عن «ماوراء الطبيعة». واشترك عام 1769م في مناقشة علنية حادة حول الدين اليهودي، على إثرها ركّز اهتمامه على المحيط اليهودي بدقة؛ مما حوّل بيته إلى منتدى للمثقفين الألمان، وكان الإقبال عليه من غير اليهود أكثر عدداً من اليهود.

ونشير هنا إلى أن المجتمع اليهودي في ألمانيا الشرقية (بروسيا) في ذاك الوقت كان في ثقافته وتدينه فرعا من أوربا الشرقية، شديد التأثر بتشدد التلموديين والحسيديين في فيلْنا (لتوانيا)، وبولنده وروسيا وأوكرانيا. أما مملكة بروسيا (ألمانيا الشرقية) فكانت في عهد الملك فريدريك الثاني [الأكبر] (1740- 1786م) تنعم بعاهل بروتستنتي متسامح ومستنير، قَرَّبَ إليه الأديب والمفكر المتحرر الفرنسي «فولتير»، وحماه من تعسف الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية ضده، واتهامها إياه بالكفر، واشتهر فريدريك بحبه للعلوم والفنون والآداب، حتى اشتهر في الأوساط الثقافية في أوربا كلها بلقب (الفيلسوف المتوّج).

أول صيحة لتحرير اليهود في أوربا

وكانت الجالية اليهودية في عهد فردريك الثاني موضوعة تحت سلطة وزير المالية، مما يدل على أن نسبة الثراء كانت فيها عالية، وأن تلاعبها في الأموال والضرائب والأسواق كان أمراً معروفاً وعادياً لدرجة أن الدولة قسمت يهودها فئتين: أ - يهود يغطيهم القانون (شوتس يودن) ب - ويهود مقيمين أو نزلاء (جدْ ولدتْ يودَن)، وفي كلتا الفئتين أقسام خاصة بطبيعة الحقوق المعطاة لهم، وإمكان استمرارها في ذريتهم، مما يشعر بأن خطر اليهود كان محسوسا بوضوح منذ قرنين ونصف من الزمان. في هذا الجو ولد موسى بن مناحم فيدل (موسى مندلسون) في دساوْ عام 1729م كما أسلفنا.

ويقول مؤرخوه إن معيشته في برلين، وما رأيناه له فيها من نجاح اقترن بظاهرة جديرة بالذكر، هي أن برلين في حكم فريدريك الأكبر كانت قد أصبحت مدينة عصرية زاخرة بالحياة والحركة مما أدى إلى اختفاء اليهودي التقليدي المتزمّت منها، لينحدر إلى حارات اليهود في الأصقاع النائية عن هذه العاصمة المتحركة المتجددة. ومع ذلك لم تسلم مملكة فريدريك ولا الأقاليم المحيطة بها من رواج البدع والخرافات بين اليهود، والتقاذف بالاتهام بالسحر والشعوذة وترويج التمائم غير الشرعية بين عوامّ اليهود طلباً للربح. ولولا خوف الاستطراد لذكرنا أمثلة لهذه المنازعات، والمحاكمات القضائية التي أثارتها بين الخصوم أمام محاكم أوربا.

كان مندلسون في أول إقامته في برلين يعمل مدرساً خصوصيا لأبناء الأسر اليهودية الغنية، مثل إسحق برنهارد أحد أصحاب مصانع الحرير في برلين الذي استخدمه معلماً لأولاده أولاً، ثم محاسباً في تجارته ثانياً، وأخيراً مديراً لمؤسسته. ولم يمنعه ذلك من بذل الجهد في تحصيل العلم والثقافة، وكان انصرافه أولاً إلى الأدب والشعر، ثم بدأ يبحث في الأسرار الإنسانية في الدين اليهودي، واتصل في تلك المرحلة بالمفكر العقلاني «نيقولاي» وأمثاله من أنصار «توضيح الرأي والرؤية» ورفض أي دعوى يعوزها البرهان.

وزار صاحبنا هامبورغ حيث تزوج، وعندما منحته أكاديمية برلين الجائزة الأولى في الدراسات الفلسفية، التي كان ينافسه عليها الفيلسوف الشهير «كنت» دخل في العاصمة الألمانية في عداد المشاهير، وتوقفت الشرطة عن زيارة مسكنه للتحقق من هويته. بل إنه كان يتدخل لدى بعض الحكومات لإيقاف حملات التضييق أو الإبعاد الموجهة ضد اليهود.

وبناء على مشورته - مثلا - وضع أحد أعضاء مجلس بلدية برلين، واسمه «كرستيان فلهلم دُوم» هذه العبارة في أحد تقاريره عن يهود برلين: «طوبى لأول من يسعى إلى أن يجعل من رعاياه اليهود مواطنين نافعين وسعداء»! وكانت هذه أول صيحة لتحرير اليهود في أوربا، وتاريخ هذا التقرير 1781م. وقد ترتب على ذلك أن استطاع اليهود أن يتحركوا، خصوصاً عندما أصدر الإمبراطور جوزيف الثاني (1741- 1790م) في النمسا مرسوماً بتاريخ 2 يناير 1782م بإلغاء جميع قوانين التفرقة العنصرية بين رعاياه اليهود والنصارى، إذ ألغى الملابس والشارات المميزة لليهود، كما أنه ألغى منع تجول اليهود في المدن المسيحية صبيحة الأحد وسائر أعياد النصارى، كما سمح بتعليم أبناء اليهود في مؤسسات الدولة التعليمية وأعطاهم الحق في إنشاء مدارس خاصة بهم، وبأن يستعملوا اللغة الألمانية في دراستهم ومراسلاتهم التجارية دون قيد أو شرط. ورفعت هذه الحكومة أيضاً كل رقابة على رجال الدين اليهود، على أن يطبقوا قوانينهم في الزواج والطلاق طبقاً لشريعتهم وتقاليدهم. وكل هذه الإصلاحات كانت وراءها المساعي الحميدة من مندلسون وشريكه في العملية الإصلاحية هارتويغ نفتالي هيرتس فيسّلي (1725- 1805م) الذي شرح باللغة العبرية ترجمة ألمانية للتوراة من عمل مندلسون، مما أسهم في تزويد الشباب اليهودي بالثقافة الإنسانية. إذ في ظل تلك الحرية لم يكن مفروضاً أن يصير كل شباب اليهود تلموديين ورجال دين؛ فدرس كثير منهم الرياضيات والعلوم والجغرافيا والتاريخ، كما تعلم كثير منهم مختلف الحرف والصناعات. أما صاحبه «فسّلي» فإنه بحكم نشأته في مدينة كوبنهاغن (في الدانمرك) فقد تلقى هناك تعليماً وتثقيفاً علمانياً إلى جانب إجادته للعبرية التي كان بها شاعراً مشهوراً بنقاء لغته وفصاحتها نحواً وألفاظاً، وكان يدعو إلى فهم معاني التوراة فهماً (عقلانياً) واضحاً. وفي «ترْيستا» كان يهود هذه المدينة من أصل إيطالي أو برتغالي فرحبوا بهذا التيار الجديد، وأسسوا مدرسة يهودية تلبي مطالب هذه النهضة الجديدة. لكن شرق النمسا، حتى إقليم «غاليسيا» كان يعدّ هذا التيار الحضاري الجديد كأنه بدعة وانحراف ممقوت عن سنة الآباء والأجداد.

محاولات لتعويق مسيرة الإصلاحيين

وهكذا قام في وجه مندلسون وفسّلي حاخام تقليدي متشدد في مدينة براغ يحذر اليهود من الانحراف في هذا التيار، واسم هذا الحاخام «حزقيال لنداو» وكان يرأس اليهود في «براغ» ويعادي ما يدعو إليه الإصلاحيون من رغبة في التجديد وتصحيح المسار. أما بين يهود برلين فكانت دعوة الإصلاحيين تتقدم بسهولة وبخطى سريعة، وإن كان أنصار الجمود قد أقنعوا الحاخام «هيرشل» بعدم تأييد الجبهة التي يتزعمها «فسّلي - مندلسوَن»، واكتفى مندلسون بالمطالبة بالحرية في اختيار كل يهودي للنهج الذي يريده، بعيداً من أية عقبة في إعلان اختياره، مادام مؤمنا عاملاً بأوامر الدين. وبدأ الرجال والنساء من اليهود في زحزحة «نير الشريعة» الذي رزحوا تحته أجيالاً طوالاً، وبدأ مندلسون يهاجم حق الحاخام في تكفير الناس.

وفي وسط هذا الهرج والمرج، وفي احتدام تلك المناقشات الحادة، والطويلة، أعلن مندلسون أن اليهودية ليست ديناً، إذ ليست لها أركان اعتقادية بقدر ما هي شريعة جاءت بوحي من الله، عندما كلّم موسى تكليماً، وكان من الواجب اتباعها. أما هيكل أورشليم الذي شيّده

أعلن «مندلسون» أن اليهودية ليست ديناً، إذ ليست لها أركان اعتقادية بقدر ما هي شريعة جاءت بوحي من الله عندما كلّم موسى - عليه السلام - تكليماً

سليمان فقد تهدّم، وأصبحت شريعته غير ملزمة لأنها ليست وراءها حكومة تلزم المؤمنين طاعتها! ثم يشير مندلسون إلى الوضع القائم في أيامه، فما دامت لم تكن في فلسطين دولة، ولا سلطة دينية منبثقة من تلك الدولة اليهودية ومكملة لها، فالأمر متروك للعرف والعادة والقوانين الطبيعية التي تحكم الناس جميعًا. وليت مندلسون كان اليوم على قيد الحياة حتى يرى (دولة إسرائيل) بلا دستور، ولا قانون، ولا حدود متفق عليها، ولا قضاء نزيه، ولا سلطة دينية عليا تتقي الله في عباده، وتعدل بينهم، ولا تسرق أو ترتشي أو تزن بأكثر من ميزان، ولا تقتل!! هيهات.. هيهات!!

وقد كتب مندلسون هذه الخواطر في دراسة أنجزها عن (أورشليم/القدس) عام 1783م قبل موته بثلاث سنين.

المسلمون هم الأكثر حنوًا على اليهود

كان مندلسون زعيمًا ذكيا نشيطا، أحس بأن أوربا كلها تنفتح على عصر جديد حافل بنظم أكثر تسامحًا، وأفضل استعدادا لمراجعة مواقفها مع الأقليات الدينية أو العرقية، مما بعث الأمل عند الإصلاحيين اليهود في أخذ مكانهم في صفوف المنتظرين لمطلع النور في القرن التاسع عشر. فبزغت حركة التنوير في مواطنهم، وبدأت هجرات واسعة نحو أمريكا - الولايات المتحدة وكندا وبعض بلاد أمريكا الوسطى والجنوبية -، وبدأ الأدب العبري الحديث في الظهور في مجلات دينية أولاً، ثم مجلات أدبية متحررة للإصلاحيين، ثم ظهرت مجلة علمية للثقافة اليهودية في ألمانيا، اسمها «المعرفة اليهودية» كانت تصدر بالألمانية في طبعة وبالعبرية في أخرى. كما أصدر العلامة الألماني اليهودي هاينريش (حاييم) غريتس كتابه الضخم «تاريخ اليهود» في أحد عشر مجلدا (بين سنتي 1853- 1876م)، وكان غريتس أول يهودي يتولى منصب الأستاذية في جامعة بألمانيا الشرقية. ويأخذ اليهود المعاصرون لنا الآن على غريتس أنه كتب تاريخه هذا وكأنه الملحمة القومية لليهود، ولم يغفل فيه شيئًا من أمجادهم، كما لم يسرف وذم من أفادوهم وساعدوهم. والمسلمون منذ العصر الأموي كانوا من أكثر شعوب الأرض تفهما لمحنة العنصرية عند اليهود والإحسان إليهم في المعاملة، ويقول صديقنا المؤرخ اليهودي الفرنسي المعاصر «أندريه شوراقي»: إن الإسلام - بخلاف جميع الأديان الأخرى - كان يعطف على اليهود ويكرمهم كلما كانت الدولة الإسلامية قوية وغنية وآمنة، ولا تظهر حوادث الاضطهاد إلا في مراحل الضعف الحضاري والأزمات. والأمر بعكس هذا في أوربا: لا تظهر فيها اللاسامية - أي اضطهاد اليهود - إلا مع وصول الأوربيين إلى أوج السطوة والقوة والجبروت.

وهكذا كان ظهور تاريخ لليهود بهذا الاتساع مشجعًا لهم على معرفة تاريخهم والتمييز بين أصدقائهم وأعدائهم، لكن جاءت الصهيونية من أولئك المعذبين في الأرض في مجاهل أوربا الشرقية، بعد أن توحّشوا لطول إقامتهم في هذا الذلّ النفسي والمادي، ثم انطلقوا مقررين أن الفرصة قد سنحت لاغتصاب دولة من أعرق أوطان العرب وأقدمها - وهي فلسطين -، بمنتهى الخسة والدناءة، معتمدين على اليهود الأمريكان. والسواد الأعظم من أولئك اليهود الأمريكان قادم في الأصل من البيئات اليهودية المظلمة نفسها.

كان مندلسون يواصل أداء رسالته الإصلاحية بمنتهى الحذر. فلم يزعم في يوم من الأيام أن مقصده الدعوة إلى مذهب جديد، أو إحداث انقلاب في الدين اليهودي كما يراه شيوخ الملتزمين في أوربا الشرقية. كان يقول ويكرر إن اليهودي رجل من عباد الله، يجب أن تُحترم إنسانيته وحريته، وأن يرتفع عن كاهله عبء التضييق والاضطهاد، وأن يعيش حياته ويواجه مسؤولياته في المجتمع كأيّ مواطن في البلد الذي يعيش فيه. ولكن المتزمتين من المتدينين - بإيعاز من شيوخهم - رفضوا دعواه ورفضوا أن يأخذوا تأكيداً منه أنه من «اليهود الأصوليين - الأرثوذكس»؛ بل جمعوا ما استطاعوا من نسخ ترجمته الألمانية للتوراة بتعليقاته التفسيرية عليها وقاموا بإحراقها علنًا. وراح المتعصبون منهم ينالون من دينه واستقامته، ومن سلوكه المنحرف هو وأسرته كلها!

ذلك أن الرجل لم يكتف بالتأمل الفلسفي مثل باروخ سبينوزا، بل كان رجل أعمال ورجل مجتمع، لا يلتزم الاتصال باليهود وحدهم، بل كان أكثر أصدقائه من الأوربيين غير اليهود، وكان بينهم من له نشاط في السياسة الأوربية نفسها كبعض أقطاب الثورة الفرنسية التي اندلعت بعد موته بمدة قصيرة من الزمن لا تتجاوز الثلاث سنوات. وكان يهود فرنسا من أوّل المستفيدين منها، إذ نالوا حقوق المواطنين كاملة ثم تحرر كل يهود أوربا وأمريكا تبعًا لذلك.

الصهيونية.. قمة الخداع والتزييف!

وإذا كانت الدعوة الإصلاحية قد حرّرت اليهود من التبعية لحاخامات التلمود حرفيا، ولخرافات الصوفية اليهود الذين كانوا يرون في كل أفّاق يهودي يضمر العداوة لبقية البشر - حتى لمن لا يصدقه من اليهود أنفسهم - وينسبون إليه المعجزات والكرامات، ويغمضون أعينهم عن فضائحه وجرائمه وموبقاته، فإن هذه الجهود الإصلاحية دفعت اليهود الذين لا يؤمنون بالإصلاح إلى بعض التساهل حتى لا يفوتهم قطار الحياة؛ فأخفوا الكثير من نواياهم العنصرية المسمومة تحت غطاء حضاري مستورد، وكانت الصهيونية قمة هذه الخدعة الكبرى، وهذا ما يصوره صحفي فرنسي في كتاب نشره عن الصهيونية عام 1929م، بعد ما رأى ميناء تل أبيب وزار القدس والكثير من المستعمرات الصهيونية الجماعية في فلسطين، والمستعمرات الصهيونية الرأسمالية لأثرياء اليهود في العالم أجمع، يقول: اختفت القفاطين الداكنة الفضفاضة، واللحى الباسقة، وقبعات الفراء الروسية السوداء، وحل محل ذلك كله اليهودي المتحضر: بسروال قصير، وقميص خفيف مفتوح الصدر، وقامة سافحة وحذاء خفيف، يؤدي أعماله بخفة ورشاقة، ويتحدث مع أقرانه وجاراته بالعبرية، ويبدو هذا المجتمع صورة طبق الأصل من المجتمع الغربي المألوف عندنا في باريس أو روما أو لندن أو شيكاغو! والرجل كان في ذلك كله مخدوعًا بمظهر مصطنع زائف، فهذه الأرض التي يزرعونها إما مستصلحة من أملاك عربية عجز أصحابها عن استصلاحها تحت عبء الاحتلال التركي، أو مشتراة بأبخس الأثمان من معدمين ضاقت بهم السبل فباعوا أرضهم - بأبخس الأثمان - لذلك (المتحضر) الصهيوني القادم من وراء كل الآفاق برعاية الإمبراطورية البريطانية التي كانت لا تغرب عنها الشمس.

القتل: مصير قادة الإصلاحيين

أما الإصلاحيون فلم تكن تحفل بهم أية دولة غربية، لأنهم لم يكونوا (للبيع) أو حتى (للإيجار). وكان لهم في زماننا هذا حاخام يتزعمهم توفي منذ شهور قلائل اسمه «أولمر بيرغر». قابلته مرتين في القاهرة، إذ جاء لإلقاء محاضرات والإدلاء بأحاديث صحفية بعد كل جولة من حروب فلسطين، وكان يرى أن الصهيونية حقبة مشؤومة على اليهود والعرب جميعًا، ثم لقيته في طرابلس (ليبيا)؛ إذ دعاه الرئيس القذافي لحضور مؤتمر دولي ضد الصهيونية والعنصرية، وجاء معه لهذه المناسبة ذاتها قادة

جهود الإصلاحيين دفعت اليهود الذين لا يؤمنون بالإصلاح إلى التساهل حتى لا يفوتهم قطار الحياة؛ فأخفوا الكثير من نواياهم العنصرية تحت غطاء حضاري مستورد

اليهود الإصلاحيون.. والمسيرة الشاقة

للإصلاح اليهودي من كندا والأرجنتين، أما هو فكان يتكلم بلسان اتحاد اليهود الإصلاحيين في الولايات المتحدة الأمريكية، وسمعته يخبر أحد الصحفيين العرب بأن ثلاثة من حاخامات الإصلاحيين الأمريكان شغلوا قبله هذا المنصب قد ماتوا قتلى بأيد صهيونية! أما هو فالراجح عندي أنه لم يمت قتلاً، حسب ما قرأت في نعيه بجريدة «الحياة».

ونظراً للبريق الذي يقترن بدعوة إنسانية متحضرة مثل الإصلاحيين، فقد بذلت الصهيونية جهوداً جبّارة في سبيل تفتيتها وإضعافها، وهكذا امتلأت سوق السياسة اليهودية بصور كثيرة من النشاط الإصلاحي. فإصلاح مندلسون عندما كثر أتباعه، وشعر اليهود التقليديون بخطره أخذوا يضايقون أتباعه، حتى أسسوا لهم معابد خاصة ومنفصلة عن المعبد اليهودي غير الإصلاحي (وكدت أقول الإفسادي)! وهكذا شيد «إسرائيل جاكوبسون» معبداً إصلاحياً في «وستفاليا» بألمانيا، على مخطط جديد لا يُحاكي في المعبد اليهودي التقليدي، ثم توالى بناء المعابد الإصلاحية وما تبعها من تغيير الهيئة القائمة بالخدمة الدينية في المعبد، وحتى اللغة المستعملة في خطبة الحاخام في العبادة: العبرية؟الآرامية؟اليديش؟ أو اللغة القومية! وكان للعالم والأديب اليهودي أبراهام جَيْجر (1810-1874م) الذي كان باحثاً دقيقاً في «التطور» الذي طرأ على الدين اليهودي عبر العصور، مما أفادت منه حركة الإصلاح فوائد كثيرة.

العدل في نظر الصهاينة

ومع ذلك فإن دارس هذه المرحلة بدقة يلاحظ أن «الإصلاح» أجبر المتزمتين والمتشددين على أن يتستروا وراءه حتى يتصيدوا أكبر عدد ممكن من المتحررين والعلمانيين والشيوعيين لخدمة الصهيونية، مما يدل عليه مشروع (إعادة تخطيط القدس) الذي تمخضت عنه عبقرية رئيس الوزراء المتطرف «بنيامين نتن - ياهو» من تقسيم المدينة المقدسة ثلاثة أقسام: قسم يسكنه اليهود المؤمنون المتزمون، وقسم لليهود (العلمانيين) - وهم صهاينة مئة في المئة، لا علاقة لهم بمندلسون ولا بسلفه الطيب الذكر باروخ سبينوزا -، أما القسم الأخير فإن زعيم الليكود قرر أن (يحشر) فيه العرب ذوي الجنسية الإسرائيلية، وهو أصغر الأقسام وأضيقها وأخطرها وأحقرها.

وفي فكر صاحبنا أن يكدس فيه من ليس من «شعب الله المختار»، من المسلمين السُّنة والشيعة والدروز واليزيدية، والنصارى الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستنت والأرمن واليونان وبقية «الجوييم» الكفّار، وما ينبغي لحفظ الأمن من جنود السماوات (الطائرات الحربية) وجبابرة الأرض (المدافع والدبابات)، أما سجون التعذيب والتنكيل والإذلال فستكون حتماً بعيدة جداً من الحيّ، بل من القدس بأجمعها، ألا هل بلّغت؟ اللهم اشهد! وأتصور أن جبل «أبو غنيم» قد يحتوي على حارة، أو زقاق، أو زنقة لسكنى العرب - على فرض أن تلك المشروعات سترى النور - حتى يقول رئيس وزراء إسرائيل: نحن شرفاء وعادلون مع الرعية! فالعرب معنا جنبا إلى جنب في جبل «أبو غنيم»!

وحتى العلمانيون، الذين رمتهم المقادير في إسرائيل، وكان خيارهم الوحيد الصهيونية.. أو الموت: من الفهود السود ويهود اليمن ويهود روسيا ورومانيا وأوكرانيا والحبشة، كل أولئك يكون حظهم العاثر، فلا الأرض «طيبة وواسعة وتفيض عسلا ولبنا» كما تقول التوراة، ولا «السكينة بجناحيها الملائكيَّيْن ترفرف على ساكني أرض إسرائيل» كما يقول التلمود!! ومع ذلك فإن الإصلاحيين كادوا ينجحون في رد هذه الرؤوس المتحجرة إلى نوع من التعقل والاعتدال. ومعروف أن هرتسل - مؤسس الصهيونية العالمية - كان لا يعرف شيئاً من الدين اليهودي، ولا يفهم العبرية، ولا يغشى بيوت العبادة اليهودية.. ولا غيرها! وكان يرضى هو وشريكه في الدفاع عن يهود شرق أوربا ضد موجة (اللاسامية) - أي معاداة اليهود -، بأن يهاجر هؤلاء المعذّبون في الأرض إلى أي مكان في الدنيا يعيشون فيه آمنين، وتحدثوا عن الصحراوات الإفريقية في ليبيا، وأسس اليهود لهذا الغرض (الجمعية الاستعمارية اليهودية «إيكا»)، وارتطم قادتهم بصعوبات أوربية لقرب المنطقة من البحر المتوسط الذي يعده الأوربيون غير اليهود بحيرة لهم، فانتقل اختيار الملجأ اليهودي إلى قلب إفريقية - أوغندا - وتخيل اليهود أنهم لو حدث لهم ذلك لانقلبوا زنوجاً وعبيداً، وأضاعوا النسب الشريف إلى «سام» ونُسبوا إلى «حام» الذي تدَّعي التوراة أنه ملعون من أبيه نوح عليه السلام، دعا عليه أن يسودّ وجهه ولا يلد إلا عبيداً!! ولا أشك في أن النابغين من ذوي البشرة السمراء مثل الرئيس ليوبولد سنغور والرئيس نلسون مانديلا وعشرات من أمثالهم يبتسمون وهم يقرؤون هذا في التوراة، وهي أقدم دعوة للتفرقة اللونية في العالم يأتي بها كتاب يؤمن أصحابه بأنه من كلام الله! تعالى الله عمّا يقولون.

وفي الأطوار الأولى من أدوار الصهيونية العالمية، كانت فلسطين أشبه بملجأ لليهود، قامت على التبرع والإغاثة وإيجاد فرص للعمل، ومدارس للأولاد والبنات، ومستشفيات، ومزارع اشتراكية للقائمين بفلاحتها ومزارع رأسمالية استثمارية يملكها أثرياء من اليهود يعيشون خارج فلسطين: روتشيلد، مونتفيوري، هيرش، ورْمْس... الخ. وعندما ذهبتُ إلى فلسطين في بعثة علمية - في الأربعينيات - لدراسة اللغة العبرية والفكر اليهودي، كان أهم المسؤولين عن هذه الجامعة هو «المدير السياسي»، وكانت وظيفته جمع التبرعات من جميع أنحاء العالم للإنفاق على الجامعة، وإقناع مشاهير علماء اليهود بأن يوصوا بتركتهم من الكتب وأجهزة البحث للجامعة، واختيار المدعوين إلى حفلاتها ومؤتمراتها، وإيفاد من يمثلها في مختلف المؤتمرات العلمية الدولية.

وكان المدير السياسي في ذاك الوقت المليونير الأمريكي د. «ماغنس» والد زوجة السياسي الأمريكي اليهودي المعاصر لنا «هنري كيسنجر». وأذكر أنه استدعاني بعد وصولي إلى القدس بيوم أو يومين وسألني - بالإنجليزية - إذا كنت أتكلم العبرية؟ فأجبت بأن عبريتي في غاية السوء، فرد الرجل ضاحكاً: وأنا أيضاً! ثم أرسلني إلى أحد المديرين العلميين حتى يساعدني في تعلم العبرية، وكان أستاذ الفلسفة العالمي البروفيسور «هوغو برغمان» الذي اتفق معي على أن أدفع له أجر تعليمي العبرية بتعليمه هو العربية حتى يقرأ - كما كان يقول - الغزالي وابن رشد وابن خلدون في الأصول، لا في الترجمات، ومع ذلك كانت بذور الإرهاب الصهيوني تعمل في الخفاء: جابوتنسكي، مناحم بيغن، مردخاي شتيرن.. وكثيرون غيرهم.

وقد لاحظت منذ هذا التاريخ البعيد أن التزام الأوامر والنواهي والعبادات الواردة في التوراة والتلمود إنما هي من شأن المسنين الذين فاتهم قطار الحياة والعجائز اللائي لا نصير لهن في الحياة إلاّ الله، وبعض الذين أخذوا التطرف اليهودي على أنه الدرجة العليا من التدين، خصوصا إذا اقترن بإلحاق الأذى بغير اليهود «الغوييم». ولذلك أشعر أن أحد الرؤساء العرب الراحلين قد ابتعد من الحكمة في هجومه السافر على الصهيونية، دون أن يدري أنها قد تكون أشرس منه وأخطر بكثير، كما ظهر منها في أكثر من جولة، وما خفي كان أعظم! وإذا كان هذا الرئيس قد مات، فإنه قد افتتح سوقاً للمزايدة على ضرب اليهود الصهاينة في فلسطين، حتى غدت إسرائيل العلة التي يسوّغ بها بعض المتطرفين نهجهم المتطرف (لأن المعركة تتطلب هذا) في حين أنها أحياناً تتطلب العكس تماماً، ولنضع نصب أعيننا أن كل ما يقوّي إسرائيل يضعفنا، والأمم لا تضعف بشيء أسرع من الهزائم المتوالية المتكررة.

وأرجو أن أجد مجالاً لأتحدث فيه عن «الثقافة الصهيونية» وقيمتها في الثقافة الإنسانية العامة.

منتدى «الفيصل»

مع معالي الشيخ

صالح بن عبدالرحمن الحصين



نجاح البنوك الإسلامية مرهون بأن تتعامل بالنقود.. لا أن تتعامل في النقود

يظل الاقتصاد من أكثر قضايا العالم حيوية على امتداد العصور لارتباطه الوثيق بحياة الإنسان ومعاشه. وقد تَعَقَّدَ الاقتصاد - مصطلحاً وعلماً وفناً وممارسة - بِتَعَقُّدِ ظروف الحياة، وتشابك العلاقات والمصالح، بعد أن بات العالم قرية كونية لا ينقطع الاتصال بين أجزائها في أي لحظة من اللحظات؛ مما اقتضى ضرورة إعادة النظر في كثير من المفاهيم الاقتصادية ومراجعتها على الدوام بما يتفق مع مستجدات العصر وإفرازاته.

وإذا كان للاقتصاد هذه الأهمية في حياة البشر، فمن الأولى أن تكون للتشريعات والقوانين التي تنظم هذه الحياة أهميتها التي لا تُضاهى؛ لاتصالها بكل شأن من شؤون البشر، محدِّدة المسؤوليات والواجبات والحقوق. ومن هنا تكتسب هذه الحلقة من «منتدى الفيصل» أهميتها، لتضمنها حواراً بين قراء المجلة وواحد من العلماء الذين لهم مشاركاتهم الفاعلة وآراؤهم الصريحة والواضحة في ميدان الاقتصاد والقانون، هو معالي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين الذي أجاب في هذا الحوار عن أسئلة تتعلق بالتشريع والاقتصاد، متناولاً - بشكل خاص - مفهوم الاقتصاد الإسلامي، بوصفه من المهتمين بهذا المجال، والمنظِّرين له.

- هل الأفضل أن تُوضع أحكام الشريعة في المعاملات في صورة مواد قانونية يلتزم القاضي تطبيقها، أم يُترك تطبيق أحكام الشرع لاجتهاد القضاة في الحكم بين الناس؟

عابد البدراني
سكاكا الجوف، السعودية.

- إجابتي عن هذا السؤال كإجابتي عن كل الأسئلة أو غالبها، إنما هي من وجهة النظر المصلحي - كما أراه - وليست من وجهة النظر الشرعي؛ لأن القول في الأحكام الشرعية قول على الله فينبغي أن يختصَّ به أهل العلم بشرعه.

موضوع السؤال هو «التقنين» بالإصطلاح القانوني، ومعروف أن وجهات النظر تختلف في قبوله أو رفضه بسبب أنه، كغالب الأشياء في الحياة الدنيا، له مزايا وعيوب، وليس هذا مجال الكلام عن هذه المزايا والعيوب، ولكن إذا كان التقنين ملائمًا للأحكام التنظيمية التي مصدرها إرادة الإنسان الحرة، فإنه ليس ملائمًا - في نظري - للأحكام الشرعية.

أولاً: لأن الأحكام الشرعية نوعان: النوع الأول: مصدره المباشر النص، والنوع الثاني - وهو الغالب في مجال المعاملات ونحوها -: مصدره المباشر رأي المجتهدين من الفقهاء في تَعَرُّف قصد الشارع بناء على النصوص والقواعد العامة الشرعية. والنوع الأول يتصف بالوحدة والثبات؛ أما النوع الثاني فيتصف بالتعدد والتغير. يتصف بالتعدد نظرًا لتعدد المجتهدين وتعدد اجتهاداتهم، وليس الأمر قاصرًا على تعدد المذاهب الأربعة المشهورة ولا على تعدد المذاهب السنية الأخرى بل يوجد داخل كل مذهب آراء متعددة. ويتصف بالتغير نظرًا لتغير ظروف الوقائع المحكومة سواء من ناحية الزمان أو المكان ويعبر عن هذا القول المشهور: «إن الفتوى تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص والأحوال والنيات»، ولذلك فالأحكام الشرعية وخاصة ما كان منها مجالاً لعمل القضاء ليست - بحكم طبيعتها - قابلة للتقنين.

ثانيًا: بالنسبة للمرحلة التاريخية التي يمر بها العالم الإسلامي الآن نلاحظ أن الفقه الإسلامي - من حيث هو صناعة بشرية - وقف عن التطور منذ قرون، وفي الزمن الماضي لم يكن الأمر يبدو خطيرًا لأن إيقاع الزمن كان بطيئًا، وكانت ظروف الحياة تبدو على مرّ القرون متشابهة، وبالعكس فإن أبرز سمات هذا العصر التغير بل التسارع في التغير، وحتى في البلاد الإسلامية التي كانت أبطأ من غيرها في التأثر بالحضارة المعاصرة فإن تغير الظروف الحياتية بالقياس إلى الماضي هو تغير شامل تقريبًا. وكان هذا من أهم العوامل لوجود فراغ فقهي تم ملؤه بقواعد تنظيمية مقتبسة من الفقه الغربي (الأوربي).

ولتوضيح هذا الأمر؛ فإنه حتى في البلاد التي تعدّ الفقه الإسلامي وحده أساس أحكام القضاء، كما في المملكة العربية السعودية، دعا وجود الفراغ الفقهي في واقع الحياة أن يتم كثير من التصرفات والعقود على أساس قواعد مصدرها التاريخي الفقه الغربي. إن أعمال التصدير والاستيراد تتم عبر عقود القانون التجاري والبحري، والشركات والأوراق التجارية تنظمها قواعد قانونية مصدرها التاريخي (القانون اللاتيني)، ومثل ذلك القواعد القانونية التي تنظم العلاقات بين العمال وأرباب العمل. وحتى في المجالات التي لا تُنظَّم بقواعد قانونية مكتوبة كعقود المقاولات والخدمات فإن العمل يجري على اقتباسها من بيئة الفقه الغربي.

إن ملء هذا الفراغ بقواعد تنظيمية مصدرها الفقه الإسلامي كان يمكن أن يتم لو استمر تطور الفقه على النحو الذي تم على أيدي أسلافنا، إذ قد أثبت أسلافنا دائمًا أن الفقه الإسلامي كائن حي وليس مومياء محنطة، فكان قادرًا من طريق الصناعة الفقهية العالية التقنية على مواجهة المتغيرات بحلول ملائمة. ولكي يبقى الفقه الإسلامي كائنًا حيًا فلابد أن تبقى الصناعة الفقهية فيه قابلة للتطور قادرة على مواجهة المتغيرات.

و«التقنين» بطبيعته مثبِّتٌ للقواعد التنظيمية، فهو عائق جدي للتطور وعامل على ترسيخ الجمود الفقهي، ومحدِّدٌ ومقيِّدٌ للنشاط الاجتهادي الذي هو سر تقدم الفكر الفقهي لدى أسلافنا، مما أنتج تراثًا غنيًا لا يُقَدِّرُ قيمته إلا فقيه متمرس، وتتمثل هذه القيمة في أن هذا التراث لا يزال - من حيث هو صناعة بشرية - ندًا للفكر الفقهي الغربي؛ ليس لأنه سبق الفقه الغربي المعاصر بأكثر من ألف سنة إلى تقرير نظريات فقهية عديدة كنظرية تحول العقد ونظرية انتقاص العقد فحسب، بل لأنه لا يزال - بشهادة قانوني ضليع كالدكتور عبدالرزاق السنهوري - سابقًا للفقه الغربي الحديث في بعض النظريات، ولأزيد الأمر إيضاحًا عن الأثر السلبي المشار إليه للتقنين أورد مثالين من واقع حياتنا.

من المعروف أن القضاء في المملكة العربية السعودية يعتمد في التطبيق على الراجح في المذهب الحنبلي، ولكن القاضي - من الناحية النظرية - غير مقيد الحرية في الاجتهاد، فله أن يختار في قضائه ما يترجح لديه من الآراء الفقهية بناء على وزن الأدلة الشرعية، حتى لو خالف اختياره المذهب الحنبلي؛ بل حتى لو خالف المعتمَد في المدونات الفقهية للمذاهب الأربعة.

والمثالان اللذان أوردهما يوضحان مدى مساعدة هذه الحرية في الاجتهاد وتطوير الحكم وتطويعه للاستجابة للمتغيرات في حدود المبادئ العامة الشرعية.

المثال الأول:

معروف أن المذاهب الأربعة تتشدد - على درجات متفاوتة - في قبول طلب المرأة فسخ النكاح إذا لم يكن المسوّغ للطلب مستندًا إلى عيب خلقي أو سلوكي في جانب الزوج، ومع فساد الزمن وقلة التقوى أدى هذا الأمر إلى وقوع النساء ضحية للظلم والعدوان من قِبَل بعض الأزواج الذين استغلوا هذا الوضع الفقهي في ظلم زوجاتهم وحرمانهن من حقوقهن بدافع الحقد والضغينة والكراهية المتبادلة.

وقبل أكثر من ثلاثين سنة كان أحد القضاة الموفَّقين في المحكمة المستعجلة بمكة المكرمة قد هاله ما يمر عليه من صور الظلم والعدوان من قِبَل الأزواج الذين ظلموا أنفسهم واتخذوا آيات الله هزوًا، بالاستغلال الشرير للمُكْنَة الفقهية لطلب تنشيز الزوجة التي قام بينها وبين زوجها جدار سميك من الكراهية يحول دون إقامتهما حدود الله. فرأى هذا القاضي الموفق أن الغاية من الزواج حسب نص القرآن أن يوجد «السكن» بين الزوجين بما تشمله كلمة السكن من معاني الشعور بالأمن والراحة والمتعة، وأن يقوم بينهما تبادل المودة والرحمة، فإذا استحال تحقيق هذه الغاية كان ذلك مسوّغًا كافيًا لحل عقدة النكاح وتحرير الزوجة الأسيرة.

لذا قرر هذا القاضي الموفق أن يعتمد تطبيق هَدْيِ القرآن في حل مثل هذا النزاع من طريق الصلح والتحكيم، فإذا لم يؤد هذا الطريق إلى نتيجة مَرْضِيَّة، وظهر له تعنت الزوج ومضارّته لزوجته، أعمل قضاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قضية جميلة بنت عبدالله بن أُبَي مع زوجها ثابت بن قيس بن شماس - وكان رجلاً من خيار الصحابة على خلق عظيم وشهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات بأنه من أهل الجنة -، وقد اعترفت زوجته بأنها لم تُنكر منه خُلُقًا ولا دينًا، ولكنها كانت لا تطيقه بغضًا؛ فأمره الرسول - صلى الله عليه وسلم - بطلاقها، وأمرها بأن ترد عليه مهرها.

لقد ظل هذا القاضي ثابتًا على قضائه مستفيدًا من حرية الاجتهاد التي يمنحها نظام القضاء في المملكة للقاضي، وربما كان هو القاضي الوحيد الذي استمر على هذا النهج مدة طويلة لم يجرؤ فيها غيره من القضاة - حسب علمي - على الخروج عن الرأي المعتمد في مدونات الفقه في المذاهب الأربعة.

وتمت دراسة هذا الموضوع في هيئة كبار العلماء أخيرًا فصدر قرار الهيئة مؤيدًا لقضاء هذا القاضي الموفق.

صحيح أن قرار الهيئة ليس ملزمًا للقضاة، ولكنه وضع اختيارًا فقهيًا جديدًا يسمح للقاضي بالاستناد إليه، ويمنحه الجرأة على تبني الحكم إذا رآه ملائمًا وإن كان خارجًا عن المذاهب الأربعة.

المثال الثاني:

ظلت المحاكم تستعصي على قبول فكرة الشرط الجزائي في عقود المقاولات

منتدى «الفيصل»
مع معالي الشيخ
صالح بن عبدالرحمن الحصين



والتوريد، مع شيوع هذا الشرط في التطبيق العملي؛ الأمر الذي ينبئ عن وجود حاجة حقيقية لتضمين العقود هذا الشرط. وقد بحثت هيئة كبار العلماء الشرط الجزائي بحثًا متعمقًا، واطلعت على دراسات مستفيضة حوله، وتبيّن لها أن الحكم بعدم شرعية هذا الشرط في العقود، ربما لا يتفق - في ضوء الظروف المتغيرة - مع روح العدل، ولا يستجيب للمصلحة العامة، فصدر قرارها متبنّيًا حكمًا مشابها لحكم القاعدة القانونية المعروفة في التقنينات المدنية العربية (المصرية والسورية والليبية) في الموضوع.

ففي ضوء هذين المثالين، الأمر المتوقع لو وُجد «تقنين» للأحكام قبل عشر سنوات من صدور قراري هيئة كبار العلماء، أن يُعتمد فيه على الرأي الراجح في مدونات الفقه في المذهب الحنبلي أو في المذاهب الأربعة، ومن ثم فلا توجد فرصة لنشوء اجتهاد فقهي جديد في الموضوع هو أحرى بالاستجابة لروح العدل ومقتضيات المصالح المشروعة للناس.

وبعدُ؛ فقد قدّم أحد الفضلاء من رجال القانون في المملكة العربية السعودية اقتراحًا يبدو أنه يستجيب إلى حد بعيد للمسوّغات التي يُستند إليها عادة في الدعوة إلى تقنين الأحكام الفقهية، وفي الوقت نفسه يتفادى العيوب التي يُستند إليها عادة في معارضة فكرة التقنين.

وملخص هذا الاقتراح أن تُدوَّنَ الأحكام القانونية المتعلقة عادة بمجال التقاضي في صورة تشبه صياغة «التقنين» ولا تكون ملزمة للقاضي؛ بل يلتزم القاضي الاستناد والإشارة إلى المادة أو المواد منها ذات العلاقة بالحكم ويكون له الخروج عنها، ولكن في هذه الحالة يلتزم إيراد الأسباب الفقهية التي اعتمد عليها في اجتهاده بالخروج عن المادة أو المواد المدوّنة.

بهذا تتيسر الرقابة على الحكم من الجهات القضائية العليا؛ الأمر الذي يوفر ضابطًا لا غنى عنه لحرية الاجتهاد، وفي الوقت نفسه لا يكون التقنين عائقًا لاجتهاد من هو أهل للاجتهاد من القضاة أو المفتين أو دارسي الفقه، ولا يكون مثبطًا لتطور التفكير الفقهي؛ بحيث يكون الفقه الإسلامي باستمرار قابلاً للتطور وقادرًا على مواجهة الظروف المتغيرة في عصر سمته الغالبة التغير بل تسارع التغير.

بقي أن أدفع أو أرفع لبسًا قد يكون نشأ في ذهن القارئ عند الكلام على الواقع المشهود من حيث ملء الفراغ الفقهي بقواعد تنظيمية مكتوبة أو جرى عليها العمل مصدرها التاريخي الفقه الغربي وليس الفقه الإسلامي، فليس المقصود أن هذه القواعد التنظيمية هي بالضرورة مخالفة للشريعة الإسلامية. إن الله من رحمته بالإنسان هداه بفطرته السليمة في الغالب إلى محبة العدل والإصلاح والعمل لأجلهما، لذلك فإن القوانين البشرية ترمي في الغالب إلى العدل والإصلاح على حسب ما يُقيمها به الإنسان في زمان معين ومكان معين، ولذلك فقد يكون القانون البشري محققًا للعدل مستجيبًا لمصلحة الناس، وإن كان لا يتفق مع اجتهاد مدوني الفقه الإسلامي في الماضي من أسلافنا العظام، وإذا كان الحكم محققًا للعدل مستجيبًا لمصالح الناس المشروعة فثمَّ شرع الله.

وأذكر مثالين يوضحان هذا الأمر:

المثال الأول:

لقد صدرت قواعد مكتوبة تنظم الملكية الأدبية والفنية، ولكن حتى قبل صدور هذه القواعد، كانت فكرة الملكية الأدبية والفنية قد لقيت قبولاً عند عدد من فقهائنا المعاصرين، وإن كانت فكرة يشوبها الغموض الناتج من عدم الاطلاع على ظروف نشوء هذه الفكرة في الفقه الغربي وتطورها في أدبياته.

المثال الثاني:

نظام القضاء في المملكة هو نفسه يرجع في مصدره التاريخي إلى الفقه الغربي، وقد اقتُبس من بعض التقنينات العربية المقتبسة بدورها من التقنينات الأوربية.

وقبل صدور هذا النظام عُرِضَ على هيئة كبار العلماء للمناقشة، وكان حين عرضه على الهيئة مسبوقًا في أذهان عدد كبير من الأعضاء بجريدة طويلة دوّنها أحد العلماء من خارج المجلس تنتقد النظام في الجملة وتناقشه مادة مادة حاكمةً على كثير من مواده بأنها مخالفة للشريعة أو غير موافقة لها.

وقد درست الهيئة النظام وتداولت الرأي حوله مادة مادة، وانتهت إلى الموافقة عليه دون تغيير عدا مادة واحدة جرى تعديلها صياغةً وبقي مضمونها من دون تعديل.

ولعل فيما سبق ما يحفز همم الأكاديميين من دارسي الفقه ومدرسيه إلى توجيه دراساتهم إلى تطوير الصناعة الفقهية، بحيث يبقى الفقه الإسلامي قادرًا على ملء الفراغ دائمًا، وقابلاً لمواجهة المتغيرات، وأن يبقى دائمًا كائنًا حيًا كما كان في أيدي أسلافنا، وأن لا تُركِّز الدراسة دائمًا أو في الغالب على المجال التاريخي في الفقه.

• نصّت دساتير بعض البلاد العربية والإسلامية على أن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع. فكيف يكون ذلك مقدمة لتوحيد القوانين في البلاد العربية والإسلامية؟

علي بن يوسف المراغي

ص.ب 213، الحديدة، اليمن.

- النص المشار إليه مجمل وغامض، ولكن حتى لو افترضنا أنه طُبِّقَ بصدق وخلوص نية، فلن ينتج من ذلك توحيد القوانين في البلاد التي تشترك في تضمين دساتيرها هذا النص. إن المذاهب الفقهية السُّنّية تعتمد مصادر واحدة، ولم يؤد ذلك إلى اتفاقها في الأحكام، وعلى كل فربما لا يكون توحيد القوانين بين البلاد المختلفة في بيئاتها وظروفها ضروريا بل ولا نافعًا. وليرجع القارئ إلى الإجابة عن السؤال السابق.

• ما حكم الشرع فيمن يستحلون القتل والتخريب والعدوان بلا تمييز في بعض البلاد الإسلامية بحجة أن غايتهم إقامة دولة إسلامية وحكم إسلامي؟

المنتصر بالله عابدين

الباب الشرقي، عماجة، تونس.

- من البدهيات التي يدركها كل مسلم، أو ما يُعَبَّر عنه بالمعلوم من الدين بالضرورة، أن الحكم الإسلامي غايته إقامة العدل والإصلاح ومقاومة الظلم والفساد. والعدل في الإسلام - على خلاف الحضارة المعاصرة مثلا - قيمة مطلقة وليست نسبية، لذا

من أهم ضوابط التزام أخلاقيات مهنة المحاماة ألا تكون للمحامي مصلحة مباشرة من نتيجة الحكم في القضية، وأن يكون العوَض المادي الذي يأخذه هو المقابل العادل لجهده المبذول، وليس مرتبطًا بالحكم

فلا يُتصَوَّر مطلقًا ممن يعمل لإقامة حكم الإسلام أن يرتكب الأعمال الموصوفة في السؤال. وإنما يُتصَوَّر ذلك ممن يعمل لإقامة حكم غير ديني أو لإقامة حكم ديني عنصري يقبل الازدواج في تصور العدل والإصلاح، فمثل هؤلاء هم الذين يمكن أن يطبقوا المبدأ الميكيافلّي الشرير: «الغاية تسوّغ الوسيلة». وإذا أراد القارئ أمثلة من التاريخ المعاصر فَلْيعد إلى ذاكرته حادث أول مبنى عام (فندق) نُسفَ في المنطقة، ولْيُعد إلى ذاكرته حادث أول طائرة مدنية أُسقطت ـ على أرض سيناء ـ لاشتباه من أسقطها أن راكبًا معاديًا ضمن ركابها. ولم يكن المسؤول عن ذلك بالطبع حركة تسعى لإقامة حكم الإسلام.

لقد قام حكم الدولة اليهودية في المنطقة على أيدي العصابات الإرهابية التي لم تكن تحرّم على نفسها الأعمال الموصوفة بالسؤال وليس هذا غريبًا. ولكن الذي ينبغي ألا يغيب عن ذهن القارئ أن تاريخ الدولة اليهودية وإعلامها يُصوِّران إنجازات تلك العصابات الإرهابية حتى الآن على أنها بطولات وأعمال نبيلة وأمجاد تستحق أن تكون موضع الفخر والاعتزاز.

الخلاصة أن من يعمل صادقًا لقيام حكم الإسلام لا يمكن أن يرتكب الأعمال الموصوفة في السؤال، فإذا هال القارئ ضجيج الإعلام في بعض البلدان في العالم الإسلامي الجغرافي، وقرأ أو سمع مثل هذا الاتهام فليعلم أن المُتَّهم كاذب أو مكذوب عليه، وقد علَّمَنا التاريخ العربي المعاصر أن الاحتمال الثاني غير نادر، ولْنعد إلى ذاكرة القارئ أن بلدًا عربيًا تغيّر الحكم فيه عدة مرات، وفي كل مرة وُجِّه هذا الاتهام في وسائل الإعلام (وسُنِدَ) بمحاكمات وأحكام قضائية، ولكن ما إن يتغير الحكم وتُعاد المحاكمة ويُكشف المخبأ حتى يظهر زيف الاتهام ويُبرَّأ المُجرَّم، ثم تتكرر القصة، ويعيد التاريخ نفسه.

• هل مهنة المحاماة التي تنتشر في بلاد إسلامية وعربية كثيرة وتؤدي دورًا مهمًا أمام القضاء تتفق في مقاصدها مع أحكام الشريعة؟

هدى علي الريس
السعودية.

ـ المحاماة هي القضاء الواقف، وغايتها المعاونة على تحقيق العدل، فإذا التزم المحامي العمل لهذه الغاية كان ذلك من التعاون على البر والتقوى، أما إذا أخلّ بأخلاقيات المهنة وتنكّب عن طريق التقوى وكان للخائنين خصيمًا وجادل عن الذين يختانون أنفسهم من المدَّعين أو المدَّعى عليهم كان ذلك من التعاون على الإثم والعدوان. وإن من أهم ضوابط التزام أخلاقيات المهنة ألا تكون له مصلحة مباشرة من نتيجة الحكم في القضية، وأن يكون العوَض المادي الذي يأخذه هو المقابل العادل لجهده المبذول، وليس مرتبطًا بالحكم.

• يعيش ملايين المسلمين في بلاد غير إسلامية لها نُظُمها وقوانينها الوضعية. فهل يجوز للمسلم ـ أو المسلمة ـ ترك حكم الشرع في بعض المسائل، مثل: ترك صلاة الجمعة، أو عدم التزام الزي الإسلامي، أو عدم النهي عن منكر ظاهر إذا كان في ذلك تجنب ضرر يقع عليه في النفس أو المال؟

أحمد بن ناصر المسواري
ص.ب 51122، الدمام، السعودية.

ـ المُشاهَدُ أنه في كثير من الأحيان يفرّ المسلم من بعض بلدان العالم الإسلامي الجغرافي، إلى بلدان العالم غير الإسلامي لكي يتمكن من إقامة دينه، وطلبًا للحرية في تطبيق أوامره واجتناب مناهيه، فهل يتمكن المسلم ـ أو المسلمة ـ في كل بلد من بلدان العالم الإسلامي الجغرافي من التزام الزي الإسلامي، أو الأمر بالمعروف، أو تغيير المنكر كما ورد في السؤال؟

عندما رفضت مدرسة خاصة في فرنسا قبول طالبتين التزمتا رفعتا قضية أمام المحكمة ضد المدرسة، وصدر الحكم لصالحهما. وعندما صدر قرار إداري في فرنسا بمنع نشر كتاب الحلال والحرام للدكتور يوسف القرضاوي، اضطرت الإدارة لإلغاء القرار قبل مرور عشرة أيام على صدوره تحت ضغط الرأي العام المتحضر. في المقابل كنت قبل ثلاث سنوات في زيارة لبلد سكانه مسلمون، وذكر لي بعض الأعضاء الدبلوماسيين في ذلك البلد أن الشرطة تقف بباب كلية الشريعة هناك لمنع الطالبات من دخول الكلية حتى ينزعن الحجاب!

في البلدان التي أشار إليها السؤال تُحمى القيم الثقافية والحضارية والحرية الشخصية عادة، أما في بعض بلداننا الإسلامية فأخشى أن سكانها لا يملكون إلا أن يرددوا مع الزجَّال الحكيم بيرم التونسي بيته الساخر المشهور:

أمريكا شبعت علينا ضحك هي وأوربا
لا احنا أمة مسلمة قالوا ولا متحضرة

• يُعدّ تطبيق النظام المصرفي غير الربوي أحد دعامات النظام الاقتصادي الإسلامي، والدعامات الأساسية لذلك النظام معروفة ومتكاملة مع بعضها بعضًا في إقامة مجتمع إسلامي يحقق مقاصد الشريعة. هل تعتقدون فضيلتكم في إمكان التدرج والمرحلية في إقامة تلك الدعامات في المجتمعات الإسلامية في ظل واقعها المعاصر بما يحيطه من معوقات وتحديات؟

طلال بن سالم المربدي
ص.ب 51، جرش، الأردن.

ـ لم أفهم السؤال جيدًا، لذا سوف أورد بعض العموميات لعل السائل يرى فيها جوابًا:

1ـ ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قوانين يجب على المسلم أن يؤمن بها أكثر من القوانين الرياضية: *وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ*. **الطلاق**: 2-3. *وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا*. **الطلاق**: 4. *فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ*. **التغابن**: 16. *لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا*. **البقرة**:286.

2ـ الفوارق المميزة لما يسميه السؤال الاقتصاد الإسلامي هي في الغالب فوارق سالبة. فمثلاً: لا يُستعمل المال في غير وظيفته الطبيعية؛ فلا مكان للظلم أو أكل أموال الناس بالباطل ولا للربا أو القمار. والأمور السالبة تحتاج فقط إلى الامتناع عن العمل، وفي الغالب فإن العوائق والعقبات إنما تكون موانع عن العمل لا عن الامتناع عن العمل.

3ـ في كثير من الأحيان تكون المعوقات والعوائق وهمية وليست حقيقية، أي إن ذهن الإنسان يخلقها لتكون معاذيره في عجزه عن العمل أو عدم رغبته فيه.

وعلى كل فإن الإنسان عندما يُحْرَم العمل ويُعطَى الجدل يتشاغل بالبحث النظري عن النشاط العملي، وأخشى أن يكون من هذا القبيل أن نتشاغل بالبحث عن الفتوى في جواز المرحلية والتدرج قبل أن تثبت جديتنا في البدء بالعمل.

• أثيرت التحفظات من جانب بعض رجال الفقه بصدد التطبيق الحالي لنظام المرابحة كإحدى صور التوظيف في المصارف الإسلامية.. فما العلاج الحاسم ـ في نظر فضيلتكم ـ لإزالة أية شبهات وتقويم مسار تلك الصيغة من صيغ التمويل أو التوظيف؟

عمادالدين أحمد شاولي
ص.ب 8001، جدة، السعودية.

ـ المرابحة للآمر بالشراء ـ في الاستعمال السائد في البنوك الإسلامية ـ صيغة جديدة اخترعها بعض الفقهاء المعاصرين بالتلفيق من مذهبين مختلفين؛ بمعنى أنها في صورتها الكاملة ليست مقبولة من أي من المذهبين. وربما لا يكون بأس من التلفيق مع التزام ضوابطه الفقهية، كما أنه لا مانع ـ في مجال الاجتهاد ـ من قبول صيغ جديدة للعقود والتصرفات والشروط، ولو خالفت الاجتهادات السابقة للفقهاء إذا كانت هذه الصيغ موافقة للقواعد الشرعية العامة.

منتدى «الفيصل»



مع معالي الشيخ
صالح بن عبدالرحمن الحصين

ولكني لن أتعرض للكلام على هذه الصيغة الجديدة من ناحية النظر الشرعي بل من ناحية الملاءمة العملية.

ففي رأيي أن فقهاءنا عندما قدَّموا هـذه الصيغة أداة لاستـخدام الموارد من قبَل البنوك الإسلامية قدَّموها على أساس أن تكون علاجًا مرحليًا ومؤقتًا واستثنائيًا، لا أنْ تكون الأداة الرئيسية في عمل البنوك الإسلامية ـ كما حدث فعلاً ـ. ولم يكن فقهاؤنا في الغالب ـ عندما قدَّموا هذه الصيغة ـ يتوقعون النتائج التي سوف تنتهي إليها.

لقد اكتشفت البنوك الإسلامية عند ممارستها هذه الصيغة أنها يمكن أن تكون بديلاً لأداة الفائدة (الربا) في إدانة النقود أو في التعامل في النقـود، تتوافر فيها بعض مزايا الفائدة (الربا)؛ فاستعملتها بتوسع لم تر معه حاجة لمحاولة استخدام الصيغ الشرعية الأخرى لاستخدام الموارد، تلك الصيغ التي بَشَّر بها المُنَظِّرون الأوائل للعمل المصرفي الإسلامي بديلا عن الربا يحقق مقاصد الإسلام من استعمال المال في وظيفته الطبيعية بأن يكون قيامًا للناس: *أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا*. **النساء:** 5، ويواجه حاجات الاستهلاك والإنتاج والتسويق في أسلوب يتفق مع روح الإسلام ومقاصده.

لقد كان الفارق الأساسي الذي قدمه المنظرون في الاقتصاد الإسلامي بين العمل المصرفي الربوي والعمل المصرفي الإسلامي هـو أن المصرف الإسلامي يتعامل بالنقود ولا يتعامل في النقـود، وقد قَدَّمتْ أن الصيغة الجديدة للمرابحة للآمر بالشراء استُخدمت في المصارف الإسلامية أداة طيِّعة للتعامل في النقود فكان ذلك سببًا لغياب ذلك الفارق الأساسي المسوِّغ لوجود المصرف الإسلامي.

مما يجب التنبيه عليه أن صيغة المرابحة للآمر بالشراء كما تستخدمها البنوك الإسلامية هي في طبيعتها أداة أدنى كفاءة من أداة الفائدة (الربا) في استخدام البنوك الربوية، لذلك فإنها بذاتها لا توفر للبنك الإسلامي قدرة على منافسة البنك الربوي، ولا حاجة لأن أشرح مدى الأثر المتوقع لذلك على مستقبل البنوك الإسلامية.

وهذا مادعا أحد المهتمين بنجاح البنوك الإسلامية إلى أن يصف المرابحة بأنها السرطان في قَدَم البنك الإسلامي.

إن نجاح البنوك الإسلامية مرهون بأن تتميز في وظيفتها عن البنوك الربوية، بأن تتعامل بالنقود ولا تتعامل في النقود، وأن تعمل بأدوات ذات كفاءة لا تقل عن كفاءة الفائدة (الربا) في استخدام الموارد.

نجاح البنوك الإسلامية مرهون بأن تتميز في وظيفتها عن البنوك الربوية، بأن تتعامل بالنقود ولا تتعامل في النقود، وأن تعمل بأدوات ذات كفاءة لا تقل عن كفاءة الفائدة (الربا) في استخدام الموارد

ولا أشك أن ذلك ممكن إذا توافرت لدى العاملين في البنك الإسلامي النية الصادقة، والرغبة في العمل والجدية فيه، واستخدام الصيغ الشرعية التي استخدمها المسلمون طوال القرون الماضية، والتي تُستخدم ـ في الوقت الحاضر ـ من قِبَل غير المسلمين ممن فارقوا العجز والكسل.

• في المحيط العملي لتوزيع توظيفات المصارف الإسلامية ـ بحسب التجارب الجارية ـ لايزال نصيب التمويل الطويل الأجل ومتوسطه ـ محدودًا على الرغم من أن التمويل المذكور هو السبيل الوحيد للتوسع في المشروعات الإنتاجية ذات الإسهام الحقيقي في التنمية الاقتصادية للبلدان الإسلامية. وقد يرجع ذلك الوضع لقصور وعي المودعين الذين يطلبون غالبًا درجة عالية من السيولة لأموالهم، كما يرجع لتأثر رجال المصارف عامة بنزعة الحفاظ على درجة من الأمان في تخصيصات ميزانية المصرف. هل من حلول عملية ـ في نظر فضيلتكم ـ لتجاوز تلك المشكلة والتوسع في التوظيف الطويل والمتوسط الأجل الذي يشكل إحدى المهام الأساسية في رسالة المصارف الإسلامية؟

علاء سالم سامرائي نور
ص.ب 31، السالمية، الكويت.

ـ في رأيي ـ وأنا عامي في مجال السياسات البنكية وإجراءاتها ـ أن البنوك حين تتلقى ودائع (أو قل قروضًا) قصيرة الأجل فمن الطبيعي أن تتركز استثماراتها في التمويل القصير الأجل.

وقدرة البنوك على الاستثمار في التمويل الطويل الأجل مرهونة بكفاءتها في الاستثمار، فإذا استطاعت أن تحقق كفاءة عالية في الاستثمار كان هذا عاملاً كافيًا لاجتذاب الودائع الطويلة الأجل، بل عاملاً للمرونة والقدرة على التحرك في استخدام الودائع ـ بمختلف أنواعها ـ في التمويل الطويل الأجل.

• من هموم العالم الإسلامي في محيط العلاقات الاقتصادية الدولية ضعف شوكته أمام التكتلات الاقتصادية الدولية والممارسات الاحتكارية لدول الغرب الصناعية.
هل ترون حلاً في تنسيق الدول الإسلامية لمصالحها على أساس الإفادة مما تملكه مجتمعة من موارد وإمكانات ـ مثل احتياطي النفط أو تراكم الفوائد المالية ـ حتى لو استخدموا الصيغة الاحتكارية لمزايا ما يملكون من الموارد، في سبيل مواجهة التكتلات والممارسات المشار إليها، فيكون ذلك من قبيل الدفاع الشرعي عن مصالحهم وإعداد ما استطاعوا من قوة يقصدون بها لكل من يعادي مصالحهم؟

د. وجدي محمود حسين
قسم الاقتصاد، كلية الشريعة بالرياض.

ـ هذا السؤال غامض بالنسبة لي، ويتبادر إلى ذهني أن الإجابة عنه تحتاج إلى إثارة سؤالين: هل المسؤول عنه ممكن؟ ثم هل هو نافع؟

وإذا كان المطلوب الإجابة عنه الحكم على معاملة المسلم لغيره بالمثل من وجهة النظر الأخلاقية الإسلامية؛ فإن الجواب ما يأتي:

العدل في الإسلام قيمة مطلقة، فعلاقة المسلم بغيره وتصرفاته تجاهه محكومة دائما ومقيدة بالعدل، سواء كان صديقا أم عدواً. قال تعالى: *وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ*. **المائدة:** 8.وفُسِّرت الآية بأنها نهي للمسلمين أن يحملهم بغض القوم الكافرين الذين يقاتلونهم في الدين على عدم العدل فيهم. فالقاعدة أن المعاملة بالمثل هي الحد الأقصى المسموح به لمعاملة الآخرين ولكنها مقيدة بعد ذلك بأن لا تكون منافية للتقوى؛ فلا يجوز معاملة الآخرين بالغدر والخيانة حتى لو غدروا هم أو خانوا. وفي الحرب مثلاً لا يجوز للمسلم

تجاوز ضرورات الحرب كالمثلة أو الإفساد لمجرد الضغينة والتنفيس عن الحقد والرغبة في الثأر، وإن فعل عدوه ذلك.

• ما العنصر الفعال والمنتج في أمة الإسلام في رأيكم؟ وما الخطوة الكفيلة بتوحيد كلمة الأمة الإسلامية المتفرقة اليوم؟

أنس الشرفاوي
ص.ب 34698، دمشق، سورية.

ـ لا ينقص أفراد الأمة الإسلامية ـ في الغالب ـ الشعور بالانتماء للإسلام وإنما ينقصهم الوعي بحقيقة الإسلام، فهذا الوعي بين الجمهور الغالب اما مفقود، أو يعاني من عدم وضوح الرؤية والتشوه والانحراف. وأول عنصر في حقيقة الإسلام هو عقيدة التوحيد، وقد أمضى نبي الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ الشطر الأكبر من بعثته مركزًا على التوعية بهذا العنصر من حقيقة الإسلام متحملاً الأذى والجهاد في سبيل ذلك. والوعي بهذا العنصر هو سر حياة الأمة وحيويتها إذ به تخرج الأمة من عبادة الأشياء والأشخاص إلى عبادة الأحد الصمد، وتتحرر من سجن الأوهام والخرافات وظلام الأساطير، فتتعامل مع الحقائق، وتعمل بها ولها.

والعنصر الثاني رابطة الوحدة بين أفراد الأمة بالوعي بالأخوة الإيمانية، وموالاة المؤمنين: *إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ*. **الحجرات**: 10، *وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ*. **التوبة**: 71. والتخفف من آصار التفرق والاختلاف والنزاع والعداوة: *إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ*. **الأنعام**:159، ولا *تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ*. **آل عمران**:105، ولا *تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ*. **الأنفال**: 46.

والناظر في حال الأمة الإسلامية يرى أنَّ (لا إله إلا الله، والله أكبر) لفظان يُرَدَّدان، ولكن ماذا عن تطبيقهما في واقع الحياة؟

أما عن الوحدة والأخوة فقد تبدلت الأمة بهما شيعًا متفرقة، وظلت يذيق بعضها بأس بعض.

ومن دون أن يعي أفراد الأمة الإسلامية حقيقة الإسلام وعنصري هذه الحقيقة فلا أمل في وجود أمة الإسلام الواحدة.

• ما رأي الدين الإسلامي الحنيف وموقفه من أن تمارس المرأة عمل الرجل في أن تصبح قاضيةً أو محاميةً أو تاجرةً أو مهندسةً، وفي حال المنع ما هي الأسباب الموجبة؟

مريم جمعه جدوع
السعودية.

ـ حسب علمي فإنه في الماضي وطوال ثلاثة عشر قرنا من تاريخ الفقه الإسلامي لم يكن عمل المرأة قضية تثار حولها الاستشكالات.

ففيما عدا حالات استثنائية، كالكلام على بعض الولايات، كان عمل المرأة والرجل يتحدد بالعرف، والتأهيل، والقدرة الجسمية. وكما كان الرجل يشتغل بالفلاحة والتجارة والرعي والحياكة كانت هذه الأمور من أعمال المرأة في بعض الأزمنة والأمكنة والبيئات الاجتماعية.

وكان في الرجال، كما كان في النساء، الفقيه والنحوي والمحدِّث والمدرس. ولذلك يبدو أنه، فيما عدا حالات خاصة كبعض الولايات العامة، فإنه ينبغي القول بأن الأصل في عمل الرجل والمرأة الإباحة وكلكم حارث وكلكم همام، ولا قيد في ذلك إلا أن يكون العمل محرّمًا أو يكون ذريعة ـ وفق الضوابط العامة لمبدأ سد الذريعة ـ لمحرَّم، والله أعلم.

• يوجد في بعض القضايا الفقهية أمور متناقضة ظاهرًا نتيجة اختلاف الفقهاء بسبب الظروف وطبيعة التطور التاريخي. فهل يُمنع شرعًا قيام مجمع فقهي على مستوى العالم الإسلامي



صيغة المرابحة للآمر بالشراء كما تستخدمها البنوك الإسلامية هي في طبيعتها أداة أدنى كفاءة من أداة الفائدة (الربا) في استخدام البنوك الربوية، لذلك فإنها بذاتها لا توفر للبنك الإسلامي قدرة على منافسة البنك الربوي

لوضع فقه موحد (مذهب جديد) لقضايا الحياة كافة مستندًا إلى منهج القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهادات علماء السلف الصالح؟

أسير محمد كاسب
ص.ب 2118، صلالة، سلطنة عمان.

ـ أرجو الرجوع إلى إجابة السؤال الأول. ويبدو أن العالم الإسلامي لا تنقصه المذاهب، ولا يحتاج إلى مذهب جديد. ومادامت الفتوى تختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال؛ فلا يبدو أن من الممكن أو الملائم فرض اجتهاد واحد على المسلمين كافة.

على أن وجود مجمع فقهي يضم المجتهدين من علماء المسلمين من مختلف الأقطار، ممن يتفقون على أصول الاجتهاد والمصادر الشرعية للأحكام، حيث يتناولون بالبحث والدراسة النوازل والقضايا الفقهية ثم يفتون فيها أمر لا يشك أحد ـ والله أعلم ـ في جدواه وفائدته.

• فما رأي الشرع في موضوع نقل القلب والكلية؟

ـ في رأيي أن الاهتمام بالقضايا التي يلابسها الناس في حياتهم اليومية أولى بالاهتمام من القضايا النادرة التي يبدو أنها تحظى الآن بالاهتمام مثل طفل الأنابيب وزراعة الأعضاء.

وقد أشرت في إجابة السؤال الأول إلى وجود فراغ فقهي نشأ عن توقف

منتدى «الفيصل»

مع معالي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين



الصناعة الفقهية - في العالم الإسلامي - عن العمل والتطبيق، ولما كان الفراغ ضد الطبيعة فقد تم ملؤه بتطبيقات مصدرها التاريخي (الفقه الغربي الأوربي). فهذا المجال أحرى بأن تُصرف له جهود الدارسين والباحثين والمُفتين، والله أعلم.

• كلنا يعلم أن عقوبة القِصاص (الإعدام) تُنَفَّذ في المملكة العربية السعودية قتلاً بحدّ السيف.. فهل يمنع الشرع تنفيذ القصاص بطريقة أخرى كاستعمال التخدير أو الشنق كما هو مستعمل في العديد من دول العالم؟

عكاشة أحمد عكاشة

ص.ب 12، عذرا، دمشق، سورية.

- أشرت فيما سبق أنني في هذه الإجابات سوف أتفادى - إن شاء الله - الفتوى الشرعية والقول على الله دون علم. وفي الواقع لم أسمع أن الإعدام يُنَفَّذ بالتخدير، وعلى كل فالذي أعلمه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عَلَّمَ أمته أن الله كتب الإحسان في كل شيء، وأمر أمته إذا قتلوا أن يحسنوا القتلة وإذا ذبحوا أن يحسنوا الذبحة، ولعل ذلك يقتضي أن نختار أقرب الطرق وأولاها بالإحسان في قتل من يستحق القتل، ونسأل الله العافية.

• العقوبة في الشريعة الإسلامية لا ترمي إلى الانتقام من الجاني أو إيقاع الإيلام بجسده لمجرد الإيلام. فهل تتفضلون ببيان الأسس الدينية والمصالح المرعية التي أقام الشارع الحكيم على أساسها مبدأ العقوبة في الإسلام؟

م. ن. ع

الحدود الشمالية، طريف، السعودية.

- يقول علماء النفس إن المجرم عادة لا يوازن عند ارتكابه الجريمة بين اللذة أو الفائدة التي يجنيها من الجريمة وبين الألم أو الخسارة التي يتعرض لها بالعقاب عليها.

وعند تأمل النصوص المشرِّعة للعقاب في القرآن الكريم والحديث الشريف يبدو لي أنها تفسح مجالاً لهذه الفكرة، فهي لا تُوظِّف العقاب ليكون رادعًا مباشرًا للمجرم، وإنما ليكون علاجًا واقيًا من ارتكاب الجريمة؛ بمعنى أن تُوْجِدَ ارتباطا في ذهن الإنسان بين فعل الجريمة وبين أمر مكروه وبغيض مؤلم هو العقاب. ووجود هذا الارتباط الذهني في ذاته عامل فعال في تثبيط الرغبة في ارتكاب الجريمة، وهذه الفكرة - كما هو واضح - من التطبيقات الواقعية لنظرية بافلوف المشهورة التي تقوم أقوى الأدلة على صحتها. وقد استُغلَّت هذه الفكرةُ لعلاج الإدمان على الخمر مثلاً؛ إذ يعمد إلى أن يقترن شرب الخمر وهو أمر مرغوب فيه لدى المدمن بأمر مكروه وبغيض إليه هو القيء، فيجري الترتيب بأن تُمزج الخمر بمُقَيِّئ، وذلك لإيجاد الارتباط الذهني بين المرغوب والمكروه؛ فينتج من ذلك في كثير من الأحيان توقف المدمن عن شرب الخمر. وقد لوحظ أن هذه النتيجة تقع حتى لو كان المدمن عالمًا بمثل هذا الترتيب والغاية منه.

ويظهر هذا واضحًا في عقاب الزاني، وقد يكون أشد أنواع العقاب - كما في حالة الرجم - فتشريع هذا العقاب رُبط بالتشديد في شروط الإثبات، حتى ليَبْدو أنه يَقْرُب من المستحيل عادةً تحقُّق شروط الإثبات بالشهادة، ولذلك فربما لم تُسَجَّل حادثة واحدة - في تاريخ الإسلام كله وطوال أربعة عشر قرنا - نُفِّذَ فيها رجم الزاني بناء على ثبوت الزنى (بالشهادة).

لقد ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» حادثة واحدة ربما وقعت في القرن الخامس أو السادس - واستَغْرَبَ منها - وقال إنها أول حادثة تقع في تاريخ المسلمين بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولكن هذه الحادثة إذا كانت وقعت فعلا، فليس هناك ما يدل على أن الحكم نُفِّذَ بناء على ثبوت الفعل بالشهادة، أو أنها اتُّبعت الضوابط الشرعية للإثبات بالشهادة في مثل هذه الحالة.

أما بالنسبة لإثبات الفعل بالاعتراف؛ فواضح هدي الشرع الحكيم في هذا بأن الاعتراف لا يجوز أن يُنْتَزَع ولا يُجْتَلَب، بل يُشَجَّع الفاعل على عدم الاعتراف وستر نفسه، بل إن أثر الاعتراف يُلْغَى إذا رجع عنه المعترف في أي وقت حتى في أثناء تنفيذ العقوبة.

وعند تصور هذا الأمر، فهل كان تشريع العقاب عبثا أو لَغْوًا ؟ تعالى الله، وإنما كان غاية الحكمة، ولِتُدْرِكها، افترض في ذهنك ما شئت من أبدال فلن تجد الحكمة في غير هذا.

ولنرجع إلى المقدمة:

إن هذا الفعل شنيع ومنكر وفساد - في المجتمع - كبير، ولكنَّ الداعي إليه قويٌّ ومُلِحٌّ ومُركَّبٌ من غريزة الإنسان، وقد علم الله أن قوة هذا الداعي سوف تطغى على المخافة من عقاب الدنيا وعقاب الآخرة في حالات من الضعف البشري ليست نادرة في واقع الحياة بل كثيرة.

فهل من الملائم أن يُنظر فقط إلى قوة الداعي وعذر الإنسان بالضعف وتُفرض عقوبة خفيفة بشروط إثبات صعبة؟!

أم يُنظر فقط إلى شناعة الفعل وما ينبغي أن يرسخ في شعور الإنسان عن هذه الشناعة فتُفرض عقوبة قاسية بشروط إثبات عادية؟

في الحالة الأولى - وبحكم ما تعوده الإنسان من وزن الفعل بالعقاب -، سيتنامى الشعور لدي الإنسان باستسهال هذا الفعل والاستهانة به والتسامح تجاهه.

وفي الحالة الثانية: لن يظهر اقتران رحمة الله وعلمه وإرادته التخفيف عن عباده، مع واقع الإنسان، وضعفه، وعجزه عن السيطرة دائمًا على غريزة من أقوى غرائزه.

إن فرض عقوبة شديدة على الفعل حتى مع ندرة الفرص لتنفيذها كاف لقيام الارتباط الذهني بين الفعل وموجب كراهيته، وهو المطلوب؛ إذ هو العامل المؤثر في تثبيط الداعي إلى الفعل.

وتطبيقًا للفكرة المشار إليها يعمل الشارع الحكيم على مقاومة: *أَنْ تَشيعَ الفَاحشَةُ في الَّذينَ آمَنُوا*، إذ إن شيوعها كاف في ذاته لإضعاف ما هو مطلب للشارع من الارتباط الذهني بين الجريمة، وموجبات كراهيتها، ولذلك

فيما عدا حالات خاصة كبعض الولايات العامة ، فإن الأصل في عمل المرأة الإباحة ، ولا قيد في ذلك إلا أن يكون العمل محرمًا أو يكون ذريعة - وفق الضوابط العامة لمبدأ سد الذريعة - لمحرم

يعطي مجالاً أوسع لإمكان تنفيذ العقوبة على القاذف، بعدم التشدد في شروط الإثبات؛ إذ يُكتفى في إثبات القذف والجزاء عليه بشهادة عدلين من المسلمين.

ولا يُجلد الزاني البكر مئة جلدة، إلا بشهادة أربعة عدول، بالشروط المتشددة للشهادة، ولكن يُجلد القاذف غيره بالزنى ثمانين جلدة، بشهادة عدلين بالشروط العادية للشهادة. وربما كان من تطبيقات هذه الفكرة الحرص على علانية العقاب: *وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ*. **النور**: 2؛ لتبقى صورة العقاب الكريهة البغيضة حيَّة في الشعور مرتبطةً في الذهن بفعل الجريمة.

ويؤكد معنى أن العقاب ليس مطلبًا للشارع بذاته ولا أنه في اعتبار الشارع الموازن المادي لفعل الجريمة، ولا أنه مقابل لرحمة الرؤوف بالعباد الذي وسعت رحمته كل شيء ولإرادته التخفيف عن عباده، يؤكد ذلك التمييز في العقاب وشروط إيقاعه بين الجريمة المتمثلة في التجاوز على حقوق الله والجريمة المتمثلة في التجاوز على حقوق الإنسان.

ففي النوع الأول لايكون التَّشَوُّفُ للعقاب، ويَنْدُبُ الستر من المذنب (على نفسه) ومن غيره عليه، أما في النوع الثاني فالرحمة بالمذنب تتعارض مع الرحمة بالمجني عليه وهو أحق بها، وأولى بالحماية.

• بتوفيق من الله تعالى تلتزم المملكة إقامة الحدود والتعازير المقررة شرعًا على ما يُسمَّى بالجرائم الجنائية، بينما تُطبِّق معظم الدول المعاصرة النظم الوضعية بما فيها من عقوبات كالحبس والسجن على الجرائم نفسها. فهل لكم أن تتفضلوا بتوضيح إلى أي مدى استطاع كلا النظامين استئصال شأفة الجريمة من المجتمع؟

د. الشافعي عبدالواحد

جامعة الملك سعود، الرياض.

ـ العقاب في ذاته لا يستأصل الجريمة من المجتمع، والمجتمع الذي يطلب الإصلاح بالرهبة ووسائلها سوف يفيق على اكتشاف ضياع جهده. الكفاح الناجع ضد الجريمة إنما يكون بخلق الشعور بعدم الرغبة فيها، وسياسة العقاب لا العقاب نفسه ـ كما أوضحت في الإجابة عن السؤال السابق ـ أداة لخلق هذا الشعور. صحيح أن الرهبة ووسائلها قد تكون وسيلة علاج ولكنه العلاج الوقتي الوهمي، وشواهد هذا من الواقع ظاهرة واضحة تمتلئ بها تواريخ أنظمة التسلط والقهر، واقرأ إذا شئت التاريخ المعاصر للأنظمة الدكتاتورية الشيوعية.

والمجتمع المسلم ينبغي في تطلبه للإصلاح ومكافحة الفساد أن يهتدي بهدي الله بأن يحرص على تربية أفراده على التقوى وتوعيتهم بموجباتها. وإذا استيقظ في الإنسان الرقيب الذاتي على مشاعره وأفكاره وتصرفاته، كان الضمان بوجود الصلاح واندحار الفساد.

ولم تتضح لي في السؤال المقابلة بين التعزير والسجن، لأن السجن أداة من أدوات التعزير، وفي المملكة العربية السعودية كما يكون السجن أداة من أدوات التعزير تخضع في إيقاعها وحجمها لتقدير القاضي، فإنه أيضا عقوبة جنائية تفرضها أنظمة المملكة المكتوبة بأقدار معينة على جرائم معينة.

وإذا كان القصد من السؤال المقابلة بين الأذى الجسمي (الجلد) كعقاب تعزيري والسجن كعقاب تعزيري من حيث أيهما أقرب للصلاح وتحقيق الآثار المطلوبة للعقاب؛ فيلاحظ أن الأذى الجسمي عقوبة قاصرة على المذنب، أما السجن فعقوبة متعدية إلى الأبرياء المعتمدين في معاشهم عليه. والجلد ينتج الآثار النفسية المرغوب فيها المشار إليها في الإجابة عن السؤال السابق؛ في حين تتخلف أو تضعف في حالة السجن. والجلد أسلم من الآثار (الجانبية السلبية)، أما السجن فإن الآثار السلبية المصاحبة له متعددة، سواء من الناحية التربوية أو الاجتماعية أو الاقتصادية.

ولذلك فإن ميل النظام القضائي لدينا إلى العدول عن التعزير بالجلد إلى التعزير بالسجن لا أجد له سببًا إلا غلبة الزخم الثقافي الغربي، ولا ينبغي أن يُؤَسَّسَ تقويم الأشياء على التراث الثقافي لشعب ما CULTURE وإنما يُؤَسَّس على العقل والمنطق والتجارب العملية.

• تتعالى أصوات بعض المرجفين والحاقدين على الإسلام بدعاوى الشفقة والرحمة عندما تُنَفَّذ الحدود والتعازير الشرعية على القتلة في المملكة، بينما تُطبِّق بعض الدول عقوبة الإعدام في مثل هذه الحالات. فهل لكم أن تبينوا أوجه الاختلاف والتشابه بين عقوبة القتل حدًا أو تعزيرًا وعقوبة الإعدام التي تطبقها النظم الوضعية، وجدوى كلا العقوبتين في استقرار الأمن وشيوع الطمأنينة بين الناس؟

د. الشافعي عبدالواحد

ـ قتل القاتل ـ عندما يوجد موجبه ـ ليس عقوبة إعدام، وإنما هو قصاص، وفرق بين الأمرين، إذ القصاص حق لأولياء المقتول، فليس عقوبة على جريمة بالمعنى الدقيق، إذ العقاب على الجريمة توقيعه لا يتوقف على الاختيار الإرادي لأحد، في حين أن القصاص توقيعه يتوقف على الاختيار الحر للولي. وهذا سر الفرق في الأحكام الشرعية الإسلامية بين القصاص، وعقوبة القتل على جرائم معينة. والغفلة عن هذا الفرق جعلت كاتبا إسلاميا كبيرًا يستنكر أن لا يُقتل المسلم بالكافر، مع أن هذا موجب العدل. ففي حالة قتل المسلم للمسلم وإعطاء الولي المسلم للمقتول حق القصاص فإن هناك إمكانية جدية لعفو الولي عن القاتل؛ إذ لديه دافع لذلك من إيمانه بأن: *مَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا*. أما الولي الكافر فلا دافع لديه للعفو فإعطاؤه حق القصاص مع هذا الفارق عين الظلم؛ لأن الظلم كما يكون بالتفريق بين المتماثلين يكون بالتسويه بين المختلفين.

وفي حالة قتل المسلم للمسلم وإعطاء وليّه المسلم حق القصاص فإنما يُعطى هذا لمن يؤمن بأن له هذا الحق، أما الولي الكافر فيعترف بأن لا حق له في القصاص لأنه لا يؤمن به وهذا فارق ثان.

• يزهو كثيرٌ من القانونيين ودعاة حقوق الإنسان بالضمانات التي تكفلها الأنظمة الوضعية لحماية المتهمين ويقولون إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، فهل يمكن أن توضحوا لنا الضمانات والحقوق التي كفلتها الشريعة الإسلامية للمتهم؟

سلمان المرّي

ص.ب 115، عرعر، السعودية.

ـ مما فطر الله عليه الإنسان حب العدل وكراهية الظلم، ويدرك الإنسان أن لا قيامَ للمجتمع ولا بقاء له إلا بضمان العدل ومقاومة نوازع الظلم. والقوانين الوضعية إنما ترمي لذلك وفق تصور الإنسان للعدل وقد يكون هذا التصور قاصراً أو فاسداً، والمبادئ التي أشار إليها السؤال، مثل: مبدأ وجوب توفير الضمانات الكافية للمتهم للدفاع عن نفسه وحصوله على محاكمة عادلة، ومبدأ أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، ومبدأ أن الشك يُفَسَّر لصالح المتهم، كلها مبادئ صحيحة يقتضيها العدل، والمجتمع الذي تُطَبَّق فيه على الوجه الصحيح دون إفراط أو تفريط أو انحراف يحق لأفراده أن يزهوا بها ويفرحوا، والإسلام لا يكتفي بقبول هذه المبادئ بل يطبقها على الوجه الصحيح، والاطلاع على القواعد الفقهية، ومطالعة باب القضاء في كتب الفقه في مختلف المذاهب، ودراسة تاريخ القضاء والقضاة في الإسلام يوضح هذا الأمر.

والحماسة لهذه المبادئ في دول الغرب، مظهر من مظاهر تقدمها بل الأحرى أن يكون عاملاً من عوامل ذلك التقدم.

وإذا كان لا بد للمسلم أن ينتقد الغرب فليوجه انتقاده إلى عيوبه. أما مزاياه فينبغي أن ينافسه فيها ويسابقه إليها، واعيًا بأن العدل ـ في الإسلام ـ قيمة مطلقة، لا مجال فيه لازدواج المقاييس، أو نسبية التطبيق؛ وسَبْقُ الإسلام للغرب في تصوُّر العدل لا يماثله مع الأسف إلا سَبْق الغرب للعالم الإسلامي الجغرافي المعاصر في تطبيقه.

منتدى «الفيصل»
مع معالي الشيخ
صالح بن عبدالرحمن الحصين



• من المعلوم أن التسعير أمرٌ حرمته الشريعة الإسلامية إلا في حالات خاصة، ويبقى الأمر متروكًا لقاعدة العرض والطلب التي تُعدّ من أهم القواعد الاقتصادية الحديثة. فلو تكرمتم ببيان حكمة التشريع الإسلامي في منع التسعير والحالات التي رخص فيها لولي الأمر بالتدخل لتسعير السلع.

د. إبراهيم بن محمد العابد
ص.ب 730، حفر الباطن، السعودية.

- امتناع النبي - صلى الله عليه وسلم - عن تقييد حرية التصرف في البيع (التسعير) ليس لمعنى خاص بالتسعير، وإنما هو تطبيق لاتجاه الشرع الحكيم في الامتناع عن تقييد حرية الإنسان في التصرف دون ضرورة لهذا التقييد، بل هو امتناع عن التدخل لتعديل آلية القوانين الطبيعية - وهي سنن الله الكونية التي أقامها الله لصلاح العالم - إلا إذا اقتضت هذا التدخل مقاومة تشويه هذه القوانين أو الانحراف بها.

بل الامتناع عما يزيد على حاجة الإنسان - والله أعلم بها - من الأوامر والنواهي.

والإنسان الضعيف الجهول لا يمكن أن يحيط بحكمة الله في أمره الكوني أو الشرعي، ولكن قد يستفيد علمًا بها من الظواهر التي أقامها الله للدلالة عليها. وتدبير الشارع الحكيم في الاقتصاد في الأوامر والنواهي وفي تقييد حرية الإنسان ظاهر من مجموع نصوص القرآن والسنة. لقد أعلمنا الله بأنه يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر، وأنه يريد أن يخفف عنا، وأن يضع عنا الآصار والأغلال من الحظر والتحريم التي جلبها الإنسان على نفسه بحمقه وطيشه، وضرب لنا المثل في صورة معبرة من قصة البقرة، ونهى صراحة عن السؤال عن أشياء لأن الجواب سوف يكون دائمًا قانونًا واجب الطاعة. والقانون دائما تجاوز على حرية الإنسان لا يسوّغه إلا أن تقتضيه مصلحة للإنسان لا تقل قيمتها عن قيمة حريته، كما أوضحت لنا ذلك النصوص الكثيرة من توجيهات النبي الكريم العزيز عليه ما يُعنت أمته الحريص عليها الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، وأوضحته أقوال صحابته عند وصفهم هديه في الأمر والنهي، وحين يذكرون أنه يترك بعض الأمر خشية أن يجب على أمته، ويترك الأمر خشية أن يُعنتَ أمته، وقد تأدبوا بتأديبه في ترك سؤاله حتى مع رغبتهم في السؤال.

الإسراف في إصدار القواعد القانونية يعني وجود غابة من القوانين يضل فيها القانوني الضليع وتكون مباءةً صالحة للإجرام حيث توجد أفضل الفرص للفساد الإداري

وإذا أردت شاهدًا من واقع الحياة على حكمة هذا الاتجاه، فاعتبر بالسلوك المختلف للناس في مجال فرض القواعد التنظيمية ووازن بين سلوك البلدان المتقدمة التي رُزقت علمًا بظاهر من الحياة الدنيا، وحكمة في تدبير المعاش، والبلدان الأخرى العاجزة عن اجتياز حاجز التخلف في المجال القانوني والإداري.

ففي البلدان المتقدمة تتعامل الإدارة مع إصدار القواعد التنظيمية سواء في ذلك القوانين واللوائح والقرارات والإجراءات تعامل الطبيب الحكيم في وصفه للدواء المضاد للحيوية حيث لا يصفه إلا للحاجة وبقدرها، وبعد الموازنة بين فائدته وأضراره الجانبية.

والاتجاه العام في تلك البلدان تغليب جانب الاقتصاد في الأوامر والنواهي والقيود على حرية التصرف.

وعلى العكس من ذلك في البلدان المتخلفة، الاتجاه الغالب الإسراف والطيش في إصدار القواعد التنظيمية، والاعتماد عليها في الإصلاح وحل المشكلات بدافع الانخداع بسهولة هذا الأمر وأنه حلٌّ متاحٌ في كل وقت وتحت كل ظرف ولا يكلف الإدارة إلا الورق الذي يكتب عليه؛ غير مُنتبهة إلى أن هذا السلوك يُرسِّخ التخلف الإداري والقانوني؛ فتدور في حلقة مفرغة ويتزايد تخبطها في شبكة العجز والمعاناة.

وفي تشبيه القوانين بالأدوية المضادة للحيوية؛ من الطريف أن تقريرًا صدر من إحدى المنظمات الدولية منذ سنوات تضمن إحصاءات تُظهر أن نسبة كلفة الأدوية المضادة للحيوية إلى مجموع ميزانية الدواء في ألمانيا 4٪، بينما تبلغ هذه النسبة في تنزانيا40٪.

ولقد قيل إن مجموع القواعد القانونية الصادرة في بلد عربي في مرحلة زمنية معينة يبلغ أضعاف مجموع القواعد القانونية في السويد في المرحلة نفسها.

إن الإسراف في إصدار الأوامر والنواهي والقيود على سلوك الإنسان من شأنه أن ينتج السيئات الآتية:

1- التجاوز على حرية الإنسان، والأصل أن من مقاصد الشرع حماية حرية الإنسان مادامت لم تتعد حدود الله أو تتعد حدود حرية الفرد أو حقوقه. وحرية الإنسان أثمن لديه من ماله، ولعل هذا ما قصده النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما علّل امتناعه عن التسعير بأنه لا يحب أن يلقى الله بمظلمة لإنسان. والظلم بالعدوان على الحرية قد يكون أبلغ من الظلم بالعدوان على المال.

2- إرباك آلية القوانين الطبيعية، وهي سنن الله في الكون التي جعلها قيامًا للحياة، والأصل أنه لا مسوّغ للتدخل في آلية القوانين الطبيعية إلا بقصد مقاومة التشوهات والانحرافات التي تلحق بها كتلك التي تنتج من الاحتكار الفعلي أو القانوني.

3- الإنسان في كثير من الأحيان لا يستطيع أن يفكر بطريقة شمولية وتكاملية، وإنما يكون - وهو يقصد الإصلاح - معنيًا بمصلحة معينة فيتدخل بالأمر أو النهي لتحقيقها، ولكن هذا التدخل قد يُفَوِّت مصلحةً أخرى. هي أيضا من مقاصد الإصلاح، وكلما زاد التدخل من هذا النوع زاد هذا الاحتمال.

4- الإسراف في إصدار القواعد القانونية (الأوامر والنواهي والقيود) مُرَسِّخ للتخلف الإداري والقانوني من وجوه:

أ - الغالب أن هذا الإسراف يحدث في البيئة المتخلفة إداريا وقانونيًا - كما تقدم - ولما كانت أي قاعدة قانونية جديدة تمثل عبأً إداريا جديدًا؛ فإن ذلك يعني أن الإدارة العاجزة عن حملها تضيف حملاً جديدًا إلى نفسها بإصدارها القاعدة القانونية، فتزيد عجزًا على عجز.

ب - وإذا كانت الإدارة عاجزة فإن ذلك يعني أن تبقى القواعد القانونية فاقدة

ليكون لدى الإنسان استعداد نفسي لقبول التعايش مع القواعد الآمرة أو المقيدة، ويجد في نفسه الدافع لحمايتها؛ يجب أن يراها حكيمة وعادلة

للقوة الكافية لتطبيقها فتُعَطَّل القاعدة أو تُطبق بصورة شوهاء، وذلك في كثير من الأحيان أسوأ من تعطيلها.

ج ـ الإسراف في إصدار القواعد القانونية يعني وجود غابة من القوانين يضل فيها القانوني الخرّيت وتكون مباءةً صالحة للإجرام حيث توجد أفضل الفرص للفساد الإداري، وهو كما نعلم الطابع المشترك بين البلدان المتخلفة؛ ومع التخلف الإداري كيف يمكن أن يوجد تقدم اقتصادي أو تقني أو تربوي؟

د ـ الإسراف في إصدار القواعد القانونية يعوّد المواطن عدم احترام القانون ومحاولة التَّفلُّت منه، والخروج عليه، واعتبار القانون عدواً يستعد دائماً لمقاومته والتحايل عليه.

هـ ـ ليكون لدى المواطن استعداد نفسي لقبول التعايش مع القواعد الآمرة أو المقيِّدة، واعتبارها صديقا يضمن له الولاء، ويجد في نفسه الدافع لحمايتها؛ يجب أن يراها حكيمة وعادلة. والإسراف في إصدار القواعد القانونية حري بأن ينتج قواعد غير حكيمة أو غير عادلة، أو غير حكيمة ولا عادلة، كما هو الشأن في كثير من القواعد القانونية التي تصدر في البلدان المتخلفة.

وبعد؛ فأحرى بالعالم الإسلامي ليجتاز حاجز التخلف الإداري والقانوني أن ينتفع بهدي القرآن الكريم والسنة الشريفة في الأمر والنهي وتقييد حرية الإنسان في التصرف والسلوك، وإذا عزّ عليه ذلك فلينتفع بالتأسي بالبلدان المتقدمة التي رُزقت من الحكمة في تدبير المعاش بقدر ما فات البلدان المتخلفة.

• تنتشر في الحياة صور الشركات التجارية المستمدة من الأنظمة الوضعية مثل: شركات المسؤولية المحدودة وشركات التضامن والمساهمة بالأسهم. والمعلوم أن الفقه الإسلامي نظم المشاركة في صور شركات مثل: شركة العنان وشركة المفاوضة وبعض الصور الأخرى. ونرغب من فضيلتكم إعطاء نبذة عن معالم الشركات في الفقه الإسلامي وأهميتها في حفظ حقوق الشُركاء وضمانها.

هالة الفخراوي محمد
السعودية

ـ أشرت في إجابة السؤال الأول إلى أن الفراغ الفقهي في بلدان العالم الإسلامي الناتج من التغيير الكلي والسريع في أنماط الحياة، أفسح مجالاً واسعًا لأنواع الشركات التي ترجع في مصدرها التاريخي إلى الفقه الغربي، وهذا بالطبع جعل المجال محدودا أمام أنواع الشركات التي ترجع في مصدرها التاريخي إلى الفقه الإسلامي.

إن شركات العنان والوجوه والأبدان والمفاوضة، وحتى المزارعة والمساقاة، ظلت حية في بطون الكتب الفقهية وفي بحوث الأكاديميين تحقيقًا ودراسة، ولكنها انحسرت من واقع العمل.

لقد قدّم الرواد الأوائل من الاقتصاديين الإسلاميين المشاركة على أنها البديل في المصرف الإسلامي للفائدة، وصُوِّرت على أنها سوف تكون محور النشاط في المصرف الإسلامي. ولكن الذي حدث أنها أصبحت في المصارف الإسلامية مجرد رمز. ولا أعتقد أن الاقتصاديين الإسلاميين المشار إليهم غير محقين في أن المشاركة يمكن أن تؤدي دوراً مهماً في عمليات المصرف الإسلامي ـ وإن لم تكن وحدها كافية لتكون البديل عن الفائدة الربوية، وإنما يجب أن تنضم إليها أدوات أخرى من العقود والتصرفات الشرعية، التي لم تجربها المصارف الإسلامية حتى الآن أو لم تجربها بالقدر الكافي ـ، ولكن ربما كان من الأسباب لعدم وفاء المشاركة بالآمال التي عُلِّقت عليها أنها ظلت في أسر قيود الصناعة الفقهية لفقهائنا العظماء السابقين، ولم يستطع فقهاؤنا المعاصرون تطوير هذه الصناعة في إطار الحدود الشرعية لحرية العقود والشروط، ولو وُجدت حركة فقهية في هذا الاتجاه لكان غالب الظن أن يتحول حتى ما يُدَّعَى أنه نقطة ضعف في الشركات مثل جواز العقد وعدم لزومه أن يتحول إلى نقطة قوة.

إن الأمل يتركز في وجود حركة فقهية واعية وجريئة: واعية بحيث يكون لديها تصور كاملٌ واضح عن واقع الحياة ومتطلباتها وحاجات الإنسان في بيئته المعاصرة، وجريئة بحيث يسهل عليها التمييز بين ما هو راجع ومستند من الأحكام إلى محض الصناعة الفقهية البشرية، وما هو راجع ومستند إلى الوحي؛ إما في نصوص الشريعة الخاصة أو في قواعدها العامة.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



معالي الشيخ
صالح بن عبدالرحمن الحصين
في سطور:

ـ من مواليد شقراء، المملكة العربية السعودية 1351هـ.
ـ حاصل على الشهادة العالية، كلية الشريعة 1374هـ، والدبلوم العالي في الدراسات القانونية 1377هـ، والماجستير في الدراسات القانونية، معهد الدراسات العربية، القاهرة 1380هـ.
من المناصب التي شغلها معاليه:
• مستشار في المجال القانوني في وزارة المالية، ورئيس لهيئة التأديب 1390هـ.
• عضو المجلس الأعلى لعدة مرات لجامعة الرياض (جامعة الملك سعود حاليًا)، وجامعة الملك عبدالعزيز سابقًا، وجامعة الملك فيصل والجامعة الإسلامية.
• وزير دولة؛ وعضو مجلس الوزراء، وعضو في المجلس الأعلى للدعوة والإرشاد.
• له مجموعة من البحوث والمقالات والمحاضرات في مجالات الاقتصاد الإسلامي والفكر والثقافة.

الدكتور معروف الدواليبي في «منتدى الفيصل»



معالي الدكتور محمد معروف الدواليبي

- سعودي الجنسية، من مواليد مدينة حلب، سورية 1909م.
- مستشار في الديوان الملكي.
- حاصل على إجازة في الشريعة والعلوم الإسلامية وليسانس الحقوق، كلية الآداب جامعة دمشق 1935م، ودبلوم في الدراسات العليا في الحقوق الرومانية 1941م، ودبلوم في الحقوق الكنسية، ودكتوراه في القانون والحقوق الرومانية، جامعة باريس 1946م.
- عمل أستاذًا للقانون وعلم الأصول والنهضة الإسلامية والتاريخ القانوني بكلية الحقوق في الجامعة السورية ابتداءً من 1947م، ونائبًا بمجلس النواب بمدينة حلب السورية 1947- 1963م، وأستاذًا في كلية الشريعة، جامعة دمشق بعد أن شارك في تأسيس الكلية عام 1950م.
- شغل عددًا من المناصب الوزارية في سورية، فعمل وزيرًا للاقتصاد 1950م، ورئيسًا للوزراء، ورئيسًا لمجلس النواب 1951م، ووزيرًا للدفاع 1954م، ورئيسًا للوزراء ووزيرًا للخارجية 1961- 1962م.
- من مؤلفاته: «المدخل إلى علم أصول الفقه»، «المدخل إلى السنة وعلومها»، «الاجتهاد في الحقوق الإسلامية» أطروحة بالفرنسية، «الإسلام أمام الاشتراكية والرأسمالية» باللغتين العربية والإنجليزية، «الوجيز في الحقوق الرومانية»، «المدخل إلى التاريخ العام للقانون» الذي أعيد طبعه تحت عنوان «جزيرة العرب مهد الحضارة الإنسانية الأولى، ومهد نشأة فكرة الحق والقانون»، «دراسات تاريخية عن مهد العرب وحضارتهم الإنسانية»، «نظرات إسلامية» مجموعة أبحاث، «حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام» مجموعة ندوات علمية في الرياض وباريس والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي في جنيف والمجلس الأوربي في ستراسبورغ، «الدولة والسلطة في الإسلام»، «أكذوبة الأرض الموعودة لبني إسرائيل من الفرات إلى النيل» دراسة.

آراء من مؤلفاته:

«من الثابت أن الإسلام أقام دولته العظمى العالمية من غير سابق لها في جزيرة العرب، ومن غير استعداد قبائلها الأمية لها قبل الإسلام، وأنه قد أقامها على مبادئ سامي ة، وقيم عالمية جديدة، لم يكن للعرب ولا لغيرهم عهد بها من قبل محمد».

الدولة والسلطة في الإسلام- بحث ألقي في الندوة الدولية في اليونسكو في باريس 1982، دار الشواف.

«العلم في الإسلام الطريق إلى معرفة الله وعبادته وعمارة هذه الأرض بسلام. ولذلك أطلق الإسلام على مجمل دعوته القائمة على هذا الأساس أنها «دعوة إلى الحياة» وآخى في كل ذلك ما بين الدين والعلم، وما بين الدين والعقل، وما بين الدين والفكر، وبالجملة، فقد آخى ما بين الدين والحياة».

حقوق الإنسان الثقافية في الإسلام، ندوة في الفاتيكان، من كتاب «ندوات علمية حول الشريعة الإسلامية وحقوق الإنسان في الإسلام»، دار الشواف.

«إذا كان لكل إنسان الحق الطبيعي بأن يهاجر من أرضه، غير أنه ليس له الحق بأن ينزل في أرض ليست له إلا برضاء وترحيب وإذن من أصحاب الأرض الحقيقيين، وذلك كما تفعله اليوم الولايات المتحدة الأمريكية التي رفضت هجرة اليهود إليها، وكما رفضتها أيضًا بقية الدول الأوربية».

دراسة حول أكذوبة الأرض المدعوة لبني إسرائيل من الفرات إلى النيل، دار الشواف.

«ما أشبه عالمنا الحديث اليوم في صراعه ما بين الشرق والغرب، وما بين القوي والضعيف وما بين الغني والفقير، ما أشبهه بالعالم القديم الذي فاجأه الإسلام، وهو في صراع دائم على حساب الكرامة الإنسانية والحياة الإنسانية والوحدة في الأسرة الإنسانية».

من محاضرة عنوانها «دور المسلمين في بناء الحضارة الإنسانية: في القانون»، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

مع الله

شعر: خالد فوزي عبده

حَسْبي منَ اللّه تكريمٌ وإحسانُ   أنّي بنعْمَتِه الغرّاء إنسانُ
لي خافقٌ لم يَزَلْ باللّه مُؤْتَلقًا   ولي ضَميرٌ وإدْرَاكٌ ووجْدانُ
ما رَقَّت النفسُ أو شَفَّتْ بما اختَلَجَتْ   إلاَّ لِيَغْمُرَها هَدْيٌ وإيمانُ
تَبَارَكَ اللّهُ نُورًا شَعَّ في خَلَدِي   فلألأتْ في حَنايا النفسِ أركانُ
إنّي لِقُدْرَتِه أعْنُو، ويُبْهِجُني   أنْ يُسْعِدَ النفسَ تسليمٌ وإذْعانُ
أزْهُو بِرَعْشَةِ إحساسٍ بِهَيبَتِه   وبالرِّضَى وَخُشوعِ النفسِ أزْدانُ
تَمُورُ في جَسَدي أسرارُ مَنْعَتِه   وليس لي فَوْقَها عِلْمٌ وسُلطانُ
تُسَبِّحُ اللّهَ فيه كُلُّ جَارِحَةٍ   ما رَفَّ نَبْضٌ بها أو سَالَ شِرْيانُ
ما العقلُ يَهْدِيه بالإيحاء خالقُهُ   حتى يَلُوحَ له عَدْلٌ وطُغيانُ
ما الكَفُّ تَدْرِي بِوَحْيِ اللّه غَايَتَها   وفي البَنانِ لها جُنْدٌ وأعْوانُ
ما الطَّرْفُ يَجْلُو بأمْرِ اللّه حالكَةً   إنْ كان في عَوْنِه نُورٌ وإنْسانُ
ماذا أعُدُّ مِنَ الآياتِ في جَسَدي   وكُلُّها عن جلالِ اللّه إعلانُ
ما عالَمٌ في زوايا النفسِ مُستَتِرٌ   فيه الهواجسُ والأهْواءُ ألْوَانُ
أرادَهُ اللّهُ بحْرًا هاجَ غَارِبُهُ   وما استَقَرَّ له لُجٌّ وقِيعانُ
سِرٌّ تَفَرَّدَ رَحْمَنٌ بغَيْهَبِه   وكم تَفَرَّدَ بالأسرارِ رَحْمَنُ
وكيف أُحْصِي بعَيني كُلَّ مُعجِزَةٍ   ما كان يَبْلُغُها قَدْرٌ ولا شانُ
هُذي السمواتُ آيٌ من رَوائعه   وفَوْقَها منْ بديعِ الخَلْقِ أكْوانُ
أيَّ البَراهينِ أجْلُو وَهْيَ شَاهِدَةٌ   عتيدةٌ، وهْيَ للإعجاز عُنْوانُ
فقَطْرَةُ الماء بُرهانٌ، وإنْ صَغُرَتْ   وذَرَّةُ الرَّمْلِ في البَيْداء بُرْهانُ
تَجَمَّعَ الماءُ لَمّا شاءَ صانِعُهُ   فصارَ للْيَمِّ أمْواجٌ وشُطْآنُ
وأصْبَحَ الرَّمْلُ طَوْدًا لا يُطاوِلُهُ   أُفُقٌ، وتَحْضُنُهُ أرْضٌ وصَوّانُ
ألَيْسَ في صَحْوَةِ القَفْراءِ مُعْجِزَةٌ   وقد سَقاها عَميمُ الغَيْثِ هَتّانُ
وفي تَلَهُّفِ طفْلٍ إذْ تُعانِقُهُ   أمٌّ، وقد شاقَهُ حُبٌّ وتَحْنانُ
جَلَّ الذي خَلْقُهُ بالفَضْلِ مُعْتَرِفٌ   فلم يُرَنِّقْ صَفاءَ الفَضْلِ نُكْرانُ
فزَهْرَةُ الرَّوْضِ ما تَنْفَكُّ لاهِجَةً   بشُكْرِه، فالشَّذَى حَمْدٌ وعِرْفانُ
والطيْرُ حامِدَةٌ بالشَّدْوِ خالِقَها   جَذْلَى، وقد ضَمَّها في الدَّوْحِ أفْنانُ
وللنَّميرِ لِرَبِّ الكَوْنِ أغنيَةٌ   وللنَّسيمِ لِرَجْعِ السَّجْعِ آذانُ
وللسَّنابِلِ تَمْجيدٌ لِبارِئِها   وقد زَهَتْ بِنُضارِ الحَبِّ تِيجانُ
والعَيْنُ شاكِرَةٌ تَدْعُو لِخالقِها   إنْ أخْلَدَتْ لِهَنِيءِ النومِ أجْفانُ
كُلٌّ، كما شاء بارِيهِ، لَهُ لُغَةٌ   حتّى يَتِمَّ بها، لِلّهِ، شُكْرانُ

أقوال
الماضي للحاضر

نوع من الذكاء



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

الذكاء أنواع، ومن الصعب تحديد عدد أنواعه، لأنها تكاد تكون بعدد الأشخاص، وبعدد ما يأتي منهم من أفعال؛ وكل فعل فيه لمحة ذكاء هو نوع قائم بذاته، وإن حكمت مجموعةً من أنواع الذكاء قاعدةٌ عامّةٌ، إلا أن ما يدخل تحتها يتعدد وينقسم إلى أقسام.

وقد يحكم الذكاءَ المحيطُ الذي يعيش فيه الشخص، وقد تكون الحاكمة لذلك طبيعة الذكي، أو تربيته، أو تعليمه؛ وقد تكون التجارب العديدة التي تمر به في حياته الطويلة، فيستفيد منها ذكاء، يتمثل في مقدرته على الاستفادة مما مرَّ به، للكسب، أو الخروج من مأزق، أو لربح سباق من نوع أو آخر. وإذا كانت الحاجة أم الاختراع، فهي أيضًا أم الذكاء، لأن الحاجة قد تجبر الإنسان على التفكير العميق، وكد الذهن، لما يسد الحاجة، ويقضي على العوز.

والحيل الناجحة عادة يكمن خلفها ذكاء، وقد يكون ذكاء مفرطا، يأتي بالهدف بطرائق مدهشة، والمحتالون قد يعيدون الحيلة نفسها على شخص بعينه، وهذا قليل النجاح، وقد يختارون لها ضحية أخرى، وغالبا تنجح الحيلة أكثر من نجاحها في المرة الأولى، لأنها في الثانية جاءت بعد تجربة وتدريب.

ويستغرب الإنسان أحيانا كيف يهزم الذكاء الذكاء، وتتضارب أجزاؤه، فالذكي الذي يكسب بالحيلة، لو صرف ذكاءه في عمل ينتج له ما يغنيه عن الاحتيال على الناس، لكسب بذلك ربحًا حلالا، تكمن الطمأنينة فيه، ويستقر الأمان؛ والغرابة أن هذا الذكي المحتال لا ينصرف ذكاؤه إلى هذا، وكأن حب الاحتيال، والكسب من طريقه داء يعشي ذكاءه، فلا يرى العيب الذي يراه أغبى الناس؛ ومع ذلك يبقى إذا نجحت حيلته ذكيا، ضحك على غيره، دون أن يُكتشف أمره، وإن اكتُشف جاء هذا الاكتشاف متأخرًا.

وبعض أنواع الذكاء يأتي لصاحبه بربح دائم، وكسب مستمر، يستغله طوال حياته، أو جزءًا كبيرًا منها، وبعضها يأتي ذكاء محدودًا بأمر واحد، منقطع في زمنه، يلمع مثل البرق في فائدته ثم يختفي، في انتظار سحاب ينشأ وبرق جديد.

وفي المجتمعات البدائية يأتي الذكاء بدائيا ساذجا لا تعقيد فيه ولا التواء، وقد يراعي جوانب نفسية يدخل منها، ومن طريقها يصل إلى الغاية، ويمثل ذلك المشعوذون، والسحرة، والدجالون. أما في زمننا هذا، وفي مجتمعات مثقفة سابقة فالأمر يختلف كثيرًا، إذ يأتي الذكاء معقدًا، مركبًا، يحتاج إلى تمهيد، وتغطية جيدة، وخدمة للأمر فائقة، قد تحتاج إلى مقدرة في التمويه والتمثيل. وقد أحسن الحريري في مقاماته في تعداد حِيلِ السروجي، التي اتخذت أنواعًا مبتكرة كان أبو زيد هذا يَفْتَنُّ في تنويعها، وتغيير المعالم فيها؛ وكانت من الحريري مقدرة أدبية فائقة.

أما في زمننا فسيكون محك الذكاء الحاسوب (الكمبيوتر)، والدخول على البرامج، وإدخال آفات عليها، وسرقة برامج، واللعب فيها كيف شاء المتقن لهذا الأمر، وقد بدأت هذه الظواهر المخيفة تقلق العاملين في هذا الحقل وغيره.

ومع الزمن يتوقع أن تزيد العسرة، وتزيد المقاومة، وسيبقى الصراع ما دام هناك ذكاء، ويقابله ذكاء.

وقد عانى العالم من ذكاء اللصوص والمجرمين، والحيل التي يأتون بها، والوسائل التي يخترعونها لينجح عملهم المنحرف؛ ولا يجادل أحد في ذكائهم في هذا الجانب، ولكن ما يطفئ نوره أنه استُخدم للإجرام والأذى، وكان بالإمكان أن يُصرف

للبناء والتشييد، ولكن المرض غالب على روح هؤلاء، مما لا يجعلهم يشبعون نفوسهم المظلمة إلا بأذى الآخرين، وأخذ تعبهم بهذه الطرائق المنبوذة.

وفي تراثنا العربي حيل تدل على ذكاء مفرط، لمست جوانب مختلفة في الحياة، دُوِّنَ كثير منها، فكانت مثار الدهشة للقارئ، ومصدر متعة، ومجال دراسة لدارس الاجتماع، ليعرف ما أوصلهم إلى هذا، وما أثر فيهم في صغرهم، أو في حياتهم، حتى يكون منهم ما كان.

وهنا مثل سوف نسوقه لذكاء جاء بنفع عميم، من طريق حيلة متقنة، لم يكن للضحية مفرٌّ منها، حتى لو عرف أنها حيلة، لأن في يد صاحبها، إذا لم تنجح، سلاح آخر، وهو الحقيقة، والضحية تعيبه الحقيقة:

«قال الشعبي: حضرت مجلس زياد، وحضره رجل، فقال: أصلح الله الأمير، إن لي حرمة، أفأذكرها؟

قال: هاتها.

قال: رأيتك في الطائف، وأنت غُلَيِّمٌ ذو ذؤابة، وقد أحاط بك جماعة من الغلمان، وأنت تركل هذا مرة برجلك، وتنطح هذا مرة برأسك، وتكدم هذا مرة بأسنانك، وكانوا مرة ينثالون عليك، وهذه حالتك وحالهم. ومرة يندّون عنك، وأنت تتبعهم، حتى كاثروك، واستقووْا عليك، فجئت حتى أخرجتك من بينهم وأنت سليم، وكلهم جريح.

قال: صدقت. أنت أنت ذاك الرجل؟

قال: أنا ذاك.

قال: حاجتك؟

قال: حاجة مثلي الغنى عن الطلب.

قال: يا غلام، أعطه كل صفراء، وبيضاء، عندك.

ونظر، فإذا قيمة مَا يملك في ذلك اليوم أربعة وخمسون ألف درهم، فأخذها، وانصرف.

فقيل له، بعد ذلك: أنت رأيت زيادًا، وهو غلام، بهذه الحال؟

قال: إي والله، لقد رأيته، وقد اكتنفه صبيان صغيران، كأنهما من سخَال المعز، فلولا أدركته لظننت أنهما يأتيان على نفسه». [البصائر والذخائر للتوحيدي: 174/9].

هذا ليس نفاقًا، ولكنه ذكاء، زياد يعلم أنه كاذب، ولكن ليس من صالحه أن يُكذِّبه، وقد مدحه مدحًا فائقًا، فإن كَذَّبه، وأقر المادح هذا بكذبه، أصبح هذا وصمة في جبين زياد. لقد سد عليه هذا الذكي المسارب، ولم يترك إلا طريقًا واحدًا، هو طريق المال إلى جيبه!

قصيدة

حُبٌّ وكرامة

شعر: قدري مايو

هنيـئًـا لمن زيَّنتِ بـالحب عُـمـرَه ... وأنت علـى هذا الجمـال المروِّعِ

يُروِّعُني منك اغـتـرارٌ وجـرأةٌ ... وهبتُ لها بعضي لتملك أجمعي

لك الحسن حتى يستجير صريعه ... ولي الوجدُ حتى يستفيضَ بأضلعي

يقلِّبني فيك العذاب فألتوي ... على بَرْد أحلامي ونار تلوعي

قَدرتِ ولم يقدر عليكِ تساؤلي ... إلى أين من سيف المفاتن مفزعي ؟

وكنتُ تزودت السلوَّ جميعَهُ ... ولكنني استنفدت آخرَ ما معي

فهلاً فككت الآن غلَّ كرامتي ... لأرتعَ في بر السلامة مرتعي

يعزُّ عليَّ الأسر.. أيُّ مهانةٍ ... ومثلي بما تقضي المروءة يدّعي؟!

سأدعو عليك الله سرًا وجهرة ... إليه، ولن أرضى إليك تضرُّعي

وقد تشهدين الحزن في عمق نظرتي ... ولن تشهدي يومًا تساقط أدمعي

قصة قصيدة

أبوبكر بن العلاف وقصيدته في «الهرّ»

كتب هذه الحلقة: د. علي حسين البواب

في تراثنا العربيّ كثير من الأخبار والقصص الطّريفة التي تحتفظ بها بطون المصادر، وتحتاج إلى من ينقّب عنها، ويفيد منها. ونعرض في هذا المقال لواحد من هذه الأخبار ويتناول قصيدة ابن العلاّف في رثاء الهرّ.

أما ناظم القصيدة فهو الإمام المقرئ المحدّث الأديب أبو بكر، الحسن بن علي بن أحمد الشهير بابن العلاّف. كان من أعلام عصره، تلا القرآن على أبي عمر الدُّوري، وحدّثَ عن نصر بن عليّ، وحميد بن سعيد، ومحمّد بن إسماعيل وغيرهم. وتلا عليه عددٌ من القرّاء المشاهير كـأبي بكر الشّذائي، وأبي الفرج الشّنبوذيّ، وروى عنه ابن حيّويه، وعمر بن شاهين، وأبو الحسن الجرّاحي وغيرهم.

كان ابن العلاّف نديمًا للمعتضد العبّاسي، وله معه أخبار وقصصٌ، وعُمّر ابن العلاّف، وكُفّ بصرُه، ومات سنة 318هـ، أو 319هـ عن نحو مئة سنة(1).

وموضوع حديثنا قصيدته في الهرّ، وهي قصيدة في خمسة وستين بيتًا، اقتصرتْ بعض مصادر الترجمة على ذكر القصيدة، أو مطلعها، وأفاض بعضُهم في ذكر أبيات منها، وكان ابن خلّكان في «الوفيات» أكثر من روى من القصيدة، إذ أورد منها ثلاثة وأربعين بيتًا، ونقل ذلك الصّفدي في «نكت الهميان» و«الوافي بالوفيات» مسقطًا البيت الثالث، وأورد الذّهبي في «السِّيَر» منها ثمانية وثلاثين بيتًا، مُغفلاً الثالث والسادس والسابع والثامن والخامس عشر، أما ابن العماد الحنبلي في «الشذرات» فساق منها ثلاثة وثلاثين بيتًا، تاركًا السابع والثالث عشر والسادس عشر والسابع عشر والتاسع والعشرين، وما بعد الثامن والثلاثين.

أما سبب نظم القصيدة فقد اتجه العلماء في ذلك اتجاهين: فذهب فريقٌ منهم إلى المعنى الحقيقي الظّاهر منها، وهو أنّه كان لابن العلاّف هرٌّ يأنس به ويحبّه، وقد اعتاد أن يدخل أبراج حمام الجيران ويأكل الفراخ، وكثر ذلك منه، وتجاوز حدَّه وطغى، فكان أن تربّص به الجيران فذبحوه جزاءً لما اقترفت يداه، فحزن لذلك أبو بكر، ونظم هذه القصيدة.

وسلك الفريق الثاني مسلكًا آخر، فرأوا أنّ الهرّ رمز لشخص أراد أن يرثيه الشاعر، ولكنّه لم يستطع، فعرّض بالهرّ، وجعله مرثيًا، ثم هؤلاء قد اختلفوا فيمن أراد الشاعر بذلك؛ فقيل: إنّه رثى عبدالله بن المعتزّ، وكان صديقًا له، وقد قتله المقتدر. وقيل: إنه رثى فيها الوزير المحسن بن الفرات، وقد قتله المُقتدر أيضًا. وقيل: إن غلامًا لابن العلاّف هوي جارية للوزير علي بن عيسى، فعلم بهما الوزيرُ فقتلهما، فرثى أبو بكر غلامه(2).

ولم يرجّح العلماء شيئًا من هذه الأقوال، غير الصفدي الذي تَعَجَّبَ ممّن يزعم أن هذه القصيدة في غير الهرّ.

والذي أميل إليه أن القصيدة ليس المرادُ بها الهرّ حقيقة، وإنّما كنّى به عن شخص عزيز عليه ـ كما سبق ـ، ولم يكن قادرًا أن يرثيه أو يعبّر عن ألمه لفراقه، وقد كان قاتله خليفة أو وزيرًا، وفي بعض أبيات القصيدة ما يؤكد هذا المفهوم، كقول الشاعر:

عِشْتَ حريصًا يقوده طَمَعٌ
ومتَّ ذا قاتلٍ بلا قَوَدِ

وقوله:

ثُمَّ شفَوْا بالحديد أنفسَهم
منك، ولم يَرْعَوا على أحد

فمثل هذه الأبيات تقوّي في نفسي أن تكون القصيدة في غير الهرّ.

وقد اشتملت قصيدة ابن العلاّف على بعض الأبيات في المعاني والحكم، ومنها:

وحمتَ حولَ الرّدى لظلمهم
ومن يَحُمْ حولَ حوضه يَرِدِ
عاقبة الظُّلْم لا تنام وإن
تأخّرَت مُدَّةً من المُددِ
لا بارك الله في الطّعام إذا
كان هلاكُ النّفُوس في المِعَدِ
كم دخلتْ لقمةٌ حشا شَرِهٍ
فأخرجَتْ روحَه من الجَسَدِ

وفي القصيدة استعمال لبعض المحسّنات، كالجناس في قوله:

فلم تزل للحَمام مرتصدًا
حتى سُقيتَ الحِمامَ بالرَّصَد

والمطابقة في قوله:

أطعمك الغَيُّ لحمَها فرأى
قَتْلَك أصحابُها من الرَّشَد

وفي القصيدة شيء من التناقض الذي يرجّح ألاّ تكون في الهرّ كقوله:

قد كنت في نعمةٍ وفي دَعَة
من العزيز المهيمن الصَّمد

ثم قوله:

فما سَمِعْنا بمثل موتك إذ
مُتَّ ولا مثلِ عيشك النَّكد

وبعد، فهذه أبيات القصيدة بعد مراجعتها على المصادر التي أوردتْها، وتوثيق روايتها:

يا هِرُّ، فارقتنا ولم تَعُدِ
وكُنْتَ عندي بمنزلِ الولدِ
فكيف نَنْفَكُّ عن هواكَ وقدْ
كُنْتَ لنا عُدَّةً من العُدَدِ
تطرُدُ عنّا الأذى وتحرُسُنا
بالغيبِ من حيّةٍ ومن جُرَدِ(3)
وتُخرِجُ الفأرَ من مكامنِها
ما بين مفتوحِها إلى السُّدَدِ
يلقاكَ في البيتِ منهمُ مَدَدٌ
وأنت تلقاهم بلا مَدَدِ
لا عددٌ كان منكَ مُنفلتًا
منهم، ولا واحدٌ من العَدَدِ
لا تَرْهَبُ الصيفَ عندَ هاجرةٍ
ولا تَهابُ الشِّتاءَ في الجَمَدِ
وكان يجري ولا سداد لهم
أمرُكَ في بيتنا على سَدَدِ
حتى اعتقدتَ الأذى لجيرتنا
ولم تكن للأذى بمُعْتَقِدِ
وحُمْتَ حولَ الرَّدى لظلمهم
ومن يَحُمْ حولَ حوضِه يَرِدِ
وكان قلبي عليك مُرتعدًا
وأنت تنسابُ غيرَ مرتعِدِ
تدخلُ بُرْجَ الحمامِ مُتَّئِدًا
وتبلعُ الفرخَ غيرَ متَّئِدِ(4)
وتطرحُ الرِّيشَ في الطَّريقِ لهم
وتبلعُ اللحمَ بلعَ مُزْدَرِدِ
أطعمَك الغَيُّ لحمَها فرأى
قَتْلَك أصحابُها من الرَّشَدِ
حتى إذا داوموك واجتهدوا
وساعدَ النصرُ كيدَ مُجتهِدِ
كادوكَ دهرًا فما وقَعْتَ وكَمْ
أفلتَّ من كيدهم ولم تُكَدِ
فحين أخفرتَ وانهمكتَ وكاشفـ
ـتَ وأسرفْتَ غيرَ مُقتَصِدِ
صادوك غيظًا عليكَ وانتقموا
منك، وزادوا، ومن يَصِدْ يُصَدِ
ثم شفَوا بالحديد أنفسَهم
منك، ولم يرعَوُوا على أحدِ
فلم تزلْ للحَمَامِ مُرتصِدًا
حتى سُقِيتَ الحِمامَ بالرَّصَدِ
لم يرحموا صوتكَ الضَّعيف كما
لم تَرْثِ منها لصوتها الغَرِدِ
أذاقكَ الموتَ ربُّهنَّ كما
أذقْتَ أفراخَه يدًا بيدِ
كأنَّ حبلاً حوى بجُودته
جيدَكَ للخَنْقِ كان من مَسَدِ
كأنّ عيني تراك مضطربًا
فيه وفي فيكَ رُغوةُ الزَّبَدِ
وقد طلبْتَ الخلاص منه فلم
تقدرْ على حيلةٍ ولم تَجِدِ
فجُدْتَ بالنَّفْس والبخيلُ بها
أنتَ، ومن لم يَجُدْ بها يُجَدِ
فما سَمِعْنا بمثلِ موتِك إذ
متَّ، ولا مثلِ عيشِك النَّكِدِ
عِشْتَ حريصًا يقودُه طمعٌ
ومتَّ ذا قاتلٍ بلا قَوَدِ
يا مَنْ لذيذُ الفراخِ أوقعه
ويْحَكَ، هلاّ قَنعْتَ بالغُدَدِ
ألم تخفْ وثبةَ الزَّمانِ وقد
وثَبْتَ في البُرجِ وثبةَ الأسَدِ
عاقبةُ الظُّلْمِ لا تنامُ وإنْ
تأخَّرتْ مُدَّةً من المُدَدِ
أردتَ أن تأكلَ الفراخَ ولا
يأكُلك الدَّهرُ أكلَ مُضطهَدِ
هذا بعيدٌ من القياسِ وما
أعزَّهُ في الدُّنُوِّ والبُعُدِ
لا باركَ الله في الطَّعامِ إذا
كان هلاكُ النُّفوسِ في المِعَدِ
كم دَخَلَتْ لقمةٌ حَشا شَرِهٍ
فأخْرَجَتْ رُوحَه من الجَسَدِ
ما كان أغناكَ عن تسوُّرِكَ البُرْ
جَ ولو كان في جنَّةِ الخُلُدِ
قد كُنْتَ في نعمةٍ وفي دَعَةٍ
من العزيزِ المُهَيْمنِ الصَّمَدِ
تأكلُ من فأرِ بيتِنا رَغَدًا
فأين بالشاكرينَ للرَّغَدِ(5)
وكُنْتَ بَدَّدْتَ شملهم زمنًا
فاجتمعوا بعدَ ذلك البَدَدِ
فلم يُبقُّوا لنا على سَبَدٍ
في جوفِ أبياتنا ولا لَبَدِ(6)
وفتَّتوا الخبزَ في السِّلال وكم
تفتَّتت للعيالِ من كبدِ
وفرَّغوا قعرَها وما تركوا
ما علَّقتْه يدٌ على وَتَدِ
ومزَّقوا من ثيابنا جُدُدًا
فكلُّنا في المصائبِ الجُدُدِ

الهوامش:

1- عُنيت المصادر بالترجمة لابن العلاّف، ومنها: تاريخ بغداد للخطيب 379/3، والمنتظم لابن الجوزي 237/6، وطبقات القرّاء للذّهبي 197، وغاية النهاية لابن الجزري 222/1.
أما المصادر التي عُنيت بإيراد أبيات القصيدة فهي: وفيات الأعيان لابن خلكان 107/2، وسير أعلام النبلاء للذّهبي 514/14، ونكت الهميان للصّفدي 139، والوافي بالوفيات له 169/12، وشذرات الذهب لابن العماد 277/2، وما بعد الصّفحات المذكورة. وينظر مصادر أخر للترجمة في حاشية السير.

2- ينظر أخبار عبدالله بن المعتزّ (249 - 296هـ) في الوفيات 67/3، والسير 42/14. وأخبار المقتدر (282هـ - 320هـ) في السيرة 43/15.
وأخبار المحسن (241 - 312هـ) في الوفيات 421/3، والسير 474/14، وأخبار علي بن عيسى (244 - 334هـ) في السير 198/15.

3- هذا البيت من الوفيات والشذرات، وقد أبدل الشاعر الذّال في الجُرَذ دالاً.

4- اتّئد: تمهّل. وفي المصادر كلها «وتبلع»، وقد يكون الأرجح «وتبلغ».

5- رواية البيت في السير:
تأكلُ من فأرِ دارنا رغدًا
أكلَ جزافٍ نامٍ بلا عَدَدِ

6- السَّبَد: الشَّعر، واللَّبَد: الصُّوف. وتقول العرب: ما له سَبَدٌ ولا لَبَد، فيمن لا يملك شيئًا.أمد ب

الحج واقتصادياته

زيد بن محمد الرماني

العبادات في الإسلام ليست مجرد مظاهر وشعائر يؤديها المسلم لمجرد أنها مفروضة عليه من ربّه فحسب، فليس عليه إلاّ الإذعان والخضوع والامتثال لأوامر الله وإظهار العبودية له، ولكن العبادات أيضًا، وهي جانب مهم من جوانب الإسلام، تحمل في حقيقتها معاني كثيرة، وأخلاقيات حسنة، وفوائد اجتماعية كريمة ومتعددة، تعود على المسلم والمجتمع بالخير الكثير.

والحج موسم ومؤتمر: موسم تجارة، وموسم عبادة، ومؤتمر اجتماع وتعرُّف، ومؤتمر تنسيق وتعاون، وهو الفريضة التي تلتقي فيها الدنيا والآخرة، كما تلتقي فيها ذكريات العقيدة القريبة والبعيدة. وأصحاب السلع والتجارة يجدون في موسم الحج سوقًا رائجة؛ حيث تُجبى إلى البلد الحرام ثمرات كل شيء من أطراف الأرض، ويقدم الحجيج من كل فجّ ومن كل قطر، ومعهم من خيرات بلادهم ما تفرق في أرجاء الأرض في شتى المواسم؛ يتجمع كله في البلد الحرام في موسم واحد؛ فهو موسم تجارة ومعرض نتاج، وسوق عالمية تقام في كل عام. وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح وهي تستشعر قربها من الله في بيته الحرام.

والحج، بعد ذلك كله، مؤتمر جامع للمسلمين قاطبة، يجدون فيه أصلهم العريق الضارب في أعماق الزمن منذ أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام. وهو مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى وتبادل السلع والمنافع والمعارف والتجارب.

الحج ليس مجرد رحلة عفوية يبدّد فيها المسلم وقته وجهده وماله، ولكنه رحلة روحية إيمانية تتجلى فيها الفوائد والمنافع الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وللحج أهداف عظيمة، إذْ هو امتثال لأمر الشرع، وهو شحنة روحية وعاطفية، وفرصة لتبادل المنافع التجارية، وهو بعد ذلك سلام ومساواة، وجزاؤه الجنّة.

وفي الحج منافع اقتصادية واجتماعية وسياسية، وفيه التعاون والتكافل وشعور المسلم بأخيه المسلم، وفيه تصفو النفوس وتزكو وتتصل بخالقها أيّما اتصال، وفيه تكثر أعمال البرّ والخير والإنفاق والصدقة وتزداد..

حكمة مشروعية الحج

لا شك في أن الله سبحانه بحكمته وعظمته، اختار منذ خلق الإنسان، هذا المكان الطيب الطاهر في مكة المكرمة؛ ليشرفه بخصوصية لم يفز بشرفها أيّ مكان في العالم، حين اختصه بأن يكون مقرًا لبيت الله الحرام، ومحلاً لالتقاء المسلمين والمسلمات وتجمُّعهم من كل بقاع الدنيا، من الذين منّ الله عليهم فوهبهم الاستطاعة التي تؤهلهم لشرف تلبية نداء الله، بالسعي إلى هذا البيت العتيق.

وفي قوله تعالى: *إنَّ أوَّل بَيْت وُضِعَ للنَّاس لَلَّذي ببكَّةَ مُباركًا وهُدًى للعالمين. فيهِ آياتٌ بّيناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ وَمَن دَخَلَهُ كان آمنًا ولَله على النَّاسِ حجُّ البيت مَن استَطَاعَ إليه سبيلاً ومن كَفَرَ فإنَّ اللَّه غَنيٌّ عَنِ العَالَمينَ.* **آل عمران**: 96- 97.

ونحن إذ نبتدر هذا القول الحكيم في قوله تعالى: *إنّ أوَّلَ بَيت وُضعَ للنَّاس..* نطمئن معه إلى قول من قال بأنَّ أوّلَ من بنى هذا البيت هم ملائكة الرحمن؛ ذلك لأن لفظ «الناس» يُطلق على آدم وذريته، ومعنى ذلك أن هذا البيت العتيق وُضع قبل أو مع أول الناس في الأرض وهو آدم عليه السلام.

وقيل إن هذه الآية جاءت ردًّا من الله - عز وجل - على اليهود؛ حين قالوا إن بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة؛ لكونه في الأرض المقدسة ومهبط الأنبياء.

فبيّن الله سبحانه، بهذه الآية، أن البيت الحرام بمكة المكرمة (البيت العتيق)؛ منبهًا لهم وللناس جميعًا أن هذا أول بيت وُضعَ للناس وأشرف بيت جُعل للعبادة: *هُدًى للعالمين..*

وفي ظلال قوله تعالى: *وَتَزَوَّدُوا فَإنَّ خَيْرَ الزَّاد التَّقْوَى واتَّقُون يا أُولي الألباب.* **البقرة**: 197.

يقول القرطبي - رحمه الله - في كتابه «الجامع لأحكام القرآن»: «قوله سبحانه: *وتزوّدوا..* أمرٌ باتخاذ الزاد. قال ابن عمر وعكرمة ومجاهد وقتادة وابن زيد: نزلت الآية في طائفة من العرب كانت



تجيء إلى الحج بلا زاد، ويقول بعضهم: كيف نحج بيت الله ولا يطعمنا، فكانوا يبقون عالة على الناس، فنُهُوا عن ذلك وأُمروا بالزاد».

وقال ابن العربي: أمر اللهَ تعالى بالتزوّد لمن كان له مال، ومن لم يكن له مال، فقد خاطب الله أهل الأموال الذين كانوا يتركون أموالهم ويخرجون بغير زاد ويقولون نحن المتوكلون. رُوي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن هذه الآية نزلت في ناس من اليمن يحجون بغير زاد ويقولون نحن متوكلون بحج بيت الله، أفلا يطعمنا، فيتوصلون بالناس وربما ظلموا وغصبوا فأُمِرُوا بالتزود وألا يظلموا، ويكونوا كلاً على الناس».

ويقول أبو حيّان في كتابه «البحر المحيط»: «فعلى ما رُوي من سبب النزول لهذه الآية، يكون أمرًا بالتزوّد في الأسفار الدنيوية، والذي يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر وما بعده، وقيل: إن الأمر بالتزود هنا هو بتحصيل الأعمال الصالحة التي تكون للحاج كالزاد إلى سفره للآخرة.

وقيل: أمرٌ بالتزود لسفر العبادة والمعاش، وزاده الطعام والشراب والمركب والمال، وبالتزود لسفر المعاد، وزاده التقوى، تقوى الله تعالى.

فنخلص من هذا كله إلى ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أمرٌ بالتزود في أسفار الدنيا.

الثاني: أنه أمرٌ بالتزود لسفر الآخرة.

الثالث: أنه أمرٌ بالتزود في السفرين، وهو الذي نختاره.

قال أبو بكر الرازي رحمه الله: احتمل قوله: وتزوّدوا، الأمرين من زاد الطعام وزاد التقوى، فوجب الحمل عليهما إذا لم تقم دلالة على تخصيص أحد الأمرين.

ويستفاد من هذه الآية أمور، منها:

- أن يكون زادنا إلى الآخرة اتقاء القبائح، فإن ذلك خير الزاد، فليس السفر من الدنيا بأهون من السفر في الدنيا، وهذا لا بد له من زاد فكذا ذلك بل يزداد. وإذا كان زاد الدنيا يخلّص من عذاب متقطع موهوم، فإن زاد الآخرة ينجّي من عذاب أبدي معلوم.

- أن في الآية ما يدل على أن القادر على استصحاب الزاد في السفر إذا لم يستصحب، عصى الله في ذلك، إذ فيه إبطال لحكمة الله تعالى، ودفع الوسائط والروابط التي عليها تدور المناجح، وبها تنتظم المصالح.

- أن في الآية دعوةً إلى التزود في رحلة الحج، زاد الجسد وزاد الروح، فقد جاء التوجيه إلى الزاد بنوعية، مع الإيحاء بالتقوى في تعبير عام دائم الإيحاء، والتقوى زاد القلوب والأرواح».

في ظلال قوله تعالى: *لَيسَ عَلَيكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ*.. **البقرة**: 198:

سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام، كأنهم كرهوا ذلك، حتى نزلت الآية.

قال أبو حيان رحمه الله: «سبب نزول هذه الآية، أن العرب تحرّجوا لما جاء الإسلام أن يحضروا أسواق الجاهلية كعكاظ وذي المجاز ومجنّة، فأباح الله لهم ذلك، قاله ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعطاء.

ولقد ذكر المفسّرون في تفسير قوله سبحانه: *أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ*.. وجهين:

الأول: المراد هو التجارة.

الثاني: المراد أن يبتغي الإنسان حال كونه حاجًّا أعمالاً أخرى تكون موجبة لاستحقاق

فضل الله ورحمته، مثل إعانة الضعيف، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع.

ويستفاد من هذه الآية أمور، منها:

- أنه من الممكن أن تقاس التجارة على سائر المباحات، من الطيب والمباشرة والاصطياد، في كونها محظورة بالإحرام، فلدفع هذه الشبهة نزلت: *لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا*؛ أي في أن تطلبوا: *فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ*: عطاء منه وتفضلاً، أو زيادة في الرزق بسبب التجارة والربح بها.

- أن في الآية إشارة إلى أن ما يبتغيه الحاج من فضل الله، مما يعينه على قضاء حقه، ويكون فيه نصيب للمسلمين أو قوة للدين، فهو محمود، وما يطلبه لاستبقاء حظه أو لما فيه نصيب نفسه، فهو معلول.

- أن الشبهة كانت حاصلة في حرفة التجارة في الحج من وجوه، منها: أن الله سبحانه منع الجدال، وفي التجارة جدال، وأن التجارة كانت محرمة وقت الحج في دين أهل الجاهلية.. يقول القرطبي رحمه الله: «لما أمر الله سبحانه بتنزيه الحج عن الرفث والفسوق والجدال، رخَّص في التجارة، وهي من فضل الله المراد به في قوله: *أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ*.

- نزلت إباحة البيع والشراء والكراء في الحج، وسماها الله سبحانه ابتغاء من فضله، ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله، حين يتّجر، وحين يعمل بأجر، وحين يطلب أسباب الرزق، وأنه لا يرزق نفسه بعمله، وإنما يطلب من فضل الله فيعطيه الله. فأحرى ألا ينسى هذه الحقيقة.

- أنه متى ما استقر في قلب الحاج إحساس بأنه يبتغي من فضل الله، وأنه ينال من هذا الفضل حين يكسب، وحين يحصل على رزقه من وراء الأسباب التي يتخذها للارتزاق، فهو إذن في حالة عبادة الله، لا تتنافى مع عبادة الحج، في الاتجاه إلى الله.

في ظلال قوله تعالى: *لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ*. **الحج**: 28:

في هذه الآية مسائل، أهمها:

الأولى: أنه تعالى لما أمر بالحج في قوله: *وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ*.. ذكر حكمة ذلك الأمر في قوله: *لِيَشهَدوا مَنَافِعَ لَهُم*، واختلفوا فيها، فبعضهم حملها على منافع الدنيا، وهي أن يتَّجر في أيام الحج. وبعضهم حملها على منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة، وبعضهم حملها على الأمرين جميعًا، وهو الأوْلى.

الثانية: إنما نَكَّر المنافع؛ لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة، دينية ودنيوية، لا توجد في غيرها من العبادات.

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - في كتابه «زاد المسير»: والأصح مَنْ حملها على منافع الدارين جميعًا، لأنه لا يكون القصد للتجارة خاصة، وإنما الأصل قصد الحج، والتجارة تبع.

ويقول الخطيب في كتابه «التفسير القرآني»: «والمنافع التي يشهدها الوافدون إلى بيت الله الحرام كثيرة متنوعة، تختلف حظوظ الناس منها. فهناك منافع روحية تفيض من جلال المكان وروعته وبركته، وذلك بما يغشى الروح من هذا الحشر العظيم، الذي حُشر فيه الناس على هيئة واحدة في ملابس الإحرام مجرَّدين من متاع الدنيا وما لبسوا فيها من جاه وسلطان. ولقد أحسن النسفي - رحمه الله - في تصوير هذه الفريضة، وفي عقد الشبه بينها وبين الآخرة، حيث يقول: فالحاج إذا دخل البادية، لا يتكل فيها إلا على عتاده، ولا يأكل إلا من زاده، فكذا المرء إذا خرج من شاطئ الحياة، وركب بحر الوفاة، لا ينفع وحدته إلا ما سعى في معاشه لمعاده، ولا يؤنس وحشته إلا ما كان يأنس به من أوراده.

بعض المنافع الاقتصادية للحج

وهناك منافع اقتصادية بجانب المنافع الروحية، ومن هذه المنافع:

- يعدّ الحج مؤتمرًا إسلاميًا لحل مشكلات المسلمين الاقتصادية، حيث يفد إلى الأماكن المقدسة ملايين المسلمين من شتى بقاع العالم، منهم العلماء المتخصصون في مجال الاقتصاد، فيكون ذلك فرصة طيبة لعقد المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية لمناقشة مشكلات المسلمين الاقتصادية، في سبيل الوصول إلى التكامل والتنسيق الاقتصادي بين الدول الإسلامية.

- في الحج رواج اقتصادي للمسلمين؛ إذ يتسم موسم الحج بالرواج الاقتصادي لما يتطلبه من سلع وخدمات لازمة لأداء مناسك الحج، فكم من ملايين الريالات تُنفق على وسائل الانتقال وشراء المأكولات والمشروبات والملابس والإقامة والذبائح.

- في الحج دعوة إلى تطبيق الاقتصاد الإسلامي؛ إذ في الحج دعوة لتطهير المعاملات بين الناس من الخبائث والموبقات من ربا واحتكار وغش وتدليس وغرر وجهالة وأكل لأموال الناس بالباطل. كما أن الحاج عليه أن يتجنب الإسراف والتبذير والإنفاق الترفي. فالحج دعوة صادقة لتطبيق الاقتصاد الإسلامي على مستوى الدول الإسلامية.

في الحج دعوة إلى تطبيق مبادئ الاقتصاد الإسلامي، وتطهير المعاملات بين الناس من الخبائث والموبقات من ربا واحتكار وغش وأكل أموال الناس

- منافع البُدْن والذبائح للفقراء والمساكين والمحتاجين في داخل الأماكن المقدسة وخارجها.

- منافع التجارات والعمل وكسب المعيشة في أيام الحج، كما أباح ذلك الله سبحانه وتعالى، بحيث لا يكون القصد الأساسي والمطلب الرئيسي هو التجارة.

الهدي: مشكلة وحل

الهدي: يطلق على الحيوان الذي يسوقه الحاج أو المعتمر؛ هدية لأهل الحرم من غير سبب موجب. ويطلق على ما وجب على الحاج أو المعتمر بسبب موجب كترك واجب أو فعل شيء محظور، أو كالإحصار والتمتع، وهذا هو المراد في قوله تعالى: *وَالْبُدنَ جَعَلْنَاها لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّه لَكُم فِيهَا خَيْرٌ*. **الحج**: 36. يقول القرطبي رحمه الله: وسُمِّيَتْ هديًا؛ لأن منها ما يُهدى إلى بيت الله.

إن شراء الهدي والتقرب به إلى الله سبحانه، من أوضح أدلة التضحية بالمال، وهو تعبير صادق عن اقتران القيم التعبدية الروحية، بالقيم الاقتصادية المادية في شعيرة الحج.

ولكن تكدس لحوم الهدي في منى مثلاً أيام النحر الثلاثة، يُعدّ مشكلة، تحتاج إلى حلّ، حيث هي عرضة للتعفن والتلف، ومن ثم إلقاؤها إلى الحيوانات، أو التصرف غير الاقتصادي الذي لا يفيد المسلمين، ويضرّ بهم وبفقرائهم ومساكينهم، وبالمستحقين.

ولذلك، طرحت بعض الحلول، للخروج من هذه المشكلة، بحل سليم يساعد في الإفادة من لحوم الهدي. وفي هذا الصدد يمكن أن نقدم بعض التوصيات والتوجيهات للإسهام في حل هذه المشكلة، ومن ذلك:

- تأسيس مؤسسة اقتصادية إسلامية تتولى هذه اللحوم وتصنيعها وحفظها في معلبات وإرسالها إلى مستحقيها من المسلمين في بلاد العالم الإسلامي.

- تولّي حكومة المملكة العربية السعودية، إنشاء ثلاجات كبيرة لحفظ هذه اللحوم بعد تنظيفها ثم تصديرها إلى الفقراء والمساكين والمجاهدين والمستحقين.

- تعليم الحجاج أحكام الهدي، والتي منها أن الحاج المفرد لا ذبح عليه، بل القارن والمتمتع فقط، ومن ثم يجوز للمفرد أن يتصدق بقيمة الذبيحة، كما أنه يجوز أن يكون الذبح في منى ومكة أيضاً، وأصل ذلك حديث: «إن منى كلها منحر، وإن مكة وفجاجها منحر».

- تكوين جمعية خيرية إسلامية تتولى مهمة الإشراف على جمع وتوزيع وتصدير لحوم الهدي للمحتاجين والفقراء والمساكين.

> نزلت إباحة البيع والشراء والكراء في الحج، وسماها الله سبحانه ابتغاء من فضله، ليشعر من يزاولها أنه يبتغي من فضل الله، حين يتجر، وحين يعمل بأجر

وتجدر الإشارة إلى أن حكومة المملكة العربية السعودية، تسير بخطى متئدة، وخطوات ثابتة، وصولاً إلى أنجع الحلول وأفضل السبل، للإفادة من هذه اللحوم، وقد قامت بتوزيع وتصدير لحوم الهدي في السنوات الماضية، إلى البلاد الإسلامية المحتاجة، وإلى المجاهدين، والمستحقين في بقاع العالم الإسلامي.

المدلول الاقتصادي للحج

في الحج مدلول اقتصادي كبير؛ ذلكم أنه فرصة للكسب المادي، الشرعي، والكسب الأخروي؛ فهو عبادة مالية وبدنية، ثوابها جميعًا في الآخرة.

إن الحج مؤتمر إسلامي كبير تلتقي فيه الخبرات العالمية الإسلامية؛ صناعيين وتجارًا ومهنيين، وبجميع التخصصات، وبهذا ننتهز فرصة الحج؛ لا لهذا الغرض فحسب، بل تكون تابعة غير مقصودة، ولكنها في الواقع فرصة للدول الإسلامية ولأبنائها، حيث تنمو العلاقات الاقتصادية بين المسلمين؛ إذ يناقشون مشكلات الأمن الغذائي ومشكلات الاقتصاد بصفة عامة.

وفي الحج دورة تجارية جيِّدة، وموسم لازدهار الاقتصاد الإسلامي، من جديد.

وفيه أيضًا انتعاش للمصانع، حيث يستهلك الحجاج في كل ساعة من ساعات الموسم، فتدور المصانع، ويكثر الطلب، ومن ثم يزيد العرض، فيصبح للتجارة معنى جديد في هذه المشاعر المقدسة.

وفي الحج لقاء بين رجال الأعمال، وتعرّفٌ إلى منتجات كل البلاد الإسلامية؛ حيث تنقل هذه المنتجات من بلدة المنشأ إلى مشاعر الحج، فيعرف الحاج والتاجر ما تنتجه البلدان الإسلامية، ويطلّع التاجر عن كثب على المنتجين أنفسهم، والمسؤولين، وتدور بينه وبينهم الأحاديث التي تنفع الاقتصاد بعد الحج، ويكون هذا سببًا في ازدهار التجارة ونشاطها.

إن على التاجر أن يلتزم آداب التجارة في الإسلام، ولاسيما وهذا فرض عين عليه في هذه المشاعر والمواقف، وليعلم أن الجالب مرزوق والمحتكر ملعون، وليعلم أن له الأجر من الله حيث قرّب للحجاج ما يحتاجون إليه وجعله تحت سمعهم وبصرهم، وأنه في هذا يشارك في قضاء حاجة المسلمين فيقضي الله حاجته، فإن اصطحب الحاج هذه المعاني السامية في تجارته، فإنه ضمنَ إن شاء الله أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم.

فلنستفد من هؤلاء

يعيش العالم الإسلامي اليوم مرحلة مهمة من مراحل أيامه الفاضلة ألا وهو موسم الحج، الذي يعود كل عام على المسلمين. وفي كل عام يحج أناس جدد ومسلمون لم يسبق لهم الحج، وفي حجهم تعليم لهم وتربية، جاؤوا من بلاد بعيدة ومن كل فجّ عميق ليشهدوامنافع لهم، جاؤوا ليكتسبوا رضى الله جل وعلا وهم في أمن وطمأنينة. هذه الفئة المؤمنة الصادقة، منها شباب ذوو خبرة وثقافة علمية وتقنية، ولهم اطلاع واسع على بلادهم وما جاورها.

إذن، لمَ لا نستفيد من مقدم هؤلاء، في مجال الإعلام الإسلامي؟ إنَّ على صحافتنا، وهي بحمد الله تشارك في الحج بكل ما تملك من إمكانات مادية وبشرية، أن تجعل من الحج فرصة طيبة لمعرفة العالم الإسلامي، والتعريف والإعلام به في صحافتنا على صعيد واسع. وينبغي أن تكثف جهودها في الالتقاء بالشخصيات ذوي الثقافات المتعددة، والمتخصصة؛ لأن في الحجاج أساتذة جامعات، ورؤساء أكاديميات، وأمناء مكتبات، ومديري معاهد متخصصة، ومسؤولين عن روافد الفكر في بلادهم، كل هؤلاء حقيقٌ بنا أن نرى ما عندهم فننقله إلى العالم الإسلامي عبر إعلامنا وصحافتنا، فنضيف رصيدًا جديدًا للصحافة، ويجري الإعلام بماء جديد، تجمعهم كلمة واحدة هي: لا إله إلا الله.

إن العالم الإسلامي، وهو يشعر بالوحدة والعزلة، ليسرّه أن يسهم في كل مكان بالتعريف بأرضه وبجبله وبسهله وبكل بقعة منه على هذه المعمورة.

ولعل هذه الفكرة أن تكون سهلة التنفيذ. أما مصادر المعرفة للصحفيين فإنها متوافرة، فمن الحجاج أنفسهم، ومن الأماكن التي تحتفظ بأسماء الحجاج، ولاسيما المطوفون، وجهات أخرى، كلها أعتقد أنها على استعداد لأن تجعل من موسم الحج مائدة فكرية للقارئ المسلم في بلادنا.

دراسة في أدب ريتشارد رايت:

أبونا المسيسبي يروي فصولاً من تاريخ أمريكا

حسين مجيد

تأتي قصة «هناك عند ضفة النهر»(1) الثانية ضمن خمس قصص طويلة تؤلف بمجموعها «أبناء العم توم» 1938م، للروائي الزنجي ريتشارد رايت (1908- 1960م)، وتشترك جميعها في وحدة الفكرة، وتوافق المعالجة، وتشابه الأسلوب، بحيث يبدو كأن الكاتب أراد لها في البداية أن تؤلف رواية واحدة، لكنه عاد وغيّر فكرته، فجعلها مجموعة قصصية منفصلة. ويبدو واضحًا في هذه القصص تأثير همنغواي في طريقته الفنية التي تجلت في مجموعته «في زمننا» 1925م، وذلك في عرضه لحياة رجال في أعمار مختلفة، وما يرافق كل عمر من وعي خاص بالذات(2).

ولو نظرنا إلى الطريقة التي يتبعها ريتشارد رايت في بنائه الفني لأبناء العم توم لوجدنا الصبي «بيج بوي» وهو يجري هربًا، ثم الشاب «مان» وهو يهرب أيضًا، ثم «سيلاس» الذي يواجه الموت وحده ببطولة، ثم القس «تايلور» الذي لا يبوح صراحة بأفكاره الخارجة عن الدين، وأخيرًا نجد «سو» الذي يموت ميتة الأبطال دفاعًا عن أفكاره التي يؤمن بها، وبذلك ينتصر على كل القوى التي قهرت أقرانه في القصص الأربع السابقة، وهي «بيج يغادر البيت»، و«الأغنية الطويلة السوداء»، و«النار والغيوم»، و«نجمة الصبح المضيئة».

الموروث الأدبي لظاهرة الطوفان

وتأتي أهمية «هناك عند ضفة النهر» في اعتمادها على ظاهرة كونية قديمة هي الطوفان. وفي جميع الأساطير والحكايات العالمية لم تحتل ظاهرة طبيعية من الاهتمام مثل ما احتلته هذه الظاهرة. ومعروف أن الأدب الطوفاني هو من أقدم الآداب المكتوبة التي وصلتنا من مشارق الأرض ومغاربها وأكثرها عمومية، فهو أدب أسطوري وعالمي أيضًا. وعلى الرغم من تقدم العلوم الحديثة ونجاحها في السيطرة على العديد من الكوارث الأليمة، إلا أنها أخفقت في السيطرة على ظاهرتين واضحتين، هما: النار والطوفان. ومنذ أقدم الأزمنة اهتم الإنسان بالأنهار العذبة وجعل الإقامة على شواطئها أمرًا يصل إلى حد التقديس. وما تاريخ المدن إلا تسجيل تاريخي للحياة قرب تلك الشواطئ، وما أسطورة الفيضان بموروثها الأدبي المتواتر غير استعارة أدبية لمعنى رمزي أعم وأشمل. فجميع المواليد تخرج من فيضانها الأول حينما ينفلق كيس الحياة عن السائل المحيط بالجنين في رحم الأم. وبطريقة التشاكل الافتراضي، أو التماثل البنائي، يمكننا القول: إن الأرض ومخلوقاتها قد وُجدت بالطريقة نفسها. من ناحية أخرى، وهذا جانب نفسي لتلك الظاهرة، يبدو أن الذكور يشعرون بالحسد لمخاض الأنثى، وهناك العديد من الأمثلة التوراتية على ذلك. فخلق الأنثى من ضلع الرجل هو عكس واضح للحقيقة التناسلية، أو حتى الطبيعية منها في استبدال الأعضاء، فعضو الذكورة يفتقد ذلك القُضَيب العظمي - وهو عظم الإخصاب في عموم الثديات -. فكما تلد المرأة لبعلها، يكون من المعقول للرجل أن يعيد العملية معكوسة من طريق الحلم، وهذا هو الجانب الرمزي لأسطورة الفيضان(3)، ذلك أن معظم هذه الأساطير تتضمن إلهًا ذكرًا يقوم بتدمير العالم ولا يبقى منه غير رجل واحد ينجو بنفسه ليعيد عملية الحرث والنسل. إذن فهي أسطورة خلق ذكورية، تعمل فيها الأنثى على الهامش. وهكذا نجد الفيضان عند مارك توين، ووليم فوكنر، ود. هـ. لورنس، وجون شتاينبك، وغولدنغ، وهمفري كلينكر. والقائمة تطول، لكنها نادرًا ما تحتوي اسم واحدة من الأديبات.

أما الأهمية الأخرى لقصة ريتشارد رايت فهي أنها تستمد أصولها وبناءها الفني من حقيقة تاريخية محلية هي الفيضان الكبير لنهر المسيسبي عام 1927م. من هنا سار الكاتب على خطى معاصريه من الكتاب الكبار الذين أرسوا الدعائم الأولى للأدب الفكري، وذلك في خروجهم من محدودية الظاهرة المحلية إلى آفاق الآداب العالمية الرحبة. ويكفي أن نورد مثلين على ذلك، الأول لمارك توين في «الحياة على المسيسبي»، والثاني لوليم فوكنر في «النخيل البري» 1939م. وبصورة عامة فإن النار ومياه الفيضان هما من أكثر الصور الأدبية تركيزًا في خيال ريتشارد رايت، فالصفحات الأولى من كتاب سيرته الذاتية تسجل حادثة قيامه بإشعال النار في البيت وهو لما يزل في الرابعة من عمره. ثم يتردد ذكر النار في معظم أعماله الأدبية الأخرى، مثال ذلك فرن الموت المشؤوم في رواية «ابن البلد»، وقاعة الرقص الملتهبة في قصة «الحلم الطويل»(4). وبما أن الكاتب قد أمضى طفولته وصباه في هضاب المسيسبي، متنقلاً بين مدن تقع على امتداد النهر، فقد أصبح على وعي تام بطبيعة القوى المدمرة لمياه الفيضان، وصار يراها رمزًا للغيظ الذي تتصف به شخصياته الثائرة، في حين يصف بالنار كل

غـضب عنيف ينتهي بالقـتل أو التـدمير. من هنا يتبع رايت طريقة مثيـرة في الكتابة تبدو واضـحة في قـصة «هناك عند ضـفـة النهـر»، وتتمـثل في اعـتنائه الشـديد باختيار الألوان المتضاربة وتكرارها في أثناء القـصة إلى أن تكتسب معـانيـها الرمـزية المبتـغاة. فـهناك اللونان الأبيض والأسود ومـا يرافقهـما من أصـفر وبني، دلائل مبـاشرة على التـفرقة العنصـرية ومواطن الشـر. وهذا ما نجـده في المقطع الافـتتـاحي مـن القصـة: «ومن خـلال زجاج نافـذة أغبش رأى ميـاهًا صـفراء تدور في سـرعة حول زاوية من زوايا مـستودع الحبوب. ومـلأت أذنيه دندنة مطردة في الصباح، كـانت الميـاه سمـراء داكنة. وعند الأصيل كـانت صـفراء صلصـاليـة. وفي المسـاء كانت سوداء مثل سيلٍ من القطران السائل. كانت على عمق ستة أقـدام تقريبًا، ولا تزال ترتفع. لقد ارتـفعت قـدمين ذلك النهـار. ونظر بعـينين نصف مـغلقـتين إلى حوافي الزبد الأبيض الطفيفة، حـيث لطم التيار الأصفر جانبًا من مستودع الحنطة وانحرف في جدّة. إنه يراقب



وليم فولكنر

حوافي الزّبَد الأبيض تلك منذ ثلاثة أيام. فـإذا تقاصرت راوده الأمل في رؤية اليابسة عمـا قريب، وإذا تطاولت عرف أن التيار استعاد قوته من جديد» ص80.

أثر المسيسبي في أدب رايت

نشأ ريـتشارد رايت وتـرعرع في دلتـا المسيسبي، ومن المؤكـد أنه وقف على خبـر فيـضان النهـر، وسمع العـديد من القـصص والحكايات التي كـان الناس يتداولونهـا عنه، كما سـمع وهو طفل أجراس الكنائس في مدينتـه «ناتشيـز» تقرع منذرة بالخطر القـادم، وشاهد بعـينيه الأهالي المذعـورين وهم يهيّئون أكيـاس الرمل، ويجـعلون منهـا سـدودًا لـعلهـا تصـد الميـاه المتـدفـقـة كالشلال(5). ويخبرنا الكاتب نفسه في ترجمته لحياته التي كتبها بعنوان «الـصبي الأسود» بأنه قـرأ وهو صبي يعمل أجيـرًا في ممفيس تقارير مفصلة عن أسـوأ ما عمله فيـضـان عـام 1927م، حيث غـمـرت الميـاه مـلايين الهكتارات من الأراضي المزروعـة، وشردت الآلاف من العـوائل وجـعلتـهم بلا مـأوى، وأثار الحـدث في حـينه

اهتـمـام العـالـم كله(6). لكن من المحتـمل أن يكون الكاتب على جـهل بآثار الفيـضان في عوائـل الفلاحين السود الذين كـانوا يقيمـون على ضفـاف النهر، وذلك لأن ما قرأه أساسًا كـان بأقلام رجال بيض. ومن المحتمل أيضًا أنه كان على جهل بعـملية عزل المنكوبين إلى بيض وسـود حتـى في قوارب الإنقـاذ ومـخيـمـات الإغـاثة، ناهيك عن أعـمـال الضـرب والقتل التـي ترتكب بحق العصاة من اللاجئين السود. لكن كان بمقدوره أن يعتمد على معرفته الخاصـة بالجنوب، فيقوم بعد بضع سنين من حدوث الفيضان بلم أشتـات ما قرأه من تقارير الصحف ومـا زوده به أصـدقـاؤه الكتّـاب السـود الجنوبيـون من ذكـرياتهم الخـاصــة عن تلك الأيام، وذلك فـي أثناء وجوده في شيكاغو ـ هذا بالإضـافة إلى ذكرياته هو عن مرحلة طفـولته وصباه التي قضـاها متنقلاً بين المسيسبي وأكنساس وتينيسي ـ، فكانت حصيلة ذلك قصة «هناك عند ضفة النهر»، التي لا تقدم إحساسًا حقيقيًّا بالفيضان وحسب، بل تمضي إلى أبعد من ذلك فتتخطى الحقائق التاريخية لـتصل إلى أعماق الخبرة اليومـية لمشاعر الزنوج في الجنوب الأمريكي. لقد أضـاف رايت من خـبـرتـه وخـبـرة جنسـه وعـائـلتـه وأصـدقـائه كل مـا لم يأت الكتّـاب البيض على ذكـره فيـمـا كتـبوا حينئـذ عن الفيضان.



ريتشارد رايت

وصل ريـتشـارد رايت إلى مـــدينة ممـفـيـس في خريف عام 1926م، وبدأ يبحث عن عمل يستطيع به دفع نفـقات السـفر لأخيه وأمّه اللذين كـانا ينتظران اللحـاق به(7). وقـد حـصل على عـمل في شـركـة لصناعـة العـدسـات، فكان من عـادته قـبل ذهابه إلى الشـركـة التوقف قليلاً عند باب البنـاء الذي يسكنه ليتصفح نـسخة من صحيفة «ممفيس التجارية» يُزجّي بها الوقت، حـتى قدوم أحد أصدقـائه في العمل، كي يذهبا معا. وقد قـاده الاطلاع على هذه الصحيفة إلى قراءة ما كتبه رواد الواقعية الاجتمـاعية الأمريكان من أمـثـال ثيـودور درايزر وسنكلر لويس. وقـد نشـرت الصـحيفـة في أحد الأيام مـقالاً للصـحـفي هـ. ل. مينكين يتناول فيه فيضان ذلك العام، جاء فيه أنّه «كان من الصعب إظهـار الشفـقة على ضحـايا الفيضـان ما داموا لم يكن لأحد منهم تلك النباهة كي ينأى بنفسه عن سيل الميـاه الجـارف»!!(8). ويبـدو أن رايت قـد كتب قـصتـه تلك بعد انضـمـامه إلـى نادي جون ريد الثقافي في شيكاغو، حـيث صار يلتقي بعضَ الكتاب

السـود الذين جـاؤوا مـثلـه من الجنوب، وصـارت حكاياتهم عن الجنوب مـبعث اهتـمام رايت؛ مما جـعله يبدأ كتابة القصص الخمس التي شكلت فيما بعد «أبناء العم توم»، باكـورة أعماله الأدبيـة المهمـة، التي ظهرت بعـد نحو عـشـر سنين من رحـيله عن شيكاغـو إلى نيويورك.

يقول رايت: إنه استمد فكرة القصة بعد قراءته كتابًا بعنوان: «قواعـد الوعي الاجتماعي» في مكتبة شيكاغو العامة. ويضيف بأنه صُدِمَ لحادث يرد ذكره في الكتاب المذكـور، ملخصـه أن إحَدى النسـاء ألقت بنفـسهـا في بحيرة جنيفا لتنقذ رجلاً غريبًا من الغرق، وضربت بذلك مثـلاً على التضـحية والإيثـار؛ ذلك الشعور النبيل بروح الجماعـة الذي يعلق عليـه رايت قائلاً بأنه «الجـذوة التي تحرك قاطرة الفكر ـ نهـر المسيسبي، الدهشة والخوف اللتين حـملتهـما ميـاه الفيـضان. عندها قـررت توظيف الفيـضان لأظهـر تلك العلاقة الحـميمـة بين الجنسين في الجنوب وهما يمران بكارثة أليمة. والحقـيقة أن القصة قد كتبتْ نفسهـا بنفسها»(9). وبالتأكيد فـإن معرفة رايت بالمجتـمع الذي يصفـه قـد سـاعـده في جـلاء الوعي الاجتماعي في القصة إلى الدرجة التي تبدو فيها كأنها لا ترمي إلى وصف ذلك الإحساس الاجتماعي الذي أثار تلك المرأة وجعلهـا تلقي بنفـسهـا في البحيـرة، بل إلى وصف الجنوب الذي يعوزه مـثل ذلك الإحساس. ونرى في القصة كيف يقوم البيض في المدينة بجمع كل السود وإجبارهم بقـوة السلاح على إقامة سـد من أكياس الرمل يقيهم ميـاه الفيـضـان. ونرى أيضًا كـيف يستجيب «هارتفيلـد» لمحنة «مان» وعائلتـه وذلك بإطلاق النار على «الزنجي» ظانًّا أنـه سـرق زورقـه. هكذا فـإن إحـسـاس الكاتب بأن الفـيضان، إذ يمثل فرصة ثمـينة لبيـان تنامي الوعي الاجتماعي، لم يقض على معرفته وعلمه بالجنوب وواقع العلاقـات العنـصرية فـيه، والتـي وضعـها صـورة مـصـغّـرة أمـام عين الـكاتب. وفي عـام 1928م قـامت صحيفة «كرايسيس» بنشر ثلاث حلقات متـواصلة عن الفيـضـان، وأهم ما يسـترعـي الانتبـاه فيـها ذلك الجـزء المخصص لتوضيح النظام الاقتصادي الذي كان سائدًا في ريف الجنـوب من الولايات المتـحـدة وقت حـدوث الفيضان. فوصـفت نظام السخرة القائم آنذاك بأنه وضع غير قانوني أشبه بالعبودية، الغرض منه ربط المزارع الأجير بالأرض بالقوة. وتضيف الصحيفة قائلة: «إن ذلك النظام قد جـاء نتيجـة حتمـية لنظام المحاصـصة في الجنوب، إذ يقـــوم الإقطاعي بـتـسـليـف المزارعين الأجـــراء الذين يسـتخـدمـهم في حرث الأرض وزراعـتـها، وكـانوا في العـادة يبيـتـون مع عوائلهم في مـخازن الغـلال. وحين الانتهاء من جني المحصول يكون الإقطاعي قد اقتطع دَيْنَه السـابق من المزارعين الذيـن لا تكفي أجـورهم لدفع مـا

بذمتهم من ديون. وهكذا يسلمون رقابهم إلى تسلط الإقطاعي وجشعه. ثم تزداد ديونهم عامًا بعد عام، حتى يجدوا في النهاية أن مصيرهم قد ارتبط بمصير ذلك الإقطاعي، ولا فكاك من العمل في أرضه إلى الأبد. وإذا حاول أحدهم الفرار، فإنه لا يلاقي غير السجن، أو الجلد، أو القتل. وهكذا يفقدون حريتهم ويصبحون ضحايا لنظام من العبودية أصبحت جذوره راسخة عميقة، بحيث تصعب معها أية وسيلة في الإصلاح». ثم أشارت الصحيفة أيضًا إلى أن زراعة القطن أصبحت أشبه بالمقامرة، إذ يفقد المالك ما بحوزته من مال نتيجة لسوء المحصول، أو كساد السوق، فيجد نفسه مجبرًا على الاقتراض من المصارف المحلية مقابل رهن المحصول القادم. والحقيقة أن الغاية من القرض هي أن يُصرف على شراء المواد الضرورية في الزراعة، وتوفير الغذاء والكسوة والدواء لصاحب القرض. ولأجل الفوز بقيمة القرض غالبًا ما يُطلب من المالك تقديم إثبات ينص على وجود مزارع أجير واحد يقيم هو وعائلته في كل عشرين فدان من أرضه. من هنا يكون عليه المحافظة على العدد نفسه من المزارعين كل عام.

ومن السهل هنا ملاحظة أن أيام الفيضان تعدّ أوقاتًا حرجة بالنسبة للمُلاّك، وذلك أنّها من الطوارئ التي يسهل معها فرار المزارعين. إضافة لذلك فإن لبعض الولايات الجنوبية قوانينها التي تجيز للمزارعين التنصل من العقود التي بذمتهم لصاحب الأرض، وذلك في حالة تلف المحصول بسبب كارثة طبيعية، على الرغم من أن المالك يمكنه الالتفاف على تلك القوانين بسهولة، وذلك لجهل المزارعين الذين في عهدته بشؤون القانون، وهو على علم تام بأن الحال لا يمكن أن تتغير(10). ويبدو واضحًا بقاء الواقع الاجتماعي للمسيسبي قويًا على ما هو عليه على الرغم من أن المأساة كانت قد اجتاحت آلاف الهكتارات من الأرض. وحينما عاد المزارعون الأجراء إلى بيوتهم بعد الفيضان لم يحملوا معهم غير الحسرة والعذاب. عادوا وهم أفقر من ذي قبل، وغسلت مياه الفيضان كل ما ادّخروه من دراهم معدودات، وكان عليهم أن يبدؤوا حياتهم من جديد، فلم يجدوا مناصًا من إعاة الكرّة في التقرب إلى أسيادهم واقتراض ما يلزمهم لسد الرمق والبقاء ثابتين على المحاريث، وكانت هي الخطوة الأخرى على طريق المديونية الذي لا ينتهي. ويصف ريتشارد رايت في قصة «الرجل الذي رأى الفيضان» من مجموعته الثانية «ثمانية رجال»(11)، كيف عادت إحدى عوائل السود محطمة إلى بيتها الذي كان مسقوفًا بالطين، وكانت قد فقدت كل شيء بسبب الفيضان الذي لم يترك لها غير بقرة هزيلة. كانت المياه قد اكتسحت حظيرة الماشية وزريبة الخنازير وأكواخ الدجاج وبيوت الجيران كلها. ولم يكن للعائلة أن تعرف هل مات الجيران، أم ما زالوا على قيد الحياة. وحينما يعثر الرجل على البقية الباقية من الحياة قبل الفيضان (وهي محراث وعلبة ثقاب وملاعق يغطيها الطين، إلى جوارها فأس مركوزة في الوحل) تتصاعد حماسة الأولاد فينظرون بعناد إلى إطلالة المستقبل، ولو إلى حين. وسرعان ما يستبد بهم يأس جديد أشد من سابقه وقت الفيضان، وذلك حينما تتناهى إلى مسامع الرجل صيحات طفلته وهي تتضور من الجوع.

من ناحية أخرى، يذكر أحد المؤرخين أن عدد الذين شُنقوا من غير محاكمة في الولايات المتحدة بين عامي 1889 و1922م يربو على الثلاثة آلاف وخمسمئة مشنوق معظمهم من الجنوب(12). وقد سبب الفيضان كثيرًا من أحداث العنف، ففي إحدى الصحف الصادرة في تلك الحقبة يرد شنق أربعة رجال سود من دون محاكمة في المسيسبي، الأول لأنه لم يرفع قبعته عن رأسه في أثناء حديثه مع سيدة بيضاء، وآخران جرى حرقهما وهما مربوطان على الخازوق لقتلهما رجلاً أبيض بعد أن هددهما بإطلاق النار، أما الرابع، وكان اسمه «دان أندرسون»، فقد شُنق لإطلاقه النار على سيده بعد أن تخاصما حول دَيْن قديم بينهما، مما حدا بأندرسون إلى قتله والهرب إلى ألاباما، لكن البيض عثروا عليه وأعادوه خلف الحدود مباشرة، حيث قام أكثر من خمسمئة من الموظفين ورجال الدين والأطباء والمحامين مجتمعين بتمزيق جسده بأكثر من مئتي رصاصة أطلقوها مرة واحدة. وتعلق الصحيفة قائلة بأن الحادث لم يكن غير واحد من بين العديد من الحوادث المشابهة التي اعتاد البيض اقترافها بعد أن تزايد حقدهم بسبب فيضان ذلك العام(13).

أثر العنصرية في أبطال قصصه

وعلى الرغم من أن رايت لم يشاهد بعينه واحدًا من تلك الحوادث، ولم يلتق في طفولته بالبيض، إلا أن شخصيته قد تطعمت بها، وصار من الصعب طرد مخاوفها من نفسه، فكتب في «الصبي الأسود» يقول: «وقدم هَلَعٌ من القوم البيض الآن ليحيا على الدوام في إحساساتي ومخيلتي... واجتاح نزاع عنصري الجنوب بأسره، ورغم أني لم أشهد منه شيئًا، فما كان تأثري به يزداد لو أني اشتركت بصورة مباشرة في كل شجار ناشب... وليس شيء قد تحدى مجموع شخصيتي قدر ذلك الضغط من الحقد والوعيد الذي يفوح من البيض غير المنظورين»(14). فلا غرابة إذن أن يتأصل الخوف في حياة رايت وهو شاب، ويخامره شعور دائم من عدم الثقة بالبيض. ولا غرابة أيضًا أن نجده في قصصه يرسم صورة قاتمة لمواطن الخوف الخفية في نفوس أبطاله السود. من هنا نلقاه في قصة «هناك عند ضفة النهر» يركز على الطريقة التي يفهم بها السودُ البيضَ أكثر من تركيزه على خوفهم من الفيضان. فحين كان «مان» ينتظر عودة «بوب» الذي ذهب طلبًا لزورق يحمل به «لولو» إلى المستشفى بعد أن اشتدت عليها آلام المخاض، يسمع أصوات طلقات قريبة فيقول: «... إن من دأبهم في وقت مثل هذا أن يطلقوا النار على الزنجي كما يُطلقونها على الكلب، وكأنهم لم يأتوا عملاً فريًا. وقد يعني إطلاق النار ذاك أي شيء. ولكن من المرجح أن يكون رجل أسود بائس قد قُتل...» ص82. وحيث إن مان قد نشأ وهو مجبول على عدم الثقة بالبيض، وخصوصًا في أوقات الشدة، فإنه يقرر حمل مسدسه معه وهو يمضي لملاقاتهم في عالمهم. وهو الخوف ذاته الذي يجعل «الأم غراني» تمتنع في البداية عن ركوب الزورق المسروق مخافة الموت، وكان شعورها غريزيًا، إذ تخاطب ابنها محذّرة: «لا تنس أن ابن الأخت جيمس قُتل في فيضان مثل هذا تمامًا...» ص88. من ناحية أخرى فإن القصة تستحضر ذلك التراث الشفاهي الذي تتناقله جماعة السود جيلاً بعد جيل، وذلك حينما يستذكر «مان» قصصًا عن عوائل من السود قُتل جميع أفرادها؛ لأن أحد أقربائها قد اقترف خطأً ما. وتعرف «غراني» و«مان» بأن الفيضان سيزيد الطين بلة، ويجعل العلاقات العنصرية أشد خطرًا وإيذاء من ذي قبل. ومعرفتهما غريزية كما هي الحال مع رايت والقصص التي كان يسمعها وهو طفل حين يقف «ساعات على أبواب بيوت الجيران أصغي إلى أحاديثهم، لأعرف كيف صفعت امرأة بيضاء امرأة زنجية، وكيف قتل رجل أبيض رجلاً أسود، فيملؤني ذلك رهبة، وتساؤلاً، وخوفًا، فأروح أطلق سيلاً لا ينقطع من الأسئلة»(15).

وفي «هناك عند ضفة النهر» يرسم رايت صورة مغايرة للرجل الأسود تختلف تمامًا عن جميع القوالب الجاهزة التي يظهر بها في عموم الأدب الأمريكي حتى ذلك الوقت. فأكثر شخصياته السوداء مشربة بشحنة قوية من العواطف والانفعالات المتضاربة على الرغم من ذلك الشعور الطاغي المتمثل في خوف الرجل الأبيض

اعتمد رايت في كتابة قصته على معرفته الخاصة بالجنوب وذكرياته عنه، إضافة إلى ما زوده به أصدقاؤه من الكتاب السود من ذكرياتهم عن تلك الحقبة

من الأسود. فحينما يسمع أحد البيض أن امرأة من جنسه قد اتُّهمت أحد السود بفعل ما معها في مخيم الصليب الأحمر، يبادر قائلاً: «هل تُحرِّش بامرأة بيضاء؟». وفيما بعد، وفي الخيمة التي أعدها الآمر في المخيم لتكون بمثابة محكمة لاستجواب «مان»، يسأل الآمر السيدة هارتفيلد ثلاث مرات: «هل تحرش بك، أيتها السيدة هارتفيلد»، و«الفتاة الصغيرة؟»، «هل تحرش بك، عندئذ، أيتها السيدة هارتفيلد؟» ص167. كل ذلك ليبعد عن نفسه والبيض الآخرين، أي باعث آخر أقل أهمية من اغتصاب امرأة بيضاء. وبكلمة أخرى، فإن الاعتقاد الطاغي على الرجل الأبيض من أن السود يشكلون تهديداً للنساء البيض وبناتهن، واجتهاده في جعل جريمة الرجل الأسود أكثر شناعة مما هي عليه حقاً، وذلك بعدم إعطائه فرصة للضحية في الدفاع عن نفسه، هو عمل أكثر تحطيماً لنفسية الأسود من التهمة التي اقتيد للمحاكمة بسببها.

التطلع إلى حياة أفضل

تذكر بيتي دانيال في كتابها الطريف عن فيضان المسيسبي عام 1927م، نقلاً عن التقرير النهائي الذي أعدته «لجنة أحوال الملونين»، أن اللاجئين السود الذين شردهم الفيضان كانوا يعانون من ضعف المعنويات واليأس القاتل، وقد داهمهم الفيضان؛ لأنهم لم يكونوا على معرفة بواقع حياتهم وما يجري حولهم من أمور. لقد فر كثير منهم بجلودهم، وجاؤوا حفاة عراة، تاركين خلفهم الأقارب والأصدقاء الذين بقوا يصارعون الطوفان العاتي(16). ثم يضيف التقرير قائلاً: إن الزنوج في دلتا المسيسبي «إضافة للخوف الذي يكتنفهم يعيشون واقعاً من الفقر المدقع على الرغم من عملهم على مدار العام. أما بيوتهم التي هدمها الفيضان فليست غير أكواخ بائسة، ولقمة عيشهم مرهونة بيد الإقطاعيين البيض وما يتصدقون به عليهم. وإذا ما كان الإقطاعي عديم الضمير والأخلاق، فإنه يسعى لسد ما بذمته من دين أخذه من الصليب الأحمر من عرق الفلاحين وجهدهم، ومن دون رادع». ثم يقول التقرير: «إن من القسوة إرجاع هؤلاء المشردين السود إلى حياتهم السابقة بعد نزوح مياه الفيضان، فهم يتوقون إلى حياة أفضل، وهذا واضح من خلال الأغاني التي كانوا يرددونها في مخيم الإغاثة والتي تقول:

مسح الفيضان الديون القديمة
وحررنا من السخرة»(17).

تركز قصة «هناك عند ضفة النهر» على الفيضان نفسه، وترسم بدقة ذلك الخطر الذي أثار مكامن الظلم في المجتمع، والذي قاد بدوره الرجل الأسود إلى اليأس والقنوط، ثم الموت. فمنذ بداية القصة يلخص الكاتب ما يعتمل في صدر «مان»، إذ يقول: «تراءى له أن ليس من العدل أن يضربَ المرء مثلَ هذا الضرب العنيف كله على جنوبه جميعًا دفعة واحدة» ص81. وكانت جميع البذور التي أعدها للزرع في الربيع القادم قد تبللت وتعفنت، وضاع معها أمله الوحيد. لم يكن يأسه بسبب الخوف من تحطم السد، أو آلام المخاض التي ألَمَّت بلولو التي يبدو أنها لا تنتهي، أو بيته الذي ذاب في مياه الفيضان، بل في المستقبل المجهول: لا زرع أو حصاد. ذهب البغل، ونفرت البقرة سالي، وضاع المال والطعام. فالفيضان هنا يقود الحدث في القصة، ويوصل الصعوبات اليومية المألوفة إلى درجة مخيفة تتناقض معها عزيمة «مان»، ولم يكن له غير الاعتماد على الحظ والمصادفة، إذا ما أراد البقاء حيًا. وقد رفض بادئ الأمر الفرصة التي سنحت له بالرحيل على ظهر زورق الصليب الأحمر: «فقد توهم أن المياه سوف تنحسر في وقت قريب، وإذا أقام حيث هو، فسوف يكون أول من يرجع إلى الحقول ويشرع في حراثة الأرض مع الربيع». ص80. ولكن المياه استمرت في الارتفاع، فأجبر على إرسال «بوب» عسى أن يبيع البغل ويشتري زورقًا. وصادف أن حصل بوب على الزورق المنشود بعد أن سرقه من مكتب البريد، وكان زورق الرجل العجوز هارتفيلد. ثم خاطر «مان» مرة أخرى حين اعتقد أن هارتفيلد سيسامحه ويتفهم السبب الذي حدا به إلى السرقة، وأن الرجال البيض في مستشفى الصليب سيعتنون بلولو. ثم صادف أن يطلق «مان» النار على هارتفيلد إنقاذاً لحياة لولو وحياة العائلة. وحين يصل به المطاف إلى هذه المرحلة يشعر أن لا فائدة بعد الآن: «... وأوهن الخوف من قواه. وحداه حافز باطني خانق على أن يقف. وأحس أنه هالك لإطلاقه النار على رجل أبيض. واستشعر أن لم يبقَ ثمة فائدة من تجذيفه بعد الآن» ص107. أجل لا جدوى من التجذيف بعد الآن! حلَّ اليأس وضاق عليه الخناق، وحياته لم تعد ملكه. لقد علَّمه الجنوب أن ثمن قتل رجل أبيض هو رقبته، حتى لو كان الأمر دفاعًا عن النفس. وجاء قتله لعدم امتثاله لمطالب المجتمع، وخلافًا لغريزته التي كانت تطلب منه القيام عكس ما يفعل تمامًا. فهو إنسان، تمامًا مثل كل البشر حين يستسلمون لقدرهم المحتوم، ويقومون ما وسعهم بتنفيذ الواجب الأخلاقي المنوط بهم. وقد أراد «مان» إنقاذ عائلته من الموت، فدفع الثمن غاليًا.

أدب تدعمه الخبرة الشخصية

لقد جاء تصور ريتشارد رايت لخصوصية العلاقة بين البيض والسود في الجنوب الأمريكي من خبرته في دلتا المسيسبي، وأظهرت قصصه تأثير ذلك النظام الاجتماعي الجائر في إجهازه على كل الطموحات الفردية، كما أظهرت ما كان يخامر الكاتب من شعور وهو طفل من أن البيض في بطشهم وعدم اكتراثهم بالناس وسلوكهم المحير الذي لا يُعرفُ كنهه، أشبه بقوة من قوى الطبيعة، إذ تدخل عنوة إلى حياة الزنوج وتفعل بهم ما تشاء. تقوم فلسفة رايت على أساس مبدئي من أن البشر جميعًا أشرار، وكل فرد مستعد لارتكاب الخطيئة، فهذه هي نزعته التي فطره الله عليها. والشر واحد سواء كان في الإنسان، أو الطبيعة، وكلاهما أمر مقدر، لا سبيل لتغييره، والإنسان على ما هو عليه الآن لا يساوي شيئًا في تخبطه بين عالم الحاجة وعالم الحرية، إذ لا يملك حرية الاختيار بنفسه، وهو مخلوق مولود للعذاب واليأس والموت، وحيد أمام تقلبات الطبيعة، ومسائل الحظ والقدر، وجحود الحياة، وكل ما عليه ليدافع عن وجوده وحياته، استخدامُ عقله وإرادته، فبقوة العقل والإرادة يمكنه أن يعمل ما تبقى له من عمر.

الهوامش:

1- (Down by the Riverside) in Richard Wright, Uncle Tom's Children (New York: Harper and Row, 1938), pp. 54-102.

كما يمكن الرجوع للقصة في مجموعة «أبناء العم توم»، ترجمة منير البعلبكي، بيروت، المكتبة الأهلية، الطبعة الثانية، 1964م، ص 77- 171. وجميع الاقتباسات الواردة هي من هذه النسخة، وستأتي مشفوعة برقم الصفحة.

2- للتعرف على تأثير همنغواي في ريتشارد رايت يمكن الرجوع إلى:

Edwin Berry Burgum, (The Art of Richard Wright's Short Stories). Quartely Review of Literature, 1 (1944), p. 200ff.

3- Alan Dundes, The Flood as Male: Myth of Creation, in The Flood Myth (Berkeley: University of California Press, 1988), pp. 167-182.

4- للتعرف على مثال النار لدى الكاتب يمكن الرجوع إلى:

Dan McCall, The Example of Richard Wright (New York. 1969), pp. 175-178.

5- Constance Webb, Richard Wright, A. Biography (New York: Putnam's, 1968), p. 20.

6- يمكن الاطلاع على وصف كامل لما سببه فيضان ذلك العام بالرجوع إلى كتاب دانيال:

Pete Daniel, Deep'n as It Come: The 1927 Mississippi River Flood (New York: Oxford, 1977).

7- Addison Gayle, Richard Wright: Ordeal of a Native Son (Garden City, New York: Anchor/ Doubleday, 1980), p. 41.

8- Keneth Kinnamon, The Emergence of Richard Wright (Urbana: University of Illinois Press, 1972), p. 41.

9- Michel Fabre, The Unfinished Quest of Richard Wright, tr. Isabel Barzun (New York: Morrow, 1973), pp. 121-122.

10- Cited by Fabre, Ibid., pp. 123-124.

11- (The Man Who Saw The Flood), in Richard Wright, Eight Men (Cleveland: World & Co., 1961), pp. 89-94.

12- John Hope Franklin, From Slavery to Freedom, 4th ed. (New York: Knopf, 1974), p. 363.

13- Franklin, Ibid., pp. 351, 357, 454.

14- «الصبي الأسود»، ترجمة سهيل أيوب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق د.ت، ص142- 143. وكذلك ص143- 145.

15- المصدر السابق، ص142- 143.

16- Daniel, Ibid., pp. 109-110.

17- Ibid., p. 161

التجربة قيمة



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

يظهر لي من استقراء معاني الجيم والراء والباء أن أصلها الوضعي الاسم لِلَوْن كلون الجرب، واشْتُقَّ من هذا معان مجازية عديدة.

ووجه اشتقاق التجربة من احتمالات عديدة:

أحدها: أن يكون من تجريب الإبل بمعني تمريضها من داء الإبل.. ومجرب الإبل ذو خبرة بدائها ودوائها، وهي خبرة مهمة لدى العرب لتعلقها بأعز موجود لديهم وهو الإبل، فاستعاروا التجريب لكل خبرة.

وثانيها: أن الجَرَبَ من أسوأ الداء لدى العرب، لأنه يصيب الإبل أغلى شيء في حياتهم، فمجرب تساوي مُبتلى بالمصائب والشدائد.. إذن الجرب رمز لها.

وثالثها: أن يكون مشتقًا من الجراب، كأن حياته جراب ابتلاء.. ورُوعي في تسمية ذلك الوعاء جرابًا أنه أول ما استُعمل كان في لون الجرب خلقة أو دنسًا.

والتجربة في الاصطلاح الأدبي هي المشاعر والأفكار والصور والصياغة الأسلوبية الصادرة عن خبرة الأديب، وهي موضوع للحكم فتُوصف بأنها صحيحة أو سقيمة.. ناجحة أو فاشلة.

ويُراعى في تجربة الأديب التي هي خبرته أن تكون الخبرة استخلاصًا من حالات مكررة في أزمنة وأمكنة مختلفة.. وعلي أشخاص مختلفين..

وتأتي الخبرة من مشاركة الفرد في أحداث الحياة، ومن ملاحظته لها، ومن اطّلاعه علي تجارب الآخرين من خلال الكتب والآثار.

وكل ما أحدث في حياة الفرد تغيُّرًا نافعًا من ممارسته أو ملاحظته فهو تجربة.

واكتسبت التجربة قيمة معيارية في ذاتها، فصارت تعني النافع، ولهذا لا يكون التغير الضار كالنسيان من التجربة في شيء.

وكان الشاعرالإنجليزي جيفري تشوسر (نحو 1340- 1400م) يميز بين مصدرين للأديب هما: التجربة بالمعني المشار إليه هنا، والحقائق التي يستفيدها الإنسان من الكتب القديمة التي تُعدّ كنزًا للذكريات البشرية والحكم التي استخلصها البشر خلال العصور المختلفة، فعلى الأديب، في نظره، أن يجمع في أدبه بين الاثنتين.

وهي غير التجربة التي تعني «التدخل في مجرى الظواهر للكشف عن فرض من الفروض أوللتحقق من صحته»(1).

قال أبو عبد الرحمن: ليس هاهنا تدخلاً في مجري الظواهر، وإنما هو استعراض لعدد من الظواهر التي يختلف مجراها أو لا يختلف لاستخلاص قانون منها .

وقال الدكتور جميل صليبا: «لهذا اللفظ عند الفلاسفة معنيان أحدهما عام والآخر خاص».

المعنى العام للتجربة هو الاختبار الذي يوسع الفكر ويغنيه، والمجرَّب هو الذي جَرَّبته الأمور وأحكمته.. فإن كسرت الراء وجعلته فاعلاً كان معناه مَنْ عَرَفَ الأمور وجَرَّبها.. وبهذا المعنى قال المتنبي:

ليت الحوادثَ باعتني الذي أخَذَتْ

منّي بحلْمي الذي أعطَتْ وتجريبي

والتجربة أيضا هي التغيرات النافعة التي تحصل لملكاتنا، والمكاسب التي تحصل لنفوسنا بتأثير التمرين، أو هي التقدم العقلي الذي تُكسبنا إياه الحياة.

والتجربة بهذا المعنى قسمان: تجربة الفرد، وتجربة النوع.. وهذه الأخيرة هي التي تنتقل إلينا بالتربية، واللغة، والتقليد، أو بالوراثة النفسية والفيزيولوجية .

ولا يُطلق لفظ التجربة إلا على التغيرات النافعة.. أما التغيرات الأخرى كالنسيان، وعدم المبالاة، وفساد الأخلاق: فلا تُسَمَّى تجارب.

وفي نظرية المعرفة يُطلق لفظ التجربة علي المعارف الصحيحة التي يكتسبها العقل بتمرين ملكاته المختلفة لا باعتبار هذه المعارف داخلة في طبيعة العقل، بل باعتبارها مستمدة من خارجه.

والفلاسفة يفرقون بين التجربة الخارجية (بطريق الإدراك الحسي)، والتجربةالداخلية (بطريق الشعور).

والتجربة هي أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة في شروط معينة

يهيئها بنفسه، ويتصرف فيها بإرادته.

ففي كل تجربة ملاحظة إلا أن الفرق الوحيد بينهما هو أن الملاحظ يشاهد الظاهرة كما هي عليه في الطبيعة في حين أن المجرب يشاهدها في ظروف يهيئها بنفسه.. وغايته من ذلك الوصول إلى قانون يعلل به حوادث الطبيعة.

وقد اختلف العلماء في حقيقة التجربة، فقال بعضهم: إنها مضادة الملاحظة.. بمعنى أنها تقتضي تدخل العالم في حدوث الظاهرة(2) في حين أن الملاحظة لا تقتضي ذلك.

وقال بعضهم: إن من تمام التجربة أن يقصد بها تحقيق نظرية أوفرضية أو توليد فكرة، وليس ذلك من شرط الملاحظة (انظر ستيوارت ميل: كتاب المنطق، الجزء الثالث، الفصل السابع في الملاحظة والتجربة، وكلود برنارد: كتاب المدخل إلى الطب التجريبي، الباب الأول، الفصل الأول في الملاحظة والتجربة).

وتلخيص ما جاء في كتاب كلود برنارد أن التجربة هي الملاحظة المحدثة لتحقيق الفرضية أو للإيحاء بالفكرة.. وهي بهذا المعنى مرادفة للتجريب».

قال أبو عبدالرحمن: إنما يكتسب العقل معارف صحيحة من الخارج من ناحية معرفتها كما وقعت.. وأما الحكم فيها فيكون من قوانين مستخلصة من الخارج، ويكون من مبادئ فطرية ضرورية قبلية نابعة من طبيعة العقل لأنه مجبول عليها.

فالعلم أن الضرب بغير مثقل على موضع قاتل عليل بتكرار وعنف يحدث إزهاقًا للنفس: خبرة مأخوذة من الخارج .

وفعل ذلك في النفس البريئة ظلم وعدوان يحكم به العقل من داخله.

وكان الشاعر الإنجليزي تشوسر يميّز بين مصدرين للأديب هما: التجربة بالمعنى المشار إليه هنا، والحقائق التي يستفيدها الإنسان من الكتب القديمة التي تُعدّ كنزًا للذكريات البشرية، والحكم التي استخلصها البشر خلال العصور المختلفة. فعلي الأديب، في نظره، أن يجمع في أدبه بين الاثنتين.

وهي غير التجربة التي تعني «التدخل في مجرى الظواهر للكشف عن فرض من الفروض أو للتحقق من صحته»(3).

وقال الأستاذ مجاهد: «التجربة الفنية البعد الزمني الذي يتجسد من خلاله كل العمل الفني، وفيها يتطور الحدث، وتتطور الشخصيات، وتتكشف مصائرها، وتعي هذه المصائر. والتجربة الفنية هي ما أسماه أرسطو قديمًا: الحدث، وفيه نجد الفعلَ، وردٌ الفعل مع تطور في الشخصية هو ما أسماه أرسطو الانقلاب في الموقف»(4).

الهوامش:

1- معجم المصطلحات ص88.
2 - ليس هناك تدخل في الظاهرة نفسها، وإنما هناك استعراض لعدة ظواهر، وهناك استخلاص للقانون من عدة ظواهر، وتفسير لكل ظاهرة على حدتها.
3 - معجم المصطلحات ص88.
4 - دراسات في علم الجمال ص41.

قصة شجرة

محمد علي الجفري

منذ سبع سنوات كانت بجوارنا شجرة، ولازالت، تظلل منزلنا بملايين الأوراق الخضر الصغيرة، وتنتج لنا نوعًا من الثمار التي تمتزج فيها حلاوة السكر بشيء من المرارة لتكتسب طعمًا متميزًا. وعندما هاجم أحد الجيران هذه الشجرة قبل أربع سنوات بفؤوس لا ترحم شهدتُ بكثير من الحزن سقوط هذه الشجرة العملاقة، وظننت أن قصتها قد انطوت، ولكن جاري قال لي: اطمئن فإنها ستعود كما كانت وأعلى.

لقد أبقى الجار أحد فروع الشجرة وترك أيضًا ثلاثًا من سيقانها المبتورة متجذرة في أعماق التربة، فلم تمض سوى عشرة شهور حتى كان العملاق قد انتفض ومعه ملايين الأوراق الصغيرة كأنها قد ولدت من جديد، وعادت معها ثمرتها الحلوة المشوبة بالمرارة.

ها هي ذي عملاقة كما كانت، بل أعظم، وقد تشعبت غصونها وتمددت ظلالها، فلسنا نرى الشمس في العصر، لأن ملايين القصاصات الخضر المعلقة في السماء تحجب أشعة الشمس وحرارتها وتمنح منزلي، والحي عمومًا جمالاً ليس بعده جمال.

ومنذ سبع سنوات تعودت أذني سماع تغريد العصافير وزقزقتها في الصباح الباكر، فإذا صحوت من النوم على تغريد وزقزقة شديدة علمت أن صلاة الفجر في المسجد قد حانت وأن هذه المخلوقات الجميلة تسبح للّه، كما تُسبح ملايين الأوراق على شجرتنا الباسقة بحركات هادئة، وظلال وافرة وارفة.

وفجأة اختفت العصافير الكثيرة وموسيقاها الصباحية وساورني الحزن عليها، ولكن سرعان ما انكشف السر، ذلك أن لكل طائر وقتًا معينًا لتشغيل حنجرته، وقد اختارت بعض الطيور الساعة الثامنة والنصف صباحًا مع ارتفاع الشمس في الأفق لترفع عقيرتها بالصياح. هذا ما حدث، فقد استهوت الشجرة الكبيرة العالية، فيما استهوت من خلق الله، ذلك الطير الأسود المسمى بالغراب، فبنى له عشًا، وربما عدة أعشاش لمجموعة من الطيور السوداء التي أرعبت البلابل والعصافير، فإذا صوت النعيب ينطلق في أجواء الحي، لإيقاظ من كان لايزال في سباته العميق.

وفيما كانت الشجرة تتعملق كانت مستوطنات الغربان تزداد، وكنت بكل صراحة أتشاءم وأتوجع من هذا الضيف الثقيل الذي حل محل العصافير.

ويبدو أن الغراب طير لا يعيش إلا في الأعالي، لأن العصافير وقد عرفت النهج الغرابي بدأت تلملم أعشاشها في وسط الشجرة بعيداً من تلصص الإنسان وبمنأى عن ذلك الوحش الأجش الأسود. وهكذا عادت العصافير إلى أوطانها، وأصبحنا نستمتع بالتغريد، وحتى بالنعيب في وقتين مختلفين، حتى جاء ضيف ثالث.

ففي شجرة كبيرة كهذه لا بد لبعض سكان الفضاء من ارتيادها للبحث عن مكان آمن. ويبدو أن ذلك لم يتيسر، بل أستطيع أن أخمن أن الغراب قد فتك بحمامة أو حمامتين فتحاشى الحمام السكنى بجوار الغراب، لكنه مع ذلك وجد لنفسه مكانًا قريبًا من الشجرة بعيداً من سطوة الغراب. واختار الحمام ساعة مختلفة للهديل: بعد العصافير بساعة، وقبل الغراب بساعتين.

إن وجود شجرة في منزلنا من أعظم نعم الله علينا، ففيها الجمال والظلال. وفيها السكن للطيور من مختلف الأصناف، وفيها الحماية من تلوث الهواء، وهي أيضًا مثمرة بذلك الثمر الحلو المرير. إنها عمارة خضراء من عدة طوابق تمنحنا جمالاً وظلالاً وحماية، فلو قلت: إن منزلنا الصغير يقع في أحضان هذه الشجرة التي تشبه حدائق بابل لما جانبت الصواب. ولو قلت: إن الأرض التي نعيش عليها قادرة على توليد ملايين الشجر وزراعة الكثير من الغابات، وفتح صناعات الورق عليها وغير ذلك من الأنشطة، لما جافيت الحقيقة. لكن علينا أن نسعى على هذه الأرض الذلول الخجول لاكتشاف الخيرات المبثوثة في طياتها، من صنع الخالق البارئ سبحانه وتعالى.

قصيدة

الوقوف على عرفات

شعر: محمود محمد كلزي

من هنا.. من معسكر الإيمان   سنقود الجيوشَ للمعمعانِ
من هنا.. من كتائب الحق والـ   ـقوة من كل مؤمنٍ متفانِ
من هنا.. من بوارق العزة القعـ   ـساء من كل باتر هندواني
من هنا.. من خيامنا من نفوسٍ   عافت السحر والهوى والمغاني
تركتْ لذة الحياة لقومٍ   ذوّبوا العمرَ في ظلال الدنانِ
وتلاقت - من كل فجٍ عميقٍ   وعلى كل ضامرٍ - في جِنانِ
وتنادت «لبّيكَ» في عرفاتٍ   ولك الحمدُ فوق كل لسانِ
آثرتْ عالم التقشف والزهـ   ـد على عالم المجونِ الفاني
وتنسّمْتُ من شذاها أريجًا   كان أزكى من عابق الريحانِ
وتعطّرتُ.. لم أحسّ بنفسي   أيّ روح مرفرفٍ نشوانِ
أيّ دنيا أعيش بين مجاليـ   ـها.. وفي أي عالمٍ فينانِ؟!
أي سحر.. يحفّ بي.. أي إلهـا   مٍ.. ووحي يجوس عبر كياني
أنا في جنة الخلود أغنّي   أم على أيكة القطوف الدواني؟
أم من الكوثر المعنبر قد عبّـ   ـتْ شفاهي.. أم سلسبيل الجنانِ؟
أنا في أي عالمٍ باسمٍ مز   دحمٍ بالكواعب الولدانِ؟!
وتلفتّ.. لم أجدْ غيرَ دنيا   من يقينٍ يفيض بالعنفوانِ
غيرَ إيمانٍ عاصفٍ يتحدّى   الزيفَ من فاسقٍ ومن شيطانِ
ولمحت الإباءَ فوق جباهٍ   لم تدنسْ بوصمةٍ من هوانِ
ثورةً وانتفاضةً تتشظّى   حممًا من براثن البركانِ
تصفع البغيَ والطغامَ وتُردي   كلَّ قزمٍ يختال بالشنآنِ
في ربوع الإسلام في كل صوبٍ   في «سرايفو» في ذرى البلقانِ
وتروّي سهولها ورباها   من دمٍ طاهر الشآبيب قانِ
دولة الظلم لن تدوم وإني   ألمح الفجرَ خلف سجف الدخانِ
هاهمُ المؤمنون في كل حدبٍ   وحّدتهمْ مشاعرٌ وأماني
فارتضواْ بالنبيّ خيرَ زعيمٍ   وانضوَواْ تحت راية القرآنِ
أيّ فردوسٍ ساحرٍ قد تفيّأ   تُ به تحت عاطر الأفنانِ
فقبست النشيدَ منه طروبًا   سابحًا في مشاعر التحنانِ!
أنا إن قَصّرَ اليراع بيانًا   ففؤادي مسربل بالبيانِ
أي ذكرى عزيزة خطّها الـ   ـقلبُ بحبرٍ مضمخٍ أرجواني
هي ذكرى أحسّها في دمي تسـ   ـري وفي أضلعي وفي أجفاني

من أجل فهمٍ تاريخيٍّ يؤسِّس للمُستقبل

د. خيرالدين عبدالرحمن

عندما ندرك أن قيمة التاريخ الحقيقية تكمن في قدرتنا على فهمه وإدراك كنه أحداثه وتحولاته وجوهرها بما يساعدنا على التأسيس للمستقبل، تتداخل ثلاثة أبعاد: الحاضر الذي نحاول الفهم فيه، والماضي الذي تراكمت أحداثه وتغييراته النابعة من المجتمع أو الوافدة عليه، والمستقبل الذي نسعى إلى تأسيسه في ضوء مسارات الماضي ووقائع الحاضر.

وهكذا، فإن جوهر دراسة المستقبل هو استجلاء المرامي والأغراض عبر إنعام النظر في الواقع الراهن وكيفية نشوئه وتطوره التاريخي، والبنى والأنساق والعلاقات التي حكمت التغيير وحددت مسار التطور. كما أن مقصد دراسة المستقبل هو محاولة توقع الأحداث القادمة من أجل الاستعداد لها والسعي إلى التأثير فيها وتعديل مسارها قدر الإمكان، عبر تطوير طرائق أفضل للتفكير في أمور الغد وإعداد الأساليب والوسائل البديلة للتعامل مع أكبر عدد ممكن من الظروف المستقبلية المتوقعة. ويقتضي هذا تحديد الاختيارات المتاحة في ضوء أقصى قدر من المعلومات المتاحة بأعلى مستوى ممكن من الدقة، ومن ثم ترجيح الخيار الأفضل وفقًا للتغييرات المتوقعة والممكنة. وهنا تتداخل مفاهيم التحليل والاستنباط والإسقاط والتخطيط والاستقراء والتنبؤ والاستشراف.

ملاحظات مهمة تفرض نفسها

وتفرض عدة ملاحظات مهمة نفسها في هذا المجال. أول هذه الملاحظات: اليقين بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ومن ثم فإن التعاطي مع المستقبل هو تعامل مع احتمالات أحداث وتحولات لا يمكن الجزم بقدومها، أي إنه تعامل مع مجهول نحاول تصوره شبه معلوم، وبهذا يظل الحذر الشديد مطلوبًا في هذا التعاطي مع المستقبل، حيث لا يمكن الاكتفاء بتوقع واحد جامد محدد له.

الملاحظة الثانية: هي أن الماضي لا يمكن أن يصبح حاضرًا أو مستقبلاً، وبذلك فإن المقولة المتداولة الزاعمة - بين حين وآخر - بأن التاريخ يكرر نفسه تنطوي على خطل فاضح وخلل شديد. بينما المستقبل سوف يصير حاضرًا بالضرورة، ومن ثم يتحول إلى ماض، وهكذا فإن جل التركيز والاهتمام يجب أن يتوجه إلى المستقبل. إن التاريخ عملية مركبة لتقدم الحياة الإنسانية، ويتم هذا التقدم وفقًا لحركة تطور تصاعدية، لا وفقًا لحركة دائرية تكرارية. ومادام جوهر مسيرة التاريخ هو سيادة مفهوم التغير والتحول والتطور، فإن توظيف التاريخ لخدمة الحاضر والتأسيس للمستقبل يستند بالضرورة إلى رؤية متحركة تعي عوامل التحولات الجذرية في هذا التاريخ وكنهها، بحيث يستفيد البناء المستقبلي بوعي من تجارب الماضي ودروسه كدلائل يتيحها التفاعل المبدع من تلك التجارب والدروس، لا عبر استحضارها قوانين جاهزة جامدة أو مرجعية مقدسة للحاضر والمستقبل، ولا عبر الاحتماء بالتاريخ والتشرنق فيه كموقف دفاعي سلبي هروبا من قسوة الحاضر ويأسًا من المستقبل؛ بما يعطل الوعي بالتاريخ ويحول دون وعي بالمستقبل على أساس هذا الوعي بالتاريخ، وبما يدفع إلى ركون لحتميات وهمية مزعومة يسوقها الزمن تلقائيا، فيتلاشى الفعل الذاتي الجمعي ويفقد مسوغاته ودوافعه، وتضمحل إرادة التغيير والتطور الواعي. أما الملاحظة الثالثة: فهي أن معرفة الذات أساسًا، ومن ثم معرفة الآخرين، ترتبط بإدراك كون التجارب الإنسانية الجمعية متواصلة وليست مقطوعة الجذور. إن المستقبل مرتبط بالحاضر، سواء كان امتدادًا له أو رفضًا في سياق الاستجابة لتحدياته، والحاضر مرتبط بالماضي كذلك. وعلى الرغم من القول بأن «الماضي لم يعد قادرًا على إعطاء دروس مباشرة للحاضر والمستقبل»(1)، فإن الارتباط مستمر، لكن هذا الارتباط ليس تلقائيًا ولا آليا (ميكانيكيًا)؛ بل يرتبط الراهن والقادم بالماضي في سياق تفاعلات معقدة تتداخل عوامل متعددة فيها، ويتراوح تأثير كل واحد من هذه العوامل ما بين ثبات نسبي وتأرجح يصعب ضبطه ومفاجآت غير متوقعة. لكن معرفة الذات وإدراك مكامن القوة والضعف فيها وحقيقة موقعها السابق والحالي في المسيرة الإنسانية - تفاعلاً وفعلاً وانفعالاً - شرط رئيس لاستشراف المستقبل والاستعداد لمتطلباته وتحولاته ومحاولة التحكم في مساره، عبر تقرير ما تحتاج الأمة إليه، وما

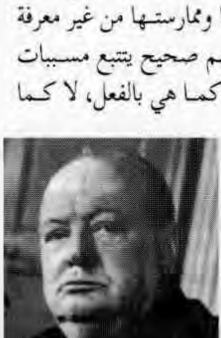
تستطيع تحقيقه مما تحتاج إليه، وكيف تحققه. لقد بات هذا الشرط الرئيس شديد الإلحاح في عصرنا الراهن تحديداً، لكي تنجو الأمة من سحق الآخرين لها، أو من قهر خارجي تتوالد محاولاته باستمرار، أو من خلل داخلي يدفع إلى التلاشي والانتحار، أو يحيل الأمة إلى مجرد كم منبوذ ومستباح ومفعول به من غبار بشري مهمل على هامش التحولات الإنسانية الكبرى.

التاريخ بين الفهم السليم والعبث

إن إرادة البقاء والنهوض والتطور لا تقوم بغير معرفة صحيحة للذات ووعي سليم بها، من هنا تبرز أهمية فهم التاريخ فهماً سليمًا واعيًا، مثلما تبرز خطورة العبث بالتاريخ ومسخه، أو الجمود في قوقعة ذكريات وقائعه وتحولاته. إن التعامل مع النتائج الراهنة ومعالجة السلبي فيها، وتطوير الإيجابي منها، مسائل لا يمكن التصدي لها وممارستها من غير معرفة سليمة دقيقة قائمة على فهم صحيح يتتبع مسببات هذه النتائج وآليات تولدها كما هي بالفعل، لا كما



كونراد أديناور



تشرشل



أرنولد توينبي

تُصوِّرها روايات وتقارير تاريخية تداخلت الأهواء والأغراض المشبوهة في صياغتها وانتقاء عناصرها. فعندما نحاول التأسيس لنهوض حضاري مثلاً بعد تشخيص الواقع الراهن، آخذين في الحسبان معطياته الملموسة وأمراضه المحسوسة والمستترة، لن نستطيع التوصل إلى تصور سليم ما لم نسترجع جذور هذه المعطيات، وأصول تلك الأمراض، وصولاً إلى ثمارها الراهنة. نأخذ على سبيل المثال ظاهرة التحول الذي يشهده مفهوم الدولة حاليًا ببعديه السياسي والاجتماعي، حيث تتجه دول الشمال إلى الاندماج باندفاع قوي في إطار واسع يتجاوز خصائصها الكيانية التي تبلورت على امتداد قرون، وتناقضاتها اللغوية والقومية والتاريخية، ليجمعها في تكتلات تعزز هيمنتها وتزيد من قدرتها على فرض إرادتها ومصالحها، في مقابل مزيد من التمزق والتفكك العرقي والإقليمي والطائفي والمذهبي والقبلي للدول العربية والإسلامية على الرغم من كونها تخص أمة واحدة. إننا لا نستطيع اقتراح حلول لمعالجة ظاهرة البنيان الرخو لكل من هذه الدول العربية والإسلامية، أو ضعف دفاعها الذاتي على الرغم من التضخم الكمي والعددي لأجهزتها العسكرية والأمنية، أو قصورها في تعبئة جهود مواطنيها وطاقاتها لتحقيق التنمية، أو هشاشة تماسكها، أو أية ظاهرة مماثلة ما لم نتتبع، مثلاً، جذور طغيان العامل السياسي، ومحدودية العاملَيْن الاقتصادي والاجتماعي، وهامشية العامل الثقافي، والتداخل التاريخي لأنماط الإنتاج التي تراكمت عبر قرون طويلة، من نمط الإنتاج البدوي التوسعي القائم على الأبوية والمراكمة الكَمِّية للثروة، إلى نمط الإنتاج القرابي - الإقطاعي الذي تميزت الدولة الأموية به، إلى نمط الإنتاج الإقطاعي - التجاري الذي ساد حياة الدولة العباسية، إلى طغيان نمط الإنتاج العسكري - الإقطاعي في الدولة العثمانية(2)، مع تعاظم دور الأقليات الشعوبية والطوائف المتنافرة وتراجع دور العامل العقدي والثقافي الناجم عن تهميش الدور القيادي للعرب منذ بدأ الخلل في الدولة العباسية.

كيف نتعامل مع التاريخ؟

وسواء نظرنا إلى التاريخ بوصفه عرضًا بسيطًا للنتائج الصادرة عن مزاج الأمم النفسي، كما رآه غوستاف لوبون، أو سجلاً لإبداعات البشر وسقوطاتهم كما رآه ابن خلدون، أو سجلاً لتجارب الأمم، كما عدّه ابن مسكويه، فإن التعامل معه يحتاج إلى حذر شديد، بحيث لا نحوله إلى «سلسلة من المكائد التي ندبرها للإيقاع بالأموات» على حد قول فولتير، ولا إلى «سلسلة من الفخاخ التي نصبها أموات للإيقاع بالأحياء»! إن جوهر التعامل مع التاريخ هو ما يوضحه قول الله عز وجل: *أَفَلَم يَسيرُوا في الأرض فَينظُروا كيفَ كانَ عاقبةُ الَّذين من قَبْلهم*. **غافر**: 82. وإذا كان بعضهم قد وصف التاريخ بأنه «ذاكرتنا المصقولة»؛ فإننا نحتاج إلى أن ندرك بوعي: من الذي صقل هذه الذاكرة؟ وكيف صقلها؟ ولماذا صقلها؟ بحيث نعي ما إذا كانت تعكس صوراً حقيقية أم صوراً شوهاء ومفتعلة.

لقد كثر تداول مقولات من قبيل أن التاريخ تحول إلى عبد للسياسة ومهرج في بلاط السلاطين، ومن قبيل أن المنتصرين والطغاة يكتبون التاريخ على هواهم ويعيدون صياغته بأيدي كتبتهم ليوافق مصالحهم ويخدم نزواتهم، وهي مقولات فيها كثير من الحقيقة. وإذا كان ونستون تشرشل قد عدّ السياسة ابنة التاريخ، والتاريخ ابن الجغرافيا والجغرافيا لا تتغير، فإن كونراد أديناور الذي قاد ألمانيا الغربية للنهوض من بين الركام بعد الحرب العالمية الثانية كان أشد وضوحًا وصراحة إذ قال: «إن السياسة هي فن إعادة إنتاج التاريخ». لقد حذر تشرشل من أنه «إذا قام الحاضر يقاضي الماضي ضاع المستقبل»، ولكن بالمقابل لا يجوز إغراق المستقبل في عبث تنصيب الماضي قاضيًا للحاضر.

فمن العبث تحويل التاريخ جامداً أشوه إلى حاضر يحكم شؤوننا اليومية ويصرفها ويوجهها ويسحب نفسه بغثه وسمينه على المستقبل. ولعل هذا ما قصده د. نورالدين حاطوم إذ قال: «لانريد صراحة أن نُحكَمَ بالأموات. لقد اجتهد المجتهدون القدماء بما فيه الكفاية، بقدر ما سمحت به ظروفهم وثقافتهم، وكانوا مجتهدين حقًا لأنهم جابهوا قضاياهم وعرفوا كيف يحلّونها. أما نحن فمازلنا نترسم خطاهم ونبحث عن حلول مشاكلنا عندهم، وهم غير قادرين على حلّها لاختلاف الزمان والمكان والبشرية»، فهو، في تقديرنا، لم يبخس الأجداد حقهم وإنما هاله استغراقنا في الكسل والخمول وتعطيل العقول والتنصل من مسؤولياتنا في اجتراح الحلول الملائمة لمشكلاتنا وإلقاء هذه المسؤولية على الأجداد. إن قول أرنولد توينبي «الدَّعَة تجافي الحضارة» مصيب تمامًا، وإذا كان النزوع إلى الاعتماد الكلي على تجارب الماضي وإنجازات الأجداد تعبيراً واضحًا عن هذه الدعة، فإن أخطر تعبيراتها وأشدها عبثًا الركون إلى ما اختاره وصاغه وأوّله المستشرقون والمخابراتيون الأجانب، ورؤيته تاريخًا موثّقًا موثوقًا. إن وصف التاريخ عمومًا بالعلم الموضوعي الحيادي الصادق موضع شك وجدال، فما بالك عندما يكون المتداول من كتبه ممتلئ بالالتباس المفتعل الذي نجم عن تشويه مقصود قام به مستشرقون خدموا المهام التي جرى إعدادهم أصلاً للقيام بها، وهي التمهيد لجيوش الاحتلال الأجنبي وإدارته في الماضي، ومن بعده النفوذ الأجنبي والتخريب الصليبي/ اليهودي. إن ما هو متداول من كتابات عن تاريخنا غزير إلى درجة أغوت باتهام أمتنا بالعيش أسيرة لماضيها، لكن المتدبر في كثير من الذي يجري تدريسه وتلقينه وتربية أجيالنا عليه، في المدارس والجامعات خصوصاً، مما يفترض أنه تاريخنا يعجب لكثرة الاستنساخ والانتحال من صياغات المستشرقين وتفسيراتهم وتأويلاتهم واستنتاجاتهم، بينما يقل التحقق والتدبر والتثبت والاستنباط والاستخلاص الذاتي لروح أحداث تاريخنا وقوانين تطورها. ولعل هذا ما تسبب في استشراء فهم تاريخي مهزوز ومضطرب، وتعميم ضبابي لتاريخ مقولب ومجزوء ومُوَجَّه يقودنا أسلوب التلقين والاستظهار والترديد الببغائي في مناهجنا

التعليمية إلى استحضاره مرجعية مقدسة نسحبها على حاضرنا ومستقبلنا، وإطارًا محكمًا لوعي جمعي لا نلبث أن نجده متنافرًا مع السياق الطبيعي للتطور. بل قاد هذا الوضع أيضًا إلى تعامل مسطح متشنج مع تاريخنا؛ رفضًا مطلقًا تلاحقت معه حالات الانسلاخ عن الذات الحضارية لأمتنا والالتحاق التبعي لمركز حضاري خارجي، أو تمسكًا مطلقًا بما لا يقبل الإطلاق، بتصنيف صانعي أحداث الماضي بين ملائكة وشياطين، بينما كانوا بشرًا، ولكل من بني البشر أخطاؤه وصوابه بغض النظر عن موقفنا منه. والأمر يحتاج إلى تعامل واعٍ مرن يتعامل مع كل حالة على حدة.

لم يعد الدور اليهودي الطاغي في الصياغة المفتعلة للتاريخ يخفى على من يُحسن استخدام قوى الوعي الذاتي التي وهبها الخالق للإنسان، سواء جاء الافتعال بادعاء أحداث لم تقع، أو حشر الخرافة بين الوقائع، أو التغييب المتعمد للعديد من الحقائق والثوابت والأحداث، أو التعتيم على تطورات ومتغيرات، أو التركيز على جزئيات شاذة وتقديمها تحولات جذرية، أو نشر تأويلات وإيحاءات وتفسيرات لا تحتملها الحقائق.

إن ما اشتكى منه الذين تابعو الاحتراف اليهودي لصياغة التاريخ وتزويره من أن تاريخ أمم كثيرة مستباح لليهود صحيح إلى حد كبير.

اجتزاء الوقائع مسخ للتاريخ

لعل من أخطر أساليب النظر الخاطئ إلى التاريخ اللجوء إلى اجتزاء وقائع وعزلها عن سياقها الطبيعي لكي تخدم غرضًا تم تحديده سلفًا، واللجوء إلى تجسيد الوقائع والتحولات التاريخية عبر انتقاء مغرض لشخصيات معينة، وتسليط الضوء على أدوارها بما يتجاوز الدور الحقيقي للبطل، ويجعل التاريخ نتاجًا لأفراد صنعوا أحداثه ورسموا مساراته.

إن في هذا تقزيمًا قسريًا ظالمًا واختزالاً متعمدًا لدور الأمم والمجتمعات والحضارات والعقائد، ومسخًا للتاريخ عبر تجزئة ظواهره وعزلها بعضها عن بعض، وقولبة مفتعلة تقوم على التزييف والتطويع والتشويه. والنتيجة المنطقية لهذا العبث بالتاريخ هي تشتيت الوعي الجمعي والفردي، وتعطيل وظيفة التاريخ الكبرى بوصفه حاضنًا لثوابت الماضي وتحولاته التي أنتجت الحاضر، وتؤسس لتوجهات المستقبل؛ أي الوعي بالتاريخ من أجل الوعي بالمستقبل. إن العبث بالتاريخ واعتماد وقائع مجزوءة وأحداث مشتتة وتحولات مَسَخَها تطويع انتقائي يمحورها حول شخصيات اختارتها الأهواء والأغراض وأعادت رسم ملامحها وسلوكها بما يخدم مقاصد محددة سلفًا يؤدي إلى تعميم الإغراق في اعتماد ثوابت مفتعلة مجزوءة مُحدثَة إطارًا جامدًا للاحتمالات والأحداث المستقبلية.

من أبرز نتائج التعامل المَسْخ مع التاريخ الانتشار الواسع لاستنساخ بائس من تفاصيل مشوشة اختارها الآخر من وقائع الماضي لفرضها محددًا لمسار مستقبلنا، دونما حساب لاختلاف الزمان والإنسان، وترسيخ ثوابت جرى افتعال إبرازها من ركام الماضي وتقديمها قوانين للمستقبل على الرغم من عدم ملاءمتها لروح عصرنا، في مقابل تغييب دروس تحولات جوهرية تحكم حركة التطور الإنساني. بهذا يصبح المجتمع أسير أحداث ورؤى وشخصيات أدت دورها قبل مئات السنين، عندما يجري فرضها على الحاضر والمستقبل وكأنها قوانين ثابتة مقدسة، بينما هي لا تحتمل أكثر من كونها مادة لاستخلاص بعض الدروس والعبر بعد فهم إطارها الموضوعي والزمني. هذا ما يقود إلى التشرنق الانتحاري في الماضي والخضوع لبعد واحد.

ظواهر الاستلاب وتشويه الوعي التاريخي

إننا ننتمي إلى تراثنا بفعل التاريخ، ولا يمكن لنا أن ننتمي إلى سواه، مهما تكاثرت حالات فردية تسوّغ انسلاخها عن الذات الحضارية لأمتنا، وتزينه بدعاوى اللحاق بالعصر، وعالمية الفكر والحضارة، وما إلى ذلك. إن القاعدة التراثية الذاتية هي أساس التطور المجتمعي ومقياس اتجاه ومسار الذات الحضارية المستقبلي متكاملة عقلاً ووجدانًا، أفرادًا ومجتمعًا، حكامًا ومحكومين. إن القفز من فوق محصلة ماضينا الحضاري وجوهره - نتيجة للعبث في التعامل مع تاريخنا - وتجاهل حقيقة امتداد الماضي متطورًا في المستقبل عبر الحاضر قد جعل حركة الفعل المجتمعي والفكري والسياسي والتنموي العربي عاجزة عن إدراك المشكلات الحضارية الراهنة، وعاجزة - من ثم - عن حلها. إن العجز في مواجهة التحديات الداخلية يجعل العجز في مواجهة التحديات الخارجية تحصيل

من أجل فهم تاريخي يؤسس للمستقبل

حاصل، وعلى رأسها التحدي المصيري الذي تمثله الغزوة الاستيطانية التوسعية الصهيونية. أما انتشار ظواهر الاستلاب والتبعية لمراكز حضارية خارجية والتفسخ والانفصام والتمزق والاغتراب واهتزاز الانتماء وصولاً إلى تلاشي الوزن والفعل، وطغيان النزوع إلى اختيار الطريق الأسهل بصرف النظر عن نتائجه، وتعاظم وهم احتكار الصواب، وتفشي السلوك المتهود المتمثل بعبادة المال - تجديدًا لعبادة العجل الذهبي - وتأليه التقنية انبهارًا بإنجازات الآخر المادية، فنتيجة لخلل متعدد الجوانب، تظل إساءة فهم التاريخ في مقدمتها.

يزداد الخطر الناجم عن التلاعب بالتاريخ مسخًا وتقييدًا واجتزاء وتطويعًا وتكييفًا في ظل اقتحام المعلوماتية وتقنياتها حياتنا المعاصرة اقتحامًا شاملاً عنيفًا. فالمعارف ليست بريئة دائمًا ولا محايدة، وإنما هي خاضعة للمتحكمين بانتقائها وصياغتها وتوزيعها.

إن المعارف التاريخية بشكل خاص خاضعة للاستخدام المغرض في تلفيق رأي عام جمعي مبرمج بأكثر مما كان متاحًا في الماضي، وبهذا تصبح التبعية النفسية والفكرية أرضًا خصبة لتواتر السقوط ثم تثبيته انهيارًا عندما يصير تخريب الوعي التاريخي وتشويه مكوناته وتعطيل حوافزه من أعمدة البناء الثقافي والنفسي للمجتمع. ففي مثل هذا الوضع تعجز الأمة عن اكتشاف القوانين المجتمعية والتاريخية الخاصة بها في السياق العام لحركة القوانين الإنسانية العامة، وتصبح مستباحة للغزو بأشكاله المختلفة المتجددة، ومنها الغزو الثقافي.

ربما كانت الدعوة إلى إعادة كتابة تاريخنا مغرية وقابلة للنقاش عندما تخرج من احتمالات تقييدها في إطار خدمة أغراض سلطوية راهنة، لكن ما نحتاج إليه أكثر، وبإلحاح، هو فهم تاريخي يؤسس للمستقبل بوعي، وهذه مسؤولية فردية ينتقل النجاح في تحملها من فرد إلى آخر، حتى يشمل المجتمع بأسره. عندئذ تكون الانطلاقة الحضارية المنشودة.

الهوامش:

- هذا البحث هو الجزء الأول من محاضرة ألقاها الكاتب بهذا العنوان بدعوة من جمعية الشهباء في حلب يوم 1997/1/3م، وقد تم تعديله - إضافة وحذفًا - فجاءت المقالة على هذا النحو.

1- NETA N. CRAWFORD, ONCE AT FUTURE SECURITY,SECURITY STUDIES,WINTER 1991.

2- NAZIH N. AYUB, OVER- STATING THE ARAB STATE, (LONDON; NEW YORK, I.B. TAURIS, 1995).

من أخطر أساليب النظر الخاطئ إلى التاريخ اللجوء إلى اجتزاء وقائع وعزلها عن سياقها الطبيعي لكي تخدم غرضًا تم تحديده سلفًا

العلم
والحياة



الاستنساخ الجسدي

الثورة الأحيائية (البيولوجية) الجديدة

د. خالص جلبي

تقدم حشد من الصحفيين قد علت وجوههم الدهشة، وألسنتهم الصمت، ومناكبهم آلات التصوير وأجهزة الفيديو، لمقابلة الشخصية العالمية الجديدة، السيدة دوللي DOLLY التي لم تكن سوى نعجة بدينة مدللة، محروسة بأشد من رؤساء الجمهوريات الاستبدادية BODYGUARD وهي تحدق بفضول في عدسات المصوّرين، وتثغو بين الحين والآخر، جذلى فرحة، بكمية العشب الوافرة والمفحوصة بدقة تحريًا لعمليات دسّ السم، بأشد من فحص الحساء الذي كان يُقدَّم لستالين.

وبين دهشة واستحسان قرية روزلين الهادئة، التي بدأت تأخذ اسمًا شهيرًا في الصحافة العالمية، وتتحول إلى مزار لا ينتهي، من تدفق الفضوليين الصحفيين ووكالات المحطات الفضائية، وقف عالم الأحياء البيولوجي الاسكتلندي إيان ويلموت IAN WILMUT بشيء من الزهو يتحدث إلى الإعلام العالمي: أيها السادة.. لم يكن نجاحنا سهلاً ولا طريقنا معبّدًا، فقد كافحنا لسنوات وخسرنا مئات البيوض حتى استطعنا أن نمسك بالسر ونفوز بهذه النعجة المدللة.. ويمسح بيده على رأسها وهي ترنو بذهول إلى حشد الصحفيين!!

ويتوجه إليه مراسل مجلة الشبيجل الألمانية DER SPIEGEL ويسأله بطريقة لا تخلو من الخبث: ولكنكم يا سيدي أعلنتم قبل سنة من الآن أنكم أقسمتم بالأيمان المغلظة أنكم لم ولن تمضوا في رحلة الاستنساخ التي نراها قد ولدت أمام أعيننا؟!

يجيب الاسكتلندي ويلموت بشيء من الارتباك: هذا صحيح، ولكنّا أردنا بذلك صرف نظر الآخرين، حتى لا ندخل معهم في «ماراثون» بيولوجي، فأنجزناه بكثير من الهدوء والدقة والنضج والنجاح. ألا ترى أننا كنا محقّين بذلك؟!

ويعيد مراسل مجلة الشبيجل سؤالاً آخر، على طريقتهم في كشف بواطن الأمور، وإحراج المتكلم، ونقل الخبر المثير وأسراره إلى القارئ: يا سيدي ويلموت.. تدور الشائعات والتكهنات أن البيضة التي استُخدمت، تم استدعاؤها من الكهف النيتروجيني، حيث التبريد 160 تحت الصفر يمنحها حياة شبه أبدية، ما تعليقكم على هذا الكلام؟!

يجيب الاسكتلندي ويلموت وهو مغتاظ: كفتش QUATSCH!! باللغة الألمانية، ومعناها: هراء NONSENSE: تريدون أن تقولوا إننا نتحكم بالإنتاج بالوقت والكمية التي نريد، هذا غير صحيح، لأن المادة المأخوذة من خلية ضرع الخروف الأول لا تعيش إلا لمدة قصيرة.

يكرر مراسل الشبيجل سؤالاً محرجًا جديدًا: هل نعتبر أن الطريق للاستنساخ الإنساني أصبح تحصيل حاصل؟

يجيب ويلموت بشيء من الاستسلام: نعم، يمكن بتطبيق هذه التقنية - التي اعتمدناها على الثدييات - على الإنسان بنجاح، مادام من فصيلة الثدييات، فيمكن استنساخ الإنسان!

كانت الكلمة الأخيرة هي ما تريد أن تنقله مجلة الشبيجل الألمانية إلى قرّائها الخمسة ملايين، على مساحة المعمورة، بين المشارق والمغارب.

ولكن ماذا حدث بالضبط؟ ولماذا كل هذه الضجة الكونية خلف هذه الواقعة؟

لا يمكن فهم ما حدث قبل معرفة ما يحدث في الطبيعة، فالطبيعة دشنت منذ نصف المليار سنة، طريقة وحيدة في تكاثر الحيوانات، وهي الطريقة الجنسية بإنجاب فرد واحد. ولكن بالطريقة الجديدة تم كسر هذه المُسَلَّمة من طرفيها، فيمكن إنجاب أكثر من فرد من خلية ملقحة واحدة بما يشبه التوائم الحقيقيين، خلية أولى تذهب إلى قدرها في إنجاب الطفل الأول، ويبقى بشكل كموني سبع مئات من الخلايا المتشابهة، تنتج نسخًا أخرى لا تختلف عن الأصل في شيء. وكسر المسلّمة الأفظع هي ولادة جسدية بإلغاء العملية الجنسية بالكامل. ولكن

في هذا العام تم اختراق التابو TABU الثلاثي، في الكون والأرض والإنسان، فتم كسر مُسَلَّمة بطليموس في علاقة الشمس بالأرض وحركة كل منهما، بالطرح الجديد الذي تقدم به كوبرنيكوس، ومعه انهار مركز الإنسان والأرض، انهار الإنسان من عرش الخليقة، وتحولت الكرة الأرضية إلى ذرة غبار تافهة تدور ككوكب تابع لمجموعة شمسية كبيرة، تدور في فلك سحيق عميق، لا يُعرَف قراره ولا يحيط العقل بأسراره ولا يصل الفهم إلى حافته. وتم رسم خريطة الأرض وبناء علم جديد للجغرافيا، ومعه مُسحَت خرافة بحر الظلمات والتنين المتأهب بألسنة النار، على حافة خط الاستواء، لالتهام الناس والسفن معًا.

وفي هذا العام تم اختراق التابو في جسم الإنسان، عندما سقط البدن الإنساني تحت مشارط الجراحين والمشرحين لمعرفة أسرار تشريحه.

وقف القساوسة يهزؤون من فيساليوس وهو يُشَرِّح الجسم، وحصلت مواجهة كان لا بد من حصولها بين ولادة العالم الجديد والقديم، فجالينوس كان يرى أن عظام الفخذ عند الإنسان مقوّسة، ولكن التشريح الواقعي الذي لم يعرفه جالينوس ولا كل الطب اليوناني، أظهر فداحة خطأ من هذا النوع، ومع إصرار فيساليوس على ما يشرح ويكتشف، كان جواب القساوسة الذين كانوا مصدر التعليم والمعرفة في عصره، أن استقامة عظام الإنسان في عصرهم، يعود إلى طبيعة السراويل القصيرة، التي تحشر الجسم وتسوي عظامه، ولكن العظام أيام جالينوس كانت مقوّسة قطعًا، فجالينوس لا يمكن أن يخطئ، فهو فوق الخطأ وخارج النقد!!

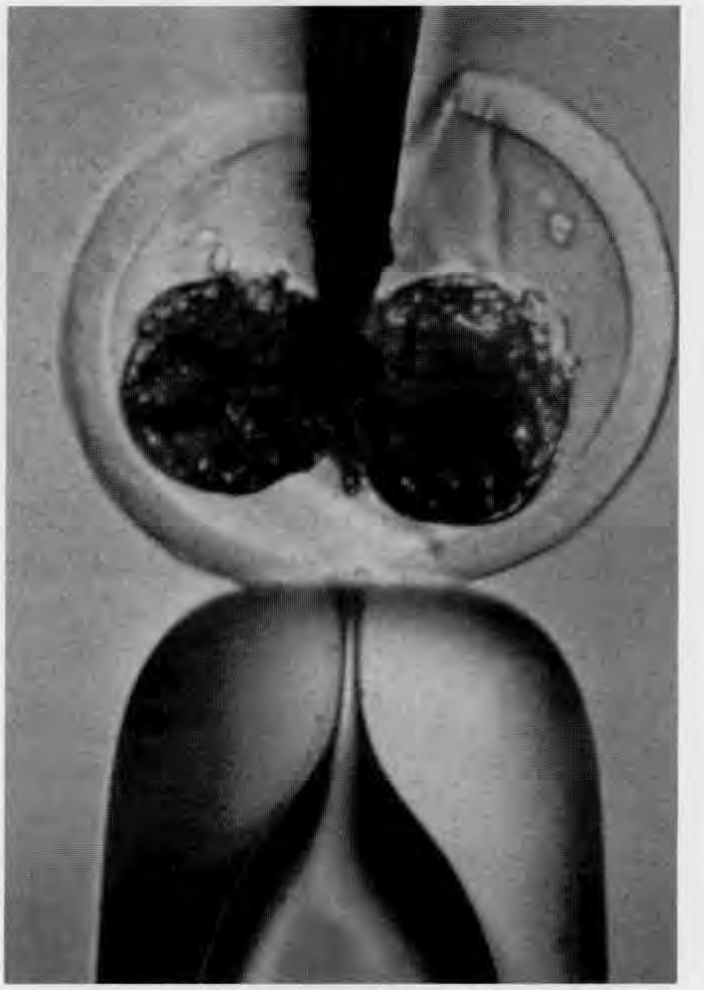
ولكن إصرار فيساليوس على دقة العلم الجديد، كلفته مطاردة محاكم التفتيش لتكسر عظامه وتكمم فمه، فهرب إلى إسبانيا لينجو بجلده من التعصب والانغلاق العقلي، ليلقى هناك ما هو أدهى وأمرّ عند الإسبان المتعصبين، الذين أصدروا لتوهم فرمان بطرد الجيل الثالث من أولاد المسلمين، الذين يتكلمون الإسبانية، ويُصَلُّون في الكنيسة، ويلوحون بالصليب على صدورهم، وينكرون أن جدهم الأعلى كان مسلمًا!!

هذه القصة تنفعنا في فهم الصيرورة العلمية وتدفقها التاريخي، فمع تغير جو البحث العلمي في أوربا، بدأت عملية التراكم العلمي والتخمر والتفاعل بينه وبين هذه الخميرة العقلية الكبيرة، وقصة الاستنساخ لا تخرج عن هذا السياق.

فانظروا كيف بدأ الخلق؟

هذا المعنى الضخم الذي يشعّ من الآية، حرك العالم أوسكار هرتفيج OSKAR HERTWIG عام 1875م لمراقبة التكاثر عند أجنة قنفذ البحر، وبين هذه المراقبة والإنجاز الجديد مئة عام وتزيد، ولكنه كان مسيرًا طبيعيًا، وتحصيل حاصل، من معرفة التكاثر الجنسي كيف يحدث على وجه الدقة، وتجميد الحيوانات المنوية، وولادة الأجنة في أنابيب الاختبار.

استطاع العلماء الكشف عن المسيرة المثيرة للتخلق عند الإنسان. وقصة الخلق العجيبة تتم عندما يعلن عن بداية الحياة لخلية ملقحة، وهذه تتم في اجتماع أي امرأة مخصبة مع رجل مخصب، فتتم باقتحام الحيوان المنوي البويضة الناضجة، بعد انصبابه وارتشافه من محقنة الرحم التي يتضاعف امتصاصها مع العملية الجنسية، فيخترق الرَّحمَ على عجل زحوفٌ متدفقة من الحيوانات المنوية في «ماراثون»، ليس من النوع الذي نشاهده في مدينة مونتريال عندما يتسابق عشرات الآلاف من الناس، بل من تدفق عشرات الملايين الزاحفة من الحيوانات



عملية شطر الجنين في جنين حي لأحد الأبقار

علينا أن نتأمل أولاً كيف تعمل الطبيعة في الإنجاب؛ فحتى تخرج الأرنب إلى الحياة، لا بد من تلقيح الذكر للأنثى، ونحن البشر لا نخرج عن هذه القاعدة الكونية، باستثناء شيء خارق حدث مرتين في تاريخ البشر، عندما تم خلق آدم عليه السلام من دون أب وأم، وعندما خُلق عيسى عليه السلام من أم من دون أب. ماعدا هذين المثلين اللذين يخرجان عن القانون المعهود، فإن البشر يتكاثرون من طريق الزواج، ويبقى العرس والفرح والولادة كله تعبيرًا عن فرحة التكاثر ورموزها. وحزنُ الموت والحداد والعزاء تعبير عن الفناء والزوال والاندثار.

ولكن النهم العلمي والشغف بالمعرفة والازدياد منها لا يعرف التوقف أو الحدود والمستحيل، لذا فإن من يطرح مسلمة أن العقل له حدود، يقع في مغالطة كبيرة، يبرهن الواقع المرة بعد المرة على عكسها، وأن العلم والنهم المعرفي عند الإنسان لا يعرفان المستحيل والحدود، فالمستحيل هو صورتنا الذهنية لا أكثر.

كيف انقلب العلم والعالم؟

منذ عام 1543 للميلاد الذي سماه المؤرخ الأمريكي ويل ديورانت WILL DURANT «عام العجائب» في سفره الضخم عن قصة الحضارة، لم يتوقف العلم عن عملية التراكم المعرفي البطيء.

المنوية، في عرس فريد من نوعه للفوز بالاقتراب من البويضة، والالتحام معها، فإذا وصلت الحيوانات المنوية إلى الثلث الوحشي البعيد من البوق عند المرأة، تستقبل البويضة فرحة مستبشرة الفارس الأول في السباق منهم، فتمنحه نعمة الدخول إليها والالتحام معها، والبدء في عملية الخلق الرهيبة.

الاستنساخ الجنسي: كل السر عند الرقم 8

كذلك انتبه العلماء إلى ملاحظة ذكية في عالم الأجنة، عندما طرحوا العديد من الأسئلة: متى تبدأ الخلايا في التخصص؟ بمعنى أن الخلية الملقحة عندما تبدأ رحلتها من رقم واحد لتصل في النهاية إلى تكوين الإنسان الذي يضم مئة مليون مليون خلية (عشرة قوة 14) يمشي على حد تعبير القرآن: وقد *خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا*. **نوح**: 14. فالخلية الأولى تبدأ في الانقسام على شكل سلسلة هندسية 1، 2، 4، 8، 16، 32، على شكل انقسام رهيب. الرحلة الأولى في الانقسام هي عددية متماثلة، بمعنى أن الخلايا تكرر نفسها، ولكن المرحلة اللاحقة تخصصية، بمعنى أن الخلايا تندفع بمجموعات لتشكيل الأجهزة الجديدة، من السمع والبصر والفؤاد، والعظم واللحم والشعر والجلد. ولكن متى تبدأ رحلة التخصص وعند أي رقم على وجه التعيين؟ لقد وضع العلماء أيديهم على الجواب عندما عرفوا أن رحلة التخصص تبدأ قبل ما كان متصورًا بزمن ليس بالقصير، فبعد الانقسام الرابع على وجه التعيين مع الرقم 16تنطلق رحلة التخصص بكل زخم. وهذا يعني أن قنص أو إيقاف التكاثر عند الرقم ثمانية يحمل سرًا عظيمًا.

والسؤال الثاني يقول: الخلايا الثمانية قبل التخصص هل تحمل كل خلية منها إمكانية تَخَلُّق كاملة؟ أم تحتاج بطريقة خفية للتضافر فيما بينها لإنتاج الكائن؟ بكلمة أخرى: لو قمنا تجريبيًا بأخذ خلية واحدة من الخلايا الثمانية، وتركناها تتابع رحلة الخلق، وسحبنا الخلايا السبع وعزلناها أو أتلفناها، هل تتابع الخلية المنفردة رحلة الخليقة؟ وهل يصدق هذا على السبع المثاني المتشابهة المتبقية من المجموع الثماني الأوكتاجون؟

للإجابة عن هذا السؤال كان لا بد من التجربة!! وأدرك العلماء أن خلية واحدة في المجموع الثُماني كافية لدفع التخلق أن يكتمل، وهكذا فالعَلَقَة التي تتشكل عند الكائنات بعد التلاقح، بين البويضة والحيوان المنوي، تحمل إمكانية إنتاج ثمانية كائنات، وليس كائنًا وحيدًا يتيمًا منفردًا. ويزيد في الخلق ما يشاء. وفوق كل ذي علم عليم.

إذا كان اللّه قد أعطانا عينين وأذنين ورئتين وكليتين، فإنه سبحانه، ومن نسختنا الأصلية قد أوجد ثماني صور أصلية، كما في كابينات التصوير، ثماني نسخ جاهزة سريعة. ولا تقف القصة عند هذا القدر من الإثارة، فقبل أن نصل إلى عملية شفط المادة الوراثية من النواة للزرع في نواة ثانية، يطيب لنا الوقوف أمام بحر الأسرار العميق للخريطة الوراثية، التي ينطلق مشروع ضخم الآن، أكبر من مشروع ناسا لارتياد الفضاء، لمعرفة أسرار الخريطة الإنسانية بكاملها، والمعروف بمشروع الجينوم البشري H.G.P. = HUMAN. GENOM. PROJECT.

الخريطة الوراثية في اللوح المحفوظ

مَثَل الخريطة الوراثية كَمَثَل مشكاة معقدة التركيب مذهلة البناء. قد أودعت في اللوح المحفوظ الجينات بعدد يصل إلى مئة ألف أو تزيد. في تضاعيف ثلاثة مليارات من قواعد البناء، الممثلة في سلسلة لا نهاية لها من تدفق وتتابع أربعة أحماض أمينية، في لغة خلق سرية، يعكف العلماء اليوم على فكّها بأسرع الحواسيب الكمبيوترات، بما هو أصعب من عمل شامبليون وروانصون معًا، اللذين فكا اللغتين الهيروغليفية والآشورية القديمتين. وإذا كان عمر اللغة الهيروغليفية خمسة آلاف سنة، فإن هذه اللغة الموثقة التي أرساها اللّه في الطبيعة ترجع إلى نصف مليار سنة، كلغة وحيدة نهائية مرجعية، لا تخضع للتغيير والتبديل والاندثار، في عملية موحدة لكل الكائنات، من بكتريا، وذبابة، وتفاحة، وضفدع، وعجل، وإنسان، في طيف الوجود الذي يسبح في النباتات إلى الجراثيم والحيوان والإنسان.

كل ما يتم وسيتم من إنجازات وعمل، يحدث بأوامر صارمة واضحة، من تعليمات المهندس الوراثي، الموجود في نواة الخلية، الموجه لكل عمليات الخلق، لإنجاز كامل البناية البيولوجية للكائنات، سواء بكتريا البراز التي تملك خمسة ملايين حرف قاعدي، أو الذبابة 180 مليون، أو في القمة «الإنسان» الذي يملك مادة وراثية تقدر بثلاثة مليارات ويشترك معه الفأر في العدد نفسه، مع تباين اللغة والموضوع، كما في الفرق بين مقالتين، في جريدة تعتمد الحروف نفسها، فعلى السطح تتشابه المقالة مع الأخرى، شبه البيضة للبيضة، بانطلاقها من قاعدة الحروف نفسها، ولكنها تختلف في الواقع، الواحدة عن الأخرى، كالفرق بين البيضة المسلوقة عن ديك يصيح على السياج؟!

ومَثَلُ الخريطة الوراثية عند الإنسان كَمَثَل مشكاة عظيمة التركيب في الجينات. الجين في الكروموسوم. الكروموسوم في النواة. النواة في الخلية. الخلية في



علم الهندسة الوراثية أنتج توائم متطابقة من عجول أبقار بعد عملية شطر الأجنة

نسيج. النسيج في عضو. العضو في جهاز. الجهاز في بدن يحوي عشرات الأجهزة المعقدة. في حشد مرعب من الخلايا، برقم فلكي يصل إلى مئة مليون مليون (عشرة قوّة 14) في تفاعلات بيولوجية معقّدة مترابطة رائعة لا تعرف التوقف، يكاد سنا تفاعلها يأخذ بالأبصار.

ما الجديد والمثير في الاستنساخ الجسدي؟

استطاع العالم الاسكتلندي إيان ويلموت IAN WILMUT أن يولّد إلى العالم نعجة أعطاها اسم مغنية شهيرة: دوللي DOLLY، ليس من طريق التلاقح الطبيعي الذي يتم بين الكائنات الجنسية، بل من الطريق الجسدي، بمعنى أنه أخذ خلية من ضرع نعجة، وقام بمعالجتها واللعب في مكوناتها، من طريق سحب المادة الوراثية منها، وحقنها في بويضة نعجة أخرى، قد جرى لها العكس، أي سُحبت منها المادة الوراثية، مثل سحب لب الجوز من القشرة، ووضعه في قشرة جوزة جديدة مسحوب منها اللب، وتحت ما يشبه اللاحم الكهربي تم ضغط وإقحام المادة الوراثية من النعجة الأولى، في بويضة النعجة الثانية، المفرغة والنهمة التي تنتظر استعادة توازنها بمادتها الوراثية، فتم التحايل عليها بالإيحاء إليها، أن ماسُرق منها أعيد إليها وزيادة، ففرحت واستقبلت، ثم زُرعت هذه الخلية الجديدة في رحم نعجة ثالثة، حتى وصل في النهاية إلى إنتاج نعجة جديدة، من دون أب ولكن من ثلاث أمهات.

وبذلك استطاع الذكاء الإنساني، أن يفصل بين الجنس والإنجاب في مستوى الحيوانات الثديية، التي ننتسب إليها، وهذا يعني بكلمة مختصرة وواضحة أن الطريق إلى إنتاج الإنسان بهذه الطريقة أصبح مفتوحًا ولا يحتاج إلا إلى الوقت، وربما بفضل التسارع العلمي قد نُفاجأ بهذه النسخ الإنسانية تدب على الأرض، كما حدث مع أجنة أنابيب الاختبار التي صُعق العالم يومها عندما سمع الخبر.

يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وهذا بعلي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ. **هود**: 72.

القفزة الجديدة التي تم اختراقها في معهد روزلين في منطقة ادينبرة في سكوتلاندة بإنتاج النعجة دوللي DOLLY من دون أب واحد، ولكن من ثلاث أمهات، يحرك الكثير من التساؤلات العلمية: إلى أين تمضي الرحلة؟ ماذا سيحمل الغد من المفاجآت؟ وكأن المستحيل هو في عقولنا فقط، فالعلم لا يعرف المستحيل، ولكن قصة النعجة دوللي تقرب إلى عقولنا المغزى الفلسفي العميق خلف فكرة البعث من عظم عجب الذنب، وولادة سارة بعد أن أصبحت عجوزًا عقيمًا، فأمكن للطب الحديث أن يمنح امرأة عمرها 62 سنة، إمكانية أن تتمتع بحمل طبيعي، تستقبل الولادة في صرة تصك وجهها وتقول: عجوز عقيم.

العلم يفكر الآن بالحفاظ على العبقرية الإنسانية، ليس فقط من خلال المحافظة على التراث الفكري وما كتبه أولئك المتميزون، ولكن بالمحافظة عليهم هم بالذات في كامل تركيبهم البيولوجي، فمكتبات المستقبل ليست ورقًا فقط، بل كائنات بيولوجية كاملة، فأي شخصية عظيمة يمكن استنباتها من جديد، بما يشبه البعث البيولوجي. يكفي الآن خلية واحدة من مومياء رمسيس، أو جمجمة ديكارت، أو عظام آينشتاين، أو أي عظيم تحتفظ الطبيعة برفاته، أن تعاد منه عملية الاستنساخ، ليخرج لنا كائن بيولوجي كامل. نسخة بيولوجية كاملة غير ناقصة غير مزورة لاشية فيها من الكائن المطلوب، تحت دهشة لا تصدق وهو ينتفض من مرقده مذهولاً من هذا البعث البيولوجي غير المتوقع.

ومع هذا الانتصار الجديد سوف يحصل أفضل بكثير مما تخيله جوليان هكسلي عام 1923م، وتوقع حدوثه بعد 600 سنة، فأُنجز ليس في ستة قرون، بل في ستة عقود، بفعل التسارع العلمي، فالعالم يُقلّب قلبة كاملة الآن كل عشر سنوات.

دمج علم الاستنساخ مع جراحة الجينات

سيفتح العلم الطريق إلى فصل الجنس عن الإنجاب، ويتم الحصول على ذرية مرغوبة بشدة، منتقاة بعناية، مفحوصة ومراقبة بدقة، بفحص الخلية الملقحة لمعرفة كامل تركيب المادة الوراثية، ثم الدخول من خلال جراحة الجينات، لإزالة الأمراض الخلقية من عيب وراثي، كما في مرض الكولسترول العائلي، أو هبل المنغولية، أو فقدان الذاكرة عند مرضى الزهايمر، وتعديل الاستعداد لإصابة ما مثل احتشاء القلب، فينتج إنسان يتمتع بالخلق السوي. وهذه ليست شركًا بالله ولا خللاً في الطبيعة، بل هي وظيفة الخلافة التي أنيط بها الإنسان، وخوّله الله إياها بموجب عهد قديم، بشهود الملائكة وتمرد الشيطان على هذه الحظوة للإنسان، منذ أن برمج دفعه إلى الوجود.

القضاء على السرطان وإنتاج بنك الأعضاء

سيتم التحكم في الجنس وعدد الذكور والإناث، وسيتم التخلص من جينات الإجرام والحقد والإحباط وداء باركنسون والجنون. سيتم الإمساك بعنق السرطان، في ازدواجية متناقضة، للقضاء عليه وفك أسراره ومعها سره في (فرملة) الزمن، ما دام يحوي معه سر الديمومة والاستمرارية في الحياة، ثم الوصول إلى سر تجدد الخلايا، فالنعجة دوللي حصل لخليتها المبرمجة في عمر ما، نوع من الانقلاب الرجعي إلى بداية رحلة الحياة، مثل ربط الساعة وتوقيتها، عندما يعود كل شيء إلى الصفر، ليبدأ من نقطة الصفر، فيمكن بهذه الطريقة الاقتراب من سر امتداد عمر نوح إلى ألف سنة إلا خمسين عامًا، فلاشك أن هناك سرًا بيولوجيًا خلفه. وسيتم زراعة أعضاء جديدة حسب الطلب، من كبد خارت عزيمتها، وكلية تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقلب مرتخ يعلعل، وفشل بنكرياس أغرق الجسم بطوفان سكري. أو المحافظة على سلالات راقية رشيقة للحصان العربي من نوع «رئيفة» التي بيعت بنحو مليون ريال، من خلال استنساخ أعداد بما تشتهيه قلوب محبي السباق. أو تعويض خسارة حبيب لزوجة وطفل، وأم وأب وصديق غال، على الأقل لشكل اندثر وغاب وزحف إلى جدران الذاكرة.

ومع الصحون اللاقطة الفاغرة أفواهها النهمة يوميًا تترقب خبر السماء، تقلب وجهها باتّجاه الأقمار الشاردة في الملكوت العلوي، سيتم تغيير العقل الإنساني وآليات تفكيره، ويعم العلم، ويتوقف عهد الكذب السياسي، وتنتشر روح الديمقراطية، وسيتم اقتراب البشر بعضهم من بعض أكثر، وفهمهم بعضهم لبعض بصورة أفضل. فلا حدود للبحث العلمي ولا يمكن محاصرته، فطبيعته تقدميّة، ولا خوف من التفكير؛ لأن أعظم ما في الإنسان جهاز التفكير، ولا هرطقة للمختلف في الرأي، ولا قتل أو تصفية للآخر الذي نكمل أنفسنا بوجوده؛ إذ أصبحت قضية التقدم العلمي ليست في إلغاء الآخر، بل إيجاده، فهذه أفكار مفصلية في التأسيس العقلاني، والسلام الاجتماعي وإمكانية العيش المشترك، وشرط الانطلاق الحضاري. ولا حاجة إلى فتوحات عسكرية من نوع حملات المنصور بن أبي عامر كي ننشر الفكر الإسلامي، فمن عنده فكر أفضل سيسيطر على العالم. وليس فقط من يملك تقنية متقدمة، فالعالم اليوم مسحور، ويحتاج إلى المعوذات الثلاث لإبطال سحر ملك الجان.

مع المرأة في حياة عنترة

د. نوره صالح الشملان

عنترة بن شداد العبْسي (ت: نحو 22ق.هـ= نحو 600م) شاعر جاهلي مشهور اختلط الواقع بالأسطورة في سيرة حياته. ومن يطَّلعُ على المصادر الموثوقة التي ترجمت له يعجب بتلك الشخصية المتسامية المتصفة بالسماحة وحسن المعاشرة، إلى جانب البطولة والشجاعة، التي أثبتتها مواقفه الرائعة في حرب داحس والغبراء. ولو أننا بحثنا عن دوافع هذه البطولة في حياة عنترة وجدنا المرأة تقف خلف ذلك.

فعنترة، الذي جاء من أم حبشية هي زبيبة، لم يعترف به أبوه، وخذله عمه وطرده حين جاء يخطب ابنته عبلة التي أحبها حبًا دفعه إلى معالي الأمور، وكان يبذل حياته في ساحة القتال ليظهر أمامها بالمظهر المشرف. ومن عجب أن الاضطهاد الذي لاقاه في حياته لم يجعله منطويًا معقَّدًا حاقدًا على الناس كارهًا لهم، رافعًا راية العداء والشر، بل جعل منه إنسانًا متوازنًا يعشق الخير ويسعى إليه، لكنه يأبى الظلم ويثور عليه.

وقد تغنى عنترة بكثير من المثل الأخلاقية في شعره، وكان دائمًا يوجه الحديث إلى عبلة وكأنه يحاول أن يزين نفسه أمامها. يقول مخاطبًا عبلة:

أثني عليَّ بما علمت فإنني
سَمْحٌ مخالطتي إذا لم أُظلَم
فإذا ظُلمتُ فإنَّ ظُلمي باسلٌ
مُرٌّ مَذَاقَتُه كَطَعْمِ العَلْقَم

إنه يحذرها من ظلمه كما يحذر الآخرين، وكأنه يريد أن تصل هذه الرسالة إلى عمه والد عبلة الذي طرده وخذله حينما أتاه يطلب القرب.

ويفخر عنترة بكرامته وإبائه، فهو لا يقبل من الطعام إلا أحسنه، وإذا لم يجد هذا الحسن فضَّل الجوع على طعام دنيء:

ولقد أبيتُ على الطَّوَى وأظلُّه
حتى أنالَ به كَريمَ المأكَلِ

وهذا البطل المغوار الذي يصرع كرام القوم ويبطش بالشجعان كما في قوله عن إحدى مبارزاته:

فَشَكَكْتُ بالرمح الأصَمِّ ثيابَه
ليسَ الكريمُ على القَنَا بمحَرَّم

تجده من ناحية أخرى تتساقط دموعه حين يسمع بكاء حمامة في الأيك، يقول:

أفَمِنْ بُكاء حمامة في أيكة
ذرفت دموعُك فوق ظهر المحْمَلِ

ويشارك فرسه مشاركة وجدانية أصبحت مضرب الأمثال في العلاقة بين الفارس والفرس، ففرسه الملطخ بالدماء ينظر إليه بعتاب، ويتمنى شاعرنا لو أن فرسه قادر على الحديث ليحدثه عما يختلج في نفسه من ألم، يقول:

فازوَرَّ منْ وَقْع القَنَا بلَبَانه
وشكا إليَّ بعَبْرَة وتَحمْحُم
لو كانَ يدري ما المحاورةُ اشتكى
ولكانَ لو عَلِمَ الكلامَ مُكَلِّمي

ومما يؤكد أن المرأة كانت هي الدافع له لاقتحام المعارك أنه يذكرها في حمي الوطيس وفي حومة القتال، فهو يقول مخاطبًا عبلة:

ولقد ذكرتُك والرماح نواهلٌ
منّي وبيضُ الهند تقطُرُ من دَمي
فَوَدِدْتُ تقبيلَ السُّيوف لأنَّها
لَمَعَتْ كبارق ثَغْرِك المُتَبَسِّم

ومن المثل الأخلاقية التي تغنَّى بها عنترة، والتي تُعجب النساء وتجعلهن أكثر إقبالاً على رجل يتصف بمثل تلك الصفة، العفة المتناهية التي عَبَّر عنها بالقول:

وأغضّ طَرْفي ما بَدَتْ لي جَارَتي
حتى يُواري جَارَتي مَأوَاهَا

أين هذه الأخلاق العالية من أخلاق امرئ القيس الذي ينتهز فرصة غياب الأزواج ليطرق أبواب الزوجات فينال ما يريد بدناءة وخسَّة وتعهر؟

إن إحساس عنترة بوضاعة نسبه من جهة أمه جعله يبذل الجهد ليعوض ذلك بسمو الأخلاق والإقدام والشجاعة، وليثبت لأبيه وأهله أن الإنسان لا يقاس بلونه، وإنما يقاس بعمله ومواقفه. وإذا كان نجاح الإنسان في ميدان لا بد أن يكون وراءه مقصد يسعى لتحقيقه، فإن المرأة كانت مقصد عنترة، ولولا ذلك الحب الطاهر الذي ربطه بعبلة لما سعى كل هذا السعي لتحقيق ذاته وإثبات وجوده، وقد نجح في ذلك أيما نجاح حين حقق لقبيلته النصر على الأعداء، حينئذ أدرك والده وعمه الخطأ الجسيم الذي اقترفاه بحقه واعترفا له بحريته وأنه يستحق عبلة عن جدارة (على ما ذُكر في بعض المصادر). لقد أكسب الحب عنترة شجاعة وإباء ورقة وعطفًا، وقلما تجتمع هذه الصفات في شخص واحد.

الترجمة الإبداعية

د. بشير العيسوي

كثيرا مانتحدث عن وظيفة الترجمة في حياتنا الثقافية؛ فمن قائل: إن وظيفتها هي نقل مالدى الآخر إلى موجودنا الثقافي، ومن قائل: إن هدفها المماهاة مع الآخر، ومن قائل: إنها تطلعنا على ما لدى الآخر من جديد نتفرج عليه فقط، ومن قائل: إن الترجمة تَرَفٌ وعلينا أن نعود إلى الأصل الأجنبي وأن ننسى موضوع الترجمة جملة وتفصيلا. إلا أننا، في هذا المقال، سوف نتحدث عن وظيفة تختلف بعض الشيء عن تلك الوظائف السابقة ألا وهي وظيفة الترجمة بوصفها حافزا للإبداع الحضاري.

ولقد دأب فريق على ربط الإبداع بالآداب والفنون فقط، إلا أن ماندرسه هنا ـ إضافة إلى الفنون والآداب ـ هو دور الترجمة في العلوم والمعارف التي أغنت العلوم البحتة وأضافت إليها بالقدر نفسه الذي أغنت الفنون والآداب وأضافت إليها.

أهمية الترجمة وحسن الاختيار

ولقد شعر الإنسان بأهمية الترجمة عن الآخر، فأخذ يجيل بصره في موجوده الثقافي، وكانت مشكلة الاختيار من الأمور الصعاب التي تواجه المترجمين. فمنذ «تاريخ الترجمة، نعرف أن الاختيار في معظم الحالات، خصوصا مايقوم به المترجمون الإبداعيون، يتحدد بصفة رئيسة بالحاجة الداخلية لأدب المتلقي، وبقدرته على استيعاب الظاهرية الأدبية لأدب قومي آخر، أو عمل، إلخ. وكذا يتحدد بقدرته على التفاعل بطريقة محددة (تساوقًا أو تباينًا) مع السمات الجمالية لأدب المتلقي»(1). والمترجم الإبداعي هنا هو الذي ينقل عملا من لغة الآخر إلى لغته فيكون نتيجة ذلك النقل عملا إبداعيا في اللغة المنقول إليها. وقد تناقش دراسات الأدب المقارن ذلك الموضوع بإسهاب أكثر مما نحن بصدده هنا ـ؛ فمثلا كان لتناول فرانسوا فولتير (1694ـ 1778م) مسرحيات وليم شكسبير (1564ـ 1616م) ونقده اللاذع إياه أثر كبير في معرفة أوربا بذلك العَلَم الإنجليزي الكبير الذي كانت تجهله، وحيث إن اللغة الفرنسية كانت لغة ثقافة العصر، فقد اهتم الأوربيون بما كتب فولتير وأخذوا يتعرفون إلى شكسبير. وإن كان كتاب فولتير «رسائل فلسفية» يمثل عرضا للثقافة الإنجليزية كما رآها عند زيارته التي قام بها إلى إنجلترا في المدة من 1726 إلى 1729م(2)؛ فإن ما يعنينا هو إسهام ذلك الكتاب في خروج شكسبير من دائرة الإنجليزية المحلية إلى دائرته الأوربية الأوسع. وخلاصة القول: إن «شكسبير لم يلق نجاحا لدى معاصريه من الأوربيين ولا لدى من جاء بعدهم، بقدر مالقي في القرن الثامن عشر بعد أن اكتشفه فولتير»(3). وثمة مثال آخر نجده في ترجمة «رباعيات الخيام» إلى اللغة الإنجليزية. فلم يكن متيسرا لتلك الرباعيات أن تصل إلى الثقافة الأوربية لو بقيت محصورة في فارسيتها؛ إلا أنه عندما قام إدوارد فيتزجرالد (1809ـ 1883م) بترجمتها في أربع طبعات في المدة من 1859 إلى 1879م حوت كل واحدة مئة بيت وواحدا(4)، أمكن للإنجليز أن يعرفوا تلك الرباعيات ويقرؤوها ويتذوقوها كأنها من أدبهم، وعند موازنة ترجمة فيتزجرالد إلى الإنجليزية مع ترجمة الشاعر أحمد رامي إلى العربية نجد أن المحافظة على المعنى في الترجمتين كبيرة جدا، ومعلوم أن الاثنين ترجماها عن الفارسية. وإنني اختلف مع الأستاذ الدكتور محمد غنيمي هلال في أن فيتزجرالد كان يعبر عن «أفكاره هو وعن روح القرن التاسع عشر الإنجليزي والأوربي»، وإن كنت أتفق معه في فضل هذه الترجمة التي بسببها «راجت هذه الرباعيات في آداب أوربا وأمريكا»(5)، وليس أدل على الاعتراف بقيمة هذه الرباعيات من إدخالها ضمن مختارات الشعر الإنجليزي الخالدة في كتاب THE ENGLISH PARNASSUS.

ونحن لا نقر أن جميع الأعمال المترجمة، على الإطلاق، لها وظيفة إبداعية في جميع



فولتير

الأحوال، فهناك أعمال تُترجم إلى العربية مثلا، ولايكون لها أي أثر يذكر. إن الخواص النوعية والخواص الكمية لأدب المتلقي والتي تشمل قدرته على تقبل الوارد واستيعابه، وحيوية (دينامية) ذلك الأدب، والحالة الحضارية لأدب المتلقي ومفادها: هل هو قادر على التعامل مع الآخر «تساوقًا أو تباينًا» كما يقول «دورسين»، وكذا القدرة الاستيعابية لأدب المتلقي، بمعنى هل إن ذلك الأدب تشبَّع بما لديه من مخزون فكري ولم يعد قادرا على استيعاب المزيد من الآخر؟ أم إن مداراته ما تزال تحمل إلكترونا مفردا لديه القدرة للتزاوج مع وارد عليه من الخارج، كل ذلك ينتج منه ما اصطلحنا على تسميته بالإبداع الذي تكون الترجمة حافزه الأول. وكانت تلك الخواص - كما سنرى بعد قليل - في أوج إيجابيتها في العصرين العباسيين الأول والثاني. إلا أنه تبقى الحقيقة القائمة، وهي أن «حالات غير قليلة تلك التي تتحول فيها الترجمة - إما بفضل اختيار النص أو لطريقة الأداء، في سياق الأدب المتلقي - إلى ظاهرة غير مواتية للتطور وغير مستجيبة للاتجاهات التطبيقية في أدب المتلقي أو إنها مفارقة تاريخية في مرحلة التطور. وفي هذه الحالة فهي تميل لأن تكون تعبيرا خارجيا عن العلاقة، وكذا تكون فرص إظهارها للتلقي المتبادل للأدب ضئيلة جدا، وحتى لاوجود لها»(6).

أربعة أسئلة مهمة

ويرى دورسين أن الوظيفة العلاقية للترجمة



برتراند راسل

مسؤولة مسؤولية مباشرة في أن يصبح الأدب المترجم جزءا عضويا من أدب المتلقي، وهي من وجهة نظرنا تكون مسؤولة كذلك عن تهميش تلك الترجمات ومن ثم وضعها في مجموع ماطُبع بالحروف العربية فقط، ويشترط دورسين - ابتداءً - حالة خاصة لاستيعاب تلك الأعمال المترجمة في أدب المتلقي، هي أقرب ماتكون إلى حالة الكائن الحي عند مروره بمرحلة الخصوبة التناسلية. تلك الحالة هي تنامي الأدب، أي أن يكون في مرحلة التطور والنمو، لا مرحلة الجمود أو التشبع أو الانكفاء على الذات، وهو ما أشرنا إليه منذ قليل بأحادية أحد المدارات الإلكترونية القادرة على الاتحاد مع إلكترون وارد من الخارج، والتي بموجبها «يصبح الأدب المترجم جزءا عضويا من النسق المتطور لأدب المتلقي، وبطريقة محددة يقلل من مقاومة الأدب المتلقي للتطور، ومن ثم يمارس الأدب المترجم بشكل صارخ ما يسمى بالوظيفة العلاقية للترجمة»(7). وإلى جانب ذلك، يناقش دورسين إشكالية أخرى لا تقل أهمية عن «الوظيفة العلاقية للترجمة» ألا وهي «الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة»، وعلاقة ذلك بالخطوات الإجرائية للترجمة، ودور ذلك كله في الجانب التجريبي الترجمي. والجانب التجريبي تحكمه أربعة أسئلة مهمة هي: ماذا نترجم؟ ماذا ننقل بحروف لغتنا من اللغات الأخرى Transliterate؟ ماذا نستبدل Sub-stitute؟ وأخيرا، ماذا نهايئ Adapt؟.

ولقد أصبحت تلك الأسئلة مكونات أساسية لنظرية الترجمة التي كان يوجين نايدا ضمن من تكلموا عليها عام 1964م والتي تعتمد على «إنجازات العلوم اللغوية والأنثروبولوجيا وعلم النفس، وتحدد العلاقة بين النص الأصلي وترجمته من خلال نظريات المعنى والاتصال Communication والعلاقات الاجتماعية بين الفئات. ففي إطار نظرية الاتصال يرى يوجين نايدا في الترجمة عملية لغوية تعتمد على فك رموز Decoding النص الأصلي وإعادة تشفيرها Recoding برموز لغة الترجمة. فالمترجم يتلقى الرسالة ويقوم بتحليل مكوناتها الأساسية ثم ينقلها إلى لغة الترجمة من خلال عملية إعادة بنائها في لغة الترجمة للتطابق مع النص الأصلي»(8). وبذا نكون قد وصلنا إلى الجانب المعياري عند دورسين الذي يسأل: هل الترجمة ضمن علم اللسانيات أم إنها ضمن الدراسات الأدبية؟ حيث ينتهي دورسين إلى أن «الاهتمام بالجانب التجريبي والجانب المعياري لعمل المترجم تحدده أيضا إشكالية أخرى مهمة، والتي نسميها الوظيفية الأدبية والتاريخية للترجمة والخطوات الإجرائية للترجمة»(9). لقد كانت دراسة دورسين تنصب على الترجمة في الدول الاشتراكية السابقة وهي تجربة فريدة من نوعها، قامت إسبانيا مؤخرا بتقليد بعضها وذلك بإحياء دار طليطلة للترجمة(10).

اختلاف القيم الثقافية بين الترجمة والأصل

ويطرح دورسين قضية مهمة للمناقشة، تلك القضية تخص التأثير الثقافي للنص في أصله، وكذا تأثيره في النص المترجم، وهنا يناقش أطروحة كي. هوداليك التي تقول: «إن للترجمة والأصل قيمًا ثقافية نافذة كلاهما مختلف فيها ومستقل عن الآخر»(11)، وهو يرى أن عكس هذه الأطروحة يأتي عند تطبيق «المقاييس اللغوية البحت»(12) عند دراستنا للعمل المترجم، وهو بهذا يتفق مع د. فوزي عطية عند استعراضه نظرية يوجين نايدا في تطابق النصين حيث لا بد من وجود أحكام عامة توضع في الاعتبار عند تناول تأثير الترجمة والنص الأصلي؛ «فلا يمكن القول بوجود لغتين متطابقتين من حيث المعنى

الذي تجسده الرموز أو من حيث أصول وقواعد تنظيم هذه الرموز في سلاسل كلامية». ويضيف يوجين نايدا إلى أحكام التطابق هذه عناصر جديدة ترتبط بخصائص الأداء في الترجمة هي: طبيعة الرسالة، قصد مؤلف الرسالة، ومن ثم قصد المترجم، نوعية متلقي الرسالة. وتؤدي هذه العناصر دورا كبيرا في تحديد نوع الترجمة وما يقتضيه ذلك من ضرورة الاختيار السليم للمقابلات المتطابقة في أثناء الترجمة. فالرسائل الكلامية يختلف بعضها عن بعض وفق درجة ظهور الشكل أو المضمون في النص.

وإذا كان من غير الممكن الفصل بين الشكل والمضمون، إلا أن المضمون في بعض النصوص يبرز هدفا أساسيًا للنص، وفي بعضها الآخر نجد التركيز على الشكل واضحا إلى حد بعيد (كما هو الحال بالنسبة لعنصر الشكل في الشعر). أما فيما يتعلق بالقصد، فمن المفروض أن يتفق قصد المترجم وقصد مؤلف الرسالة، أو على الأقل ألا يختلفا. وقد يكون القصد نقل معلومات عن المضمون والشكل، وقد يكون الإعلام مع خلق تأثير انفعالي لدى القارئ أو السامع، وقد يكون القصد إثارة نوع من السلوك لدى القارئ أو السامع، الأمر الذي يدعو المترجم إلى استخدام الأدوات الكفيلة بتحقيق الغرض من الاتصال من خلال الترجمة، فيشير إلى اختلاف نوعية المتلقي من حيث القدرة على الفهم وإمكان الاهتمام بالرسالة»(13).

أثر الترجمة في ثقافات الشعوب

وقد شهد العصر العباسي الأول وكذلك العصر العباسي الثاني تطبيقا عمليا متميزا للتلقي المتميز الذي كان له الأثر الأكبر في إعادة ترجمة ما نُقل سابقا إلى اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية. ففي العصر العباسي الأول ترجم البرامكة الثقافة الفارسية إلى العربية، ومن بين ما نقلوا كتاب «هزار أفسانة» وهو أصل من أصول «ألف ليلة وليلة»، وترجم أبان بن عبد الحميد اللاحقي (ت:200هـ) كتاب «كليلة ودمنة» إلى الشعر وأهداه إلى جعفر بن يحيى البرمكي (ت:187هـ)(14). «وبدأ النثر الفارسي الفني بترجمة كتاب «كليلة ودمنة» إلى الفارسية الحديثة فترجمه إليها أبو المعالي نصر الله بن محمد»(15).

وهذا يوضح مدى التفاعل الترجمي ودوره في عملية الإبداع التي لا تتوقف حركتها جيئة وذهابا بين الشعوب عند اتصالها ثقافيا، وقد ظهر أثر ترجمة ألف ليلة وليلة ظهورًا لافتًا في قصة عبد الرحمن جبير «شهرزاد ملكة» التي استعان فيها أيضا بكليلة ودمنة «ليكتب قصة الصراع العنيف الذي يدور في كل عصر حول طرائق الحكم»(16). وإلى عصر صدور «تراث الإسلام»(17) جاوزت ترجمات «الليالي» في أوربا الثلاثمئة، منها ثلاثون بالفرنسية ومثلها بالإنجليزية، وصارت أحد مكونات الرومانسية التي أخذ بها البورجوازيون قبل أن تصبح مذهبا فلسفيا، ويستجيب أدبها لهذه الفلسفة، أو فلنقل أدق ما يمثلها عاطفيا»(18).

وقد كان المستشرق الفرنسي أنطوان جالان (1646- 1715م) أول من ترجم ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية «ومنها تُرجمت إلى الإنجليزية وغيرها من لغات أوربا في المدة من 1704 إلى 1712م»(19)، وقد ترجمت إلى الإنجليزية تسع عشرة مرة حتى نهاية القرن الثامن عشر وذلك من واقع المخطوطات الموجودة في المتحف البريطاني.

ألف ليلة وليلة.. وإثارة الخيال!

وتظهر الوظيفة العلاقية للترجمة الإبداعية لألف ليلة وليلة في فعلها في الخيال العربي ثم فعلها في الخيال الأوربي عندما نقلت إلى اللغات الأوربية، وعلى بعض عمليات التحريف والتصرف فإن النص المترجم يبقى إبداعا في حد ذاته(20) وإن اختلف الأكاديميون والفلكلوريون في تصنيف «ألف ليلة وليلة» كجنس أدبي. فالفلكلوريون يقبلون بالتحريف والتصرف ولا يهمهم النص، أما الأكاديميون فيرفضون من منطلق أمانة النص. ومع أن النقاد العرب لم يعترفوا بمكانة ألف ليلة وليلة فلم توضع كجنس أدبي مستقل، ولم توضع ضمن القصة، فإن طه حسين وظف موضوعات ألف ليلة وليلة توظيفا لافتا. «وليست أحلام شهرزاد التي أصدرها طه حسين في الأربعينيات ببعيدة منا، ولا غابت عنا فتنة بطلتها التي جعلت طه حسين يتخذها نقطة لانطلاقه نحو العمل من أجل تأمين مصير الإنسان أمام قوى الظلم ومؤامرات الأعداء»(21). وكان لترجمة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوربية أثرها في كثير من الأدباء، وكان يوهان فلفجانج فون جوته (1749- 1832م) أكثرهم تأثرا بالشرق عموما وبألف ليلة وليلة خصوصا. «لقد كان جوته يقارن نفسه، بوصفه شاعرا وروائيا، بشهرزاد، وكان يقوم بهذا بوعي تام، وبصورة مستمرة، وتكشف هذه المقارنة عن جوانب شاعريته التي كانت تبدو لدارسيه والمعجبين به غاية في التعقيد، كما يفسر لنا هذا الأمر ولعه بنوع معين من أنواع التركيب المرن أو الرخو، وشغفه باستخدامه في بعض مؤلفاته»(22). وتستطرد كاتارينا مومزن في رائعتها النقدية «جوته والعالم العربي» في تتبع آثار «ألف ليلة وليلة» في أعمال جوته فتقول: «ويعثر المرء في حكاياته الفنية على وفرة من السمات المستقاة من ألف ليلة وليلة، وينطبق هذا على حكاية: باريس الجديدة Der Neue Paris، و ميلوسينه الجديدة Der Neue Melusine مثلما ينطبق على الحكاية الخرافية التي وردت في قصته «أحاديث مهاجرين ألمان». أما في «سنوات تجوال فلهلم ماستر» فإن الشاعر يلمح بصورة جلية إلى قصتي علاءالدين والمصباح السحري وحلاق بغداد، كما استعان

الوظيفة العلاقية للترجمة - مع وظائف أخرى - مسؤولة مسؤولية مباشرة في أن يصبح الأدب المترجم جزءا عضويا من النسق المتطور لأدب المتلقي

في الجزء الأخير من روايته «الأنساب المختارة» بقصة «أبو الحسن وشمس النهار» من ألف ليلة وليلة؛ بينما نجد أنه استفاد في الأقصوصة Novelle من حكاية الأمير أحمد والجنّية باريبانو»(23).

وينتهي العصر العباسي الأول ببزوغ اسم حنين بن إسحق بوصفه ألمع مترجم في عهد الخليفة المأمون، «وكان دقيقا في ترجمته حتى قالوا إن المأمون رسم له أن يأخذ وزن مايترجمه ذهبا. وقد عاش إلى سنة 264هـ»(24) في إحدى الروايتين.

ويأتي العصر العباسي الثاني فنجد حركة الترجمة تزداد حدة وقوة، وتنمو الترجمة عن اليونانية نموا عظيما، ويتم لها الانتقال من الترجمة الحرفية التي تمتلئ بالعثرات والصعوبات اللفظية إلى ترجمة الفقَر والعبارات بالمعنى ترجمة دقيقة. وهذا هو السر في أننا نجد كثيرا من المترجمين أعادوا ترجمة هذا الكتاب أو ذاك مما ترجمه الحجاج بن مطر وغيره من مترجمي العصر العباسي الأول في عهد المأمون. ويخيل إلى الإنسان أنهم لم يتركوا حينئذ كتابا يونانيا في أصله اليوناني أو في ترجمته السريانية إلا ترجموه إلى العربية. «وكان الذي أزكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال الضخمة التي كان يغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين»(25).

الترجمة العربية تصلح أخطاء الأصل!

وإذا كنا قد مثلنا للترجمات الإبداعية في الآداب بالتركيز على «ألف ليلة وليلة» عند تناولنا للعصر العباسي الأول، فإن العصر العباسي الثاني قد شهد حركة علمية، هي من دون شك أساس نهضة العلوم العربية والإسلامية، وهي كذلك عند ترجمتها إلى اللغات الأوربية أرست الأساس الحقيقي للنهضة الأوربية، ويستمر حنين بن إسحق في العصر العباسي الثاني في تقديم ترجماته من الكتب الطبية إلى العربية. «وقد ترجم لجالينوس منها عشرات إلى العربية والسريانية، غير ماأصلحه لتلاميذه من آثار ماترجموه إلى اللغتين.. وكان ابنه إسحق (ت:298هـ) يُعنى بترجمة الكتب الحكمية والفلسفية، ولذلك كثرت ترجماته لأرسطو وإقليدس وأرشميدس وبطليموس. أما حبيش فعُني - مثل خاله - بترجمة الكتب الطبية، واشتهر أصطفن بأنه كان أول من ترجم كتاب ديوسقريدس في النبات وكتاب أوديباسيوس في الأدوية المفردة»(26). وإلى جانب حنين وابنه وابن أخته كان هناك ثابت بن قرّة المتوفي سنة 288هـ «ومن أهم ما ترجمه كتاب «الأصول» لإقليدس. ويقول ألدو مييلي: إن النص العربي يصلح النص الإغريقي في مواضع مختلفة، وترجم كتاب أرسطو في النبات وتفسير نيقولاوس، وله كتاب قرسطون في نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية، وكان له أثر كبير في لاتينية العصور الوسطى كما يقول ألدوميلي، ومن مصنفاته «الذخيرة في الطب» ألفه لابن سنان»(27).

ونتوقف في العصر العباسي الثاني عند أسماء تسعة أعلام ضخمة نقلت إلى العربية كل الموجود العلمي لدى اليونان والإغريق وكل من جاور بلاد المسلمين وقتها، ولقد مارست العقلية النقدية لبعض هؤلاء المترجمين - إن لم يكن معظمهم - دورها في الإضافة والتهذيب لما يترجمون والمشاركة بجديد، لذا لم يقتصر دورهم على الترجمة فقط. فقد كانوا علماء وباحثين يدرون تماما مايفعلون، لذا كانت الإضافة أمرًا طبيعيا بل متوقعا، وهذا مانفتقده الآن في ترجمة العلوم، فنحن نوكل الأمر إما إلى مترجم لا علاقة له بالعلوم فتأتي ترجمته مجرد حروف عربية لا معنى علميا لها، وإما نوكل الأمر إلى العلماء على اعتقاد أنهم متخصصون فتأتي ترجماتهم جامدة ذوت فيها حلاوة اللغة العربية، وماينقصنا هو نوعية هؤلاء المترجمين الذين جاؤوا في العصرين العباسيين الأول والثاني، فإلى أدبهم الجم ولغتهم الجزلة كان لديهم دقة العالم وإلمامه بالموضوع الذي يترجم فيه: أبو عبدالله محمد بن موسى الخوارزمي (ت: بعد 232هـ)، عبيدالله بن خُرداذبه (ت:280هـ)، أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني، جعفر بن محمد أبو معشر البلخي (ت:272هـ)، الفضل بن حاتم النّيريزي (ت:310هـ)، محمد بن جابر بن سنان الشهير بالبتّاني (ت:317هـ)، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت:310هـ)، يعقوب بن إسحق الكندي (ت: نحو 260هـ)، أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي (ت: 339هـ). أسماء لا يمكن الحديث عن الترجمة الإبداعية، بمفهومنا الذي قدمناه في صدر هذه الدراسة، دون التوقف عندها والإشارة إلى دورها الإبداعي في مجال العلوم.

أعمال عظيمة لعلماء رواد

لقد قدم الخوارزمي شروحا على كتاب إقليدس في الهندسة وكتاب بطليموس في الجغرافيا. وابن خرداذبه وضع كتاب «المسالك والممالك» المعتمد على كتاب بطليموس في الجغرافيا. أما الفرغاني فقد وضع «أصول الفلك» الذي ترجم إلى اللاتينية أكثر من مرة حتى عصر كوبرنيكوس. والبلخي الذي «كان له تأثير واسع في العرب ومسيحيي العصور الوسطى، وترجمت له كتب كثيرة إلى اللغة اللاتينية»(28) والنيريزي الذي كان «متقدما في علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحركات النجوم وله شروح على أصول إقليدس ترجمها جيرار دي كريمونا ونشرها كورتزه في ليبزج سنة 1899م»(29).

وقد كان لمحمد بن جابر بن سنان الشهير بالبتاني «زَيْج ضمنه أرصاد النيرين وإصلاح الحركات المثبتة لهما في كتاب المجسطي لبطليموس، وتُرجم زَيْجهُ إلى اللاتينية، وقد

مارست العقلية النقدية للمترجمين العرب - في الصدر الأول - دورها في الإضافة والتهذيب لما يترجمون والمشاركة بجديد، بحيث لم يقتصر دورهم على الترجمة فقط

لخص نلينو أهمية مباحثه الفكرية وتصحيحه لبطليموس كثيرا من أخطائه في دراسته القيمة عنه بدائرة المعارف الإسلامية»(30) وترجم كتاب «الحيوان» لأرسطو الذي ألف الجاحظ كتابه عن «الحيوان» على نمطه.

إلا أن الرازي والكندي والفارابي يقفون بنتاجهم الفكري المتميز مثلا أكثر قوة وتأييدا لما ذهبنا إليه من وظيفة الترجمة ودورها الإبداعي، فقد ترجمت كثير من كتب الرازي إلى اللاتينية «وظل حجة الطب غير مدافع حتى القرن السابع عشر، وترجم له أيضا إلى اللاتينية كتابه في الجدري والحصبة، وهو بحث طبي رائع في الوبائيات، وله ترجمات حديثة إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية. ولم يعن بالطب الجسمي وحده فقد عني أيضا بالطب النفسي، إذ ألف كتابا في الطب الروحاني نشرته جامعة القاهرة»(31).

ولقد أثر الكندي في أسلوب روجر بيكون (1214- 1294م) وهو فيلسوف وعالم إنجليزي له دوره الثوري في تطوير الفكر الإنجليزي وإخراجه عن تقليديته الكنسية في ذلك الوقت إلى نهضة يدين لفضلها حتى يومنا هذا، ويذكرنا برتراند راسل (1872- 1970م) بفضل العرب على روجر بيكون، وأنه إلى جانب كون الأخير «خريج أكسفورد وأنه درس في باريس، وأنه اكتسب معرفة موسوعية في كل أنحاء المعرفة، تشبه طريقة الفلاسفة العرب في الماضي»(32). إلا أنه يشكك في موثوقية الترجمات من العربية مما جعل بيكون يعود لقراءة الأصول. والواقع أن كثيرا من أعمال الكندي ترجم إلى اللاتينية «وقد يفهم من بعض ما كتبه ابن أبي أصيبعة وغيره أنه كان يترجم عن اليونانية والسريانية، ويرى الباحثون أنه لم يكن يعرفهما، وإنما كان يصلح ويصحح بعض ماتُرجم عنهما، وله تهذيبات لكثير مما ترجم، وله أيضا شروح وتعليقات(33). وهذا مما يفسر ما ذهب إليه برتراند راسل من تشكيك في «عدم موثوقية» الترجمات التي وقع عليها بيكون مما اضطره إلى العودة إلى الأصول. لكن راسل لم يوضح إلى أي أصل، وأي لغة رجع بيكون، وهل كان كافيا لإثارته فكريا أم لا؟ ونحن نميل إلى أن بيكون لم يجد ضالته في الأصول اللاتينية واليونانية - التي نرجح أنه رجع إليها حيث هما لغة العلماء في ذلك الوقت - إنما وجدها عند الكندي، لأنه كان يضيف ويصحح وينقح لما وصله مترجما، فهو مبدع لذا كان أثره قويا في روجر بيكون.

والفارابي - آخر من نعدّ فكره، في هذه الدراسة، نتاجا للترجمة الإبداعية - يمثل الاتجاه العقلي في الفلسفة، وهو قد وقع تحت تأثير أرسطو وأفلاطون، وقد كتب «آراء أهل المدينة الفاضلة» على غرار «الجمهورية» لأفلاطون. إلا أن كتاب الفارابي جاء نسخة إسلامية واعية تدل على حسّ المتلقي ومعرفته بما يريد من العمل المنقول. ويعلن الفارابي في كتابه «أن الحاكم ينبغي أن يكون متحليا بكل الفضائل الإسلامية والفلسفية متجنبا اللذات الجسمية، إذ فيه تتمثل المدينة بخيرها وشرها، فإذا كان خيّرا فاضلا كانت المدينة فاضلة، وإذا كان شريرا فاسقا انهارت المدينة وفسد الحكم فيها فسادا شديدا...».

ونحن إنما لمسنا السطح فقط لنصور فلسفة الفارابي، وهي فلسفة إسلامية عقلية استُمدّت من روحانية الإسلام ومن نظريات العقل ومن أفكار الفلاسفة وخاصة أرسطو وأفلاطون مازجة بين هذه العناصر جميعا مستخلصة منها فلسفتنا الإسلامية الوسيطة وأصولها السديدة»(34).

إن الترجمة الإبداعية لا تكون لها تلك الصفة إلا بتوافر ظروف معينة حددناها في قدرة الأدب المتلقي على استيعاب مايرد إليه، مع ملاحظة أن وجود هوة حضارية بين المنقول والمتلقي قد تؤثر سلبا فنهز أكتافنا قائلين: ما لنا ولهذه الحضارة المتقدمة جدا، وقد تؤثر إيجابا فنستجيب بشحذ الهمم والعمل جادين فلا نلمّ بما لدى الآخر فقط ولكن، أيضا، نبدع ونضيف وهذا مارأيناه في أعلام العصر العباسي الثاني الذين تحدثنا عنهم وعن بعض أعمالهم.

الترجمة الإبداعية في الحالة العربية ظاهرة فريدة تستحق مزيدا من التوقف أمام مراحل ثلاث: المرحلة الأولى عمل مترجم إلى العربية خضع للخواص النوعية والكمية للأدب العربي. والمرحلة الثانية التي اندمج فيها المترجم في الموجود العربي وهو ما أسميناه أدب المتلقي وكان العصر العباسي الأول مثالا له، ومنه امتد إلى علوم العرب في العصر العباسي الثاني ليشمل بذلك العلوم والآداب. والمرحلة الثالثة حيث أخذ هذا الموجود العربي الترجمات وهضمها واستوعبها وبعدها نُقل إلى اللغات الأوروبية مترجما لتنهل منه أوروبا. فالترجمة الإبداعية في هذه المراحل الثلاث تمثل إطارا فريدا لتلاقي الفكر الإنساني واستفادة الجنس البشري، من خلال اللغة، من علم الآخر وفنه.

الهوامش:

1-Dionyz Dursin, Theory of Literary Comparatistics (Bartislava: Publishing House of the Slovak Academy of Sciences,1984),P.136.

2- د. مراد وهبة، فولتير ثمرة عصره، مجلة إبداع، العدد 8، أغسطس 1994م، ص28-30.

3- د. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1977م، ص127.

4-W.Macneile & H. J. C. Grierson, The English Parnassus (London: Oxford University Press,1952). P.748.

5- د. غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص131.

6-Dionyz Dorsin, Theory of Literary Comparatistics, P.134.

7-Ibid, P.137.

8- د. فوزي عطية محمد، علم الترجمة: مدخل لغوي، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، 1986م، ص62.

9-Dionyz Dorsin, Theory of LIterary Comparatistics.p.130-133.

10- جريدة الشرق الأوسط، العدد 5973، 4 نيسان/ أبريل 1995م.

11-OP. Cit, Dionyz Dorsin, p.142.

12-Ibid. ,P.142. .

13- د. فوزي عطية، علم الترجمة، ص62.

14- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي3: العصر العباسي الأول، القاهرة، دار المعارف، 1966م، ص113.

15- د. غنيمي هلال، الأدب المقارن، ص127.

16- د. أحمد كمال زكي، عن ألف ليلة وليلة، فصول (شتاء 1994م).

17- أشرف على تحريره: شاخت وبوزورث، ترجمة: د. محمد السمهودي ود. حسين مؤنس وإحسان العمد، الكويت، عالم المعرفة، 1988م.

18- د. أحمد كمال زكي، فصول (شتاء 1994م)، ص14.

19- د. فاطمة موسى، مخطوطات ألف ليلة وليلة في مكتبات أوربا: مخطوط متاجو بأكسفورد، فصول (شتاء 1994م)، ص50.

20- د. أحمد كمال زكي، فصول (شتاء 1994)، ص15.

21- السابق :22-23.

22- كاتارينا مومزن، جوته والعالم العربي، ترجمة: د. عدنان عباس علي ومراجعة د. عبد الغفار مكاوي، الكويت، عالم المعرفة 194- 1995)، ص25.

23- السابق: 27.

24- د. شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص113-114.

25-31- د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي 4: العصر العباسي الثاني، القاهرة، دار المعارف، 1973م، الصفحات من 131-138.

32-Bertrand Russell, Wisdom Of the West (London: Fawcett World Library, 1966), p.207.

33- د. شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص139، 141، 142.

إبراهيم بوخاردت

تلميذ (جينو)

يعتنق التوحيد

هو سويسري ألماني الأصل، إيطالي المولد، ولد عام 1908م في مدينة فلورنسا الساحرة، لأبوين نصرانيين أسمياه تيتوس بوخاردت.

وحين شب تيتوس عن الطوق، جذبه دافع خفي إلى دراسة العلوم الميتافيزيقية، وتعمق في البحث عن الديانات السماوية وتعاليمها وقيمها وأسرارها، حدث ذلك في وقت كان المذهب الوجودي يملأ أوربا بنظرياته وأفكاره، ويهيمن على عقول شبابها، فكان حتمًا أن يصطدم به بوخاردت لـلفطرة السليمة في داخله التي تأبى أن تنجرف وراء تلك الانحرافات الحضارية التي عمت أوربا وسيطرت على فكر شبابها، والتي تعود جذورها إلى عصر النهضة الأوربية.

بين نظريات الفلسفة

تأمل تيتوس بوخاردت النظريات الفلسفية حوله، فوجد معظمها يعتنق الفردية ويرسخ جذورها، ويحلها محل الشمولية، ويستبدل بالنظرة الموسوعية مناهج تجريبية لم يثبت نجاحها، وبين دياجير تلك النظريات لاح له ضوء يحافظ على الخصوصية ويُعبِّر بصدق عن الحقائق الأزلية تَمَثَّل في كتابات الفيلسوف والمستشرق رينيه جينو، الذي كان قد أسلم وتَسَمَّى باسم عبدالواحد يحيى عام 1912م (انظر قصة إسلامه في عدد الفيصل رقم 207- رمضان 1414هـ/ فبراير 1994م).

كان تيتوس بوخاردت قد سمع كثيرًا عن جينو، لكنه لم يكن يعرف شيئًا عن قصة إسلامه، فبدأ يقرأ كتبه بوصفه فيلسوفًا متخصصًا بالدراسات الإسلامية، اكتسبت كتاباته صيتًا وشهرة، وتميزت بالدفاع المستميت عن الإسلام ضد الهجمات الحاقدة، ذلك الدفاع الذي يوضح بجلاء مدى عشق صاحبه لهذا الدين وإيمانه العميق به.

أوضحت كتابات جينو ومؤلفاته حقائق كثيرة أمام تيتوس بوخاردت، إذ كشفت مدى تأثر الغرب بالثقافة الإسلامية؛ في وقت تُنكر معاهده هذا التأثير وتُزيِّف التاريخ حتى لا يعلم الناشئة أن حضارة أوربا لم تقم إلا على أكتاف إسلامية، لولاها لظل الغربيون في ظلام الجهل قرونًا أخرى.

تأثير أفكار جينو

لم يكن تيتوس في حاجة لأن يشحذ همته ليعتنق أفكار جينو، إذ كانت أفكارهما تكاد تتطابق، فكلاهما ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية، وكلاهما مهتم بموضوع الانحراف الحضاري الحديث، ولم يلبث تيتوس بوخاردت أن أشهر إسلامه عن قناعة واقتناع بأنه الدين الحق، وتَسَمَّى باسم «إبراهيم» تيمنًا بمواطنه «الشيخ إبراهيم السويسري» الطبيب والرحالة الذي سبقه إلى الإسلام بما يزيد على القرن ومات ودفن في قاهرة المعز (طالع قصة الشيخ إبراهيم السويسري في عدد الفيصل رقم 191- جمادى الأولى 1413هـ/ نوفمبر 1992م).

رحل إبراهيم بوخاردت إلى العالم العربي للتعمق أكثر في الشريعة والحضارة الإسلامية، ولعل أكثر المراحل تأثيرًا في نفسه، تلك المرحلة التي أمضاها في مدينة فاس المغربية خلال الثلاثينيات الميلادية من هذا القرن؛ إذ شدته فاس بوصفها معلمة من معالم الإسلام، واستقى من علمائها الكثير من ثقافته الإسلامية، وعَبَّر عن امتنانه لهذه المدينة وأبنائها وعلمائها بأن خصها بمؤلف قيم يتناول معالمها، وموقعها بصفتها منارة من منارات الفكر الإسلامي. ولا غرابة في ذلك إذ إن مدة إقامته في فاس قد تركت بصماتها واضحة في منهاجه وتفكيره وإنتاجه العلمي.

تنوع مؤلفاته

وتميزت مؤلفاته الأخرى بدقتها وتعريفها بالإرث الحضاري الإسلامي، انطلاقًا من كونه يكتبها أصلاً للغرب، فهي متوجهة إلى مثقفي الغرب وناشئته الذين لا يعلمون عن حضارة الإسلام الكثير، بعد ما حرّف القسس والمنصرون الحقائق لكيلا يُظهِروا فضل الحضارة الإسلامية على الإنسانية بعامة وأوربا بخاصة.

وتنوعت مؤلفات إبراهيم بوخاردت وتعددت في موضوعات معرفية مختلفة، ما بين علوم شرعية، وبحوث في التصوف، والفن الإسلامي، ومن أشهرها كتابه «المدخل إلى المذاهب الصوفية في الإسلام»، وكتابه «مبادئ ومناهج الفنون المقدسة» الذي ناقش فيه موضوعات كثيرة تتعلق بالعقيدة والفن عند المسلمين والنصارى والهندوس والبوذيين والطاويين. وكان يرى أن العمل الفني يغتذي من العمق غير الفردي لكل ما هو أصيل ويستلهمه، وأنه مادامت العلوم الإسلامية مشتقة من القرآن الكريم ومفسرة له، فإن

لأشكال الفن الإسلامي عروقًا تلتقي بروح الإسلام فتصير علامة ظاهرة عنه.

وقف إبراهيم بوخاردت حياته بعد إسلامه لتعريف الغرب بالقيم النبيلة والفنون الراقية التي تشتمل عليها حضارة الإسلام، وكونها الحضارة الوحيدة التي خلقت توازنًا بين مطالب الإنسان المادية وحاجته الروحية، كما عمد إلى تنقية التصوف مما لصق به من خرافات، موضحًا جوهره، وما يلزم عنه، وما أضيف إليه من أشياء دخيلة لا علاقة لها بالجوهر أو المعنى، ساكبًا هذا كله في قوالب ذهنية حديثة، تفادى إنزال أية آليات منهجية قد لا تستوفي الموضوع حقه.

ويُعدُّ التراث الفكري الفلسفي والفني الذي تركه إبراهيم بوخاردت من أبرز الكتب المعتمدة في جامعات أوربية عديدة عن حضارة الإسلام وقيمه، إذ إن الرجل بإخلاصه وإيمانه العميق استطاع أن يقدم إلى القارئ والدارس غير المسلم مؤلفات منهجية رصينة تقدم حضارة الإسلام إلى العالم الحديث بأسلوب لا يملك المرء معه إلا أن ينبهر ويتفاعل مع كاتب يمتلك ناصية المعرفة الحقة، ورشاقة التعبير.

رحيله

وفي عام 1984م نعى الناعي في مدينة لوزان بسويسرا المستشرق العلامة إبراهيم بوخاردت الذي وافاه الأجل عن عمر ناهز 76 عامًا قضى معظمه منافحًا عن الإسلام، مُعَرِّفًا بأحكامه وفنونه، عبر كتبه ومحاضراته ومقالاته المتنوعة التي شَكَّلت نبراسًا لكل راغب في معرفة الإسلام وحضارته، بعيدًا من العنصرية والنظرة ذات الحكم المسبق التي يقدمها فريق إلى الرأي العام الغربي وناشئته.

مات إبراهيم بوخاردت؛ إلا أن أعماله بقيت تحكي قصة هذا الأوربي الذي عشق الإسلام، وآمن بالقرآن، ومات وعلى لسانه شهادة التوحيد: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

قصيدة

غربة وميلاد

شعر: حِمْيَرْ إبراهيم ونّوس

خُلقتُ وميلادي الشِّتاءُ ببردِه
وصيفُ زماني غربةٌ وسَعيرُ
وليس دوامُ السَّعدِ حظِّي وإنَّما
على عكس ما تجري الرياحُ يسيرُ
سفينةُ أقداري كأنَّ شراعَها
بظلم رياح الحاسدينَ يدورُ..!!
تكدَّر ما بي من سرورٍ وهزَّني
عذابُ زماني والمصابُ كبيرُ
فلمْ ترَ أيَّامي نداوةَ لحظةٍ
ولا ضحكتْ في وجنتيَّ زهورْ
أراني سحاباتِ الربيعِ تناثرتْ
هباءً.. فيذروها الهوا.. فتطيرُ
أتيتُ.. وإني راحلٌ لنهايتي
كما الغيثُ في جوفِ التُّراب يغورُ
سوادُ زماني.. بيَّضتهُ صحائفي
فما أنا إلاّ دمعةٌ.. وسُطُورُ
فكيفَ يراني النَّاسُ صرحًا محصَّنًا
وفي الرُّوحِ من ظلمِ الحبيبِ ثبورُ
غريبٌ.. وكلُّ الأقرباءِ بجانبي
وهل لغريبِ النَّفسِ بعدُ سُرورُ
سأُتلفُ أوراقي.. وأحرقُ ما بها
فليلُ رمادي.. للأنامِ نذيرُ

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. عبدالله الجبرين

قَصْرُ الصلاة للمسافر

ما حكم قصر الصلاة للمسافر إذا أقام أكثر من أربعة أيام؟
جميلة عثمان موسى
الخرطوم، السودان.

متى كـان على أهبة السفـر فإنه يُقَصِّر ولو زاد على أربعة أيام، كـما إذا كان نزوله خارج البلد في خيمة أو تحت شجـرة أو في كهف جبل، فهذا له القصر ولو طالت المدة، فإن النبي ـ صلى الـله عليـه وسلم ـ نزل عام الفتح في الأبطح في قبة ومعه من الصحابة عدد كـثير، وبقي نحو ستة عشـر يومًا حتى توجّه إلى حنين وهو يقصـر الرباعية، ولـكنه يتأهب ويستعد للغزو؛ وهكذا أقام في تبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة ولم يكن هناك بلد فهـو مقيم في صـحراء في ظل الشجـر ونحوه. فـأما من سكن داخل البلد فـأرى أنه لا يقـصـر ولو أقل من يـوم، كـمـا إذا سكـن عند أقـاربه أو استـأجر بيـتًا أو نزل في فندق ونحوه، فإنّه يتمتع بما يتمتع به المقيمـون من الفرش والسرر والأنوار والتكييف والخدمـة الكاملة بإصلاح الطعـام والشراب والـلباس ونحـوه، فمثلُه لا يُسـمَّى مسافرًا، فـإن السفر قطْعـة من العـذاب، ومـثل هذا في نعيم وراحة وطمـأنينة، فـهو أسـوة بالمقـيـمين، فأرى أنه لا يـقصـر ولا يجمع، والله أعلم.

قراءة القرآن وتعليمه بأجر

مـاحُكم قـراءة القرآن بأجـر؟ وكذلك ماحُكم تعليمه بأجر أيضًا؟
يوسف محمد شحاتة
الرياض.

لايجـوز اشـتـراط أجـرة على مـجرد تلاوة القـرآن ولو مع ترتيل أو تجـــويـد، وذلك لأن تـلاوته مـن الأعمال الصـالحة التي يُطلب الأجر فيها من الله تعالـى، فمن أخذ عليها أجـرة فقـد باع عمله الصـالح بحظ زهيـد من الدنيـا، ويُخَـافُ عليـه دخولُه في قـول الله تعالى: *مَن كَانَ يُرِيدُ الحيَاةَ الدُّنيَا وزِينَتَهَا نُوَفِّ إليهم أعْمَالَهُمْ فيها وهُم فيها لا يُبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخرة إلاَّ النَّارُ*. **هود**: 15- 16. وكـذا يـقـال فـيـمن صلّى لأجـل الدنيـا وحجّ أو جَـاهد لأجل الدنيـا. ولا يدخل في ذلك مَنْ أُعطي رزقًـا من بيت المال على الأذان أو الخطابـة ونحـو ذلك. وأمـا تعليم القـرآن بأجـرة فـالأصح جـواز ذلك، ويكون مـقـابل تعبـه وعـمله معـه وصبره على تفـهيـمه وتلقينه واحتباسه على التعـليم؛ فقد ثبت أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «إنّ أحق ما أخـذتم عليه أجرًا كـتـاب الله»، وصح أنه زوّج رَجـلاً بامـرأة، وقال: «زَوَّجْتُكَهَا بما مَعَكَ منَ القرْآن»، وفي رواية: «فَعَلِّمْـهـا عشـرين آية». فجـعل التعليم كـالمهر الذي هو مـــال في الأصل لقـــوله تعالى: *والمُحصناتُ منَ النِّساء إلا ما مَلَكَتْ أيمانُكـم كتـابَ اللَّه عليكم وأُحلَّ لَكُم مـا وراء ذَلِكُمْ أن تَبْتَغُوا بأموَالِكُمْ مُحْصِنينَ غيرَ مسافحينَ*. **النساء**: 24.

النظر في وجوه النساء

مـا حُكم النظر مـن قـبـل الرجـال فـي وجـوه النسـاء الممثلات أو المغنيات وأجسادهن المعروضة على شاشات التلفاز أو السـينمـا أو الـفـيـديو أو الصـور وغير ذلك؟
س. ل. ع
الإسكندرية، مصر.

لايجوز ذلك، فإن النـظرة تثير الشهوة، وقد ورد في الحديث قوله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ: «النظرة سـهمٌ مسـمـومٌ من سهـام إبليس» رواه الطَّبراني، وذكره ابن كثير في تفـسيـر قوله تعـالى: *قُل للمُؤْمنينَ يَغُضُّوا من أبصارهمْ*. النور: 30. وروى أبو داود والـتـــرمـــذي، وحسّنه، أن النبي ـ صـلى الله عليه وسلم ـ قال: «ياعليّ لا تـتبع النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإنَّ لَكَ الأولى وليست لك الآخرة». وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ـ صـلى الله عليـه وسلم ـ قال: «زنا العينين النظر، وزنا الأذن الاستمـاع» الحـديث. ولاشك أن النظر إلى الـصـور المعروضـة على الشـاشـات له أثره في النفس، فـإنه يثيـر الغرائز ويبعث الشـهوة ويدفع إلى الزنا أو مقـدماته، وهكذا النظر في الصـور المرسومـة في الصـحف والمجـلات فإن له تأثيرًا في نفـوس الشبان والشابات وغيرهم؛ فلذلك نقـول: إن الإكبـاب على النظر في هذه الصـور واستدامـة التفكر بـها مـحـرَّم لأنه وسيلة إلى اقـتـراف الذنـب، والوسـائـلُ لهـا أحكامُ المقـاصـد، فكم مـن نظرة أورثت حـسـرة، وكـم حـصل بسـبب الإكبـاب على مداومـة عرض هذه الأفلام الخليعة في السينما والفيديو من المفـاسد والانحـراف والتجـرؤ على الحرام والاندفاع إليه بقوّة وبذل مـا في الإمكان من المـال والجـهـد وركـوب الأخطار، وقطع المسافات لنيل تلك الشـهوات من دون تفكيـر في العواقب، فالله المستعان.

السلام: كيف يكون؟

ما حكم السلام بإشارة اليد؟
علي أحمد الإمام
البحرين.

لايجـوز ذلك بـدلاً عن السـلام الذي هو تحـية المسـلمين، فقـد روى الترمذي وغيره عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ: «ليس منَّا مَنْ تَشبَّه بغيرنا، لا تتشبَّهوا باليهود والنصارى فـإنّ تسليمَ اليهود الإشارة بالأصـابع، وتسليم النصارى الإشـارة بالأكف». وروى النَّسـائي بسند جـيـد عن جـابر رفـعـه: «لا تُسَلِّمُوا تَسليمَ اليهـود، فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة». فـهذه الأحاديث تدل على أنه لا يجوز لأنه تشبـه باليهـود ونحوهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم. والإشارة هي تحريك اليد أو أصابعهـا والاكتفاء بذلك عن الكلام، وكـذا تحريك الرأس حـركة مفهومـة يعرفون أنها كتحية المقابلة؛ لكن إن كـان أحدهمـا بعيداً فَسَلَّم بالكلام وأشـار باليد للإعلام بـأنه قد سلّم فـلا بأس، وكـذا يفـعل من ردّ عليه فـيُسَلّم لفظًا ويشير إليـه فيكون قد جـمع بينهما لتعذّر رفع الصوت إليـه حتى يسمعـه لبعده، وهذا من المستحسن فهـو خير من ترك السلام وأحدهما يبصر الآخر، وهذا يحصل لأهل السـيارات، فـإن أحـدهم يمر مسرعًا ولا يُسْـمَعُ تسليمـه لصوت السـيـارة فله أن يسلم ويُشيـر، والله أعلم.

وقفة مع شعراء الحداثة

د. محمد عبدالمنعم خاطر

ما بين 1918 و1997م ما يقرب من ثمانين سنة. تُرى أما آن للشعر العربي الحديث أن يسترد أنفاسه، وأن يتحسس ذاته، وأن يعود أدراجه إلى دفء تراثه، وطبيعة حياته، وأن يلائم ما بين إيقاع عصره السريع، البالغ السرعة، وروحانية أرضه وسمائه؟!
أمامي الآن نماذج متعددة لشعراء الحداثة العربية، ألتقط منها ما يقع تحت عيني دون انتقاء أو اختيار.

يقول الشاعر محمد عفيفي مطر - وهو كما نعرف من كبار شعراء الحداثة - في قصيدته «بهلوان»(1):

أنا بهلوان الحقول
تعلمت أرجوزة الموت في صمتها والغناء،
بجيبي صكوك الشياطين، في القلب جوع الرحيل
أنا زارع السمسم المرّ فوق النخيل
بنيت السّواقي التي ترجع الماء للنهر،
قطعت لحمي الترابيّ (لحمي بحانوتكم لا يباع)
سأحكي لكم قصة من حقول الرضاع
تَلَهَّتْ بها صبيّةٌ للكهولة، أضحكت منها الحواكير،
فجرت دمع العيون.. فعذرًا إذا خانني
اللفظ فانشق صدري سرورًا وخلعت رجلي
من الرقص، فرّقت قلبي صراخًا، ومرغت وجهي
على حفنة من تراب البكاء

يقول هذا، فنتعرف منها بالكاد، من بين أصداء السطور، آلامَ المعاناة ومرارة اليأس، ومعاناة التمزق التي لا ينفس عنها إلا انفجارية الأصوات: بهلوان الحقول، أرجوزة الموت، صكوك الشياطين، زارع السمسم المرّ فوق النخيل، فجرت دمع العيون، انشق صدري سرورًا (يبدو من الغيظ)، خلعت رجلي من الرقص (يبدو أنه من شدّة الترنح من المعاناة)، مَرّغَت وجهي على حفنة من تراب البكاء.

أقول: على ما عرفناه عنها بالكاد؛ إلا أنه يشوبها وباقي سطور القصيدة كثير من الغموض، الذي هو في حاجة إلى صبر ومعاناة لاستخراج المضامين التي لا يخفف منها إلا أنها لشاعر حداثي كبير.

ويقول الشاعر أحمد سويلم في قصيدته «تداعيات منتصف الليل»:

1- تداعيات الحلم:

- محمولاً فوق الكتفين أجيء.. غبار فوق الهُدْبَيْن.. أساطير لقاء ووداع داخل رأسي.. مدن.. بوابات.. أقواس.. ألوان للحلم القادم من أعماق الليل..
- ما أطول طرقاتي، كانت تأخذ وجهي - حين يلوح - تُعَصّبه..
تدفعني الأقدام - الأقزام - الأحجار - الأنظار - أتوق لجرعة ماء..(2).

يقول هذا فَنَعي، أو نكاد، شيئًا من تداعيات الأحلام وأضغاث الأحلام في منتصف الليل. وهذا الشيء الذي وعيناه بالكاد، ينتصف له ناقد كبير هو الدكتور أحمد كمال زكي، حين يقول في تقريظ ديوانه:

«لقد قرأت أن إزرا باوند رفض أن يكون الكلام الجيد غير مشحون بالمعنى. وهاهنا أحمد سويلم - في تلاعبه بالإيقاعات - يقدم الدليل على قيمة الكلمات المشحونة بالمعنى، حتى ليخيل إلينا أنه لا يعبأ إلا بالإيحاءات»(3).

أين هي؟! وما كانت كذلك إلا لأنها تصدر عن شاعر متمرس بظلال الألفاظ، ومعاناة التجربة، وآلام المعاناة.

ويقول الشاعر مختار عيسى - وكان من طلابي في الجامعة - في قصيدته «وكشفنا عنك غطاءك»:

وكل العذارى اصطفينَكَ
ترفع عن حلمهن الملوحة
تملأ سلاّتهنّ برمّان قلبكْ
وعطْر يجيد الحديث - إذا الصمت طابت لديه الإقامةُ
كُلُّ النساء احتشدن إليكَ
ترد الشباب المولّي
تفتح شطآنك الرائعات
فيقفزن للبحر - هذا المليحُ -

ويسبحْنَ في مائكَ المرتجَى
وكل البلاد ارتضتك
وأعطتك مفتاحها
وادّعتك الأميرَ(4).

يقول هذا فنعي من القصيدة الطويلة المقابلات بين الرضا والجفوة، بين النجاح والخيبة، بين السرور والحسرة، أو كما قالت إحدى طالباتي ـ عُلا مصطفى غازي ـ وهي تحلل القصيدة: وهكذا استطاع الشاعر بفطرته السليمة، ونفسه الصافية، وذوقه الرفيع، وإلهامه الصادق، وعقله الواعي، وأسلوبه السلس، وألفاظه الجديدة، واقتباساته من التراث؛ أن يعزف على أوتار الحرف وإيقاعات المعاني، ويرتفع بنا رويدًا رويدًا إلى عنان السماء، ثم يهبط بنا حيث كنا، دون أن يتركنا معلقين بين السماء والأرض، ويظل بداخلنا صدًى لهذه المعاني والتراكيب البارعة، التي طالما تصرخ بقلوبنا حتى نفيق مما نحن فيه!!

ودع عنك ما في تكريمها لزميلها في الدراسة من مجاملات، فالشاعر لم يعِ إيحاءات الآية الكريمة: *فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ*. **ق**: 22. تلك التي تصور لحظات الاحتضار، التي تتبلور فيها الحياة بقوة، فيرى المحتضر كل شيء بعنفوان وحدّة، ومع أنه لم يعها، فهي لا تتناقض مع إيحاءات تجربته ـ وما كانت كذلك إلا لأنها تعبر عن تجربة شعورية حقيقية.

ومع هذا يظل التساؤل قائمًا:

أهذه هي البنوة الطبيعية لأب شرعي هو الشعر العربيّ، أم هي بنوة لقيط؟!

لنستمع أولاً قبل الإجابة إلى شاعر عربي أصيل، اتهموه بالتقليد، وهاجموا شعره، وعرّضوا به في مناسبات متعددة لنرى البون الشاسع بين مفهوم الشعر عنده وعند مدرسته، وبين ما هو عليه الآن عند هؤلاء الحداثيين:

يقول الشاعر علي الجارم:

الشعر عاطفة تقتاد عاطفة
وفكرة تتجلى بين أفكار
الشعر إن لامس الأرواح ألهبها
كما تقابَلَ تيارٌ بتيّار
الشعر مصباحُ أقوام إذا التمسوا
نورَ الحياة وزندُ الأمة الواري
الشعر همس غصون الدَّوْح مائسةً
ودمعة الطلِّ في أجفان أزهار(5).

يقول هذا فنعرف أن الشعر عنده عاطفة وفكرة، عاطفة مؤثرة قوية في عواطف الآخرين، وفكرة قوية إذا قوبلت بغيرها من الأفكار.

والشعر بهذا المعنى يشبه تيار الكهرباء، الذي يلتقي بآخر، فيولد الحرارة والنور، ويكشف الظلمة، ويبدد الغياهب، وهو بهذا المعنى أيضًا أنشودة يرسلها الفنان إلى القلوب المقفرة فتحيا، وإلى النفوس الحائرة فتهدأ.

يقول «ج. م. جويو» في كتابه «فلسفة الفن المعاصر»:

«لقد كانت كلمة الشاعر تعني دائمًا أنه خالق(6)، وكان الشاعر خالق صور حتى الآن، وسيظل كذلك إلى الأبد، ولكن يمكن أن يصبح الشاعر إلى جانب ذلك خالق أفكار، أو موقظ أفكار، وخالق عواطف عن طريق هذه الأفكار»(7).

ونقول: إنّ الشاعر لا يصوغ أحلامه وآماله وآلامه فحسب؛ وإنما هو في الواقع يصوغ أحلام البشرية وآمالها وآلامها من خلال تجربته الخاصة، التي يشترك معه فيها الآخرون، وفي هذا المعنى خلود الأدب ووجوده، وإلا فما قيمة شعر يُؤلَّف، ويُنشد، أو يُقرأ، فلا يهز القلوب، ولا يحرك الوجدان. وربما كان هذا هو المعنى الذي يقصده الشاعر الإنجليزي ت. إس. إليوت فيما أطلق عليه اسم «المعادل الموضوعي»، ويعني به تلك الصورة التي يُعبِّر بها الشاعر عن عاطفته لكي تثير هذه الصورة عاطفة مشابهة عند القارئ، والعاطفة ليست هي المشاعر، بل هي تحويل للمشاعر إلى صورة أخرى، إذ إن الشعر ليس تعبيرًا عن المشاعر، بل هو هرب منها، هو مجهود الشاعر ليحول آلامه الخاصة إلى شيء خصب غريب، شيء كوني عام يستجيب له الكون كله(8).



أحمد سويلم



علي الجارم

ويقول الشاعر الإنجليزي شيلي: ليس الشعراء محدثي اللغات، ومبتدعي فنون التصوير والموسيقى فقط، بل هم أيضًا مؤسسو المدنيات ومبتكرو فنون الحياة، وهم الأساتذة الذين يصلون ما بين الجمال والحق، وبين عوامل هذا العالَم المستتر الذي يدعوه الناس الدين.

ولقد كان الشعراء في العصور الأولى التي مرت بهذه الدنيا يسمون تارة مشرعين، وطورًا متنبئين، حسب العصور التي ظهروا فيها، والأمم التي نبغوا فيها. صدق الأولون، فإن الشاعر جامع أبدًا بين هذين في نفسه؛ لأنه لا يقتصر على رؤية الحاضر كما هو، ولا يجتزئ باستطلاع القوانين، والأنظمة التي ينبغي أن ينزل على أمورها هذا الحاضر، بل يستشف المستقبل من ورائه، فليست خواطره إلا بذور الزهرة التي يجنيها الزمن ونوارته. وما الشعر إلا موقظ الأمم، وباعث الشعور، ورسول الانقلابات في الآراء والتقاليد، والشعراء هم رسل الوحي القدسي، وشراح الحكمة الربّانية، وهم المرايا التي تتراءى في صقالها ظلال المستقبل الضخمة الكثيفة الملقاة على الحاضر، وهم اللفظ الناطق بما لا يفهمون، المعبر عمّا لا يدركون، وهم، قبلُ وبعدُ، المشرعون الذين لا يعترف بهم الناس(9).

وبموازنة سريعة بين مفهوم الجارم الذي ذكرناه، ورأي المدرسة المجددة في الشعر العربي ـ ونعني بها مدرسة الديوان ـ يتضح لنا مدى الاتفاق. فالعقاد يرد على من يقولون بأن الشعر وجدان فقط بقوله: «ومن الكلمات التي تُلاك ولا تُفهم

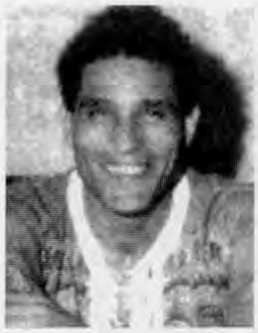
الأدب الرفيع لم يخل من عنصر التفكير، والشاهد على ذلك أدب الفحول بين شعراء الأمم أمثال شكسبير وجوته والمتنبي

قول القائلين: إن الشعر وجدان، وإن الشاعر لا يتأمل ولا يفكر. والحقيقة التي ينبغي أن نحفرها في أخلادنا هي أن الأدب الرفيع لم يخل من عنصر التفكير، وأن الشاهد على ذلك أدب الفحول بين شعراء الأمم العالميين، ومنهم أمثال: شكسبير، وجوته، والخيام، وأبو الطيب، ونخص الشعراء بالذكر؛ لأن صدق الملاحظة عليهم يجعلها أقمن بالصدق على الأدباء والناثرين»(10).

والشاعر عبدالرحمن شكري يرى أنه «ينبغي أن يكون الشاعر بعيد النظرة، غير آخذ رواء المظاهر مأخذه نور الحق، فيميز بين معاني الحياة التي تعرفها العامة وأهل الغفلة، ومعاني الحياة التي يوحي إليه بها الأبد. وكل شاعر عبقري خليق بأن يدعى متنبئًا. أليس هو الذي يرمي مجاهل الأبد بعين الصقر فيكشف عنها غطاء الظلام، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس، فتغري به أهل القسوة والجهل.



د. أحمد كمال زكي



محمد عفيفي مطر

وليس الشاعر الكبير من يُعنى بصغيرات الأمور، ولكنه الذي يحلق فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيه، ثم ينظر في أعماق الزمن آخذًا بأطراف ما مضى وما يستقبل فيجيء شعره أبديًا مثل نظرته»(11).

وما دمنا قد وصلنا إلى هذا الرأي، فمن الواجب أن نشير إلى الرأي المقابل الذي يقول: بأن الفن بعامة، والشعر بخاصة لا غاية له؛ لأنه غاية في ذاته، فالتعبير الجميل، والصورة الرائعة يجب أن يقفا عند حدود الجمال المحض دون قصد إلى شرف المعنى في ذاته، ولاسيما إذا تذكّرنا أن من نادوا به من كبار فلاسفة الجمال من أمثال الفيلسوف كانت، وسبنسر، وجرانت ألن، وكروتشة، وبودلير، وفلوبير، وكثير من الرومانتيكيين، والبرناسيين، وعبدالقاهر الجرجاني، والقاضي علي بن عبدالعزيز الجرجاني، وطه حسين، وسيد قطب.

فكروتشة في أثناء تعريفه للفن بأنه رؤيا أو حَدْس يعد من الإنكارات التي ينطوي عليها تعريفه لبعض المفهومات العالقة بالفن خطأ قولهم: إن غاية الفن أن يوجه الناس نحو الخير، ويبث فيهم كره الشر، ويصلح من عاداتهم ويقوم أخلاقهم، وأن على الفنانين أن يسهموا في تربية الجماهير، وتقوية الروح القومي أو الحزبي في الشعب، أو إذاعة المثل الأعلى الذي يفرض على المرء أن يعيش حياة بسيطة جاهدة وما إلى ذلك.

والحق أن هذه الأمور لا يستطيع الفن أن يقوم بها أكثر مما تستطيع الهندسة، فهل عجز الهندسة هذا يجردها من حقّها في الاحترام؟ فليت شعري لِمَ يجردون الفن من مثل هذا الحق في مثل هذه الحال(12).

وهو هنا يكاد يلتقي مع عبدالقاهر الجرجاني، فلقد نعى عبدالقاهر على من يرى الحسن في الحكمة السائرة، والخلق السائد، لا يتجاوزون هذه الحدود، ولم يذكر سوى الصورة الأدبية أساسًا للحسن، وهي التي يتوافر فيها حسن النظم سواء اشتملت على حكمة أم لا. ولا يشترط عبدالقاهر غاية اجتماعية أو خلقية للكاتب، ومتى حسنت الصورة الأدبية باستكمال حسن النظم، وحسن الألفاظ في مواقعها فقد حسن الكلام(13).

إلا أننا نرى الأمر يأخذ وضعًا آخر على يد «سارتر» الذي لا يقر الالتزام في الشعر، فهو بذلك يوافق رأي كروتشة وعبدالقاهر، وإن أقرّه في النثر؛ ذلك أن لغة الشعر كثيفة، ولغة النثر شفافة، فالشاعر يعتمد في جلاء مشاعره على الصور لا على الشخصيات والأحداث، وتعتمد الصور على قوتها الإيحائية في الألفاظ والجمل، وبذلك تصبح الكلمات في التصوير أشبه بالألوان في الرسم، أو الأنغام في الموسيقى فتسيطر على العواطف، وتنفذ فيها، وتصبح بذلك لها كثافة الأشياء كلوحة الرسام، فاللغة الشعرية ليست أداة الوصول إلى حقيقة ما(14).

وكل هذا: سواء الرأي القائل بغائية الشعر، أو الرأي الآخر الواقف به عند حدود الجمال المحض إدراك رائع لمفهوم الشعر وغاياته ورسالاته. وأين هذا مما عرضناه لشعراء الحداثة!!!

لعلك لاحظت أنه بكثير من التأمل، وبكثير من المعاناة ـ ومع أننا عرضنا في بادئ الدراسة نماذج واضحة ـ لا نستطيع أن نغوص في بحار هذا اللون المفكك المتخبط المطلسم، الذي لا يكاد صاحبه يعرف وهو يتخبط فيه إن كان يعي، أو يعبر عن تجربة!!

لا نقول: إن صاحبه غارق في متاهات اللاشعور، أو متأثر بمذهب اللامعقول، أو إنه يمر بأزمات نفسية تدعوه إلى الهلوسة والتخبط، فكل ذلك يمكن الوصول إليه، والكشف عن أسراره، والإعجاب بإبداعه، ولكنا نقول: إنه شيء فوق الاحتمال، وفوق الفن، وفوق التجربة والمعاناة.

ولكي تكون وقفتنا مفيدة وهادفة يحسن أن نعود فنؤرخ لتيار الحداثة هذا، وكيف بدأ؟ وما هي محطات تطوره؟ لنصل في النهاية إلى الغاية نفسها التي عرضناها في تساؤلنا السابق، وهي مدى بنوة هذا التيار الحداثي لروح شعرنا العربي وملاءمته لروحانية أرضه وسمائه، وهذا ما سنحاوله في دراساتنا المقبلة ـ إن شاء الله ـ فإلى عام 1918م مرة أخرى لنبدأ من جديد.

الهوامش:

1ـ يتحدث الطمي، محمد عفيفي مطر، ص6.
2ـ الليل وذاكرة الأورق، أحمد سويلم، ص21.
3ـ الديوان نفسه، ص84.
4ـ خارطة للجرح، مختار عيسى، ص14.
5ـ ديوان الجارم، دار الشروق، ص148.
6ـ فتبارك الله أحسن الخالقين.
7ـ جان ماري جويو بلافال، فلسفة الفن المعاصر، ترجمة سامي الدروبي، ص129.
8ـ ت. إس. إليوت، مختارات معاصرة في فهم الشعر ونقده، ترجمة صلاح عبدالصبور، المجلة، العدد 77، ص66.
9ـ إبراهيم عبدالقادر المازني، الشعر غاياته ووسائطه، ص44.
10ـ عباس محمود العقاد، مقدمة بعد الأعاصير، ص12.
11ـ عبدالرحمن شكري، مقدمة ديوان زهر الربيع.
12ـ المجمل في فلسفة الفن، ص31.
13ـ د. محمد غنيمي هلال، المدخل إلى النقد الأدبي الحديث، ص293.
14ـ السابق نفسه، ص295.

تجربتي في الشعر والحياة



د. يوسف عزالدين

2

على الرغم من كتابة اثني عشر كتابًا عني فلم يتفرغ باحث لدراسة شعري دراسة شاملة، ولم يُتح له ناقد ذواقة يفهم ما بين سطور هذا الشعر، فالذين كتبوا عني - جزاهم الله أكرم الجزاء - درسوا جانبًا من جوانبه، ووُفِّقُوا في هذا الجانب، وعسى أن يأتي الوقت الذي يُوفَّق فيه باحث صبور وشاعر ناقد لدراسة هذه الخلجات العميقة والإشارات البعيدة والعاطفة الفياضة والفكرة المجنحة بالرمز والإيحاء، ويشرح ما بين دفقات الخيال وعمق الأحاسيس.

همسات حب مطوية

والمجموعة الشعرية «همسات حب مطوية» نظمت بحرية الشاعر وانطلاقة المبدع وهمسات الفنان الوجدانية، لأنها نظمت خارج العراق، فيجد الناقد فيها كثيرًا من المدن والعلاقات الوجدانية الصادقة، وتدفق الأحاسيس المرهفة. وفي أول سفرة لي إلى مدينة حلب بهرني مُتَنَزَّه السبيل، فأنا ابن قرية محافظة لا يجوز الاختلاط فيها، ولم نر يومًا وجه امرأة سافرة في الشارع؛ وفجأة وجدت نفسي في مكان شاعري خيم عليه الظلام الرقيق ولف الجميع بظلاله، تتوثب فيه أنوار خافتة، وقد جلس على حافة البركة النساء والرجال بحرية وانطلاقة تحت ظلال الأشجار الوارفة، فقلت قصيدة أذكر منها:

بمنتزه السبيل رأيت حسنًا
سباني فيه منتزه السبيلِ
فما أحلى هدوءَ الماء فيه
وما أحلى مياهَ السلسبيل
يداعبه النسيم بكل لطف
دُعابة شَيِّق وجهَ الخليل
بأفياه الظباء صُرِعن قتلى
فما تلفي به غير القتيل

ونُشرت في مجلة الأديب اللبنانية وهي الوحيدة التي نشرتها فيها، وهي أول قصيدة لي في خارج العراق.

يجد القارئ في «همسات حب مطوية» نفحات مصر الشذية، وآثار الشام العبقة، وانعكاس الصين الواضح، وذكريات تونس الحلوة، ولقاءات الهند العطرة، ومدن بلجيكا الجميلة، وصدق الهمسات في ألمانية وإيطالية. وقد نظمت قصيدة في الصين أشيد فيها بجهد ماو تسي تونغ في وحدة الصين وأحيي الشعب، وعلى إلحاح الجهات المسؤولة في نشرها فقد أبيت، ونشرتها بعد أن عدت إلى العراق وموت ماو تسي تونغ حتى لا أُتَّهمَ بالزلفى والتقرب إليه، وكان في أوج سطوته، وهي منشورة في ص 28 من الديوان، وفيه إشارات رمزية جديدة وإيحاءات وطنية صادقة، وقصائد إنسانية رقيقة مؤرخة بأمانة وصدق ورقة.

المرء كثير بإخوانه

صلتي بالأحبة عميقة، ووجدت بين الإخوان صاحبَ الوفاء الذي يعطيك من قلبه ومن قلمه ومن ماله؛ يسأل عنك، ويتفقدك في الرسائل، مثل الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع الذي بدأت صداقتي معه في العراق، ولكنه ما زال على الرغم من مرور أكثر من ثلاثين سنة يواليني بالسؤال؛ فكتبت إليه مرة من بني غازي:

أخي عبدالوهاب - وأنت شهم -
وفيُّ الخلق محمودُ الودادِ
لئن نابت أخاكَ همومُ دهرٍ
وعاش بغربة بين العبادِ
فإن الحرَّ تُضْوِيه حياة
إذا بَعُدَ الرجالُ عن الرشادِ
شربتُ من المسرة كلَّ عذب
وما باليت بالكُرَبِ الشدادِ
فما ألفيتُ أقسى من جحود
ومن ظلم المفكِّر في بلادي
بنيتُ لأمتي مجدًا عريضًا
فكان حصاده شوك القتادِ

أحببت الناس كلهم، وضحيت براحتي ومالي ووقتي لإسعاد الآخرين، ولم أحمل حقدًا أو موجدة على أحد حتى على أولئك الذين ظلموني، وما في قلبي كراهية لإنسان، وأحمد الله أن جوزيت خير الجزاء، فقد كتب

إليّ أكثر من أربعين شاعرًا من الوطن العربي، وهي ظاهرة أحسبها لم تحدث طوال تاريخ الأدب العربيّ.. إنها عواطف لا تُقدَّر بكنوز الدنيا، وإنه حب من غير منفعة، وودّ من دون مأرب، إنه صدق العاطفة الموّارة، وصفاء الأحاسيس العميقة، وتدفق الحب الصافي، وهل هناك أصفى من قلوب الشعراء، وأصدق من أحاسيس الأصدقاء، وأنبل من ود الأحباء؟ إن الإخوانيات جزء من الشعر العربي الذي اندرس، وهو يخلو من الزلفى والمصلحة الفردية، لأنه ينبع من عاطفة الود العميقة وفيض المحبة الجياشة، وقد جُمِعَتْ هذه القصائد في كتابين «أشعار المحبين إلي يوسف عزالدين» للأستاذ حماد السالمي و«الورقاء ضَمّت المفكرين والأدباء في تكريم يوسف عزالدين» للأستاذ عدنان المهنا.

أكتب شعري عندما أكون متفرغًا من المشكلات، أو أردّ الفضل لأهله، فكتبت للشيخ عبدالعزيز السالم قصيدة عندما أهداني عباءة فاخرة منها:

شكرًا أبا عصام
يا صفوة الأنام
شكرًا على الهديه
عباءة بهيه
بها زري رائع
أجاد فيها الصانع
يا خيرة الأحباب
وأقدر الكُتّاب

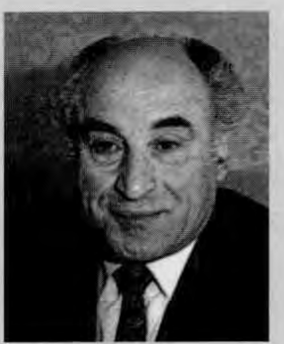
وأخرى للشيخ عبدالله السعدون تقديرًا لعاطفته أقول فيها:

أنتم بنو السعدون
من كَرَمٍ مكنون
يا صادقَ الإحساسِ
مفخرةً للناس
شكرًا على الهديه
جميلة بهيه

وكتبت لزميل الدراسة الأخ الدكتور



عبد الوهاب عبد الواسع



محمد المزالي



د. محمد عبده يماني

عبدالعزيز الخويطر قصيدة، وللشاعر المبدع عبدالله القرعاوي الذي غمرني بجميل شعره وجميل لطفه وصدق عاطفته عددًا من القصائد، وقلت له من قصيدة:

يا شاعرًا يا أصدق السُّمَّار
كم ذا تغني أجمل الأشعار
وأنا الذي ما جمجمت أفكاره
واليوم أحبس صفوة الأفكار
إن اللحون تَصَوّحتْ عذباتها
وبكى على أشلائها قيثاري

وأرسلت قصائد من خارج العراق إلى إخواني وأصدقائي السيد صبحي عثمان والقاضي المعروف عبدالرحمن الخضير والطبيب النطاسي عبداللطيف البدري وأستاذ الجيل د. مصطفى جواد وزميل الدراسة الدكتور كامل مصطفى الشيبي والشاعر أحمد مخيمر. ومن القصائد التي لم أنشرها إلا في «همسات حب مطوية» قصيدة للإنسان الوفي الشهم محمد المزالي، لأنه كان لا ينساني في كل مناسبة، وزرت تونس في عهده وقلت فيها:

يا تونس الخضراء يا غاليه
يا ملتقى شوقي وأحلاميَه
يا قبسَ المجدِ وإشعاعه
ودرَّةً للبحر والبادية
جددت لي أحلى زمان الصِّبا
بروحك الفتانة الشاديه

وقد تركتْ تونس في نفسي أجمل الأثر وأحلاه، بقيت فيها عشرة أيام كأنها عشر لحظات، وألقيت فيها عددًا من المحاضراتً، وقد حُرمنا من زيارتها والتمتع بها، وقد أحسست بأن هناك أمورًا سوف تحدث، فكتبت للأستاذ محمد المزالي:

الوفاءُ الذي تدثَّرت فيه
دفقاتٌ من تُرْب تونس خِصْبُ
والخصال التي تباهت بفضل
فيضُ مجد من المكارم رَحبُ
بَسَمَتْ في دجى المعاناة فجرًا
وتباهَتْ بفضل أصلك عُربُ

وقلت:

حفظ الله تونسًا وحماها
لا دهاها من النوائب خطبُ
ونجتْ من خصومها وعِداها
وتناءى عن أرض تونس رُعبُ

أحببت الناس كلهم، وضحيت براحتي ومالي ووقتي لإسعاد الآخرين، ولم أحمل حقدًا أو موجدة على أحد حتى على أولئك الذين ظلموني

في مرابع صوفية

ومن الأقطار التي أحببتها بلغارية، فقد دعيت إليها مدة شهرين، ولكن لم أمكث غير أسبوعين، ونظمت فيها عدداً من القصائد، وقلت في أحد مرابعها:

لست أدري كيف أسلوها وفي أعطافها
رقة الماضي وطيب الحاضر
فاض ما بين السهول
نبع حبي

وعن صوفية المدينة الحلوة الصغيرة:

حلم أعيش به
يا ليتني لا أستفيق
الحب والأمل الطروب
معي على نغم الطريق
والأمنيات الضاحكات تنث من وجه رقيق
يا ليتني لا أستفيق

مصر التي في خاطري

كانت مصر وأساتذتها، وما زالت، أهم المؤثرات الإبداعية في حياتي، فالجو الاجتماعي وطيب الخلق والتشجيع دفعني إلى الإبداع والاستمرار في الشعر، لذلك كثر شعري في مصر وأهل مصر، وما أظن أنني أرد لها الجميل، فقد عُوملتُ فيها معاملة كريمة ممتازة في الجامعة ومن قادة الكلية، وقد كان عميد الكلية الأستاذ عبدالحميد العبادي - رحمه الله - يوفدني ممثلاً للكلية في الحفلات العامة، مثل افتتاح كلية الهندسة والترحيب بالضيوف. قلت له يوماً: ياسيدي لو أرسلت طالباً مصرياً، فقال بحزم وإصرار: أنت خير الطلاب في كلية الآداب، ولا فرقَ بينك وبين أيٍّ طالب فيها.

هل نجد في غير مصر مثل هذه المعاملة المتساوية المتوازنة بين الطلاب دون التمييز بين الأصول؟ وكنت أشارك باسم الكلية في مهرجان البحر والربيع والمواسم الشعرية مع الطلاب الآخرين، وأستقبل في الميناء ضيوفها من الكليات العربية.

ولما عدت إلى العراق بعد الدكتوراه كنت أزور مصر كل سنة إلا إذا منعني عائق، سواء أكنت في سفرة إلى الصين أو روسية أو باريس. ولما كنت أُحضِّر للدكتوراه في لندن لم أذهب إليها، فكتبت قصيدة أشتاق إلى مصر أقول فيها:

خذوا يا بني مصرٍ فؤادي إلى مصر
فقد كانت الأيام فواحة العطر
وقُصُّوا على النيل السعيد مشاعري
فكم هَمَسات في جوانبه تسري
تركت الحنايا في حنان ربوعها
وإن حنايا المرء جوهرةُ العمر
ملأت الربيع النضر شعراً بوصفها
فغنت به الألحان تثمل من شعري
ترعرتُ في مصرٍ وأُشربتُ حُبَّها
فلا عَجَبٌ أنْ همْتُ بالحسْنِ والسحرِ
جمالٌ وآمالٌ وخلق ورقَّةٌ
وَظَرْفٌ أحيَّاء وحبٌّ بلا غدرِ
وعلمٌ وآدابٌ وفضلٌ ورفعة
ومجدٌ أثيلٌ قد غدَا غُرَّةَ الدَّهْرِ

وحبي لمصر نما وترعرع قبل أن أصل إليها، فقد كنت متأثراً بالتيارات الأدبية التي تدور فيها في الرسالة والثقافة والهلال والمقتطف، وما يكتبه الأدباء، وما يدور بينهم من خصومات فكرية ومعارك أدبية، وتوثَّقَتْ هذه العلاقات - بعد ذلك - بدخولي مجمع اللغة العربية.

أحمد رامي

وفي أثناء تحضير الماجستير نظمت عدداً من القصائد وجمعتها في «ألحان» التي صدرت الطبعة الثانية والثالثة مُصَدَّرةً بقصيدة للأستاذ الكبير الشاعر المعروف أحمد رامي، ولها قصة طريفة تدل على توارد الخواطر بيني وبين الشاعر: كنت أحاضر كل سنة في معهد الدراسات والبحوث العربية التابع للجامعة العربية، وزرت مرة الشاعر صالح جودت وكان ورامي صديقين متلازمين قلَّما افترقا، وكان صالح يتحدث بالهاتف ولما حضرت أمامه قال:

يارامي، أتدري من دخل علي وأنا أتحدث معك؟

قال له: يوسف عزالدين.

قال له: كيف عرفت؟

أجابه: لأني أنظم له قصيدة.

فقال: تحدث معه، وقرأ لي رامي:

طالَعَتْني أبكار عزالدين
سانحاتٍ في جنَّةٍ وعيون
يتهادين والحلي معان
خطرت في ضميره المكنون

ثم قال: لن أكملها حتى تزورني..

قلت: سمعاً وطاعة وسعادة غامرة.. فسلمني إياها في داره بخطه الجميل فوضعتها مقدمة لمجموعة «ألحان».

أيام ضاعت

أما الأيام التي ضاعت هدراً مني، وبَعُد فيها الشعر عني، فقد كانت في دولة كنت فيها عميداً للآداب وعميداً للدراسات العليا والبحث العلمي، فقد سرق العمل الإداري كلّ وقتي دون أن أحس بما يجري حولي في المجتمع المتناقض الاصطناعي، فلقد غرقت للأذقان في ترتيب العمل وتنسيقه. وهذا البلد الوحيد في العالم كله الذي لم أجد فيه صديقاً واحداً، لأني ترفَّعت عن الزلفى ومداهنة الآخرين، ومازلتُ في ألَمٍ مرير للساعات

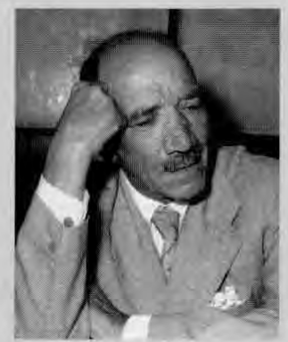
كانت مصر وأساتذتها أهم المؤثرات الإبداعية في حياتي؛ وقد عوملت فيها معاملة كريمة، ونما حبي لها وترعرع قبل أن أصل إليها



عبدالله حمد القرعاوي



حماد السالمي



أحمد رامي

الطويلة التي بذلتها في خدمة الكلية وتطوير الإدارة ووضع منهج جديد ليلائم الحياة الجامعية والروح العلمية العالية، لأن الظروف جاءت بمرؤوس ليس له من العلم أقلُّ نصيب وافدًا من بلد بعيد من الأرومة العربية يحمل شهادة مزيفة، وقد خرج عن التقاليد الجامعية بتصرفاته، حتى أُخرجَ من الجامعة بفضيحة ذكرتها جريدة الشرق الأوسط في أحد أعدادها في الصفحة الأولى من صفحاته، وقد استغلّ الطيبة والسذاجة في رئيس الجامعة الأعلى وصغر سنه أبشع استغلال، وتخلص مني بأسلوب ماكر فات على الرئيس الأعلى، فكتبت إلى المسؤولين رسالةَ أسفٍ وألَم ختمتها بقول الشاعر العربي:

غَزَلتُ لكم غزلاً رقيقًا فلم أجد
لغَزلي نَسَّاجًا «فأَخْفَيْتُ» مغْزَلي

ولم أقل: «فكسّرت مغزلي»، وحسبتُ المسؤول الأول لحسن ظني به سوف يسأل عني ويطلب مقابلتي وهو الذي عوَّدوه الذهاب إليه ليمنحهم منحة من المال بعد العمل في الجامعة، ولكن كرامتي العلمية أبتْ علي، ورددت قول القاضي الجرجاني:

إذا قيل هذا موردٌ قلت قد أرى
ولكنَّ نفسَ الحر تحتمل الظّما
ولم ابتذلْ في خدمة العلم مهجتي
لأخدمَ مَنْ لاقيتُ لكنْ لأُخْدَما

في صنعاء

وكان الدكتور عبدالعزيز المقالح ـ حفظه الله ـ رئيس جامعة صنعاء، ولما وصلت إليها وجدت كل ترحيب وتقدير، وصدرًا كريمًا وخلقًا ساميًا منه ومن أدباء وأساتذة ومسؤولين، وتعرّفت في خلال أسبوعين ما لم أتعرّفه في سنتين في بلد آخر، وبلا شعور وجدت نفسي أقول وأنا في الطائرة قصيدة منها:

صنعاءُ هل فيك ظلٌّ أستظلُّ به
فقد شكا القلبُ مِنْ أيْنٍ ومِنْ سَفَرِ
صنعاءُ هل فيكِ قلبٌ من محبّته
يَمحو ذنوبَ الذي قد عُدَّ في البَشَرِ؟

ونشرها الدكتور المقالح في جريدة 26 سبتمبر في 1978/10/26م مع عناية كبيرة، منها: «الدكتور يوسف عزالدين شاعر معروف وناقد يرى أن الناقد هو الذي يمتلك النظرة العميقة والرؤية السليمة إلى العمل الأدبي، وهو الناقد المبدع». وذكر ما قرأه لي من مطبوعات، وحلل بعض الآراء في كتابي النقدي «في الأدب العربي الحديث مقالات وآراءنقدية»، وقال ـ أطال الله عمره ـ: إنه «ناقد سبق عصره»، وغير ذلك من الآراء التي دلت على درايته بآرائي النقدية والأدبية.

وذكرتُ ذلك باختصار في كتابي «آراء نقدية نجت من الوأد»، كما كتب عني الأستاذ أحمد المروني ورحب بي، لهذا أهديت لهما «أيام ضاعت» وهي مجموعة شعرية أذكر فيها حفاوة أدباء اليمن ومفكريهم، وتكريمهم لي، مما لم أنسه حتى الآن. وفي المجموعة قصائد، منها:

صنعاء رُدّي لِيَ الوِدَاد معطَّرًا
فلقد قَسَا من خلتهُمْ أعرابا
أصفَيْتُهُم حبي وكلَّ مشاعري
لكنهم نَبَحُوا عليَّ كِلاَبا
وسقيتُهُم صفوَ العواطف عَذبةً
لكنهم شَنُّوا عليَّ حِرَابا
يا ويحهم أينَ العروبةُ منهُمُ
حاشا العروبة أن تلمَّ ذُبَابا

وسميتها «أيام ضاعت» لأني فيها بذلت كل طاقتي في سبيل إنجاح العمل في تلك الدولة، وكنت أعمل ليل نهار حتى استوت العمادة على سوقها، فكان مصير هذا العمل هباءً، وبذلك ضاع الشعر كله في العمادة الصورية، وضاع الشعر وهدمت الأعصاب وخرجت بخفي حنين، أو عدت بلا حُنَين وبلا خُفَّيْه.

شرب الملح

وكان من جراء المعاناة النفسية التي أصابتني، وخيبة أملي في قوم حسبتهم مثلاً للعروبة وأملاً للعلم، ومن وكيل رئيس الجامعة التي وصل إليها بطرق لا تمت للعلم بسبب، ولا للمروءة بشيء، قصيدة منها:

ربَّة الشعر هل علمتِ بصَبٍّ
بين هجر تُشقِينه وبقُربِ
أترى يوقد الحنين رُواء؟
من أتون الجراح ينزف قلبي
يشربُ الملح كلّ عضوٍ جريح
أيداوَى بالملح جُرْحُ المحبِّ؟!

وذكرت حالنا الحاضرة وما نعانيه من أسى وتمزق ثم قلت:

من سيشري هموم قلب جريح
وشجونًا تفيض من كل صوبِ
ويلتا القلب من جراح حزين
وطعينٍ بكل شتمٍ وسلبِ

تجربتي في الشعر والحياة

د. يوسف عزالدين

قدّمَ الحبَّ صفوَه في وِداد
ورَمَوه بكلّ مسموم ثَلْبِ

ووصفت أحوال البلد الذي يخاف من الأجنبي ويشمخ كبرًا على العربي.

في الرياض

في الرياض تجد مـا لا تجده في المدن الأخرى، فالأدباء والشعراء فيها أكثر ألفة وأعمق مودة وأكرم يدًا وأجود خلقًا. وكانت الحياة الاجتماعية واللقاءات المتعددة والندوات الكثيرة لا تترك فرصة لي، فقد كنت أحضر مجالس الأدب ويحضر عندي قادة الفكر والوزراء والأساتذة والشعراء والأدباء، وما كان يخلو أسبوع من دعوة أو ندوة أو لقاء.

وقد شاركت في نادي الرياض الأدبي في أكثر من لجنة من لجانه، وكان الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري من أوسع الناس عقلاً وأبعدهم نظرًا، فما رأيته إلا عربيًا مسلمًا بعيدًا من كل ما يلام فيه العربيّ المسلم، خُلُقُ الشاعر الرقيق، وسجايا المؤمن الصادق، وأدب الفكر الأصيل عندما كان رئيسًا للنادي.

وقد كنت أشترك في الندوات الفكرية والأدبية في الإذاعة والتلفاز، وأناقش الرسائل الجامعية في جامعة الملك سعود وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأدرّس طلاب الدراسات العليا، ولم يكن هناك متسع لقول الشعر، فاللطف الذي غمرني به الأدباء والمفكرون، والحياة الاجتماعية والعلمية كانت تحول دون قول الشعر، لذلك قلَّ الشعر في الرياض، ومع ذلك لم أنس الرياض وأهلها ومرابعها الجميلة:

تُحيّكُـمُ أهلَ الرياضِ مزامري
فهل تذكروني مذ ذهبتُ بعيدا
متى يا صبَا نجد أعطّر لهفتي
ووردُ الخزامى ما يزال جديدا
وإن فاح من أرضِ الرياض عَرَارُها
فقد كان قلبي بالعَرار سَعِيدا
ألا ياصبَا نجد لقد جُنَّ شوقُنا
لَنجْد وإنَّ العَوْدَ صار حَمِيدا
وإن فوادي زاد حبًا ولهفةً
وقد صار قلبُ الظاعنين حديدا
ونحو «العُليًا» حـنَّ قلبي صبابة
وبالحبِّ يرجو المستهامُ خُلُودا
وتاق إلى «منفوحة» شوقُ لوعتي
وإن كان قلب بالحجاز عميدا
ففي الطائف المأنوس خيرُ أحبَّتي
وما عَرَفوا عند البِعَاد صُدودا

ولا تحس في الرياض بالغربة الروحية أو الوحدة النفسية، فكل مثقف وكل متعلم وكل شاعر تحس بأنه قريب من نفسك، حبيب إلى روحك بما يوليك من كرم الخلق وصفاء الطبع ورقة الشمائل والود الدائم، ومازال بعض الإخوان يتصلون بي وأتصل بهم، ويتفقدون حالي، وإذا جاءت المناسبات مثل العيد أو رمضان يَصِلني منهم ما يُشعرني بالسرور والغبطة والحبور.

الشعر يأتي عند شيئين: الفراغ في الوقت وثورة العاطفة الجياشة للأحداث التي تمر بالإنسان، ولم يترك لي أهل الرياض فراغًا في الوقت أوشعورًا بالغربة والوحدة، لهذا قلَّ شعري في الرياض إلا إذا سافرت خارج المملكة أيام العطل، لذلك كانت مشاركتي النثرية أكثر من الشعرية، وكنت أسهم في مناقشات ندوة الشيخ عبدالعزيز الرفاعي - يرحمه الله - ولا أتخلف عن حضورها، وندوة الدكتور راشد المبارك وهما من أبرز معالم الحياة الفكرية والأدبية في الرياض، إضافة إلى بعض اللقاءات في دار وزير الإعلام الدكتور محمد عبده يماني، والشيخ عبدالعزيز السالم في مناسبات متعددة، فهم يحتفون بكل أديب كبير أو مفكر مرموق أو صديق عزيز. وكانت هناك أيضًا لقاءات متباعدة في دار الدكتور عبدالعزيز خوجة والدكاترة منصور الحازمي وأحمد الضبيب وعزت خطاب ورضا حواري وفهد العرابي الحارثي وأحمد خالد البدلي وحسن الشماع وشكري عياد وشاعر الأمة عبدالله بلخير والأديب أحمد المبارك والدكاترة أستاذي محمد حسين وعبدالمنعم إسماعيل ويوسف نوفل وأحمد كمال زكي، والصديق الوفي عبدالله بامقدم، والشاعر أحمد باعطب، والشيخ الجليل عثمان الصالح، والأديب اللغوي يحيى المعلمي، وغيرهم مما لا يمكن إحصاؤه. أما زيارات ولقاءات الشيخ عبدالوهاب عبدالواسع مع وزير الصحة الدكتور حسين الجزائري المستمرة، فكانت تملأ الفراغ الروحي بما يسبغه الرجل عليَّ من لطف وحفاوة وكرم، ومن الوزراء العلماء الذين أسبغوا علي ودهم ورعايتهم الدكتور سليمان السليم، وصديق العمر الدكتور عبدالعزيز الخويطر الذي كنت أعوّل على مكتبته الخاصة في الأدب، وعلى مكتبة الصديق الدكتور عبدالله الوهيبي في بحوث التاريخ، فكانوا مثلاً للعقل الراجح والفكر السليم والأدب الرقيق، وكنت أتبادل الزيارات معهم.

هذا الحب الطافح والود العميق من سكان الرياض كان خير تعويض عن عدم نظم الشعر.

هذه ذكريات سريعة عن تجاربي في الشعر، لأن السرد سوف يأخذ مني وقتًا طويلاً يحتاج إلى كتاب وحده، وفي القريب - إن شاء الله - ستكون الذكريات عن الطائف وشعري فيها.

في الرياض نجد ما لا نجده في المدن الأخرى ولا نحس فيها بالغربة، فالأدباء والشعراء أكثر ألفة وأعمق مودة وأكرم يداً وأجود خلقاً

توظيف الإلقاء في الدعوة إلى الإسلام

د. مصطفى أحمد أبو سمك

يجمع البارزون في تخصص الدعوة الإسلامية على أن العملية الدعوية تقوم على أصول أربعة هي: الداعي، والمدعو، وموضوع الدعوة، ووسائل الدعوة وأساليبها. وموضوعنا الذي نطرحه تحت عنوان «توظيف الإلقاء في الدعوة» نراه قضية مهمة، وجزئية بارزة من قضايا الأصل الرابع من أصول الدعوة إلى الإسلام، بل يحق للمتخصصين بالدعوة أن يعدّوا توظيف الإلقاء وحسن استثماره في مجال الدعوة أبرز عامل من عوامل نجاحها.

إن مما لا شك فيه أن اهتمام الداعي بدعوته، واتباعه المنهج الأمثل في تبليغها وإعطاءه موضوع دعوته قدره من العناية والرعاية، أمر يكفل التوفيق والنجاح للداعي، ويحقق الانتشار والنجاح لموضوع دعوته.

لكن علينا أن نتذكر أن للتوفيق والنجاح منازل ودرجات متفاوتة، تبعًا للتفاوت بين طاقات الدعاة، إذ إن منهم من تؤهله إمكاناته وطاقاته للنجاح بنسبة عالية، ومنهم من تؤهله إمكاناته للنجاح بنسبة جيدة، ومنهم من يؤهل للنجاح بنسبة متوسطة، وهكذا.

والداعية المثالي هو الذي يتطلع إلى المنزلة العليا والدرجات العلا من النجاح، ومن ثم نجده بطموحه يسعى للصعود والرقي حتى يقترب من درجة الكمال البشري في مهمته الدعوية التي وكل بها.

عوامل تعين على النجاح

وفي تصوري أن خير ما يعين الداعي، بعد توفيق الله تعالى له، على اكتمال نجاحه في دعوته مجموعة آداب وصفات، وعوامل وعناصر، أبرزها قوّة البيان وحسن التفهيم والإفهام، وهي قوّة لا تتحقق إلا من طريق الاهتمام بأمور ثلاثة:

أولا: المعاني والأفكار.
ثانيا: التعبير والكلمات.
ثالثا: الأداء والإلقاء.

والداعية الموفق الناجح هو الذي يعطي هذه الأمور الثلاثة عظيم اهتمامه وبالغ عنايته؛ يهتم بالمعاني والأفكار التي سيطرحها في موضوع دعوته، ويهتم بكلماته وعباراته المصورة لمعاني موضوعه وأفكاره، كما يهتم بالإلقاء والأداء حين يقوم بالتبليغ عمليًا، وحين يعرض دعوته عرضًا فعليًا.

أما اهتمام الداعي بمعاني موضوعه وأفكاره، فيتجلى في تقسيم الموضوع إلى عناصر تجمع أطرافه، وتحيط بأجزائه، حتى لا يكون هناك مجال للاستطراد والخروج عن دائرته وإطاره، وحتى لا يضيع جزء من الموضوع بالتداخل في جزء آخر، كما يتجلى في تقسيم الموضوع إلى عناصر مسلسلة ومرتبة ترتيبًا يعين على ترابط أجزائه؛ بحيث يمهد كل عنصر للذي يليه، ويكمل كل عنصر - في الوقت نفسه - ما حواه السابق عليه، ويظل التقسيم هكذا، حتى يكتمل هيكل الموضوع، ويتحقق الترابط بين أجزائه، هذا مع ملاحظة الاهتمام بتدعيم المعاني والأفكار بالشواهد والأدلة القوية الواضحة، وفي مقدمتها آيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الخاتم - صلى الله عليه وسلم - وآثار السلف الصالح، وأقوال العلماء العاملين، وكذا الأمثال التي تقرب الحقائق إلى ذهن المدعو، ومن ثم تعجّل بإمتاعه وإقناعه.

وجوب الاهتمام بالصياغة وقالب التعبير

أقول: هذا بعض ما يتعلق بعنصر الاهتمام بمعاني موضوع الدعوة وأفكاره. أمّا ما يتعلق بالاهتمام بالكلمات والعبارات، فنوجز عرضه قائلين: إن الداعية الذي يسعى جاهدًا إلى إمتاع نفوس مدعوّيه، وإقناع عقولهم، ودفعهم إلى العمل بما يدعوهم إليه، لا بدّ له من الاهتمام بصياغة معاني الموضوع وأفكاره وتفريغها في قالب تعبيريّ حسن وبليغ، تأسّيًا واقتداءً بخاتم النبيّين - صلى الله عليه وسلم - الذي أوتي جوامع الكلم، والذي أمره الله سبحانه بقوله: *وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا*. **النساء**: 63. وقوله سبحانه وتعالى: *وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا*. **البقرة**: 83.

إن الداعية الذي يبغي الوصول إلى تحقيق مراميه يحرص كل الحرص على تصوير المعاني المختمرة في ذهنه، وتجسيد الأفكار المختزنة في عقله، تصويرًا وتجسيدًا يجذب المدعوّين إليه، ويشدّ انتباههم نحوه، حتى يظل كل مدعو يقظًا دائم الانتباه، وحتى تظل أجهزة الاستقبال المودعة فيه من قلب وعقل في حالة نشاط تام لاستقبال ما يرسله الداعية من تعبير بلاغي، وأسلوب بياني يشنف الآذان ويأخذ بالألباب، ويعجل بالإمتاع والإقناع.

من هنا، وفي ضوء ما عرضت بإيجاز، أخلص إلى أنه لا غنى لنا، ونحن نتكلم عن توظيف الإلقاء في الدعوة إلى الإسلام، أن نسترعي الأنظار، وننبه على ضرورة الاهتمام بالكلمات والعبارات، والاهتمام من قبل ذلك بالمعاني والأفكار.

عنصر الأداء والإلقاء

وأتصوّر أنه بعد هذا التنبيه يمكن أن ننتقل إلى عرض ما يتعلق بالأمر الثالث والأخير من الأمور المهمة التي تحقق قوّة البيان والتبيين، وتكفل، بإذن الله، التوفيق والنجاح للدعوة والدعاة إلى الإسلام، ألا وهو: عنصر الأداء والإلقاء.

وفي بداية الكلام عن هذا العنصر نقول: إن المقصود بالأداء والإلقاء في مجال الدعوة: إلقاء موضوعها بما يليق به من صوت جليّ قويّ، ولهجة صادقة معبّرة، وإشارات معتدلة مناسبة للمعاني المشتمل عليها موضوع الدعوة.

وفي ضوء هذا التعريف وبيان المقصود بالإلقاء الدعوي نستنتج أن جودة الإلقاء والتميز في الأداء يتحققان بعدة أمورٍ هي:

أولاً: قوّة الصوت وجماله.

ثانيًا: تلوين الصوت وتكييف نبراته.

ثالثًا: حسن استخدام الإشارات والحركات والملامح.

ولمزيد من إيضاح هذه الأمور الثلاثة، نؤكد أن الأمر الأول يكتسب أهمية كبرى في الإلقاء الدعوي، ذلك لأن الداعي من طريق صوته القوي الجميل يستطيع أن ينفذ إلى القلوب، ويؤثر في النفوس، ويهيمن على العقول بسهولة ويسر. إن الداعي من طريق صوته القوي الجميل يستطيع أن يوقظ القلوب النائمة، وينبه العقول الشاردة.

إن المستمعين لأي داعية مزودون بجهاز استقبال سمعيّ دقيق يتمثل في الأذنين، وهما يمثلان القناة التي توصل الكلمات المتلفَّظ بها إلى العقل، وقد زوّد الله سبحانه جهاز السمع في الإنسان بقدرة التمييز بين الأصوات القوية الجميلة، والأصوات الضعيفة القبيحة، ثم فطَرَهُ على الميل إلى النوع الأول وحبّه، وعلى النفور من النوع الثاني وكرهه وبغضه.

ثم لنا أن نذكّر هنا بأن قوّة الصوت وجماله يستلزم القدرة على إخراج الحروف من مخارجها، وتمييز أجزاء الكلمة حال النطق بها، ولا يتحقق ذلك إلا بخلوّ اللسان من الإصابة بأنواع العيوب البيانية كافة، ومن بينها عيب اللجلجة(1) والفأفأة(2) والتمتمة(3) والحُبْسَة(4) والحُكْلة(5) وعيب اللُّثغ(6). وبدهيّ أنّ إصابة الداعي بمثل هذه العيوب كفيل بتشويه الإلقاء، بل كفيل بأن يضيع بهاء الموضوع الذي يعرض فضلاً على أنه يوقع السامعين في لبس، ويكلفهم المشقة في الفهم والاستيعاب.



د. عبد الجليل شلبي

وسيلة التخلص من عيوب الإلقاء

ثم لنا أن نذكّر - في هذا المقام - بأن التخلص من العيوب البيانية ليس مستحيلاً، وإنما هو أمر ممكن من طريق تجميع حصيلة وفيرة من المفردات والتراكيب اللغوية التي تمكّن الداعي من استبدال كلمة تؤدي المعنى الذي يريد إيصاله، وتخفي - في الوقت نفسه - ما يعانيه من عيب لسانيّ بأي كلمة تظهر عيب نطقه، ثم من طريق إطالة الداعي مدة التدريب الشاق والتمرين المستمر الذي يساعده على التخلص من أيّ عيب بياني يصاب به.

ويضرب لنا الدكتور عبدالجليل شلبي المثال على ذلك بزعيم بارز من زعماء إحدى الفرق الدينية، فيقول عنه:

«إنه كان ألثغ فاحش اللثغ، وكانت حاجته لشرح مذهبه والدفاع عنه تحوجه إلى الخطب الطوال، ولا بدّ أن تكون فصيحة بيّنة الألفاظ واضحة الحروف، فعمل على إسقاط الراء من كلامه، ولم يزل يكابد ذلك حتى استقام له أن يلقي الخطب الطوال خالية من هذا الحرف، وكان يعادي بشار بن برد، ومن الشواهد الكلامية الدالة على تخلص

الداعية الذي يبغي الوصول إلى تحقيق مراميه يحرص كل الحرص على تصوير معانيه وتجسيد أفكاره المختمرة في ذهنه بشكل يجذب المدعوّين ويشد انتباههم

توظيف الإلقاء في الدعـــوة إلى الإســـلام

هذا الزعيم من عيبه اللساني قوله في عدّوه بشار: «أما لهذا الأعمى الملحد المشنّف المكنّي بأبي معاذ من يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في منزله..»»، فتحاشى اسم بشار بن برد، وكلمة الكافر، وذي القرط، ويبقر بطنه، وعلى فراشه، وفي داره. ولهذا كان الناس يعجبون منه، ومن حسن تصرفه لتحاشي حرف الراء في كلامه، ويتوقف مثل هذا العمل على سعة العلم بالمفردات اللغوية، وعلى طول التدريب والتمرين»(7).

أقول: هذا بعض ما يتعلق بالأمر الأول من الأمور التي تضمن جودة الإلقاء، وحسن الأداء للداعي، ألا وهو قوة الصوت وجماله.

أما الأمر الثاني فهو تلوين الصوت، وتكييف نبراته تلوينًا وتكييفًا يجعل اللهجة متناسبة ومتناغمة مع المعاني والتعبيرات المتنوعة، ولا يتحقق ذلك إلا بإعطاء كل جملة حقّها في النطق، أي يُعطى للاستفهام حقُّه، وللتعجب حقّه، وللتوبيخ حقّه، وهكذا، ثم بإعطاء كل جملة ما تستحقه من الجهر والخفض، والسرعة والبطء، والشدّة واللين(8) شريطة أن يتحقق هذا التنويع بشكل طبيعيٍّ بعيد من التصنّع والتكلف.

ومن هنا ننصح الدعاة - خلال مدة الإلقاء - أن يبتعدوا من الرتابة والتزام وتيرة صوتية واحدة، ولهجة خطابية ثابتة، لأن هذه الرتابة تبعث على الملل والسأم من جهة، وتحول دون النجاح والتوفيق من جهة أخرى. كما ننصح الدعاة - خلال مدة الإلقاء أيضًا - بأن ينوعوا لهجتهم، ونبرات صوتهم دون تصنع أو تكلف، مبتعدين قدر الاستطاعة من لهجة القراءة العادية التي يُسرد فيها الكلام سردًا مملاً، ومبتعدين - في الوقت نفسه - من طريق الترنّم التي يُعرف بها المطربون بسيماهم.

ولا يبقى لنا في نهاية الكلام عن الأمر الثاني إلا أن ننبه على أن التدريب المستمر على الإلقاء الجيد، وانفعال المتدرب انفعالاً صادقًا بما يلقيه خير ما يعين - بعد توفيق الله تعالى - على التمكن من تلوين الصوت وتكييف النبرات خلال مدة الأداء.

استخدام الإشارات والبعد من التكلف

ويتبقى لنا بعد ذلك أن نلقي الضوء على الأمر الثالث والأخير لجودة الإلقاء والأداء، ألا وهو: حسن استخدام إشارات اليد، وملامح الوجه، وحركات الجسم، فالداعي إلى الإسلام لا غنى له - مدة الإلقاء - عن استخدام الإشارة باليد والرأس، لأن هذا الاستخدام مما يوضح المعنى، ويزيد من أثره في نفوس السامعين. يقول الجاحظ: «والإشارة واللفظ شريكان، نعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه»(9).

ويقول أيضًا مؤكدًا تأثير الإشارة مدة الإلقاء: «وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان واللسان»(10).

ثم لنا أن ننبه - في هذا الاستخدام - على ضرورة الابتعاد من التكلُّف والإسراف، فالداعي المتكلِّف أو المسرف في استخدام الإشارة بيده ورأسه يقلل - عن قصد أو عن غير قصد - من فعالية إلقائه، أما الداعي الموفق فهو الذي يستخدم الإشارات بقدر واعتدال.

وعلى الداعي إلى الإسلام أيضًا أن يهتم بملامح الوجه ونظرات العينين، ومن ثم فلايليق به - مدة الإلقاء - أن يجمد نظره في اتجاه معين، بل يحسن به أن يوزع نظراته على جميع الحاضرين أمامه، ثم عليه أن يهتم بملامح وجهه وأسارير جبهته مراعيًا مناسبة الملامح للكلام الذي يعرضه والمعنى الذي يطرحه، ومن ثم فلا يليق به أن يعبّس بوجهه، ويقطب جبينه وهو يتحدث عن النعيم المقيم المعد للطائعين في الآخرة، كما لا يليق به أن يبسط أسارير جبهته وهو يتحدث عن العذاب الأليم المعد للعاصين في الآخرة، وإنما ينبغي له أن يحرص على أن يبسط وجهه في مقام الوعد والترغيب، وأن يعبس ويقطب في مقام الوعيد والترهيب.

وعلى الداعي أيضًا أن يهتم بوقفته، فلا يكون بالذي يطأطئ رأسه، ويكمش جسمه مبالغة في التواضع، ولا يكون بالذي يشمخ بأنفه، ويعلو برأسه علوًا واستكبارًا، وإنما يجب عليه - إذ ألقى موضوعه من وقوف - أن يلتزم الاعتدال في وقفته وفي بقية حركات جسمه.

وفي ختام الحديث عن توظيف الإلقاء واستثماره في مجال الدعوة إلى الإسلام، يطيب لي تأكيد ضرورة اهتمام الدعاة بقوّة الصوت، وصدق اللهجة وتعبير الملامح. يقول الأستاذ البهيّ الخولي - رحمه الله -: «إن لهجة الحديث تبلغ من القلوب ما لا يبلغه الحديث نفسه، فنظرة العينين، وعضلات الوجه، وحنان الصوت، وخشوع اللهجة، كلها ألسنة صدق تتكلم مع الخطيب، ودعني أستشهد لك على غرضي برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقد كان يتحدث إلى من لا يعرفونه، فيقولون: والله ما هذا بوجه كذاب، ولا صوت كذاب. ومعنى هذا، أنهم تأثروا بالصوت والوجه، أكثر مما تأثروا باللفظ والعبارة»(11).

ثم لنا في النهاية أن نوصي ونؤكد أن يصحب ما ذُكر - من عوامل إجادة الإلقاء الدعويّ - فضيلة الإخلاص، تلك الفضيلة التي تجعل الكلام - طوال مدة الإلقاء - يخرج من قلب الداعي فيتجاوز آذان المدعوّين إلى قلوبهم بغير استئذان، وقديمًا قيل: «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان لم تتجاوز الآذان»(12).

هذا، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش:

1- اللجلجة: التردد في الكلام.
2- الفأفأة: ترديد حرف الفاء كلّما نطق به اللسان.
3- التمتمة: ترديد حرف التاء.
4- الحُبْسة: تعذر الكلام عند إرادته.
5- الحُكْلة: العجمة في نطق الكلام.
6- اللثغ واللثغة: تحول اللسان من السين إلى الثاء، ومن الشين إلى السين، ومن اللام إلى الياء، ومن الراء إلى الياء أو الغين. والحديث عن واصل بن عطاء الزعيم المعتزلي المشهور والمؤسس الأول لهذه الفرقة.
7- انظر: الخطابة وإعداد الخطيب، ص32.
8- راجع: فن الخطابة للشيخ علي محفوظ، ص66.
9-10- البيان والتبين ج1، ص78، 79.
11- تذكرة الدعاة، ص 214-215 بتصرف.
12- البيان والتبين ج1، ص84.

العنوان: ديوان حسين عرب، ج1 (المجموعة الكاملة).
المؤلف: حسين عرب.
الناشر: شركة مكّة للطباعة والنشر، 315ص.



حسين عرب



غلاف الكتاب

حوى الجزء الأول من ديوان الشاعر حسين عرب ثلاثًا وخمسين قصيدة، كتبها في موضوعات هي: الإيمان: وفيه سبع قصائد، وأوطان: وبه سبع قصائد، والوطن العربي: وبه خمس قصائد، وفلسطين والنكبة: ولهما إحدى وعشرون قصيدة، وأناشيد: وصاغ فيها ثلاثة عشر نشيدًا. وقد تناول في باب الإيمان موضوعات جيّدة منها: الله أكبر، وحيّ على الصلاة، ورمضان، ولبّيك، ودعاء، وموكب النور. والملاحظ أن ثلاثًا منها جاءت في بحر الخفيف، واثنتان في بحر الكامل، وواحدة في بحر الرجز. وقد عالج هذه الموضوعات معالجة مسلم معتزٍّ بإسلامه فخور به يدافع عنه دفاعًا مستميتًا.

والقصائد التي لأوطان تناول فيها تحيّة الشعر، إذ جعل الشعر وطنًا، وتحدث في قصيدة عن جهود الملك فيصل العظيمة، وجبل النور، وتحدّث في قصيدة كذلك عن أمّ القرى، حيث جاءت هذه القصيدة في بحر الطّويل، وقافية المتواتر ورويّ الدّال. وذكر فيها عظمة أمّ القرى وبيّن مكانتها السامقة فقد قال:

أعَزُّ بلادِ اللّه في الأرضِ موطنًا
ومَولدُ خير الأنبياء محمَّدِ
فيا قمة الدنيا ويا ذروة المنى
أمانًا لقلب المستهام المسهَّدِ

وقد كانت أطول قصيدة في الديوان، حيث بلغت اثنين ومئة بيت.

وهناك كذلك قصيدة ميميّة في المدينة المنوّرة، حيث أرسل قوله في معظم الأبيات في صورة خطاب إلى طيبة، ومعهد التنزيل، والمسجد، والمصطفي، والآل، والأنصار، والروضة الفيحاء، والمنبر الأسمى، وإلى أُحُد، وإلى كُلّ شبر بل إلى كُلّ ذرّة. كما تناول عكاظ والرياض كذلك.

وهنالك باب في الديوان للوطن العربي ذكر فيه الجامعة العربية، وسورية، ولبنان، والجلاء عن مصر والسُّودان، ومصر وقناة السويس. وهذا مما ينمّ على فخر الشاعر بعروبته، وتضامنه مع الأقطار العربية وما فيها من مناسبات وطنيّة. ولفلسطين في ديوانه مكانة كبيرة، كما ذكر سيناء، والجولان، والإسراء والمعراج، والفدائيّينَ.

وختم الديوان بثلاث عشرة قصيدة، جاءت كلّها في الأناشيد؛ تناولت العلم والطيران، والملك، والجنديّة، وأمّة العرب، وأمّة الإسلام، والجامعة العربية، والقدس، والشباب، والوطن، واستقلال المغرب.

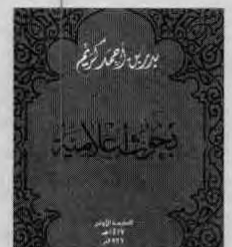
وهكذا كان الشاعر ذا حسٍّ مرهف، وشعور صادق دافق، يتفاعلُ مع دينه ومليكه ووطنه وأمّته. وخرج لنا شعره في ديباجة رائعة رنّانة، وموسيقى عالية ونغم فيّاض، ولغة جيّدة ناصعة متماسكة، عباراتها عالية، وأسلوبها مُطربٌ.

وتصدَّرت الديوان مقدمة جيِّدة، كتبها الدكتور عبدالله محمد الغذّامي، وقد بيّن في هذه المقدّمة أن الشاعر يعتني بالمعنى ويشيد له وزنًا كبيرًا، ووصفه بأنه من شعراء المعاني، وأن الشّعر عنده رسالة إنسانية سامقة، وهو رمز أصيلٌ للشّعْر السعودي، ومثال رفيع وشاهدٌ قويٌّ. وساق في مقدّمته أمثلة صالحة من قصائده وحلّلها وكشف ما فيها من صور شعرية رائعة، ومعانٍ عميقة.

العنوان: بحوث إعلامية.
المؤلف: بدر بن أحمد كُرَيِّم.
الناشر: مكتبة العبيكان، ط1، 1417هـ - 1996م، 356ص.



بدر بن أحمد كُرَيِّم



غلاف الكتاب

قراءة في مجموعة بحوث بالتركيز على دور الإعلام، ونظرياته، ومنطلقاته. وقد أضفى الكاتب على استنتاجاته من تلك البحوث جوانب من خلاصة تجربته التي تمتد 30عامًا في مجال العمل الإعلامي من إذاعة وتلفاز وصحافة، لذلك جاءت موازناته أقرب إلى الواقعية، ولم يوغل بنقده في التنظير الأكاديمي.

يشتمل الكتاب على مقدمة وستة أبواب، الأول: دور الإعلام الإذاعي في التنمية الاجتماعية في الوطن العربي، الثاني: قراءة في السياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية، الثالث: تباعد الخلل الإخباري الدولي، الرابع: وسائل الإعلام والعلاقات العامة: الدور والعلاقة، الخامس: النظرية السوفيتية في الإعلام، السادس: دور الإعلام في التنمية. إضافة إلى ثلاثة ملاحق هي: السياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية، واللائحة التنظيمية واللائحة الداخلية للمجلس الأعلى للإعلام.

وهذه البحوث أُعدَّت خلال مراحل مختلفة، إلا أن منظور المعالجة هو نفسه: تأكيد محورية وسائل الإعلام في المجتمعات البشرية، لذلك فإن القاسم المشترك الأعظم بين مضامين البحوث التي

احتوتها دفتا الكتاب، هو: البعد التنموي في النشاط الإعلامي، فكل بحث إما يناقش كيفية تفعيل دور وسائل الإعلام، وإما يتقصى أوجه القصور في أدائها، سواء كان هذا القصور ناتجًا من النظرية الإعلامية وسلبياتها ـ كما في البحث الخاص بالنظرية السوفيتية ـ أو نتيجة لانعكاسات واقع الإعلام الدولي، والخلل في التدفق الذي يعكس تباينًا في الإمكانات المادية والتقنية والكوادر البشرية بين دول العالم، ويرى الكاتب: «أن هذا الخلل يجب أن يُفهم ـ أيضًا ـ من ناحية المضمون الذي يعكسه الخلل».

أما عن دور وسائل الإعلام في التنمية، فقد عرض الكاتب خلاصة لمجموعة من الأدبيات التي تطرقت إلى تلازم الإعلام والتنمية، وأشار إلى أن دور وسائل الإعلام يتحدد في توعية الناس بحاجتهم إلى التنمية، والمشاركة فيها، ومساعدتهم على اتخاذ القرار بقبول هذه التنمية، وتهيئة إمكانات التعليم والتدريب لهم، وبذلك يتحقق الاستخدام الأمثل لوسائل الاتصال الجماهيري في تحويل مسار المجتمعات من الحالة التي هي عليها إلى حالة أفضل وأحسن.. ويستحضر الكاتب شواهد من التطبيقات الإسلامية المبكرة في التنمية الاجتماعية، واعتبار التعليم بعدًا استثماريًا يكتسب الديمومة لطاقات المسلمين، ويقرن هذه الشواهد بمضامين المواد الثلاثين للسياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية «التي تبدأ بالإسلام وإليه تنتهي»، وفي ضوء ذلك عرض ـ بشيء من التوسع ـ جوانب من استخدامات وسائل الإعلام السعودية في التنمية. وينتهي الباحث إلى أن هذه الوسائل «اتخذت عبر أكثر من قناة من قنوات الاتصال برامج فعالة نتجت عنها تهيئة الرأي العام السعودي، لتقبل عمليات التنمية، فضلاً عن المساهمة فيها، كما هيأت المناخ الفكري والثقافي اللازم لأحداث هذه التنمية واستمرارها».

العنوان: الفروق اللّغوية في تفسير القرآن الكريم.
المؤلف: د. محمّد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع.
الناشر: مكتبة العبيكان، ط1، 1414هـ/1993م، 385ص.



غلاف الكتاب

افتتح المؤلف كتابه بمقدمة ضافية ذكر فيها مَن تعرّض لهذا الموضوع، وتناوله بالبحث من المحدثين تقديرًا منهم لأهميته، ونبّه على الترادف في اللغة الذي يتعلق بهذه القضية.

وقد اتضح للباحث أنّ الموضوع لُغويٌّ في أساسه وأصوله، وللأصوليين مشاركة جادة في دراسته. وقد بحث موضوعه في تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة. حيث جاء التمهيد لتوضيح أهمية تحديد معاني الألفاظ في فهم النصوص، وتحديد الدلالة الذي يتوقّف على التّرادف أو الفروق. وتلاها الباب الأول الذي جاء في ثلاثة فصول: الأوّل لتعريف التّرادف بين المتقدّمين والمتأخّرين، ولبيان أن التّرادف مولّدٌ. وأشار إلى أن الاختلاف في التعريف قد انعكس على الخلاف في المسألة. وبيَّنَ في الفصل الثاني مذاهب القائلين بالتّرادف من العلماء وأدلّتهم، ونظَر في أسباب التّرادف وكثرته وفوائده. والفصل الثالث وقفه على مذهب القائلين بالفروق وأدلّتهم في ذلك، والكتب التي تناولته، وبحث في السّبل التي يمكن سلوكها لإدراك الفروق بين الألفاظ.

والباب الثاني في التّرادف والفروق عند الأصوليّين وفيه ثلاثة فصول: الأول لتعريف التّرادف، ورأي الأصوليّين فيه. والثاني للتّرادف عند الأصوليين ورأي المنكرين له وأدلّتهم. والثالث للإشارة إلى أسباب التّرادف وفوائده في نظر الأصوليين.

أمّا الباب الثالث، فللكلام على التّرادف والفروق عند علماء التفسير مع دراسة بعض الأمثلة من القرآن الكريم لبيان الفروق بينها.

وفي الباب الثالث ثلاثة فصول: الأول للتّرادف في القرآن الكريم والقائلين به من العلماء. والثاني لمنع التّرادف في القرآن الكريم، وآراء العلماء في ذلك. وأفرد الفصل الثالث لدراسة بعض النّماذج والأمثلة لألفاظ قيل بترادفها. واحتكم في ذلك إلى بيان القرآن وأسلوبه بحثًا وراء إدراك بعض أسراره.

وجاءت الخاتمة التي نبّهت على أهم النتائج وأبرز المسائل في البحث. وإذا تناولنا شيئًا ممّا جاء في الكتاب فسنجده قد تطرّق لواجبات المفسّر للقرآن الكريم التي تنصبُّ على ضرورة معرفته دلالة الكلمات المفردة. وسيفيده ذلك في فهم الحديث النّبويّ الشريف، والنصوص العربية الأخرى، ومعرفة الكلمات المترادفة، والفروق بينها. وأشار إلى الفرَق المختلفة من العلماء، ومنهم فَريق يرى أن التّرادف ميزة كبرى للعربية، ودليلٌ على غناها وسعتها وكثرة ألفاظها. وفريق يقولُ بعدم وقوع التّرادف، إذ هو أمرٌ لا فائدة فيه، كما أوضح معنى التّرادف في اللغة، ورجع إلى أهم المعاجم وكتب اللغة التي خاضت في هذا الميدان، وعلى رأسها لسان العرب، والقاموس المحيط، وكتاب سيبويه.

ووضح كذلك في أثناء بحثه الصعوبات التي تكنّفته وأحاطت به، ولعلّ منها الاختلاف في تحديد مفهوم التّرادف وتعريفه بين العلماء. وهذا ممّا جعله يبذلُ جهده في خدمة هذا الموضوع الواسع الذي هو في حاجة إلى عميق معرفة ودقّة فهم. وفي ذيل بحثه ساق ثبتًا بالفهارس التي اشتملت على فهَارسَ للآيات والأحاديث والأشعار والأعلام والموضوعات، ثم حوّت فهرسًا للمصادر والمراجع التي بلغت عنده تسعةً وستين ومئة مرجع شملت أمّهات الكتب والدّوريات والمجلات.

رحلة زرياب إلى

2

خيرالله سعيد

إلقاء الرحال في الأندلس

خلّف زرياب وراءه في بغداد ذكريات فقط، ورحل عنها بكامل عدته وأهله، وما إن وصلت أخباره مشارف الأندلس حتى خرج عبدالرحمن بن الحكم نفسه لملاقاته(49)، بعد أن كاتبه وهو في حالة تردده عندما سمع بموت خليفة الأندلس ـ الحكم ـ حتى اقتنع أخيراً ويمَّم وجهه صوب عبدالرحمن بن الحكم، ووفد عليه سنة 206هـ(50)، وهو يومذاك بقرطبة، فدخل هو وأهله البلد ليلاً، وأُنزل في دار من أحسن الدور، وحُمل إليها جميع مايحتاج إليه وخُلع عليه. وبعد ثلاثة أيام استدعاه الخليفة وكتب له في كل شهر بمئتي دينار راتباً، وأن يُجرى على بنيه الذين قدموا معه، وكانوا أربعة(51)، عشرون ديناراً لكل واحد منهم كل شهر، وأن يُجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد ألف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسمئة دينار، وأن يُقطع له من الطعام العام ثلاثمئة مد، ثلثاها شعير وثلثها قمح، وأُقطع من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ومن الضياع مايقوّم بأربعين ألف دينار(52).

إن هذه الإغراءات الاقتصادية والمعنوية، كان عبدالرحمن بن الحكم، يريد فيها القول لزرياب بأنه أهل للكرم وموئل العز للأدباء والعلماء، وقد عُرف عنه ذلك(53)، ومن جهة أخرى أراد أن يدخل السكينة والهدوء إلى نفس زرياب الحساسة، والتي لم تُراعَ أيام كان في بغداد، ولا ننسى أن للحكم الأموي في الأندلس مآربه السياسية تجاه حكومة بغداد العباسية، لذلك كان أهل المشرق الوافدون إلى الأندلس يعاملون معاملة طيبة، فكيف إذا وفدوا في أيام خليفة يقدّر العلم والمعرفة والفنون والآداب مثل عبدالرحمن بن الحكم!

المجال الأرحب لانطلاق المواهب

لقد ابتسم الحظ لزرياب، وأشرقت أنوار الأندلس بقدومه، فرحلة الاضطرار المفروضة عليه من مغنّي بغداد، عادت عليه خيراً، وللأندلس منفعة، وعلى مايبدو أن «القدر» خدم أهل الأندلس بهذه الواقعة، فلقد خدمت تطورهم الحضاري؛ فزرياب أستاذ بصنعته ما يحتاج إلاّ إلى مَنْ يفجّر طاقاته، فكانت الأندلس، المجال الأرحب، والفضاء الأوسع، فاحتضنته أيما احتضان، وفضلته على أبنائها، وشُغف به العباد هناك، وأدناه الخليفة من مجلسه، وقد أوعز إلى قضاء حاجاته وإتمام سؤاله وإنجازه في وقته المحدد، كتعهد قطعه الخليفة على نفسه إزاء مقدم زرياب إلى الأندلس. وعندما علم الخليفة عبدالرحمن بن الحكم أنه قد أرضاه، وملك نفسه، استدعاه؛ فبدأ بمنادمته وسماع غنائه، حتى بدأت نفثات الإبداع تعطر المجلس، فما إن رفع صوته وسمعه الخليفة حتى استهواه، وطرح كل غناء سواه وأحبه حبًا شديداً، وقدمه على جميع المغنين، ولما خلا به أكرمه غاية الإكرام، وأدنى منزلته، وبسط أمله، وذاكره في أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء، فحرك منه بحراً زخر عليه مده، فأعجب به الخليفة وراقه ماأورده، وحضر وقت الطعام فأكل معه هو وأكابر ولده، ثم أمر كاتبه بأن يعقد له صكًا بما ذكرناه آنفًا، ولما ملك قلبه واستولى عليه حبه واحترامه، فتح له بابًا يستدعيه منه متى أراد(54).

استقرار النفس يفجر الطاقات

هذه الحفاوة والتكريم، لم ينسهما زرياب قط، وعلم أنه مستوطن في هذه الجزيرة على الحب والموادعة، وأدرك أن أهل الأندلس فيه راغبون، وبه متعلقون؛ فشمّر عن ساعديه وبدأ بخدمتهم، ضمن إبداعه الموسيقي. وكانت أولى الإبداعات، وأخطرها شأنًا، وأجلها منزلة، إضافة وتر خامس إلى عوده(55)، واهتم بصناعته أيما اهتمام، فهذه الإضافة إلى العود تُعدُّ تطوراً مهمًا في تاريخ الموسيقى العالمية، وهذا الاختراع لزرياب أكسب عوده ألطف معنى وأكمل فائدة، حتى إن صاحب «نفح الطيب» يصف هذا الوتر الخامس بأنه «بمنزلة الصفراء من الجسد، فكمل في عوده قوى الطبائع الأربع، وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد»(56). وجعل زرياب الغناء ديدنه في كل وقت من الأوقات، فقد عرف عنه أنه كان يهبّ من نومه سريعًا فيدعو بجاريتيه غزلان وهنيدة فتأخذان عوديهما، ويأخذ هو عوده، فيطارحهما ليلته، ويكتب الشعر، ثم يعود عجلاً إلى مضجعه(57)، وهذه الحالة تكشف عن تعشّق وتوحدّ للإبداع الذي يزاوله، فأحبه، ووهبه كل روحه وقلبه، وراح يستزيد مهارة في تثقيف أدواته الموسيقية، فعدل عن استخدام مرهف الخشب للضرب على العود، وذلك بأن جعل مضرابه من قوادم النسر(58)، فأبرع في ذلك، لِلُطف قشر الريشة ونقائه وخفته على الأصابع، وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه، حتى أصبح زرياب عند أهل الأندلس في الغناء، كالموصلي في بغداد، فقد أوجد طرائق في الغناء أخذت عنه، وأصولاً استفيدت منه(59).

واستمر المغنون الأندلسيون على منهاجه في الغناء، حيث عُرف أن كل من افتتح الغناء، يبدأ بالنشيد أول شدوه، بأي نقر كان، ويأتي إثره بالبسيط، ويختم بالمحركات والأهزاج تبعًا لمراسم زرياب ـ كما يقول المقري(60)، وعلى هذا الأساس يصح أن نقول:

الأندلس

إن هذه الطريقة في الغناء هي «الطريقة الزريابية الأندلسية»؛ أي المرتبطة بزرياب إبداعًا، وبالأندلس غناءً.

وضع الأصول الفنية

وبغية أن يكون زرياب وفيًا لفنه، وصادقًا بهذا الوفاء لأهل الأندلس، بدأ يعلمهم أصول الغناء، ونحن نعد هذه الخطوة من زرياب تساميًا فنيًا عاليًا، ذا أبعاد حضارية، رفعته على غيره من مغنّي المشرق والمغرب، فهو لا يريد أن تتكرر مأساته بغيره، بل يجب أن ينتفع الجميع بما لديه من موهبة وإبداع معرفي في أصول الصنعة الغنائية، لذلك عمد إلى تعليم مغنّي الأندلس أصولاً وضَعَها هو، وظلت قائمة حتى بعد وفاته، وطريقته في تعلم الغناء تسير على النحو التالي:

إذا تناول الإلقاء على تلميذ يُعلِّمُه، أمره بالقعود على الوساد المدور المعروف بالمسورة، وأن يشدّ صوته جداً إذا كان قويَ الصوت، فإن كان ليّنه أمره أن يشدّ على بطنه عمامة، فإن ذلك يقوّي الصوت ولا يجد متسعًا في الجوف عند الخروج على الفم، فإن كان التلميذ ألصَّ الأضراس(61) لا يقدر أن يفتح فاه، أو كانت عادته زم أسنانه عند النطق، راضه بأن يدخل في فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع، يُبيِّتها في فمه ليالي حتى ينفرج فكاه(62)، وتلك الطريقة ساعدت الكثيرين من أهل الأندلس ممن كانوا يتعاطون الغناء.

أما طريقة زرياب في تمييز المغني المطبوع من غيره، فقد أخضعها لموازين معرفية بأصول الغناء، تنمّ على معرفة علمية بهذا الفن، كانت تعتمد بالأساس على حرف الإطلاق بصوته «الألف»، يقول المؤرخ الأندلسي ـ المقرى(63): «وكان إذا أراد أن يختبر المطبوع المراد تعليمه من غير المطبوع، أمره أن يصيح بأعلى صوته: ياحجام، أويصيح: آه، ويمدّ بها صوته، فإن سمع صوته بها صافيًا نديًا مؤديًا، لا يعتريه غنة ولا حبسة ولا ضيق نفس، عرف أنه سوف ينجب وأشار بتعليمه، وإن وجده خلاف ذلك أبعده».

وقد استطاع زرياب أن يورث مدرسته الفنية إلى أولاده الثمانية: عبدالرحمن وعبيدالله ويحيى ومحمد وقاسم وأحمد وحسن وعُلّية وحمدونة، وكلهم غنى، ومارس الصناعة، واختلفت بهم الطبقة، فكان أعلاهم عبيدالله، ويتلوه عبدالرحمن، إلا أنه كان سفيهًا، وكان محمد منهم مؤنثًا، فيما كان قاسم أحذقهم غناء مع تجويده، واقترنت حمدونة بنت زرياب بالوزير هشام بن عبدالعزيز(64).

لقد كان زرياب جوادًا بما وُهب من حسن الصنعة، وكريمًا بما ملك منها ومن المال أيضًا، فقد كانت عنده جارية اسمها «متعة» أدبها وعلمها أحسن أغانيه، حتى شبت، وكانت رائعة الجمال، وقفت بين يدي الأمير عبدالرحمن بن الحكم، تغنيه مرة وتسقيه أخرى، فأعجب بها، فلما فطنت لإعجابه، أبدت له دلائل الرغبة، فأبى إلا التستر فغنّته بهذه الأبيات(65):

يا من يغطي هواه
من ذا يغطي النهارا
قد كنت أملك قلبي
حتى علقت فطارا
يا ويلتا أتراه
لِيْ كان أو مستعارا
يا بأبي قرشي
خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب أمرها أهداها إليه، فحظيت عنده؛ فيما كانت ابنته حمدونة متقدمة في أهل بيتها، محسنة لصناعتها، ومتقدمة على أختها عليّة، أخذ الناس عنها، بعدما لم يبق من أهل بيتها غيرها(66).

ومن مشهورات الأندلس، اللاتي أخذن عن زرياب الغناء «مصابيح»(67) جارية الكاتب أبي حفص عمر بن قهليل، وكانت غاية في الإحسان والنبل وطيب الصوت، سمعها ذات مرة أبو عمر أحمد بن عبد ربه ـ صاحب العقد الفريد ـ فوقف تحت روشن سيدها، فسمع غناء حسنًا، فَرُشّ بماء ولم يُعرَفْ، من هو، فمال إلى مسجد قريب من المكان، واستدعى بعض ألواح الصبيان فكتب(68):

يا من يضِنّ بصوت الطائر الغرد
ما كنت أحسب هذا البخل من أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة
أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد(69)
فلا تضن على سمعي تقلده
صوتًا يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زرياب حيًا ثم أسمعه
لذاب من حسد أو مات من كمد
أما النبيذ فإني لستَ أشربه
ولست آتيك إلاّ كسرتي بيدي

فخرج مولاها حافيًا لما وقف على ذلك فأدخله إلى مجلسه، وتمتع من سماعها(70).

علاقة تعلو على الدسائس

ولقد توثقت عرى الصداقة والمحبة والتآلف بين زرياب والخليفة عبد الرحمن، وصارا كالرامك [ضرب من الطيب] والمسك، حتى إن السعاة والحاسدين لزرياب رامـوا الوقيعة بينهما. تقول المصادر الأندلسية(71): «غنى زرياب يومًا الخليفة عبدالرحمن الأوسط، فأطربه، فأعطاه ثلاثة آلاف دينار، فاحتوشه جواريه وولده، فنثرها عليهم، وكتب أحد السعاة إلى عبدالرحمن بأن زرياب لم يعظم في عينه ذلك المال، وأعطاه في ساعة واحدة، فوقّع عبدالرحمن: نبهت على شيء كنا نحتاج التنبيه عليه، وإنما رزقه نطق على لسانك، وقد رأينا أنه لم يفعل ذلك إلا ليحببنا لأهل داره، ويغمرهم بنعيمنا، وقد شكرناه، وأمرنا له المال

من أهم إبداعات زرياب وأخطرها شأنًا إضافته الوتر الخامس في العود، وهي إضافة تعد تطورًا مهمًا في تاريخ الموسيقى العالمية

رحلة زرياب إلـى الأندلس 2

المتقدم ليمسكه لنفسه، فان كان عندك في حقه مضرة أخرى فارفعها إلينا».

هذا الإكرام المستحق لزرياب كان يدركه الخليفة عبدالرحمن الأوسط جيدًا، ويفهمه زرياب من موقعه، وكان زرياب يعي وجوده في قصر الخليفة، ويقدس حرمة ذلك المكان، ويولي النعمة حقها بلا تكبر ولا غرور، فجميع المصادر التي تحدثت عنه، لم تفصح عن ذلك بشيء، بل العكس، كانت تظهر الاحترام المتبادل بين الخليفة الحاكم والمُغني العالم، وهي علاقة ما انفصمت عراها يومًا واحدًا، وكلا طَرفيها يحاول تمتينها من جهته، وزرياب ما انتابه أمر مزعج، أو منغص يثنيه عن صناعته في الأندلس، فقد ألّفت الكتب بألحانه، وعلا عند الملوك بصناعته وإحسانه علوًا مفرطًا، وشهر شهرة ضُرب بها المثل في ذلك(72)، وظل دائم الودِّ لخليفته عبدالرحمن الأوسط، إلى أن فرقت بينهما الأيام.

أثر زرياب في الأندلس

زرياب طاقة معرفية خصبة، وشخصية متعددة المواهب، فليس الغناء وحده الذي عُرف به، فلقد كان عالمًا بالنجوم وقسمة الأقاليم السبعة واختلاف طبائعها وأهويتها وتشعب بحارها وسكانها، وقد عُرف عنه أنّه استطاع فك كتاب الموسيقى، مع حفظه لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها، وهذا العدد من الألحان غاية ماذكره بطليموس واضع هذه العلوم ومؤلفها(73)، وهذه الحافظة التي يتمتع بها زرياب، أهلته معرفيًا لأن يطلع على فنون الأدب، وشحذت رؤيته الجمالية وسمت بها إلى الأعلى، حيث إن إكبابه على معرفة أسرار مهنة الغناء، جعله يطلع على النظريات الموسيقية للحضارة اليونانية، من خلال استيعابه لبطليموس، أي إن دائرة العلوم المعرفية عنده واسعة مُتشعبة، فهو قد جمع إلى جانب الموسيقى والغناء الكثير من ضروب الظرف وفنون الأدب، ولطف المعاشرة، وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية مالم يُجدْه أحد من أهل صناعته(74)، أي إن زرياب هنا يتمتع بحسٍّ داخلي (سسيولوجي) اجتماعي ومهارة (دبلوماسية) أهلته لأن يكون قدوة لأهل الأندلس، وملوكهم وخواصهم فيما سنّه لهم من آدابه، فقد أُخذ عنه أكل الهليون(75)، وهو أول من سنّ ذلك في الأندلس، وقلي الفول واستعمال الأنطاع(76) للنوم، والتحلي بالحرير والخرز، وسنّ لهم لباس البياض من المهرجان إلى نصف تشرين الأول/ أكتوبر وإن كان مطرًا(77)، وهذا يعني أنه أدخل جزءًا مهمًا من «فلكلوره» العراقي إلى الأندلس، إضافة إلى أنه بدأ يؤسس مايمكن أن نسميه بـ«نظرية الحس الجمالي» عند أهل الأندلس، فهو منذ أن دخل الأندلس شاهده جميع من فيها من رجل وامرأة يرسل جمته(78) مفروقًا وسط الجبين عامًا للصدغين والحاجبين، فأخذوا عنه ذلك، وعلمهم كيفية إرسال شعورهم وتقصيرها دون جباههم، وتسويتها مع حواجبهم، وتدويرها إلى آذانهم، وإسدالها إلى أصداغهم، فهوت إليه أفئدتهم واستحسنوه منه، ثم أوجد مستحضرًا جماليًا، سنّه لهم أيضًا، هو استعماله «المرتك» المتخذ من المرداسنج، لطرد ريح الصنان من مغابنهم، ولا شيء يقوم مقامه، وكانت ملوك الأندلس، تستعمل قبله ذرور الورد وزهر الريحان وماشاكل ذلك، من ذوات القبض والبرد، وكانت ثيابهم لا تسلم من وضر(79)، فدلّهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها، فلما جرّبوه أحمدوه جدًا.

إن هذا التفنن في إيجاد طرائق لمعالجة مايخص الإنسان وملبسه ومظهره، أمر يشير إلى النظرة الثاقبة للبعُد الحضاري في وجود الذات، وتفاعلها مع البيئة الاجتماعية وهو ما حرّض زرياب دومًا على تثبيتها في البيئة الأندلسية التي وفد عليها وأحبته وأحبها، وأخلص لها هذا الحب، فهو يجيّش معارفه لخدمة الأندلس برمتها، فإضافة إلى ما تقدم من سُنن أوجدها لهم، راح زرياب يلتفت إلى معاشهم(80) فقد أشار عليهم بتفضيل آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة، وإيثاره فرش أنطاع الأديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان، واختياره سُفر الأديم لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية، إذ الوضر يزول عن الأديم بأقل مسحة، ثم التفت التفاتة ذكية نحو ملابسهم، فراح يعطيها ألوانًا صافية، فيها شيء ينسجم مع الزمان الذي هم فيه، فقد أشار عليهم بارتداء اللباس الأبيض، وخلعهم للملون في يوم المهرجان ولمدة ثلاثة أشهر بعد ذلك التاريخ، ووجّه عنايتهم إلى اختيار نوع الملابس في الفصل الذي بين الحر والبرد (الربيع) ففضل لهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع(الجلابيب) التي لا بطانة لها لقربها من لطف ثياب البياض لخفتها وشبهها بالمماشي، وكذلك رأى أن يلبسوا في آخر الصيف وعند أول الخريف المماشي المروية والثياب المصمتة، وماشاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو، والبطائن الكثيفة عند قرس البرد في الغدوات، إلى أن يقوى البرد فينتقلوا إلى أثخن منها، ويستظهرون من تحتها إذا احتاجوا إلى صنوف الفراء(81).

إن هذه المآثر الجليلة من زرياب لأهل الأندلس وجَعْلها سُننًا ثابتةً في حياتهم تؤكد شمولية زرياب للمعارف في عصره وأخذه منها أرقاها وأحسنها، ليهذّب بها أهل الأندلس، وتشير في الوقت ذاته، إلى القدرة التحليلية لطبيعة هذا المجتمع وتلاؤمه معه، ومعرفة المداخل والمسالك التي يؤثر منها فيهم؛ فهو تعامل معهم، وفق خصائصهم النفسية، وما يلائم طبيعة بلادهم الجغرافية فاستجابوا له، وحفظوا عنه ماأورثهم إيّاه، وصاروا بذكره يلهجون.

شيعت الأندلس زرياب في سنة 238هـ ومات بعده بأربعين يومًا عبدالرحمن بن الحكم بعد أن بقي ذكره خالدًا فيها حتى اليوم.

الهوامش:

49- ابن خلدون: العبر 127/4.
50- المصدر السابق، ونفح الطيب1/344.
51- هم: عبدالرحمن وجعفر وعبيدالله ويحيى.
52- نفح الطيب 125/3.
53- المغرب في حلي المغرب 51/1 - بعناية شوقي ضيف، منشورات دار المعارف بمصر، دون تاريخ.
54-55- نفح الطيب 125/3، 126. ومن الجدير بالذكر أن الموسيقار العراقي الراحل منير بشير أضاف وترًا سادسًا إلى العود.
56- المصدر السابق. وقد قام زرياب بتلوين هذه الأوتار على أساس تلاوين الطبائع الأربعة.
57- 58- المصدر السابق 126/3.
59- المطرب من أشعار أهل المغرب.
60- نفح الطيب 128/3.
61- الألص: المتقارب الأسنان، واللصص: تقارب مابين الأضراس حتى لا ترى بينها خللاً. انظر: اللسان، مادة لصص.
62-64- نفح الطيب 128/3، 129، 130، 131.
65- السابق 131/3، ويعتقد بعض الحفاظ أن الأبيات لها.
66- نفح الطيب 131/3.
67- عمر رضا كحالة: أعلام النساء 57/5- 58، منشورات المطبعة الهاشمية بدمشق، ط2، 1378هـ/1959م.
68- الحميدي: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص95، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، منشورات مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، دون تاريخ. وذكره حاجي خليفة باسم «جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس».
69- أورد المقري هذين البيتين فقط. راجع نفح الطيب 131/3.
70- نفح الطيب 131/3.
71- المغرب في حلي المغرب 51/1.
72- جذوة المقتبس ص95.
73-74- نفح الطيب 127/3.
75- الهليون بالكسر: نبت. ويسمى بلسانهم الإسفراج. نفح الطيب 127/3.
76- الأنطاع: جمع نطع وهو الأديم.
77- المهرجان: احتفال الاعتدال الخريفي، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين: الأولى: مهر، ومن معانيها الشمس. والثانية: جان، ومن معانيها الحياة أو الروح.
78- الجمة: مجتمع شعر الناصية، وما ترامى من شعر الرأس على المنكبين.
79-81- نفح الطيب 133/3.

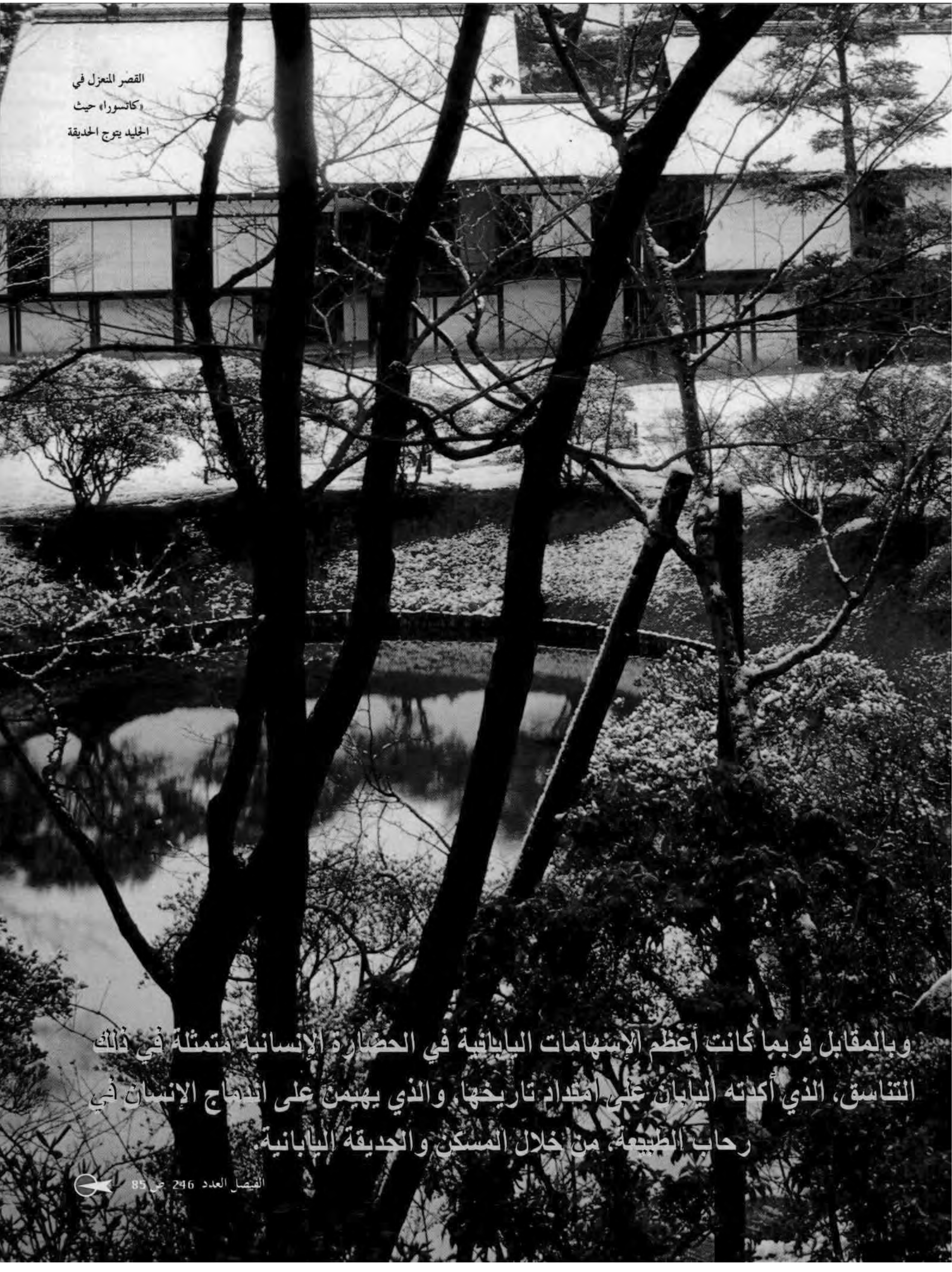


الحديقة اليابانية..

فلسفة وحياة وتاريخ

كامل يوسف حسين

قيل الكثير عن قيام اليابانيين بجلب عناصر الحضارة ومقوماتها وتجلياتها من البر الصيني وشبه الجزيرة الكورية، قديماً، ومن الغرب في مستهل النهضة اليابانية الحديثة، وحتى اليوم، وإضفاء الطابع الياباني عليها، لمنحها هوية خاصة، ومميزة.



القصر المنعزل في «كاتسورا» حيث الجليد يتوج الحديقة

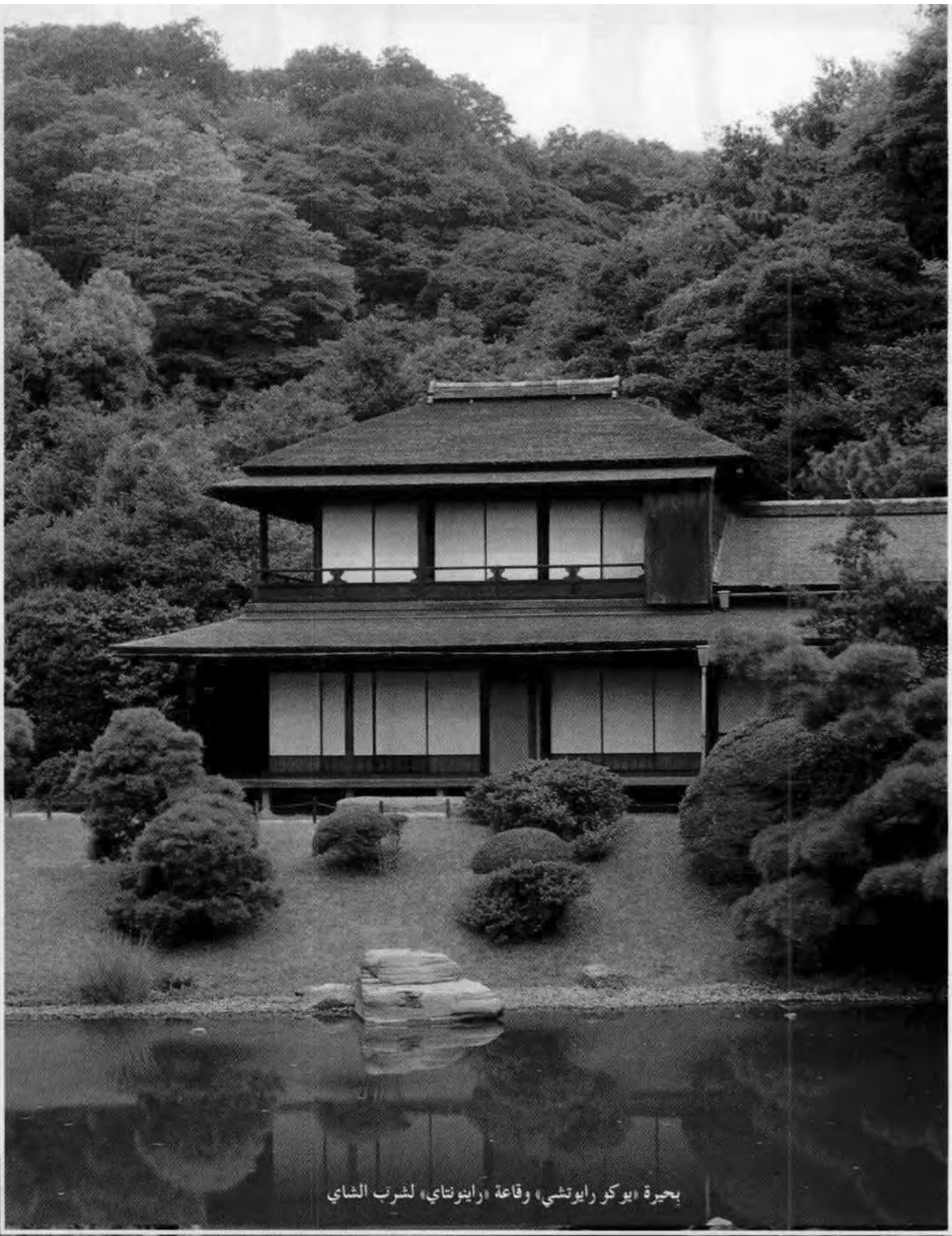
وبالمقابل فربما كانت أعظم الإسهامات اليابانية في الحضارة الإنسانية متمثلة في ذلك التناسق، الذي أكدته اليابان على امتداد تاريخها، والذي يهيمن على اندماج الإنسان في رحاب الطبيعة، من خلال المسكن والحديقة اليابانية

فخلافًا للعديد من الثقافات والحضارات على امتداد العالم، التي تبنَّت رؤية قوامها الحيرة، وعدم الوضوح، في مواجهة الطبيعة، بل العداء لها، والصراع الدائب معها في بعض الأحيان؛ تبنَّى اليابانيون نظرة عميقة الجذور للطبيعة، قوامها الحرص على التناغم معها، والاندراج الرهيف في رحابها. وهي نظرة تجد خير تجسيد في الحديقة اليابانية.

المناخ المناسب لإبداع الحدائق

ولكن مهلاً، ألسنا نجافي الصواب حينما نتحدث عن الحديقة اليابانية وليس عن الحدائق اليابانية؟

الإجابة الواضحة هي: بلى، فاليابان لم تعرف أسلوبًا واحدًا في إبداع الحديقة اليابانية، وإنما عرفت العديد من الأساليب، وتوليفات لا حصر لها من عناصر مختلفة في أكثر من أسلوب واحد. وربما كان هذا هو، بالضبط، ما يكمن في قرار المقولة الشهيرة عن أن الحديقة اليابانية لا تعرف الانتهاء، فكل مالك جديد يأتي ليمنحها سطحًا جديدًا، أو بالأحرى روحا جديدة.



بحيرة «يوكو رايوتشي» وقاعة «رايونتاي» لشرب الشاي





والواقع أن الأرخبيل الياباني يمتد شمالاً إلى أراض يكسوها الجليد، وجنوبًا إلى أراض مدارية، بل شبه استوائية، ولكن قلب الأرخبيل، الذي استقرت فيه الكتلة الرئيسة من السكان، والذي أصبح القلب الثقافي لليابان، لم يعرف التطرف في درجات الحرارة، وهو ما جعل المناطق المركزية من اليابان، إلى جوار المنسوب الملائم من مياه المطر، امتدادًا مناسبًا لإبداع الحدائق، التي تحولها الفصول إلى واحات للجمال، تسر الروح قبل القلب والعين.

ومن المؤكد أن الحديقة اليابانية، المعروفة تقليديا باسم تايين TEIEN تتميز بجمالها الفريد، المستمد من مزيج مركب من عناصر مختلفة تمام الاختلاف، وهو جمال يتناهى إلينا من خلال تمازج النباتات الطبيعية مع الرمل والماء والصخر، ويتكامل هذا كله مع الجمال الذي تتمتع به الطبيعة اليابانية والتغير الموسمي، وأخيرًا الجمال الرمزي، النابع من استخدام الحديقة للتعبير عن تصورات شتى للكون، ودور الإنسان فيه، وعلاقة هذا الإنسان بالطبيعة.

معالم رئيسة لتاريخ ممتد

ولكن هل وُلدت هذه الحديقة ابنة لخطة مفاجئة أو نتاجًا لقوى جاءت من المجهول لتنداح في رحاب المصادفات؟

الرد الذي يقفز إلى الذهن، على الفور، في مواجهة هذا السؤال، يتمثل في التاريخ الممتد الذي تشكلت الحديقة اليابانية عبره، ولكنه من الطول والتعقيد بحيث يكاد يكون من المستحيل أن نلقي عليه نظرة، ولو عجلى هنا، فلنكتف إذن بسبع ملاحظات سريعة، ربما تضع أيدينا على المعالم الرئيسة لهذا التاريخ الممتد:

* تشكلت الحدائق اليابانية الأولى وسط جبال ياماتو، الواقعة حاليا في مقاطعة نارا، حيث تأسست الدولة اليابانية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين، وشكلت، في جوهرها، تقليدًا لمشاهد المحيط، حيث البحيرات تحيطها شواطئ ذات نباتات برية، وتحفل بالجزر، وتبرز هنا المؤثرات الكورية وكذلك الصينية بقوة.

* في العام 794م انتقلت العاصمة اليابانية من نارا إلى كيوتو، حيث تلتقي الأنهار، وحيث حُفرت القنوات لنقل الماء على امتداد المدينة، التي تعددت فيها الشلالات والبحيرات والغدران، واتخذت الحدائق شكلاً بسيطًا، لكن بحيراتها كانت من الاتساع، بحيث يتم التجذيف بالزوارق فيها، وعلى شواطئها أقيمت مقصورات الصيد، التي رُبطت بالدار الرئيسة عبر ممرات مسقوفة.

* في القرن العاشر الميلادي تم تطوير أسلوب شيندين SHINDEN المتبع في تصميم الدور والحدائق، والذي صيغ تجسيدًا لمفهوم الأرض النقية. ويجد هذا التطوير أبرز نماذجه في حديقة بايودين في أوجي قرب كيوتو.

* في مرحلة كاماكورا الممتدة بين العامين 1185- 1333م تبرز الحديقة ذات المشاهد العشرة، التي تجسد المفهوم الصيني عن «الأقاليم العشرة».

* وُصفت مرحلة موروماتشي الممتدة بين العامين 1333- 1568م بأنها العصر الذهبي للحديقة اليابانية، حيث نشطت مجموعة من المبدعين والمهنيين المهرة. وظهر أسلوب جديد يعرف باسم «كانديسا تسوي» أو «الغدير الجبلي الجاف». وظهرت حدائق الرمل والصخر، الخالية من الماء، وكان المثال الأعلى هنا هو تقديم صورة مصغرة من الكون.

* خلال مرحلة إيدو، التي تمتد بين العامين 1600و 1868م ظهر أسلوب مُركّب يجمع بين أطراف شتى من الأساليب السابقة.

* في المرحلة المعاصرة يبدو فن تصميم الحديقة اليابانية وتنفيذ مؤثراتها كأنه فن توشك شمسه على الغروب، وعلى سبيل المثال فإن أراضي الحدائق والغابات في كاماكورا قد انخفضت إلى نصف ما كانت عليه تقريبًا في العام 1947م، على الرغم من أن بعض المؤسسات لجأت إلى حماية حدائقها بتسجيلها، بحسبانها أصولاً ثقافية للأمة اليابانية، بينما تتهاوى الحدائق، صريعة الارتفاع الهائل في أسعار الأراضي في اليابان. ويقول شوزو آراي، أحد كبار مبدعي تصميم الحدائق في اليابان، في هذا الصدد: «إن الحدائق اليابانية آخذة في الاختفاء، بسبب التكلفة المرتفعة للأرض، ولأن



أشجار الأوهيروما وصنوبر التنين الراقد في حديقة «سوميا»

أجيال اليابانيين التي عشقت الحدائق ترحل عن عالمنا على مهل».

التوظيف الفني لفضاء الحديقة اليابانية

هذا التاريخ الممتد يطرح علينا سؤالاً بالغ الصعوبة، من الناحية الفنية، لكن من دون الإجابة عنه يظل حديثنا عن الحديقة اليابانية بعيداً من الإمساك بمفاتيح الفهم الصحيح لهذا الفن النبيل: كيف يتم استخدام فضاء الحديقة اليابانية؟

يشير الخبراء إلى أنه يمكن تصنيف أساليب تقسيم السطح في الحديقة اليابانية إلى أربع مجموعات محددة:

1ـ أسلوب «فونا أسوبي» أو «قارب البهجة»، وهذا الأسلوب يتمركز حول بحيرة بيضية الشكل، ينطلق أصحاب الحديقة للتجذيف بالزوارق فيها. وقد استُخدم هذا الأسلوب بصفة خاصة في المرحلة الهاينية (794- 1195م).



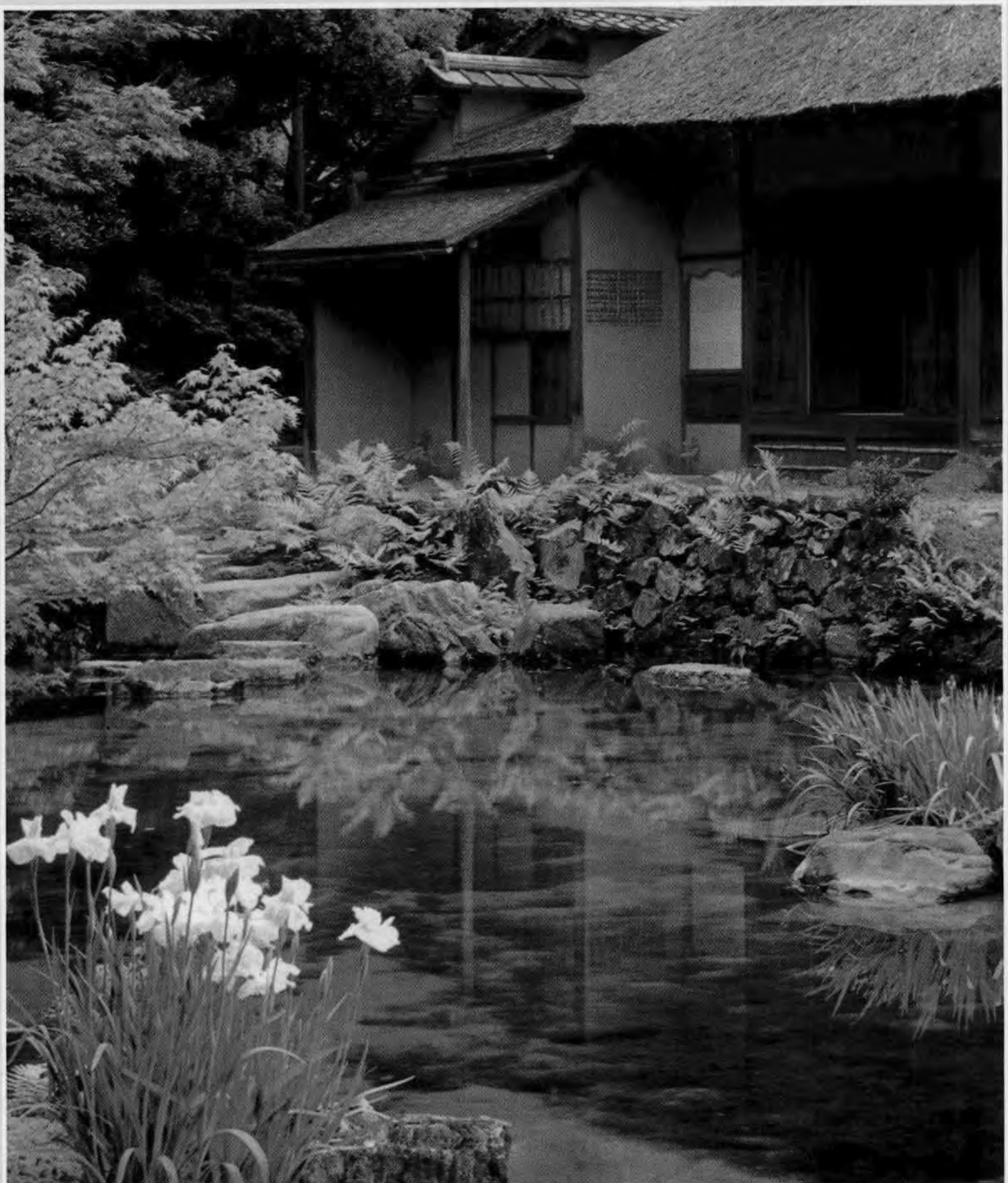
حديقة الغناء في «سوميا»

2 - أسلوب «شـويو» أو «النزهة»؛ حيث الملمح الرئيس في الحديقة طريق يفضي من نقطة نائية إلى نقطة نائية أخرى، يمكن منها رصد المشاهد المتغيرة. وقد استُخدم هذا الأسلوب في المراحل الهاينية والكاماكورية والموروماتشية.

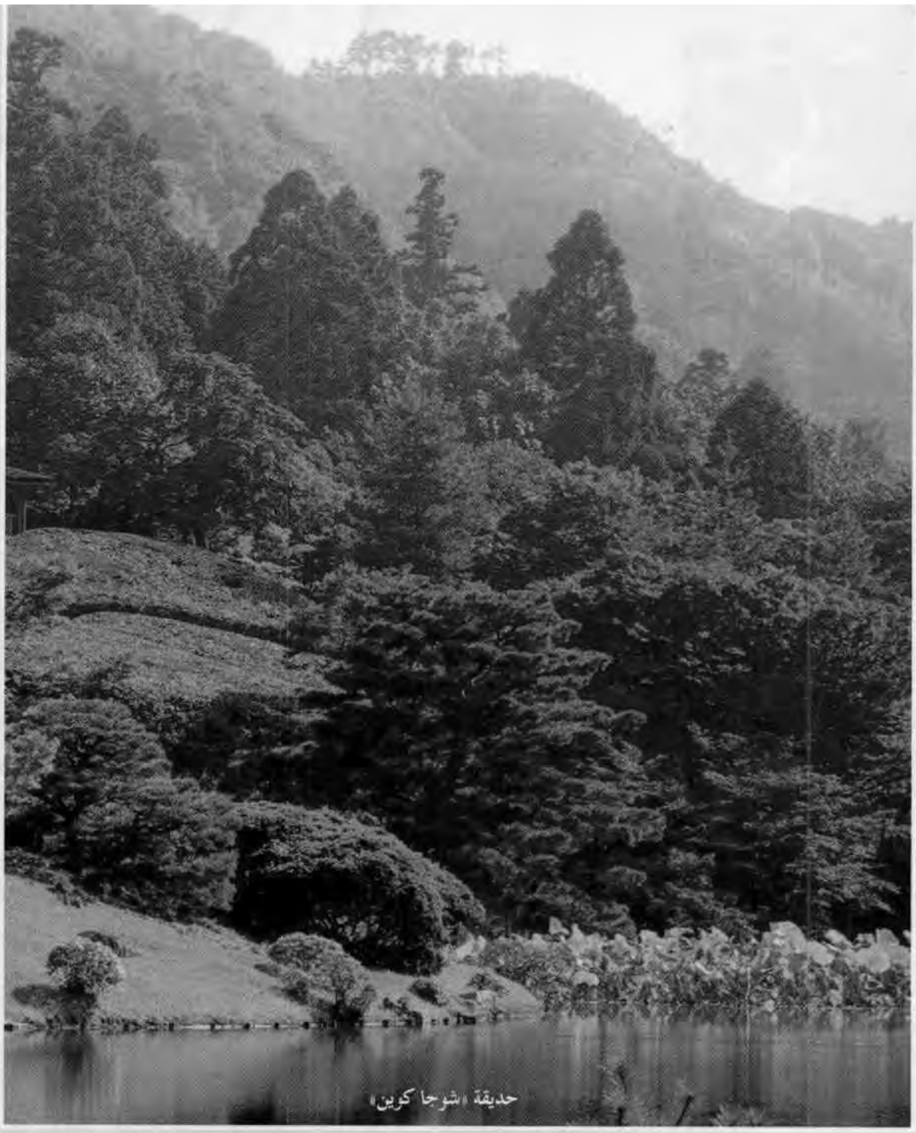
3 - أسلوب «كانشو» أو «التأمل»، ويدور هذا الأسلوب حول النظر إلى الحديقة من مبنى مركزي، والتركيز على إبداع صورة مشكلة بعناية، توحي بلوحة بانورامية، وتناسب التأمل الطويل.

4 - أسلوب «كايو» أو «المسرات العديدة»، وفي إطار هذا الأسلوب تُصَمَّم حدائق عديدة حول بحيرة مركزية، ويُركَّز على تغيرات مذهلة في مشاهد الحديقة بالنسبة للمتأمل. وغالبا





الممر الحجري ومدخل حملة المحفة في قصر «كاتسورا» المنعزل


حديقة «شوجا كوين»

ما تم توظيف هذا الأسلوب خلال مرحلتي أوزوتشي موموياما (1568-1600م) وإيدو (1600- 1868م).

وسائل التركيب المشهدي في الحديقة

ولكن أيًا كانت الأساليب الفنية المتبعة في تصميم الحديقة وتنفيذها، فإننا لا ينبغي أن ننسى أن الحديقة، في نهاية المطاف، هي مشهد تحسه الروح، ويستجيب له الفؤاد، وتتأمله العين، فعلى أيّ نحو يمضي التركيب المشهدي في الحديقة اليابانية؟

الواقع أن الخبراء يشيرون إلى ثلاث وسائل رئيسة للتركيب المشهدي في الحديقة اليابانية، هي على النحو التالي:

* تصغير المستوى: تشير هذه الوسيلة في التركيب المشهدي للحديقة بشكل خاص إلى الحدائق التي استُخدم فيها «أسلوب كايو» الذي يجمع في منطقة محدودة تجسيدات لمشاهد وأماكن شهيرة، ذات أهمية تاريخية، وذلك من خلال تصغير المشاهد الطبيعية للجبال والأنهار. والإبداع عبر هذه الوسيلة يتم حتى في مساحات ضئيلة للغاية في مدن مزدحمة مثل طوكيو، أو في القرى الجبلية.

* الترميز: هذه الوسيلة تتمثل في سلسلة من عمليات التجريد على نحو ما يحدث في استخدام الرمال البيضاء للإيحاء بالمحيط، أو استخدام الحصباء والجزر الصخرية المختلفة للإيحاء بمجموعة ذات الكرسي الفلكية على نحو ما تنعكس نجومها في مياه المحيط.

* المشهد المستعار: هذه الوسيلة، التي تُعرف في اليابانية باسم «شاكاي» تعني استخدام مشاهد الخلفية الواقعة خارج الحديقة، وبعيدًا وراءها، مثل الجبل أو السهل الرحب أو البحر، وتُصَمَّم الحديقة في هذه الحالة بشكل تصبح معه هذه العناصر جزءًا من التكوين المشهدي الداخلي للحديقة، ولهذا السبب فإن المشهد المحيط بالحديقة يُعدّ عنصرًا بالغ الأهمية في اختيار موقعها.

وإذا كان المهندس المعماري العربي الشهير حسن فتحي لا يتردد في معرض إيضاح خصوصية العمارة العربية وطابعها الإنساني في اقتطاف القول الشهير: «في بيت أبي كل خطوة لها معنى»؛ فإن معلم البستنة اليابانية شوزو آراى لا يتردد في القول: «في الحديقة اليابانية كل حجر ينبغي أن تكون له حياته الداخلية WABI، ولا بد أن يحظى بجمال ريفي بسيط، في تعارض جلي مع كل ما هو استعراضي وحافل بالادعاء».

هل المستقبل يبعث على التفاؤل؟

ولكن كيف يبدو مستقبل الحديقة اليابانية بالنسبة لعشاق جمالها الفريد؟

إن شوزو آراي نفسه لا يبدو متفائلاً في هذا الشأن، إلى حد كبير، ويضرب مثلاً بحالته الشخصية، ويقول: «إن عائلته تعمل في البستنة منذ 130عامًا، وإنه آخر العاملين من أبنائها في هذا الحقل، لأن ابنه آثر العمل في شركة كمبيوتر». ويضيف: «إن تدريب الشباب على فنون الحديقة اليابانية، وتعاليمها، وتقنياتها يستغرق سنوات طويلة، ولست أشعر بأن عمري سيمتد سنوات طويلة، لذا فإن المجموعة التي أقوم بتدريبها حاليًا، والمؤلفة من سبعة شبان ستكون مجموعتي الأخيرة!».

وفي مواجهة هذا الطرح، الذي يبدو موحيًا بغروب حقيقي لحدائق اليابان، يقول بروس كوتس، الذي تابع جماليات الحديقة اليابانية على امتداد أكثر من ثلاثين عامًا: «إنه ربما كان مما يدعو للتفاؤل بمستقبل الحديقة اليابانية أنه في مدينة شديدة الزحام، مثل طوكيو، يتعرَّف المرء مواقع الحدائق بأذنيه، أكثر مما يرصدها بعينيه، فالحدائق تستخدم مرتعًا للصغار، وملاذًا للأجيال الجديدة، حيث تعلو أصوات هؤلاء الصغار المترعة بالفرح منطلقة بين جنباتها».

وربما كان هذا هو، على وجه التحديد، ما سيكفل للحديقة اليابانية تأييد أقوى المدافعين عنها الحريصين على استمرار حضورها البهي، وسط المشهد الشامل في أرخبيل اليابان.

المصادر والمراجع:

1ـ جولات للكاتب في عدد من الحدائق اليابانية.
2-FUJIOKA, MICHIO- JAPANES RESIDENCES AND GARDENS: ATRADITION OF INTEGRATION- KODANSHA INTERNATIOAL, TOKYO-1990.
3-ITAH,TEIJI- THE GARDENS OF JAPAN - KODANSHA INTERNATIONAL- TOKYO 1992.
4- COATS, BRUCE A.- IN A JAPANESE GARDEN - IN: NATIONAL GEOGRAPHIC- NOVEMBER 1989.
5- KUNII, IRENE M. SPLENDOUR IN THE GRAVEL - IN: TIME - MARCH 4,1996.



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

كتاب المحن

تأليف: أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام

(251 - 333هـ = 865 - 945 م)

كان جدُّه تمَّام مِنْ أمراء إفريقية، ونشأ محبًّا للعلم، راغبًا في تحصيله، عازفًا عن حياة الترف والجاه التي كانت تعيشها أسرتُه، حتى إنه كان يطلب العلم خلْسَةً دون علْم أهله؛ حيث رغبوا في تنشئته تنشئة الأمراء والسلاطين، فكانوا يرفضون إعانته على طلب العلم، ولا يعطونه ما يشتري به أدوات الكتابة وغير ذلك ممَّا يفيده في هذا المجال. وقد أخذ أبو العرب العلم عن كبار علماء عصره، وبلغوا مئة وخمسة وعشرين شيخًا.

ألَّف كثيرًا من الكتب في شتى المجالات، ومنها هذا الكتاب، الذي يتناول موضوع المحن كما جاءت في الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، ثم يعرض لما نزل بالصَّحابة والزهّاد والفقهاء والعبّاد والقادة والولاة والمحدِّثين والقراء من محَن وابتلاءات، مثل الترويع والسجن والتعذيب والتغريب والقتل والصلب والقطع وغير ذلك. ومما يجدر ذكره أن أبا العرب كان ممن جرت عليه محنة في زمنه.

ويتّبع المؤلف التسلسل التاريخي في ذكر مَنْ نزلت بهم المحن منذ عهد الصحابة حتى زمن الخليفة العباسي المتوكل على الله. وقد تناول بالتفصيل قضيتين مهمتين في التاريخ الإسلامي؛ أولاهما: مقتل الخلفاء عمر وعلي وعثمان رضي الله عنهم، وثانيتهما: مسألة القول بخلق القرآن، وما جرَّته مِنْ بلاء وشدَّة وحبس وتعذيب.

وفي سرده للأحداث يضيف المؤلف معلومات تاريخية جديدة، قلمَّا نظفر بها في مصنَّف آخر من مصنفات التواريخ.

ويقول أبو العرب عن منهجه في الكتاب: «وأنا ذاكرٌ من ابتُلي بأن قُتل أو حُبس أو ضُرب أو تُهدِّدَ في صدر هذه الأمة وخيارهم، أبدأ في ذلك بمن قُتل من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصرنا، بالرواية عن أهل العلم الذين سمعتُ منهم». فهو يعتمد في سرد أخبار الكتاب الرواية المسندة، على طريقة أهل الحديث، كما أنه اعتمد أيضًا النقل من الكتب، إذ ينقل من كتب السِّير والتراجم وغيرها.

وقد أورد في فاتحة كتابه الأحاديث الواردة في المحن والفتن، وفضل الصبر عليها؛ كقوله - عليه الصلاة والسلام - عندما سُئل: أي الناس أشد بلاءً: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجلُ على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقَّةٌ خُفِّفَ عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتّى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». وكقوله - عليه الصلاة والسلام -: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في ماله وجسده وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

ونورد في هذه العُجالة مثالاً واحدًا من الحكايات التي رواها المؤلف في كتابه، وهو ما امتُحنت به امرأة من الخوارج تُدعى البلجاء؛ حيث قتلها عُبيدالله بنُ زياد بقطع يديها ورجليها وسمْل عينيها، فصبرت على ذلك، وقالت: إليكم أتكلَّم بكلمات يحفظهن عنّي مَنْ سمع بهنَّ. فحمدت الله وأثنت عليه، ثم قالت: هذا آخر يومي من الدنيا، وهو غير مأسوف عليه، وأرجو أن يكون أوّل أيامي منَ الآخرة، وهو اليوم المرغوب فيه. ثم قالت: والله إنَّ علمي بفنائها هو الذي زهَّدني في البقاء فيها، وسهَّل عليَّ جميع بلوائها، فما أحبُّ تعجيل ما أخَّر الله، ولا تأخير ما عجَّلَ الله. ثمَّ قامت، فمُثِّل بها حتى ماتت.

وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور يحيى وهيب الجبوري بدار الغرب الإسلامي في بيروت سنة 1403هـ - 1983م، بالاعتماد على نسخة خطية فريدة محفوظة بجامعة كامبردج في بريطانيا. وعمل المحقق على تصحيح الأخطاء والأوهام التاريخية التي وقع فيها المؤلف، كما صحح الأخطاء الإملائية التي وقع فيها الناسخ، وترجم للأعلام الواردين في النص، وفسَّر بعض الكلمات والألفاظ الغريبة، كما قام بتوثيق النصوص الواردة؛ من آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وغير ذلك.

تاريخ الكرسي الكهربائي

الموت تحت التوتر العالي

د. عبدالله سعيد

الشخص الأول في العالم، الذي طُبِّقَ عليه الصعق بالتيار الكهربائي باسم سلطة القانون، ومات على الكرسي الكهربائي، كان المجرم وليام كيملر W. Kemmler. الذي تم تنفيذ حكم الإعدام فيه منذ مئة وسبع سنوات، في السادس عشر من آب/ أغسطس عام تسعين وثمانمئة وألف للميلاد، في سجن مدينة أوبرن Auburn في ولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.

وهناك روايات مختلفة لتلك الحادثة الكئيبة. يُعتقد بأن أكثرها واقعية، ما كُتب عن مجريات الحادثة والمناقشات التي تلتها، في المجلة الأمريكية «عالم الكهرباء» The Electrical World بتاريخ السادس عشر من أيلول/ سبتمبر عام تسعين وثمانمئة وألف، والمجلة الأسبوعية الفرنسية الواسعة الانتشار «الطبيعة» La Nature في 1890/10/6م نقلاً عن أحد شهود عملية الإعدام المحترفين، الذي وثّق وصفه بالرسومات المناسبة لآلة الموت هذه.

تألفت تلك الأداة من آلة بخارية استطاعتها خمسة وأربعون حصانًا ميكانيكيًا تم تركيبها في الطابق الثاني من السجن، موصولة بوساطة شريط ناقل، مع جهاز إقلاع ومولد ماركة ويستنجهاوس Westinghouse، له القدرة على تقديم توتر متناوب قيمته نحو ألف فولت؛ حيث القدرة الكهربائية منقولة (مرسلة) عبر ناقل يبلغ طوله نحو ثلاثمئة متر، إلى لوحة التوزيع الموضوعة في صالة مجاورة لصالة الكرسي الكهربائي. ويصل إلى صالة الكرسي ناقلان، ينتهي طرف كل منهما بلاقط مشرب بالملح. يُركَّب الأول في قبعة توضع على الرأس الحليق للمحكوم، بينما يلامس الثاني عموده الفقري المثبت بإحكام إلى الكرسي بوساطة الأربطة.

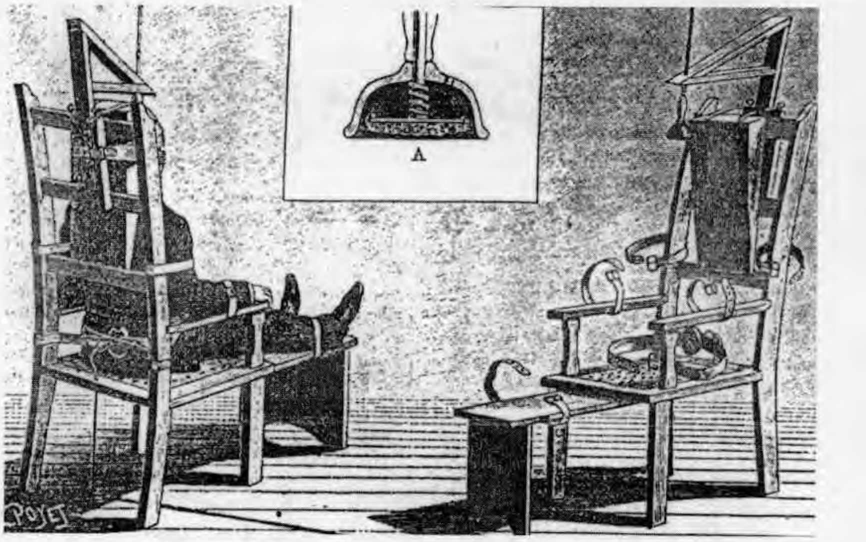
على هذا الجهاز، أجبر المحكوم المشؤوم «كيملر» على الجلوس، وهو يبدي دمًا أكثر برودة من ثلاثة وعشرين مراقبًا لعملية الإعدام هذه التي جرت تفاصيلها على النحو التالي: مُرِّرَ التيار الكهربائي لمدة سبع عشرة ثانية، وتكرر وصل الآلة وفصلها حتى التيقن من مفارقته الحياة. ويبقى السؤال عن اللحظة التي فقد عندها كيملر إحساسه ووعيه، سرًا دائمًا، وموضوعًا رئيسًا ـ بالإضافة إلى الجوانب الفنية ـ للنقاش الدائر مدة أشهر طويلة في أوساط المختصين.

ذُكرَ أن كيملر قد غُطِّي رأسه الحليق بخوذة، وثُبِّت القطب الثاني إلى قدمه العارِية، وأن توتر المولِّد بلغ ألفًا وسبعمئة وخمسين فولتًا. ثم قام الرسامون ـ كما في الحالات المماثلة ـ باستكمال النواقص في المعلومات، زيادة في مأساوية الحدث كله. وذُكرَ أيضًا أنه بسبب العطل الذي حصل في التمديدات الكهربائية، لم يكن بالإمكانَ تعريض المحكوم لصدمة ثانية مباشرة بعد الصدمة الأولى، مما استوجب نقل المتوجع إلى السرير وإعطاءه جرعة من المخدر، قبل إصلاح العطل وإعادة المحكوم إلى الكرسي الفظيع، ليقتله التيار الكهربائي القادم من تلك الآلة الكهربائية التي تغذي المدينة.

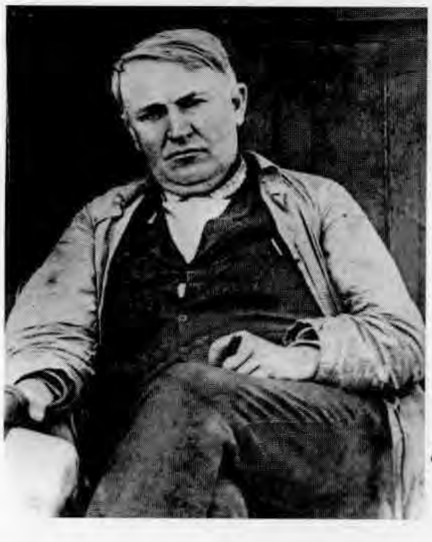
وتصف روايات أخرى، قيام المحكوم، عند دخوله غرفة الكرسي الكهربائي، بمراقبة المكان باهتمام ونظره المركّز على الجهاز بكامله. وتفوهه بكلمات قصيرة عبّر فيها عن تمنياته بالتوفيق للشهود، وعن أمله بعالم أفضل، وكان عتابه الأخير موجهًا نحو الصحافة التي كتبت عنه أشياء كاذبة على حد زعمه. وعندما وُضعت الخوذة على رأسه توجه إلى الطبيب قائلاً: أؤكد لك ياسيدي الطبيب أنه يمكن زيادة ضغط الخوذة على رأسي. فطلب منه رجل التنفيذ ـ عندئذ ـ بأن لا يتعجل أكثر من ذلك. وفي آخر لحظة وعندما ودعه الطبيب بالكلمات: الله معك يا كيملر، رد بهدوء تام: شكراً.

وما حدث بعدئذ، خلال بضع عشرة دقيقة، يمكن تلخيصه على النحو التالي: لم يحقق التدفق الكهربائي في السلك التوقعات، وبدأ الرجل المصاب بالتنفس المرير. لقد أدت المجريات المروّعة لتنفيذ حكم الإعدام هذا، إلى استنكار المدينة بأجمعها، وبدأت المطالبات القوية باستبعاد تلك الطريقة الكهربائية الأكثر لا إنسانية من بين جميع طرائق التعذيب السائدة في العصور الوسطى، وبإلغاء النص القانوني الناظم لها.

لقد تفاوتت ردود الفعل بشأن تلك الحادثة، في أوساط التقنيين، وفي أوساط رجال القانون من المجتمع الأمريكي. «على الرغم من عاطفة كبيرة في هذا الموضوع، فاقت المحاكمة المنطقية السليمة؛ فإن الفكرة وما جسّدها من أنظمة قانونية، هي من أفضل الطرائق المتبعة، حتى الآن، في مجال تنفيذ الإعدام



الكرسي الكهربائي كما ظهر في المجلة الأسبوعية الفرنسية La Nature بتاريخ 1890/10/6م



توماس أديسون

وأنجعها». هذا ما قاله الدكتور ساوثويك A. P. Southwick المسمّى بالأب القانوني لهذه الطريقة. أما النائب ينكين K. Jenkin فقد عبّر عن رأيه قائلاً: «أُقَدِّرُ هذه الطريقة لتنفيذ حكم الإعدام، لكونها أكثر فعالية من الموت شنقًا لأنها أسرع وأضمن».

أما توماس أديسون T. A. Edison المخترع المعروف بأبي الكهرباء، فقد أدلى برأيه التالي: «في كل من الحالات الثلاثين المعروفة لي، من حوادث الموت الناجم عن التيار الكهربائي في نيويورك وضواحيها، فقد كان التيار يمر دومًا عبر أيدي الضحايا. وتشق الكهرباء، بسهولة أكبر كثيرًا، طريقها خلال السوائل، ولاسيما الحاوية على الصوديوم، حيث تتحول الأكف المرطبة بمحلول الصوديوم من أوكسيد الهيدروجين (ماء + صوديوم)، إلى ناقل مثالي للكهرباء. لذلك لا غرابة في إخفاق الأطباء الذين وصلوا نهايتي الناقلين إلى المنطقة الأمامية من الرأس وإلى العمود الفقري. إن الحروق التي حدثت في جلد كيملر، تعني ضعف التيار المطبق على جسمه، ولو بلغت قيمة التوتر المطبق ألفًا وثلاثمئة فولت، لأدى ذلك إلى تفحم الجسم. وأغلب الظن أن كيملر قد توفي نتيجة لتجمع الأخطاء المختلفة التي حصلت في أثناء الحادثة بكاملها».

لقد سبب تنفيذ الإعدام بهذه الطريقة هرجًا ومرجًا كبيرين في أوساط منتجي الأدوات والأجهزة الكهربائية، ولاسيما المولدات الآلية، ولقد كان أديسون أحد أكثر الذين تعرضوا للهجوم والنقد، بوصفه نصيرًا كبيرًا للإعدام الكهربائي. لقد كتبت الجرائد مطولاً عن الخلاف بينه وبين مالك الشركة المنتجة لمولدات التيار المتناوب، الذي يدعمه تيسلا ويستنجهاوس Tesla Westinghouse، في الوقت الذي كانت فيه شركة مينلو باركMenlo Park من أنصار مولدات التيار المستمر (الثابت) ذات التوترات المنخفضة. أما الشركة الهنغارية جانزا Ganza الموجودة في بودابست فقد ادّعت، من طريق المحكمة، على أديسون وطالبته بالتعويض عن الأضرار التي ألحقها بها، وقدرت بمليون دولار، بسبب السمعة السيئة لمولدات التيار المتناوب، وهي - برأي شركة جانزا - خطيرة وغير آمنة بالمقابلة مع المولدات الساكنة.

وهكذا، بعد المرة الأولى لتنفيذ حكم الإعدام كهربائيًا، فقد راود الأمل بالربح، كلاً من السياسيين ومصنعي مولدات ومحولات التوتر العالي، بالإضافة إلى الأجهزة المتممة. ولا غرابة إذن - على حالات الإخفاق اللاحقة، التي تمثلت في عودة نبض القلب واسترجاع المحكوم للحياة، والاضطرار إلى إعادة الصدمة بالتيار - أن تصبح هذه الطريقة، بعد سنة واحدة فقط، مطبقة في عشرين ولاية من الولايات المتحدة الأمريكية.

وفي الختام، كيف تبدو عقوبة الإعدام في شتى أنحاء العالم، في أوقاتنا المعاصرة؟ وما هو موقع الموت الكهربائي بينها؟

في الولايات المتحدة الأمريكية، وخلال الأعوام 1972-1976م فقط، عُدَّت عقوبة الموت غير منسجمة مع الدستور الأمريكي. ومنذ العام 1976م، وحتى اللحظة الراهنة، أُعيدت هذه العقوبة في ثمان وثلاثين من أصل خمسين ولاية أمريكية. يعود القرار في هذه القضية إلى كل سلطات الولايات. في الولايات الأخرى (اثنتي عشرة ولاية) تستخدم خمسة طرائق لتنفيذ أحكام الإعدام، هي: الإبرة المنومة، وغرفة الغاز، والشنق، وإطلاق الرصاص، وأخيرًا الكرسي الكهربائي.

أول دولة ألغت عقوبة الموت كليًا كانت سان مارينو وذلك عام 1848م. لم تُلغَ المقاصل في فرنسا إلا ابتداءً من عام 1981م، ويتم الموت في الباكستان رجمًا، وفي أفغانستان جلدًا، وفي قطر قطعًا للرأس، وفي رواندا والصين رميًا، وفي أنغولا حقنًا، وفي إيران - بدءًا من عام 1987م - باستخدام آلة مركبة من مقصلة وروبوت كهربائي استطاعة مئتين وعشرين واطًا، تقوم بتقطيع الأصابع والأقدام والأيادي على التوالي (دقًا وتقطيعًا).

تبين معطيات منظمة العفو الدولية أن في العالم خمسًا وخمسين دولة ألغت عقوبة الموت بشكل نهائي تمامًا، وست عشرة دولة حَدَّت من استخدامها إلا في الحالات الاستثنائية (جرائم حرب، وجرائم الأوضاع الطارئة)، وتسع عشرة دولة مازالت تحافظ على عقوبة الموت، مع وقف التنفيذ منذ عشر سنوات على الأقل، ومئة وثلاث دول ومناطق مازالت تمارس عقوبة الموت حكمًا وتنفيذًا.

وتسع عشرة دولة من أصل أربعين دولة أعضاء فيما يُعرف بالضيوف الخاصين للمجلس الأوربي، لا تزال تأخذ في الحسبان عقوبة الموت في ظروف السلم أو الحرب على السواء. ومن بين دول أوربا الغربية: بريطانيا وبلجيكا تلحظان عقوبة الموت زمن السلم في بعض الحالات المحددة (خيانة الوطن، والقرصنة). في شروط الحرب يمكن استخدام عقوبة الموت في كل من إيطاليا ومالطا. وفي خمس دول، هي: بولونيا، وبلغاريا، وقبرص، وأستونيا، وتركيا يُطبَّق وقف التنفيذ لمدة خمس سنوات. وأخيرًا فإن عقوبة الموت لا تزال مستخدمة في روسيا، وألبانيا، وروسيا البيضاء، ولاتفيا، وليتوانيا، ومولدافيا، وأوكرانيا.

نافذة
على ثقافة العالم

حوار مع مؤلف كتاب:

الجهاد ضد عالم الماك



بربارة إيرنيرتش
The New York Times
Book Review

ترجمة: **د. صلاح يحياوي**

يرى بنيامين باربر Benjamin Barber(1) مؤلف كتاب «الجهاد ضد عالم الماك»، وأحد كبار مستشاري بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، أن كلاً من الرأسمالية العالمية والقومية والأصوليات يُسيءُ إلى الديمقراطية في الدول الأوطان، ويُسيء إلى المواطنية.

- تُتهدَّدُ الديمقراطية في كل مكان على هذا الكوكب، ليس من قبل الأصوليين والقوميات فحسب، بل تهددها أيضًا عَوْلَمَةُ الاقتصاد. هذا هو التحليل المثير الذي تطوره في كتابك «الجهاد ضد عالم الماك» الذي لَوَّحَ به الرئيس كلينتون، علمًا بأنك أحد كبار مستشاريه المقربين. ما هو «عالم الماك» هذا الذي يثير قلقك كثيرًا؟

* عالم الماك هو كالماكنتوش Macintosh أو الماكدونالد McDonald، إنه كوكبنا الذي جعلته التجارة، وجعله التواصل العالمي متجانسًا على نسق واحد، فتحوَّل إلى نوع من حديقة عالمية الطابع لينشر أسلوب حياة ورموز ثقافة شعبية أمريكية في القارات الخمس، إنه ينشر الأصوات نفسها، والشعارات نفسها، والمنتجات نفسها، الكوكاكولا وكنتاكي فرايد شيكن Kentucky Fried Chicken، والموسيقى التلفازية MTV(2). إن أمريكا هي التي تبيع نفسها بطريقة عالمية، إنها تُصدِّرُ أيقوناتها إلى جميع البلدان، تُصَدِّرُها مع أبطالها ورعاديدها، إنها تُتاجِرُ حتى بثقافة سكانها الأصليين الفقراء المتخلِّفين. تنفخُ أبواقُ نوادي الكليبس Clips فيها: إننا العالم We Are The World، وتغني شخصيات والت ديزني Walt Disney: «إنه عالم صغير جدًا». لقد فهم بيل كلينتون فهمًا جيدًا، وعلى نحو فعال، أن عَوْلَمَةَ الاقتصاد هي الآن في طور حرج وخطير. إن الحضارة الأحادية التي تنشرها عولمة الاقتصاد تُعارض تباينَ المناطق وسيادة الدول، نعم إنها تعارض الديمقراطية.

- على أي شكل؟

* اقرأ الصفحات الاقتصادية في لوموند Le Monde الفرنسية أو نيويورك تايمز New York Times، أو داي زايت Die Zeit الألمانية تكتشف دائمًا كوكبًا يتسم بمزيد من الانتظام والاطراد، وتتحكم فيه احتكارات تأخذ بالنقصان عددًا شيئًا فشيئًا.. وتزداد قدرتها شيئًا فشيئًا.. ترى فيه مجموعة روبرت مردوخ Rupert Murdoch التي تستثمر في كندا وفي الصين، وتحاول الدخول على الكابل إلى نيويورك. وتتحكم شركة ديزني Dis-ney بقناة إى بي سي ABC، وتشتري هاشيت Hachette مجلات في آسيا.. فإذا نظرت إلى الصفحات السياسية في الصحف نفسها تجد كوكبًا آخر، كوكبًا منقسمًا ومفتتًا، مزقته النزاعات القبلية والحروب الأهلية. إنني ألخص جميع قوى التجزئة هذه بكلمة قوية بعض الشيء ألا وهي «الجهاد». إنها تتضمن الأصولية الإسلامية

كما تتضمن أقصى اليمين في الولايات المتحدة «بات بوكانن» Pat Bouchanan(3)، وتتضمن، على نحو أعم، كل أولئك الذين يعارضون الحداثة والثقافة الغربية. إنها تتضمن باختصار أولئك الذين يناضلون ضد عالم الماك.

- يبدو أن هناك تعارضًا بين النظرتين: عالم اقتصادي آخذ بالتوحد، وعالم سياسي آخذ بالتهافت.

* لا، إنهما على العكس من ذلك، إنهما يَتَراكبان. فالصربيون في ما كان يُدعى يوغسلافيا أطلقوا النار على النساء والأطفال المسلمين وهم ينصتون إلى الموسيقى العالمية المنطلقة من سماعات المذاييع الظهرية ويلبسون سراويل الجينز Jeans وأحذية النايكي Nike وقمصان التّي - شيرتس Tee-Shirts الأمريكية على شرف الجنود المغيرين أو اليانكي Yankee(4)، وتشرب النساء الإيرانيات والجزائريات المحجبات البيبسي كولا أو الكوكاكولا؛ وتتشارك الكنيسة الأرثوذكسية الروسية مع أصحاب المشاريع الكاليفورنيين لبيع ماء ينابيع مقدسة. يعتقد كل من الاتجاهين أنه معاكس للآخر، أما الحقيقة فهي أن كلاً منهما يكمل الآخر.

- ومع ذلك لا يمكن مقابلة الأصولية المتعصبة بالعالمية الاقتصادية.

* تعمل القبلية بالعنف والدم والتَعَصُّب، وتعتمدُ القيمَ القديمة الصليبية ومحاكمَ التفتيش. ويعمل عالم الماك نفسه بدمائه ودعة باسم حرية السوق. إلا أن كلاً منهما يهاجم الآخر على حدود الدول - الأوطان. يسخر كل منهما من العدالة الاجتماعية، ويحتقر كل منهما المواطن، في الوقت الذي تنتفي فيه الديمقراطية بانتفاء المواطن. ومع ذلك لو فَهِمَ الغربيون على نحو يسير أخطار الأصولية القَبلية لقللوا من عالم الماك إلى الحد الأدنى، إنهم لم يستبينوا أن الأمر شكل جديد من الكلّيانية Totli Tarianism أو الديكتاتورية.

- إنك مع ذلك تبالغ بعض الشيء!

* لا أظن ذلك.. إن الرأسمالية العالمية - كما كانت الشيوعية فيما مضى - بحاجة إلى صنع إنسان جديد. لم يعد هذا الإنسان هو العامل، إنه المستهلك. تختزلنا الرأسمالية العالمية إلى نظام بسيط، هو نظام زبون سوق عالمية كبيرة. يا مستهلكي جميع البلدان حطموا قيودكم، واذهبوا إلى السوبرماركت Super Market ستجدون فيه هوية عمومية. هذه هي عقيدتها.. لا يوجد في المراكز التجارية الأمريكية دار حكومة ولا مدرسة ولا حضانة، ليس فيها مطاعم، هناك فقط أطعمة سريعة Fast Food (على الماشي)، ليس هناك ساعات على الجدران لأنه لا يوجد زمن محدد للشراء، ليس هناك حوانيت.. لا بل توصلت هذه السوق في بعض مخازنها - مخازن اكتشاف الطبيعة - إلى بيعنا حتى الحصى!



- ماذا تأخذ على هذه الثقافة العالمية؟

* لا آخذُ عليها رداءتها بقدر ما آخذ عليها صفة التجانس فيها. لم تعد الرأسمالية كالسابق تبيع ممتلكات، بل تبيع رموزًا وصورًا وأنماط حياة. إن شركات الإعلام والإمتاع أو التسلية.. جالوتنا الجديد.. لا تنفك عن بسط امبراطوريتها. لقد اشترى بيل غيتس Bill Gates رئيس ميكروسوفت Microsoft حقوق الآثار الفنية لمؤسسة بارنرس Barners، وأنشأت ديزني Disney قرى لدعم منتجاتها وترقيتها. ويتابع التلاميذ في جميع المدارس العامة، المرتبطة بنظام القناة الأولى في الولايات المتحدة، برامج تعليمية تتخللها الدعاية. لقد غدت أسماء معلمي الكون الجدد: مايكل ايسنر Michael Eisner صاحب ديزني، وبيل غيتس Bill Gates صاحب ميكروسوفت، وستيفن سبيلبرغ Steven Spielberg، وروبرت مودروخ Rupert Mudroc، وتِدْ تورنر Ted Turner...

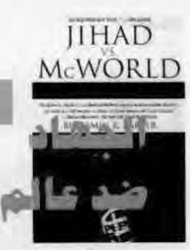
- لم يبق إلا أن تتهمهم بالتآمر على الديمقراطية.

* طبعًا لا! لكنه الميل الطبيعي لهذه الرأسمالية الجديدة إلى احتكار وقتنا ومجالنا وأفكارنا، وحتى هنا تخلت جميع أسس المجتمع عن الألفاظ: النصوص الدينية (في البداية كانت الكلمة)، والدساتير، والقوانين.. يبني عالم الماك نفسه على صور شاردة زائلة. إن الكلمات تدعو إلى الرضا والعقلانيةِ والنقاش، أما الصور فتدعو إلى السطحية. كان روسو Rousseau(5) في رسالته إلى دَلامبير حول الاستعراضات Lettre a d'Alembert sur les Spectacles يحذر من التأمل الذي يمارسه الممثلون على المسرح، حيث جاء فيها: «يقتضي التأمل رؤية عالم انفعال، عالم غير ثابت لا يُحافَظُ فيه على الوعود والعهود».

إن هناك ما يدعو إلى هذه المخاوف. إنه الموسيقى والسينما والتلفاز جميعها التي تنشر فلسفة جمال مبتذلة قليلة القيمة مثيرة حساسيةً عالمية مشتركة، إنه فن الصور المتلفزة (الفيديولوجية)، إنه نوادي الكليبس Clips، ومقاهي الهارد روك Hard Rock Cafe التي تُعدّ شبكتها الموسيقية MTV الموجهة إلى الشباب رمزًا كاملاً.

- ما سبب ذلك؟

* لأن سرعتها تزداد دائمًا، ويشتد قصر مُخَطَطاتها، وتَبْهَرُ بصورها الكثيرة الألوان. إن الشبكة التلفازية الموسيقية MTV أو بالأحرى EMPTY TV (التلفزة الفارغة) متعة اللاوقوف، إنها في



الحقيقة دعامة لا تتوقف، إنها تبث 24 ساعة من كل 24 ساعة في اليوم الواحد موسيقى الـ POP (الموسيقى الشعبية) من أجل صناعة القرص الموسيقي أو الأسطوانة الموسيقية. إنها تستعرض صوراً عالمية لا أصل لها. إنك لست في أي مكان، إنك في كل مكان. وبالفعل إنك في عالم الماك والطعام السريع والموسيقى السريعة والصور السريعة.

لقد أنشأ عالم الماك عالمًا سهلاً لا يُراد فيه رؤية الناس يكبرون، إنهم أطفال خالدون، إنهم أجود المستهلكين، وأكثرهم قابلية للتأثر. إن ديزني وهوليود والتلفزة جميعها تتكلم مع أولاد صغار عمرهم 12 سنة، والأمور تسير على ما يرام.

ـ ولكن ألا يمكن لهذه التوابع والإنترنت Internet والتواصل العالمي أن تعطي مزيداً من الحرية أيضاً؟

* إنها تسمح بالتحرر من ضروب الطغيان التقليدية، لكنها تنشئ ضروب ظلم واستبداد أخرى لا تُرى. عندما فرض بيل كلينتون اللباس الموحَّد في المدارس بغية مكافحة الفروق الاجتماعية، ومكافحة رجال العصابات احتج بعض التلاميذ. لم يدرك هؤلاء أنهم كانوا من قبل يلبسون بزّات رسمية، إنها سراويل الجينز نفسها، وأحذية الرياضة التي لا أربطة لها نفسها، وقمصان التي شيرتس.. إنها البزّة الرسمية لعالم الماك! إنها تمثل الحرية، لكنها ليست كذلك. من المؤكد أن التقنيات الحديثة قد غدت متعددة، وأن بالإمكان مشاهدة مئات القنوات التلفازية، إلا أن المحتوى موحد.. هناك مزيد من الفرص، ولكن ليس هناك الكثير من الاختيارات.

ـ هل تدين الرأسمالية؟

* كلا، لقد برهنت الرأسمالية على أنها النظام الاقتصادي الأكثر فعالية، وأنها إذا ما روقبت من قبل الحكومات يغدو بإمكانها موازنة توزع الثروات. إن ما أنتقدُه هو الرأسمالية المتوحشة الهوجاء. إن الزعم أن بإمكانها أن تضمن الديمقراطية زعم لا معنى له. لقد سقط جدار برلين، وغدا العالم سوقًا، وانتهى التاريخ، فهل كل شيء في طريقه إلى الأحسن؟ لا..! إن الإيمان بالديمقراطية هو الإيمان بأن المجتمعات البشرية تمتلك مقدرة غير محدودة على رفض حتمية التاريخ. إن الأمر إذًا ليس بالتخلّي عن عالم الماك، بل بتنظيمه.

ـ لكن عالم الماك هو أنتم، إنه الولايات المتحدة!

* كلا، لقد غزتنا الحضارة العالمية أيضًا. وفي الوقت الذي نحتاج فيه إلى قواعد لتكون حواجز دارئة، فإن بلدًا كفرنسا تُدخل الفوضى في نظام القطاع الخاص، مُجرِّدة بذلك حاميها الرئيس من السلاح ضد تجاوزات عالم الماك.

ـ إذًا، لتعش الدولة ـ الوطن؟

* إن لنا جميعًا هويات متعددة: إننا عامل، أو مستهلك، أو طفل، أو أب، أو يهودي، أو كاثوليكي، من الريف أو من نيويورك، أمريكي أو فرنسي. إلا أن هذه العالمية المجردة من الاستهلاك لا تعترف بذلك. إنني بالفعل أعتقد أن الدولة ـ الوطن هي الوحيدة القادرة على التوفيق واقتراح مجال حقيقي للمواطنية.

ـ هل تبدو لك أوربا على قَدِّ المقاس؟

* إنني مؤيد لأوربا ديمقراطية ووطنية كما حلم بذلك مؤسسوها، لكنني لست نصيرًا لأوربا الشركة .Europe Inc التي تسيطر فيها (التكنوقراطية) التي تُسَهِّلُ فعل الشركات التقليدية. وما دامت عديمة القدرة على تمثل المصالح الديمقراطية والوطنية، فإن العديدين من الأوربيين سيستمرون في مقاومتها على نحو شرعي.

ـ بالإجمال، إنك تتمنى أخلاقية تقليدية. إننا بعيدون من ذلك.

* إننا لا نزال نأمل بأن تَعْرِفَ الأوطان ـ الدول التعاون فيما بينها. خذ مثلاً تشغيل الأولاد.. إن بعض الشركات الوطنية تنتقل لتقيم في بلدان أخرى وذلك بغية خفض تكاليف العمل، وبخاصة في تلك البلدان التي يُشغِّلُ فيها الأولاد. وتزعم الدول أنها لا تستطيع اتّخاذ أي شيء ضد أمثال هذه الإجراءات.. لكنها على خطأ، فقد كانت شركة غاب GAP الصانعة للثياب تستخدم منذ بعض الوقت أولادًا في بعض فروعها في أندونيسيا، فاحتج المستهلكون الأمريكيون، وتداخلت وسائل الإعلام، ونَدَّدَ بها بيل كلينتون علنًا. فأغْلَقَت غاب مصانعها. إن هذا لدليل على أن بإمكان المجتمع المدني الفعال أن يضع الأمور في نصابها.

ـ الدفاع عن القيم، وحماية الدولة ـ الوطن.. إنك تعبِّر تقريبًا عن وجهة نظر محافظة، وهذا يثير فضول الديمقراطي.. أليس كذلك؟

* نعم، إن «مبدأ المحافظة» يعني الحفاظ على قيم الديمقراطية وأفكارها، إذًا أنا محافظ متطرف. إننا نجد عند مونتسكيو Montesquieu(6)، وروسو Rousseau، وتوكفيل Tocqueville سؤالاً مطروحًا: ما الظروف التي تجعل الديمقراطية ممكنة؟

إن إحدى النقاط الحاسمة هي ـ على نحو بدهي ـ التَّعْليم. لم يكن أول ما قام به توماس جفرسون Jefferson(7) في أمريكا تسطير دستور، بل تأسيس جامعة. وكان أول ما قام به جون آدامز John Adams(8) في ماساشوستس وضع نظام مدرسي. كان الاثنان يعرفان أن المواطنية لم تكن طبيعية، وأن من الواجب اكتسابها، وأن الحرية تُعَلَّم. علينا أن نستوحي الأنوار لنجعل هذا العالم بمجمله أكثر شفافية كي نتيح لكل إنسان ألا يكون مستهلكًا فقط، بل مواطنًا أيضًا. من البدهي أننا بحاجة إلى إرادة. إن مقاومة صبيانية عالم الماك وتصابيه أمر صعب.. ومع ذلك: أليس من مهام المجتمع الديمقراطي تعليم الأطفال لكي يغدوا راشدين؟!

الهوامش:

1ـ بنيامين باربر: مستشار بيل كلينتون المقرب، يعيش في نيوجرسي قرب نيويورك، وهو مدير مركز والت ـ ويتمان Walt-Whitman للديمقراطية، وأستاذ في جامعة روتجرس Rutgers، وقد قدم كلينتون الكتاب خلال حملته الانتخابية الأخيرة، وصرّح على الملأ بأنه سيأخذ بذلك على نحو واسع في مدة حكمه الثانية.

2ـ MTV: تغطي القناة الموسيقية الأمريكية مجمل الكوكب باستثناء القارة الأفريقية؛ وهي تزعم أن عدد مشاهديها يربو على نصف المليار.

3ـ بات بوكانن: جمهوري رشح نفسه لانتخابات الرئاسة الأمريكية في دورة 1992 ودورة 1996م.

4ـ اليانكي: المنتسب إلى الولايات المتحدة.

5ـ جان جاك روسو (1712ـ 1778م): كاتب فرنسي شهير ومرب وفيلسوف، له تآليف فلسفية واجتماعية نادى فيها بطيبة الإنسان وبالعودة إلى الطبيعة.

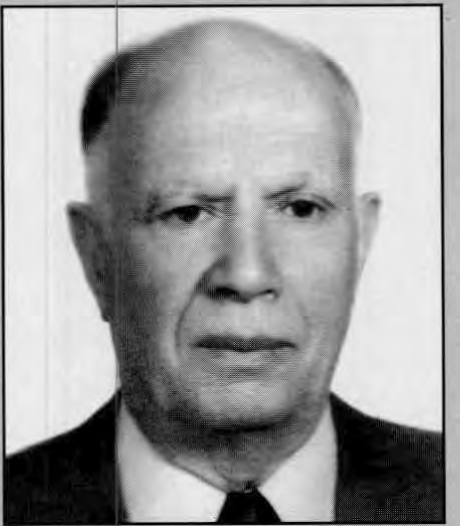
6ـ مونتسكيو (1689ـ 1755م): فيلسوف وكاتب فرنسي له مؤلفات سياسية اجتماعية. عُرف بمؤلفه الشهير «روح القوانين»، وكان لآرائه أثر كبير في الثورتين الأمريكية والفرنسية.

7ـ توماس جفرسون (1743ـ 1826م): الرئيس الثالث للولايات المتحدة الأمريكية 1801ـ1809. عاون واشنطن وكان شريكه في (إعلان الاستقلال). من مؤسسي الحزب الجمهوري الديمقراطي. اشترى لويزيانا من فرنسا، وأسس جامعة فرجينيا.

8ـ جون آدامز (1735ـ 1826م): ثاني رئيس للولايات المتحدة الأمريكية 1797ـ1801هـ.


إبداع صحفي جديد
صباح كل سبت
أنتم على موعد مع
مجلـة
الشرق
AL SHARQ
نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية
مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين
الجديد والمفيد من الموضوعات التى تهم كل أفـراد الأسـرة

ورحل الأستاذ سعيد الأفغاني



سعيد الأفغاني

(1909- 1997م)

د. محمود جبر الربداوي

رحل الرجل الذي كان آخر الرعيل الأول، الذين تدين لهم سورية والوطن العربي ببعث شباب اللغة العربية وحركة التعريب في الأوساط العلمية، وفي التعامل اليومي حتى عند رجل الشارع وربة البيت والطفل الناشئ، رعيل رسّخ اللغة العربية بصفائها ونقائها، في المدرسة والجامعة ومؤسسات الدولة، وفي المصطلحات العسكرية والطبية والتقنية بكل ضروبها وألوانها.

كان آخر حديث بيني وبينه حوارًا أدبيًا، سألني فيه عن قائل البيت:

ألم تر أن المال غادٍ ورائح
ويبقى من المرء الأحاديث والذِّكْرُ

أهو حاتم الطائي أم بدوي الجبل؟ فقلت له: إن هذا البيت، بهذه الصياغة، ملفق من قول الشاعرين: حاتم وبدوي الجبل، والذي أحفظه أن حاتما يقول:

أماويَّ إن المال غادٍ ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكر

و «ماويّ» هي زوجة حاتم، وفي رواية:

ألم تر أن المال غادٍ ورائح.

وبعد هذا البيت يقول حاتم:

أماويَّ ما يغني الثراء عن الفتى
إذا حَشْرَجَتْ نفسي وضاق بها الصدر

وأما بدوي الجبل فله بيتان يتيمان يقول فيهما:

سيذكرني، بعد الفراق، أحبتي
ويبقى من المرء الأحاديث والذكرُ
زهور الربى بعد الربيع بعيدة
وبدنيكَ منها في قواريره العطرُ

وكنت أظن أنه ما سألني عن البيت إلا ليقف على موطن الشاهد النحويّ في «أماويّ» لأنه لا يهمه من الشعر إلا موطن الشاهد النحوي، ولكنه أعرض عن «ماوي» ووجه الاستشهاد بها وراح يتمتم بالبيت الأول:

سيذكرني، بعد الفراق، أحبتي
ويبقى من المرء الأحاديث والذكر

وافترقنا، وسافرت إلى الرياض، وسافر هو إلى مكة، ثم تتبعت أخباره فلم أحظ بما يسر، حتى كان يوم الثلاثاء الحادي عشر من شوال 1417هـ إذ أخبرني صديق له نبأ وفاته، فجلستُ مع ثلة من أصدقائه نذكر مآثر الرجل، وفجأة قفزت إلى ذاكرتي صورة الحوار الذي كان بيننا، وتصورته وهو يتمتم:

سيذكرني بعد الفراق أحبتي.

هل كان الرجل - ابن الثمانية والثمانين عامًا، الذي تعاورت عليه العلل - يحسّ أن هذا هو الفراق الأخير لدمشق، البلد الذي ولد فيه وعاش في رحابه؟ لستُ أدري.

لقي الرجل وجه ربه قرير العين؛ لأنه حقّق أمنيتين: أن يُدفَن في هذا البلد الأمين، وأن يُصلَّى عليه في الحرم المكي الشريف، وكانت رغبته أن تُشيَّع جنازته بتواضع من دون صخب أو ضجيج؛ لأنه بطبعه يكره الضجيج، ويحب العزلة والانفراد، يكره الاحتفال بمظاهر الحياة الزائفة، وينفر من بريق الحياة المبتدعة والمستوردة، كان صاحب ثوابت يحرص عليها، وقد تأخذه العزّة بالتشدد فيها. ورغبته في العزلة قادته إلى أن يعيش في الظل بعيدًا من أضواء المناصب، وقد شغل بعضها، ولكنه ظل يؤثر حياة الجندي المجهول، والراهب الذي يقبع في صومعته ليعيش مع علمه وفكره ومصنفاته؛ وشعاره: «وخير جليسٍ في الأنام كتاب».

بدأ تآليفه في ثلاثينيات هذا القرن، واستمر حتى وافته المنيّة. رحل وبين يديه مخطوطات أعمال أقعده المرض عن إتمامها، وكنتُ أشعر بالأسى عندما كان يقول لي: غدًا عندما يفارقني المرض سأكمل تحقيق هذا المخطوط، أو سأنهي الفصل الأخير من هذا



بدوي الجبل

الكتاب. ويحدثني عن مشروعات كثيرة تنتظر منه الإنجاز، فأستمع إليه وأردد في خلدي قول ابن هانئ الأندلسي:

إنّا، وفي آمال أنفسنا
طولٌ، وفي أعمارنا قِصَرُ
لنرى بأعيننا مصارعنا
لو كانت الألباب تعتبرُ

ولكنَّ أولي الفكر من الذين أدركتهم «حرفة الأدب» يشغلهم شاغلان: طول الأمل، وحبُّ العمل.

غير أنني سأحبس مشاعري الحزينة تجاه أستاذ أحببته، وعالم أعجبتُ بمنهجه وخُلُقه، علّمني من دروس الحياة الكثير على الرغم من صمته. وبَحَسْب القارئ أن يعرف شيئًا عن حياة الفقيد لا عن مشاعر أحبابه فقط، ولعل أبرز ما يُسجَّل له في حياته شيئان: التعليم والتأليف. أما التعليم فقد نذر نفسه له؛ إذ أنفق من عمره عشرين سنة في التعليم في وزارة المعارف من 1928- 1948م، ثم تلتها عشرون أخرى في التعليم الجامعي في دمشق من 1948- 1968م، ولما أحيل على التقاعد لم يقعد عن التعليم الجامعي، بل طوّف في الآفاق، فهو مُعلّم في ليبيا في جامعة بنغازي، وفي لبنان: في الجامعة اللبنانية، وفي جامعة بيروت العربية، ولبى رغبة الجامعة الأردنية، وزار طهران، وختم حياته التعليمية في جامعة الملك سعود في الرياض.

وأما نشاطاته الإدارية، فقد شغل منصب رئيس قسم اللغة العربية في كل من جامعة دمشق وجامعة قار يونس، كما انتُخب عميدًا لكلية الآداب في جامعة دمشق.

وأما نشاطاته العلمية؛ فقد كان عضوًا مؤازرًا في المجمع العلمي العراقي منذ عام 1960م، وعضوًا مراسلاً في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ عام 1970م، كما مثّل جامعة دمشق في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في دمشق 1961م، ومثّلها كذلك في حلقة تيسير النحو في القاهرة 1961م، ومثلها أيضا في المهرجان الدولي لابن حزم والشعر العربي في قرطبة الذي رعاه الجنرال فرانكو عام 1962م، وأشرف على بعض رسائل الماجستير والدكتوراه في دمشق وعمّان، ونشر بحوثًا جادة أصيلة في الكثير من المجلات المحكمة كمجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة، وصحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ومجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الليبية، ومجلة رابطة العالم الإسلامي في بغداد، ومجلة المؤتمر العالمي الأول لتاريخ بلاد الشام، ومجلة رسالة الخليج العربي في الرياض. أما أعماله التأليفية؛ فهي درة أعماله في حياته، عليها بنى سمعته وشهرته. وهو، وإن فاته الحصول على الألقاب العلمية التي كان زاهدًا فيها، فقد قدم أعمالاً تأليفية لا يتقن مثلها حملة تلك الألقاب العلمية، فقد كان منهجه فيها يقوم على اختيار الموضوعات المبتكرة، ويتعامل مع الموضوع المختار بدقة العالم وعمق الباحث، وتراوحت هذه الأعمال بين التأليف والتحقيق والتقديم والتعليق والنقد، كما تناولت موضوعات أكاديمية وموضوعات تعليمية تيسّر المعرفة اللغوية والنحوية لشداة العلم والمتدربين عليه، وقد يكون من المفيد أن نستعرض هذه التركة من الأعمال التي قدمها للقارئ - وقراؤه كثيرون - وعبارته في تواليفه سهلة غير كزّة مركزة تغري القارئ بالمطالعة في موضوعات قد لا تكون شيّقة، فمن تأليفه:

- في النحو واللغة:

كتاب «أصول النحو»، و«من تاريخ النحو»، و«الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب» للفارقي (ظهر أولاً بعنوان: توجيه أبيات ملغزة الإعراب ونُسب للرماني)، وكتاب «الإغراب في جدل الإعراب»، و«لُمع الأدلة» في أصول النحو، وهو من كتبه المحققة، ومن الكتب المؤلفة للطالب المتعجل في النحو كتاب «مذكرات في قواعد اللغة العربية»، و«منهج القواعدالعربية»، و«الموجز في قواعد اللغة العربية وشواهدها»، وألحق بهذه المؤلفات الكبيرة مؤلفات أصغر ككتابه «نظرات في اللغة عند ابن حزم»، وتقرير عن أضرار كتاب المنجد والمنجد الأبجدي، وكتاب «حاضر اللغة العربية في بلاد الشام».

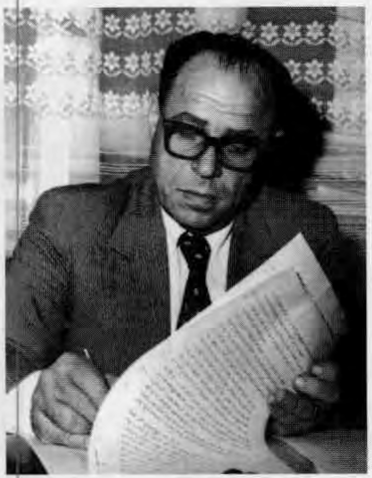
- في أعلام الإسلام:

ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة، وبدر الدين الزركشي وكتابه: الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، وأبو زرعة بن زنجلة وحجة القراءات. حققه وكتب حواشيه وطُبع أكثر من مرة. والذهبي صاحب سِيَر النبلاء، في الجزء الذي خصصه الذهبي لترجمة أُم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر، وكذلك في الجزء الآخر من سير النبلاء الذي خصصه الذهبي للإمام ابن حزم الأندلسي. واهتمامه بابن حزم جعله يحقق كتابه: إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل، كما خص السيدة عائشة بكتاب من خيرة الكتب عن حياة أم المؤمنين ومواقفها سمّاه: «عائشة والسياسة».

- في الموضوعات العامة:

ألف «أسواق العرب في الجاهلية والإسلام»، وهو باكورة مؤلفاته، يتسم بالشمول والإلمام. وكتاب «الإسلام والمرأة»، و«تاريخ داريا ومن نزل بها من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين»، وكتاب «صانعو التاريخ العربي» كتاب لفيليب حتي، هذا فضلاً عن مراجعته القيمة لكتاب «مغني اللبيب» لابن هشام الذي حققه د. مازن المبارك والأستاذ محمد علي حمدالله.

رحل هذا العالم عن الدنيا، وبرحيله انقطع عمله منها، ولم يبق له إلا «الثلاث» التي أشار إليها الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حديثه: الصدقة الجارية، والعلم الذي يُنتفع به، والولد الصالح الذي يدعو له. فرحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، وألهم «وحيدته» وأحبّاءه الصبر والعزاء.



كلمة وفاء
في رثاء الدكتور محمد مصطفى هدارة

شعر: د. عدنان علي رضا النحوي

حَنانَيْك! قَلْبي مِنْ أساه مُفَجَّعُ — وفي كلِّ يَومٍ صاحِبًا ليْ أودِّعُ
تَحارُ القَوافي من أسَاي وإنَّني — مع الذكر للرحمن أدعو وأخشعُ
أبا مصطفى! وَيْحي! رَحَلْتَ ولم يَزَل — صَدَى الذكريات الحانيات يُرَجَّعُ
وما زال في الميدان صَوْتُكَ هادرًا — ومازال فيه لهفةٌ وتَطلُّعُ
ومازالت الأصحابُ تَهْفُو لجَولَةٍ — يَضُمُّهمُ حُلْوُ البَيانِ ويَجْمَعُ
وما زال في الساحات طيفُكَ مُشْرِقًا — يُطل وحشدٌ بات يُصغي ويسمعُ
وما زالت الأصْداء تَرجعُ والشذا — يموجُ فَتَغْنَى منه دارٌ وأربُعُ
فَتَعْبق من حُسْن البَيان روائعٌ — كَأنَّ بها المِسْكَ الذي يَتَضَوَّعُ
فكم ندوةٍ تَحْنو لذكراكَ كُلّما — تنادَى إلَيْها الصالحون وأرْبَعُوا
وكم مِنْبَرٍ مازال يَهْتَزُّ، كُلّما — ألَمَّت به الذكرى يَهِيجُ ويُفْجَعُ

* * *

أبا مصطفى! لَهْفي عليكَ وحسرةٌ — تَرَدَّدُ في صَدْري وفي العَيْن مَدْمَعُ
تُذَكِّرني عهدَ الوفاء فَهَزّني — وعزمًا أبِيًّا باليقين فَأُفْجَعُ
أليفٌ على الخلاّن حُلْوُ شمائلٍ — تَلينُ على حقٍّ جليٍّ وتصدَعُ
وتقسو على من يَسْتجير بباطلٍ — إذا ما أبى هَدْيًا فتنأى وتقطعُ
قَويتَ على صِدْقٍ، فُطِرتَ على هدًى — غَنِيتَ بإيمانٍ يُعِزُّ ويَرفَعُ
وتَجْلُو بأخْلاق الرِّجال مَكارِمًا — معاليَ أخلاقٍ تروم وتجمَعُ
وتَعْلُو وأنت الحرُّ عَنْ كُلِّ ذِلّةٍ — ويَهبِط فيها كلُّ عَبْدٍ ويقبعُ

* * *

تركْتَ كُنوزًا لا يضِلُّ بها الفتى — فيَغْنَمُ مِنْ زادِ بها ويُمَتَّعُ
وتسعدُ آدابٌ ويغنى رجالُها — برأيك يُجْلَى في المتون ويَسْطعُ

وفي كلِّ دارٍ منْ جهادكَ جَولْةٌ … وفي كل نادٍ من بَهائك مَطْلَعُ
فهذي الرياض اليوم تسألُ والرُّبا … ويسأل فيها المهرجانُ ويفزعُ(*)
وهذي رُبا «لكنو» لقاؤك عندها … تحنُّ إلى ذكرى لقائك أضلُعُ
وفي المغرب الأقصى نوادٍ تفتّحت … إليْك وأكبادٌ تحنُّ وتولَعُ
وهذي رُبا مصر وأنت فتيُّها … وفارسُها ترنو إليك وتدمَعُ
فإنّك في دنيا المعارف جوهرٌ … وألماسَة كُبْرَى تشعُّ وتلمَعُ
ديارٌ تناءتْ أو دَنت ومنازلٌ … تَشُدُّ إليها الرَّحْل شدًا وتدفَعُ
فلا مَرَضٌ يُثنيك عنها ولا هوى … يَرُدُّك عن حقٍّ ولا أنت تَهْجَعُ
عَرفْتُك في هذي المنازل فارسًا … تجودُ وتوفي من نداك وتنفَعُ
وقلبُك فيّاضٌ وعزمك صادقٌ … وثغرُك بسّامٌ وكفُّك مُترَعُ
ففي كل يوم جولةٌ بعد جولةٍ … لها عَبَقٌ يُغني وجودٌ يوسَّعُ

* * *

ومَنْ تلك دنياه ممرًا لغايَة … أجلَّ وأسمى لا يَهُنْ منه مَنْزَعُ
إلى الله تشتَدُّ الخُطا ويَحُثُّها … إلى جنة الرحمن شوق ومطمَعُ
ومَنْ تَهُنِ الدنيا عليه تَهُنْ بها … صعابٌ وآلام عَلَيْه تَجمَّعُ
فما العمرُ إلا أن تُؤدّى رسالة … وتُوْفَى أماناتٌ تُرَدُّ وتودَعُ
فطوبى لمن أوفى مع الله عهده … ومن ضمّه في اللحد روضٌ يُوسَّعُ
كأنَّ نداه في الحياة له ندًى … وبردُ حياةٍ في الممات ومضجعُ

* * *

رحَلتَ وفي جنبيكَ أحزان أمّة … وفي الصدر حسرات لها وتوجّعُ
وفي كلّ دار، ويْحَ نفسي، فواجعٌ … زلازلُ ما زالت تهزّ وتقرَعُ
صبنا على الساحات شكوى تفجّعًا … فما كان يُجْدي في النّزال تفجُّعُ
من الحقِّ أن نبكي الرجال لأنّهم … حماةٌ إذا جَدَّ النزال ومفزَعُ
ولكنّما الأوطان تُرْثَى بأبحرٍ … من الدم دفّاقًا به النور يَطْلُعُ
إذا لم يَجُدْ بالروح لله جندُها … فأي سبيل دون ذلك ينفَعُ
توالت من الآفاق أهوال نكبَة … تمزّق من هذي الربا وتُقطِّعُ
تهزّ من الأركان أركان أمة … فيهوي بها ركنٌ وركنٌ يُضَعْضَعُ
تقطّعت الأرحام واشتدّ بينها … هوًى وفسادٌ في المرابع أقطعُ
كأنّ بني الإسلام والزحف مقبل … عليهم غفاة في الأسرّة هُجَّعُ
فما عاد يدري صاحب الدار ما به … ولا ما أصاب الجارَ حين يُروَّعُ
وفي كلّ كفٍّ خنجرٌ ومعاولٌ … يُدَقُّ بها ظهر القريب ويُصْدَعُ
إذا ضيّعَ الغافون دينًا وشرعة … فأنفسَهم يومَ القوارع ضيّعوا

الهوامش:

(*) مهرجان الجنادرية في الرياض. كان مدعوًا إليه فتوفي ـ رحمه الله ـ قبل بدء المهرجان بيومين. وقد بدأ المهرجان يوم الأربعاء 1417/10/26هـ الموافق 1997/3/5م.



الأمير الصنعاني يؤيد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

د. عبدالله أبو داهش

تدل المصادر التاريخية الموثقة على أن أخبار الدعوة السلفية: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في ظلال الدولة السعودية الأولى قد بلغت علماء اليمن وشعراءها منذ نحو سنة 1160هـ/1747م، ولعل الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (1099- 1182هـ) يأتي في مقدمة أولئك العلماء الشعراء الذين أيّدوا تلك الدعوة ونصروها.

يقول هذا العالم في مقدمة قصيدته الدالية المشهورة التي أنشأها في هذا الشأن نفسه:

«لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له: محمد بن عبدالوهاب، ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى، وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة 1163هـ/ 1749م، وأرسلناها من طريق مكة المشرفة»(1)، ومنها:

سلامي على نجدٍ ومَنْ حلّ في نجد
وإن كانَ تسليمي على البعد لا يُجدي
لقد صدرت من سَفْحِ صنعًا سقَى الحَيَا
رُبَاهـا وحيّاهـا بقهقهة الرَّعدِ
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت
«ألا يا صَبَا نجدٍ متى هجتِ من نجدِ»
يذكرني مسراكِ نجدًا وأهله
«لقد زادني مسراكِ وجدًا على وجدِ»
قفي واسألي عن عالم حلّ سوحها
به يهتدي من ضل عن منهج الرشْدِ
محمد الهادي لسنة أحمد
فياحبذا الهادي وياحبذا المُهدي
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه
يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهرًا ما طوى كل جاهل
ومبتدع منه فوافق ما عندي
ويعمرُ أركان الشريعة هادمًا
مشاهدَ ضَلَّ الناس فيها عن الرشدِ
ودونكها تحوي علومًا جليلة
منزهة عن وصف قَدٍّ وعن خدٍّ
فلا مدحتْ وصلاً لليلى وزينب
ولا هي ذَمَّتْ هجر سُعدَى ولا هندِ
إليك طوتْ عرضَ الفيافي وطولها
فكم جاوزت غورًا ونجدًا إلى نجدِ
أناخت بنجدٍ فاستراحت ركابُهَا
وراح خليًا من رحيل ومن شدٍّ
فأحسنْ قِرَاها بالقراءة ناظمًا
عليها جوابًا فهي من جملة الوفد(2).

ولقد بلغت أبياتها أربعة وسبعين بيتًا، قسمها ستة أقسام: المقدمة، وحديث عن تحريق الشيخ محمد بن عبدالوهاب لكتاب دلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي (870هـ)، وفصل في ذكر بدعة المذاهب، وآخر في الثناء على مَنْ تمسك بالأحاديث من السلف، وفصل في بدعة التصوف وطريقة ابن عربي، وآخر في اغتراب الدين.

ويحسن هذا الأديب العالم في استهلال قصيدته بالسلام، حيث سلّم عن بُعد مدركًا بعد المسافة، وقرب التقاء القلوب، هموم أفاض بها الصنعاني على سامعه، حتى إذا استقل بهذا الشعور، أثنى على ابن عبدالوهاب بما هو أهل له، فقال:

محمد الهادي لسنة أحمد
فياحبذا الهادي وياحبذا المهدي

والتفت من بعد نحو قضايا العالم الإسلامي وما يجري فيه، فانصرف نحو هموم الأمة الإسلامية، وآمالها، وما أصاب دينها، حيث اتكأ على تلك المعاني الدينية، مما صرفه نحو الأسلوب العلمي الجاد ذي الأفكار العميقة المتفاوتة، ولم

يلبث حتى عاد إليه الهاجس النفسي الذي انبعث من قبل في صدر قصيدته ليختم أبياته بشعور حزين، مؤدّاه هذا الواقع للأمة الإسلامية، وما أضحى عليه حالها، وودّ بلوغ قصيدته بلاد نجد، وأنْ تنال الحظوة والقبول.

ولأن مستوى الحياة الأدبية في نجد يميل إلى التواضع، وعدم اليقظة، فإن أحدًا من أدبائها وعلمائها لم يعرض لهذه القصيدة سوى صالح بن عبدالله الصائغ (1184هـ) الذي رأى فيها انتصارًا لهذه الدعوة، وقد كان عندئذ من المعارضين لها، إذ قال:

سلام من الرحمن أحلى من الشّهد
وأطيب عَرْفًا من شذا المسك والوردِ
إلى معشر الإخوان أهل محبتي
وأهل ودادي نِعم ذلك من ودٍّ
وبعدُ فقد جاءت إلينا رسالة
بها قَوْلُ زورٍ خارجٌ من لدن زيدي(3).

ولم يكن الصائغ وحده الذي نقم على ابن إسماعيل الأمير قصيدته، بل كان مثله مصطفى البولاقي، وابن غلبون، وجعفر البيتي (1110- 1182هـ) وغيرهم ممن عارضها. أما الأول فيقول:

بحمدِ ولي الحمد لا الذّمِّ أستبدى
وبالحقِّ لا بالخَلْقِ للحقِّ أستهدي(4).

وأما الثاني، فيقول أيضًا:

سلامي على أهل الإصابة والرشد
وليس على نجدٍ ومن حَلّ في نجدِ(5).

وأما الأخير فلقد قيل إن ديوانه المخطوط يتضمن قصيدة معارضة أُخرى، مما يدل على أثر هذه القصيدة الدالية للأمير الصنعاني في حركة الأدب العربي عندئذ، وأنّ هذه الدعوة قد أذكت هذه المشاعر، ودعت إلى يقظة أدبية حقيقية تصلح أن تكون مسوّغًا جادًا لبداية العصر الحديث.

الهوامش:

1-2- ديوانه 65.
3- البسام، «علماء نجد» 365/2.
4-5- أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، «رجوع الأمير الصنعاني عن مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب: في ميزان النقد» 48.

قصيدة

الثمن

شعر: محجوب محمد موسى

أنيلُكَ كلَّ الذي تشتهيه ... وتخفض جبهتَكَ العاليه؟
ولستُ أُريدُ انحناءً يدومُ ... فحسبيَ جزء من الثانيه
وعندك أثماريَ اليانعاتُ ... لأجلك يا سيدي دانيه
وَخُذْ من عناقي وخذ فوق هذا ... خلاصةُ قولي: أنا جاريه
فرحتُ أُجيلُ بها نظرات ... مجوّعةً.. للهوى صَاديه
وفي القلب شوقٌ وفي النفس توْقٌ ... وبي لهفةٌ نارُها حاميه
أكادُ أحُطُّ عليها كطيرٍ ... يَحُطُّ على أغصنٍ زاهيه
وقالتْ ليَ النفسُ إنَّ انحناءً ... سريعًا بلا مقلةٍ رانيه
سوى مقلتيها سيروي صَدَانا ... ويُمْتِعُنا المتعة الوافيه
وَعُدْ بَعْدَها رافعًا للجبين ... ولن تَجْرَحَ الجبهة الساميه
وقال ليَ القَلبُ: حقًا تقولُ ... لنا النفسُ فالصفقةُ الرابية
سَتُعطَى بأجرٍ زهيدٍ زهيدٍ ... فلا تُفلت الفرصة الغاليه
وقال لي العقلُ ذات الكلامِ ... وأومأت الفتنةُ الطاغيه
هَلُمَّ إليَّ.. إلى كلِّ شيءٍ ... تُريدُ وَهَيَّا أنا ظاميه
وكدتُ فجلجلَ في الأفقِ صوتٌ ... يزلزلُ بالقول أركانيه:
حذارِ فإنْ تَحْنِهِ مَرَّةً ... فلن يُرْفَعَنْ بعدَها ثانيه

دائرة المعارف

أدباء أطباء

2

إعداد:
خليل محمود الصمادي

ع

عدنان التكريتي

ولد في سورية، وتخرج طبيبًا في جامعة باريس عام 1953م، وتخصص في فيينا بعلم الجراثيم والطفيليات عام 1959م.

ترأس قسم الجرثوميات والطفيليات في كلية الطب بجامعة دمشق، وعيِّن وكيلاً لكلية الطب في الجامعة نفسها بين عامي 1973- 1976م، كما ترأس تحرير المجلة الطبية التي تصدرها نقابة أطباء سورية.

عضو مجلس أمناء المركز العربي للوثائق والمطبوعات في الكويت، وعضو مجلس إدارة الموسوعة العربية.

له عدد من المقالات والبحوث في الدوريات العربية، كما ترجم كتابَي «الإنسان» لجاك روستان و«الأمومة والبيولوجيا».

عصام محمد خوقير

ولد في مكة المكرمة عام 1346هـ - 1927م، ونال شهادة البكالوريوس في طب الأسنان وجراحتها من كلية طب القصر العيني بالقاهرة عام 1379هـ، ثم تابع دراسته العليا في لندن وحاز الشهادة العالية من معهد «إيستمان».

روائي ومسرحي، من أعماله: في الليل لما خلي: رواية مسرحية. الدوامة، السعد وعد: مسرحية، السنيورة: رواية، زوجتي وأنا: رواية، زغرودة بعد منتصف الليل: رواية، السكر المر: رواية قصيرة جدًا.

ف

فؤاد عيسى شطارة (1892- 1942م)

ولد في رام الله بفلسطين، وتلقى علومه الابتدائية والثانوية في القدس، ثم التحق بكلية الطب بالجامعة الأمريكية ببيروت وأمضى فيها سنتين، ثم فرّ عام 1916م إلى يافا إثر ملاحقته من قبل الاتحاديين، ومنها إلى أمريكا بحرًا وهناك أكمل دراسته الطبية في كولومبيا.

اختير عضواً في الجمعية الجراحية الأمريكية، وكان الشرقي الوحيد في هذه الجمعية، وقد شغل منصب أستاذ في عدد من الجامعات الأمريكية منذ عام 1925م، وأسس جمعية النهضة الفلسطينية هناك عام 1923م.

نظم بالإنجليزية عدة قصائد نشرتها مجلة العالم السوري، ونقل إلى العربية رواية «آيفانهو» لوالتر سكوت، كما كان خطيبًا بارعًا مفوهًا بالعربية والإنجليزية.

م

محمد أبو اليسر عابدين (1307- 1401هـ)

ولد في دمشق ونشأ فيها، وورث العلم الشرعي عن جده وأبيه الشيخ محمد أبي الخير عابدين الذي كان مفتي الشام، كما درس على عدد من المشايخ وهو صغير.

دخل كلية الطب البشري في الجامعة السورية (المعهد الطبي) وتخرج فيها عام 1926م طبيبًا، وفي أثناء دراسته في كلية الطب طلبت منه إدارة الجامعة تدريس مادة الشريعة لطلاب كلية الحقوق فقام بالمهمة على الوجه الأكمل.

عمل عميدًا لكلية الشريعة بدمشق، ورئيسًا لجمعية سوق ساروجة الخيرية، وعين مفتيًا عامًا لسورية عام 1945م وظل في هذا المنصب حتى أحيل إلى التقاعد عام 1963م،

وكان خلال هذه المدة مدرسًا للنحو والصرف وأصول الفقه في كلية الشريعة منذ افتتاحها عام 1955م.

أتقن الفرنسية والإنجليزية والتركية والفارسية، وكان إمامًا وخطيبًا لجامع الورد في حي سوق ساروجة بدمشق، وكان يقرأ الدروس العامة فيه والدروس الخاصة في بيته وذلك منذ وفاة أبيه عام 1925م.

شارك في الثورة السورية الكبرى ضد الاحتلال الفرنسي، وله مواقف نادرة من السياسيين أعظمها موقفه من بعض الزعماء عندما أرادوا منه الإفتاء بما يخالف الشرع فرفض وترك منصبه واعتزل في بيته.

من آثاره: أغاليط المؤرخين، رسالة في القراءة والقراءات، أصول الفقه ومختصره.

توفي - رحمه الله - بدمشق في 8 رجب 1401هـ بعد معاناة المرض لكن وعيه ظل كاملاً.

محمد إياد صلاح الدين العكاري

ولد في دمشق عام 1957م، وحاز شهادة طب الأسنان من جامعة دمشق عام 1979م.

شاعر نشر العديد من قصائده في الدوريات العربية، وشارك في العديد من الأمسيات الشعرية، وهو عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية. أصدر ديوان «صدى الأعماق» عام 1411هـ.

محمد حكمت وليد

ولد في مدينة اللاذقية عام 1944م، والتحق بكلية الطب جامعة دمشق، وتخرج فيها عام 1968م، ثم اختص بجراحة العيون في بريطانيا، وحاز زمالة كلية الجراحين الملكية الإيرلندية لطب وجراحات العيون عام 1980م، وقد عمل أستاذًا لطب العيون في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة حتى عام 1988م.

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وله عدة أنشطة في الأدب الإنجليزي، ويكتب الشعر بأنواعه، وقام بنشر العديد من قصائده في الدوريات العربية.

له ثلاثة دواوين: أشواق الغرباء، تراتيل للغد الآتي، حكايات أروى. كما أن له معجم أمراض وجراحة العيون بالاشتراك.

محمد صبحي أبو غنيمة

(1902- 1972م)

نشأ في الأردن في مدينة إربد، وبعد أن أنهى المرحلة الثانوية سافر إلى برلين ودرس في جامعتها وتخرج طبيبًا.

أتقن عدة لغات أوربية إلى جانب ضلوعه من اللغة العربية، وقد أصدر في برلين جريدة الميثاق ومجلة الحمامة عام 1924م. وعمل سفيرًا للأردن في سورية في أخريات حياته.

كان واسع الاطلاع، ونشر عدة مقالات في الصحافة العربية، كما ترجم لشعراء ألمان وفرنسيين. أصدر عدة كتب، منها: نظرة في أعماق الإنسان، الجهاز المجهول، أغاني الليل، مع الأيام.

محمد المخزنجي

ولد في مدينة المنصورة، ودرس الطب وتخصص بالأمراض النفسية والعصبية.

كتب أكثر من مئة قصة قصيرة جدًا تضمُّها خمس مجموعات، هي: رشق السكين، البستان، الموت يضحك، الآتي، سفر. تُرجمت قصصه إلى عدة لغات أجنبية، وقد تم تكريمه في اليوبيل الفضي لمعرض القاهرة الدولي للكتاب بوصفه صاحب أفضل مجموعة قصصية نشرت عام 1992م في مصر.

مصطفى محمود

ولد في شبين الكوم عام 1921م، ثم انتقلت أسرته إلى طنطا، حيث أتم دراسته الابتدائية والثانوية، بعدها انتقلت الأسرة إلى القاهرة، فدخل كلية الطب وتخرج فيها عام 1952م.

مارس هواية الكتابة وهو طالب في الثانوية، ونشرت له مجلة الرسالة المصرية مقالات منذ عام 1947م.

شارك في الكتابة الفكرية والفلسفية، وكتب العديد من القصص والروايات والمسرحيات، كما سجل عددًا من الأحاديث التلفازية بعنوان «العلم والإيمان» أذيعت من محطات كثيرة.

من مؤلفاته: حوار مع صديقي الملحد، الماركسية والإسلام، لماذا نهضت الماركسية؟، أكل عيش، عنبر7، شلة الأنس، الزلزال، العنكبوت، ورواية رجل تحت الصفر التي نالت جائزة الدولة التشجيعية لعام 1970م.

نجيب الكيلاني (1931- 1995م)

ولد في مصر، وشغف منذ صغره بسماع القصص والروايات في قريته وكانت هذه الوسيلة الوحيدة التي يقضي بها الفتيان أوقات فراغهم آنذاك.

بدأ حياته الأدبية شاعرًا، فأصدر مجموعة شعرية وهو في المرحلة الثانوية، ونُشرت له بعض القصائد في المجلات

الأدبية ومنها قصيدة عن فلسطين.

درس الطب في جامعة القاهرة، وكتب بعض الروايات وهو طالب في الجامعة، كما شارك في العمل السياسي، واضطُهد ودخل السجن. وقد عمل طبيبًا في دولة الإمارات العربية المتحدة مدة طويلة.

أول رواية فنية كتبها في سجن أسيوط اسمها «الطريق الطويل»، وقد تُرجمت إلى عدة لغات أجنبية، وبعد مدة قُررت على طلاب المرحلة الثانوية في مصر، وقد برع فيما سمي بأدب السجون.

من أوائل من نادى بمفهوم الأدب الإسلامي، وبذل جهدًا كبيرًا في تعزيز هذا المفهوم لدى الكتاب والمفكرين المسلمين، وترك عشرات الروايات والقصص التي عالجت مشكلات المسلمين في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، أهمها: ليالي تركستان، عذراء جاكرتا، عمالقة الشمال، الظل الأسود، دم لفطير صهيون، وغيرها. كما تُرجمت رواياته إلى عدة لغات أجنبية ولاقت اهتمامًا من قبل القُرّاء والنقاد.

ترك عدة كتب فكرية تبحث في أدب الأطفال والأدب الإسلامي والمذاهب الفنية والمجتمع وغيرها، وتجاوزت أعماله الخمسين عملاً ما بين رواية وقصة ومسرحية ودراسة، كما ترك ديواني شعر، هما: نحو العلا، وأغاني الغرباء.

نقولا فياض (1873- 1958م)

ولد في لبنان، والتحق بالجامعة الأمريكية ببيروت وتخرج طبيبًا، وتدرب في مشافي لندن، ثم استقر في مصر.

برع في الشعر والنثر والخطابة، ورأس نادي القلم، كما نشر مقالات عديدة في عدد من الدوريات العربية مثل الأهرام والمقتطف والجمهور.

و

وجيه البارودي (1906- 1996م)

ولد في مدينة حماة بسورية، وتخرج في الجامعة الأمريكية ببيروت طبيبًا عام 1932م، وقد مارس مهنة الطب في مسقط رأسه حتى قبيل وفاته بأيام.

أبدع في الشعر وتمكن من فن الغزل الذي اشتهر به، وأدى فريضة الحج عام 1415هـ وأتبعها بقصائد دينية.

له عدد من الدواوين الشعرية، منها: كذا أنا، بيني وبين الغواني، حب في السبعين.

وليد السباعي

ولد في مدينة حمص بسورية عام 1945م، ويحمل شهادة الدكتوراه في الطب ودبلوم الوخز بالإبر الصينية، وهو عضو الكونجرس العالمي لأطباء العلاج الفيزيائي.

يجيد الألمانية واليوغسلافية، وله عدد من الدراسات والبحوث الطبية والمقالات الأدبية نُشرت في الدوريات العربية والأجنبية، وله رواية من تأليفه، وأخرى مترجمة، كما أصدر كتاب «الغذاء والصحة».

وليد قمحاوي

ولد في نابلس بفلسطين في أوائل العشرينيات من هذا القرن، والتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج طبيبًا عام 1947م، ثم سافر إلى القاهرة للتخصص بالجراحة في كلية طب القصر العيني.

انتُخب نقيبًا لأطباء الأردن ثلاث دورات بين 1963م و1966م.

أصدر موسوعة كبرى أسماها «النكبة والبناء»، ونشر أول مقال له في مجلة «الغد» الفلسطينية عام 1936م، ثم تابع نشر كثير من المقالات في الدوريات العربية.

ي

يحيى الرخاوي

من مواليد مصر، ومتخصص بالطب النفسي، ويعمل أستاذًا للطب النفسي في جامعة القاهرة.

له مقالات عديدة في الأدب وعلم النفس والاجتماع. من مؤلفاته: عندما يتعرى الإنسان، سر اللعبة: ديوان شعر، المشي على الصراط: رواية من جزأين.

يوسف إدريس (1927- 1992م)

ولد بمصر، ودرس الطب في جامعة القاهرة، وعمل طبيبًا عامًا في وزارة الصحة وتنقل في فروع الوزارة.

ترك ممارسة الطب بعد انتهاء العدوان الثلاثي على مصر، إذ وجد طموحه في الكتابة، وكان قد بدأ بكتابة القصة في أوائل الخمسينيات، ونشر «قصة حب» عام 1951م التي لاقت إقبالاً من القُرّاء والنقّاد. ولقد تمكن من فن القصة وعُدَّ من روّادها في الأدب العربي.

من أشهر قصصه: بيت من لحم، أرخص ليالي، حادثة شرف، النداهة، العيب التي حازت جائزة الكتاب الذهبي لعام 1962م.

قصيدة

رسالة إلى حبيبتي

شعر: إبراهيم مفتاح

تسائلني.. هل مسّني الحب قبلها   وهل ذُقتُ يومًا في الأحبة مثلَها

وهل شفّني وجْدٌ تناثر في دمي   لهيبًا.. فأعيتني إجابة سؤْلها

أحبُّكِ ظبيًا في الفلاة ولفتةً   وسحر عيونٍ ينقش الليلُ كحلَها

أحبُّكِ صحوًا، واعتدالاً، وغيمةً   ولمحة برقٍ في العشيّات وشْلها

أحبُّكِ مجذافًا، وبحرًا، وساحلاً   وآهةَ شوقٍ أشعلت قلب خلِّها

بياض شراعٍ يلثم الموجُ خدَّه   وساعيةً في اليمّ تزهو بحملها

أحبُّكِ أصدافًا، وقِلعًا مسافرًا   ولؤلؤة لم تشهد العين مثلها

أحبُّكِ وِديانًا، وشِعبًا، ونخلةً   يجيء الضحى شوقًا إلى فيء ظلها

أحبُّكِ في ليل السهارى حكايةً   وسيرة تاريخ مضى لا أملّها

وحاضر أيامٍ يموج اخضرارها   تتيه على جيد الزمان بدلِّها

أحبُّكِ بدرًا في السماء ونجمةً   تُلوِّح للسارين في بحر ليلها

أحبُّكِ في الوادي أريج بشامةٍ   وطيب خزامى يرشف الظبي طَلّها

أحبُّكِ ريحانًا، وشيحًا، وكاذيًا   وعطر مساءٍ في ردائم(1) فُلّها

أحبُّكِ إنسانًا، وبيتًا، وشارعًا   وجلسة إخوانٍ تفيض بنُبلها

أحبُّكِ أمًّا درّهت(2) ساعة الضحى   وناجت حنانًا في المغيبة أهلها

عروسًا تذيب العين شوقًا وأدمعًا   وتحلم ساعات المقيل ببعلها

أحبُّكِ عصّابًا(3) ينادي رفيقه   فيصغي إلى تلك النداءات نخلها

أحبُّكِ بئرًا تلتقي حول مائها   متاعبُ أهل الحيّ من أجل غسلها

أحبُّكِ شايًا في الصباح وقهوةً   وفعل «نشامى» هزني نُبل فعلها

أحبُّكِ أشكوها إلى كل عاشقٍ   يعيش مدى الأيام صبًا مدلها

أحبُّكِ يا «أرضي» وما بي يذيبني   «ومن ذا الذي تُرضي سجاياهُ كُلُّها».

المعاني:

1- الردائم: جمع رديمة وهي شجرة الفل كما تُسَمّى في منطقة جازان.
2- درّهت: التدرية نوع من الألحان والغناء الشجي، تردده الزوجات والأمهات شوقًا إلى أحبابهن.
3- العصّاب: الذي يؤبر النخل.

الجنادرية 12:
عبق الماضي وثراء الحاضر
الحوار الثقافي قيمة حضارية تحييها الجنادرية

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ـ يحفظه الله ـ، رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، حفل افتتاح المهرجان الوطني الثاني عشر للتراث والثقافة (الجنادرية) الذي ينظمه الحرس الوطني كل عام، وذلك في السادس والعشرين من شهر شوال المنصرم.

حضر مهرجان هذا العام مجموعة من الضيوف البارزين، جاء في مقدمتهم ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز، وولي العهد القائد العام لقوة دفاع البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة، ورئيس أركان القوات المسلحة بدولة الإمارات العربية الفريق ركن طيار محمد بن زايد آل نهيان، والنقيب مهندس الساعدي معمر القذافي، فضلاً عن أصحاب السمو الملكي الأمراء والمعالي الوزراء وضيوف المهرجان من المفكرين والأدباء والمثقفين والنقاد العرب والغربيين.

وإضافة إلى سباق الهجن والفرق الشعبية المشاركة والأسواق الشعبية، التي تتجمع فيها أصالة الماضي وعبقه عبر ما تحويه من نماذج لحرف تقليدية اندثر كثير منها، أكدت الجنادرية في مهرجانها الحالي أنها أول مهرجان عربي يتمكن من تحقيق المعادلة الصعبة في الجمع بين أقطاب الثقافة العربية والغربية، وطرح القضايا الشائكة بحرية تامة، سواء من خلال الندوات الفكرية والمناقشات الساخنة، أو من خلال الأمسيات والمحاضرات المتنوعة التي التقت فيها مختلف المشارب والانتماءات، وإن جمع بين الجميع عشق الثقافة.

وكانت أولى الندوات التي تناولت إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب ندوة بعنوان «صورة الإسلام في الغرب وصورة الغرب في العالم الإسلامي»، قدم فيها بول فندلي عضو الكونجرس الأمريكي ورقة قال فيها: إن أكبر عوائق التفاهم والتعاون هو الجهل والتعصب الأعمى، وإن نصارى الولايات المتحدة الأمريكية يجهلون الإسلام، ولاسيما أن مؤيدي إسرائيل يقومون بتضخيم، وفي الغالب بتشويه الاختلافات بين الإسلام من ناحية والعقيدتين النصرانية واليهودية من ناحية أخرى. وأشار وزير الدولة للشؤون الخارجية في ألمانيا هيلموت شيفر إلى أن المسلمين في ألمانيا يمارسون حياتهم بشكل طبيعي، وهم جزء من المجتمع الألماني، ودلل على ذلك بوجود أكاديمية الملك فهد ومساجد ومؤسسات إسلامية أخرى في ألمانيا. أما الدكتور عبدالعزيز السويل فقد استعرض ملامح الصورتين النمطيتين: الصورة النمطية للعربي المسلم في الغرب والصورة النمطية للغربي عند المسلمين ، وقال: إن العربي المسلم كان دائمًا الضحية في شتى مراحل علاقته بالغرب. وحدد السويل الإعلام والتعليم والفكر الثقافي السائد عوامل لتكوين الصور النمطية للشعوب. وأكد مصطفى العقاد أن الإعلام أصبح أقوى الأسلحة، وأنه لا بد من الاستفادة من المحطات الفضائية وتسخيرها للتعريف بالإسلام والمسلمين. وقد أدار هذه الندوة د. عبدالرحمن الزامل.

وناقشت ندوة «نهاية التاريخ: مراجعة ونظرة إلى المستقبل» كتاب «نهاية التاريخ والرجل الأخير» لفرانسيسكو فوكوياما، وذكر المشاركون أن هذا الكتاب امتداد لكتاب «نشأة الحضارة وسقوطها» لبول كندي، ومقالة صموئيل هنتجتون «صدام الحضارات»، وقد قصدت جميعها إلى منح الشرعية للسياسة الأمريكية قبل تفكك الاتحاد السوفيتي. شارك في هذه الندوة كل من: د. أحمد مصلي و د. أبو بكر باقادر والأستاذ مطاع الصفدي و د. مسعود ضاهر و د. محمد وقيدي، وأدار الندوة الأستاذ عبدالرحمن السدحان.

أما ندوة «مستقبل الإنسانية: عالم واحد وحضارات متعددة»، فقد شارك فيها د. صالح المانع و د. علي حرب والأستاذ عبدالمجيد فريد، وأدارها د. عبدالمحسن العطاس. وتساءل المشاركون عما إذا كان العالم سيتوحد، ويضع حدًا لنزاعاته الدامية، بعد أن جمعته وسائل الاتصال وفَرَّقته أشياء أكبر.

وفي الليلة الرابعة للنشاط الثقافي تم تكريم الشاعر الأستاذ حسين عرب الحاصل على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الثالثة، ووصفه المشاركون في هذا التكريم بأنه رجل من رجالات

مستقبل التعليم العالي في ندوة علمية بالرياض

صدرت الموافقة السامية على تنظيم ندوة تناقش الرؤى المستقبلية للتعليم العالي في المملكة في القرن الحادي والعشرين الميلادي.

تقام الندوة خلال المدة من 4 إلى 7 جمادى الآخرة 1418هـ بالرياض، وترمي إلى تحليل المستجدات في مجال التعليم العالي، والتعرف إلى واقعه بإيجابياته وسلبياته، من خلال مناقشة أربعة محاور، يعالج أولها برامج التعليم العالي، ويتناول الثاني تعاون أعضاء هيئة التدريس مع القطاعات الأخرى، ويناقش الثالث استراتيجية قبول الطلاب في التعليم العالي، فيما يبحث المحور الرابع تنويع مصادر تمويل التعليم العالي وترشيد نفقاته.

الحركة الثقافية في شهر

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين : سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز يرعى حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية

إنشاء معهد لعلوم السياحة ، وبرامج ثقافية وفنية لتنشيط السياحة في عسير

سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز يضع حجر أساس مشروع . مركز الفيصلية . بمدينة الرياض

سمو الأمير خالد الفيصل وولي عهد بريطانيا يعلنان عن إنشاء منح دراسية مشتركة بين المملكة وبريطانيا

سمو الأمير تركي الفيصل يترأس اجتماع مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

المجمع العلمي المصري يستعد للاحتفال بمرور مئتي عام على إنشائه

وزراء الثقافة العرب يؤكدون في ختام مؤتمرهم العاشر في تونس : القدس عربية

الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية لعام 1417هـ .. حيواتهم ونشاطهم الفكري والعلمي

الحركة الثقافية في شهر



سمو ولي العهد بصحبة كبار ضيوف مهرجان الجنادرية وأصحاب السمو الأمراء

العلم والأدب، وشاعر ذو ثقافة واسعة ومتنوعة، وهؤلاء المشاركون هم: د. محمد عبده يماني ود. عبدالمحسن القحطاني والأستاذ عبدالله نور و د. محمد العيد الخطراوي و د. حسن الهويمل.

وفي ندوة «الأسس المعرفية والفلسفية للرؤيتين الإسلامية والليبرالية»، وجه الرئيس الأمريكي بيل كلينتون رسالة إلى المشاركين في الجنادرية، تلاها السفير الأمريكي في الرياض وايش فادلر، ومما جاء فيها: «إن الأمريكيين المسلمين يأخذون اليوم على عاتقهم مهمة تثقيف أبناء وطنهم الآخرين عن الإسلام وقيمه»، ونوه بأن ندوات مثل مهرجان الجنادرية الثقافي قادرة على الإسهام في إزالة الحواجز وإيجاد أرضيات مشتركة بين الشعوب، ولاسيما أن التفاعل بين الإسلام والغرب أسهم في إغناء المعرفة والحضارة الإنسانية في الماضي.

وتناول الأستاذ فريد «مقومات القيم الغربية والإسلامية وصلتها بالعلاقات الدولية»، بينما كانت ورقة د. محمد جابر الأنصاري عن «الافتراق غير المانع للاتفاق»، وتحدث د. مراد وهبة عن الأسس المعرفية الفلسفية بين الغرب والإسلام، وأشار إلى أن هناك حضارة إنسانية واحدة رفدتها ثقافات متباينة. وأكد د. علي المزروعي في كلمته أن الإسلام رادع للإنسان يوقفه عند حد لا يقدر أن يتعداه ويتعمق في الرذائل، بينما قال د. عبدالرحمن السنيدي إن الإسلام عاد يبرز ميزاته بصفة كلية متكاملة تمنع على الإذابة، لكنه يقبل الإفادة والاستفادة. وأدار هذه الندوة د. علي النملة.

وقد سبق هذه الندوة محاضرة بعنوان «الإسلام والتعدد الثقافي» ألقاها د. رضوان السيد، وعلق عليها د. نزار عبيد.

وتحدث د. عبدالعزيز الدخيل في ندوة «الاستراتيجيات الاقتصادية الغربية وعلاقتها بالعالم الإسلامي»؛ مشيرًا إلى أن القوة السياسية والعسكرية التي تتمتع بها الدول الغربية تؤدي دورًا كبيرًا في رسم الإطار لهذه الاستراتيجيات، وأكد د. شوقي الفنجري أن من ظواهر اليوم أن الأغنياء - دولاً كانوا أم أفرادًا - يزدادون غنى، بينما الفقراء - دولاً كانوا أم أفرادًا - يزدادون فقرًا، وذكر د. أحمد محمد علي أن أهم الاستراتيجيات الاقتصادية الغربية التي لها تأثيرها البالغ في العالم الإسلامي سيطرة الغرب على المنظمات العالمية والمؤثرات الدولية واستخدامها في تنفيذ سياساته وتحقيق مصالحه، وكان مدير هذه الندوة هو د. عبدالله القويز.

أما آخر الندوات، فكان عنوانها «الإسلام والديمقراطية»، وناقشت ورقة سمو الأمير د. تركي بن محمد بن سعود الكبير قضية حقوق الإنسان التي تشكل القضية المركزية التي يتمحور حولها الفكر الليبرالي، مؤكدًا أن ما هو متفق عليه عربيًا ليس بالضرورة أن يكون مجمعًا عليه عالميًا وإنسانيًا، وأشار إلى أن حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية مكفولة للجميع، لالتزامها العقيدة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية.

ونبه د. مايكل هدسون على تباين مفهوم الديمقراطية في الإسلام عن المفهوم الغربي، وذكر د. خورشيد أحمد أن الديمقراطية ليست مفهومًا أحاديًا، بل هو متعدد الآراء، ونظريًا لا يقبل أن يكون النموذج الغربي الديمقراطي هو النموذج المثالي الذي يجب تطبيقه في جميع الدول. وقد أدار هذه الندوة د. عبدالواحد الحميد.

وقد جاءت هذه الندوات التي تناولت إشكالية العلاقة بين الإسلام والغرب - كما وصفها صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبدالعزيز رئيس اللجنة العليا للمهرجان، نائب رئيس الحرس الوطني - امتدادًا لحوار عاشه علماؤنا الأقدمون.

وضمن فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة، وبالاشتراك مع جامعة الملك سعود والجمعية السعودية لعلوم العمران، نظمت وزارة الأشغال العامة والإسكان محاضرات تناولت «العمارة الإسلامية والتراث»، وقد قدم الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا محاضرة عنوانها «العمارة الإسلامية وأثرها في الحضارة الغربية»، مؤكدًا أن الفنون الإسلامية تتدرج من قوة إلى قوة. وقدم د. أحمد بن محمد السيف محاضرة عنوانها «المحافظة على التراث العمراني وسبل المحافظة عليه»، وتناول د. أسامة بن محمد الجوهري «استنباط الأحكام الشرعية وعلاقتها بالعمارة الإسلامية»، وتحدث د. العربي أبو عياد عن «العمران والبنيان عند المسلمين في المغرب الأقصى»، وناقش د. محمد عبدالرحمن الحصين «دور الوقف في تأسيس المدارس والأربطة والمحافظة عليها بالمدينة المنورة»، وجاءت محاضرة د. علي الشعيبي بعنوان «تأثير التراث في مستقبل العمران»، بينما تناول د. عبدالباقي إبراهيم موضوع «العمارة في الإسلام».

أما فعاليات النشاط الثقافي النسائي، فقد تناولت القضايا التالية: «التحديات التربوية والتعليمية»، «الأسرة والتحديات الإعلامية»، «التحديات الاجتماعية»، «الإبداع النسائي في المملكة»، «إشكالية التحديث في قصيدة الشعر الشعبي»، إضافة إلى أمسية شعرية.

ومن بين النشاطات الثرة المتنوعة يبرز أوبريت «لك يا وطن» الذي شد انتباه الزوار، إلى جانب أمسيات الشعر الشعبي، ومعارض الفنون التشكيلية، والعروض المسرحية، وعروض الفنون الشعبية ومعرض الكتاب.

وقد قام صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بتسليم ثلاثة من رواد الفكر والأدب والثقافة في المملكة العربية السعودية وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الثالثة الذي أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بمنحه لهم تقديرًا لما قاموا به من جهود فكرية أسهمت في التعريف بالإنجازات الثقافية والفكرية والحضارية المتعددة، وهم: علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر، والأديب الباحث محمد بن أحمد العقيلي والشاعر حسين عرب.

جائزة أبها الثقافية

تحددت نهاية شهر محرم 1418هـ المقبل موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات المرشحة لجائزة أبها الثقافية في مجالاتها المختلفة.

وكانت الأمانة العامة للجائزة قد أعلنت عن مجالات الجائزة التي جاءت على النحو التالي:

- في مجال الإنتاج الأدبي: المجموعات الشعرية، المجموعات القصصية، الرواية، النصوص المسرحية، بواقع جائزة لكل فرع.
- الشعر الشعبي والفنون: المجموعات الشعرية الشعبية (جائزة واحدة). الفن التشكيلي بواقع 3 لوحات على الأقل لا تزيد مساحة كل منها على 80×120سم مؤطرة (ثلاث جوائز). التصوير الضوئي (الفوتوغرافي) خمس صور أصلية قابلة للعرض لاتزيد مساحة كل منها على 60×80 سم، ويستحسن إرفاق المواصفات الفنية للقطعة وشريحة الفيلم (ثلاث جوائز).
- البحوث والدراسات: الدراسات الأدبية والإنسانية: ويخصص هذا العام للدراسات الاجتماعية حول «التنمية في

سمو النائب الثاني
يرعى حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية



سمو النائب الثاني يرعى حفل تسليم جائزة الملك فيصل العالمية، وبجواره سمو الأمير خالد الفيصل.

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام مساء يوم 13ذي القعدة الماضي حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية لهذا العام 1417هـ.

وقد ألقى صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية كلمة أشاد فيها بالدور الرائد لسمو النائب الثاني، جاء فيها: «أصحاب السمو الملكي الأمراء والوزراء سلطان بن عبدالعزيز.. اسمحوا لي يا سيدي أن أخاطبكم بصيغة الجمع، فلقد برهنت أعمالكم بأنكم رجال في رجل، اجتمعت لكم المزايا، وتعددت فيكم المواهب..

في القيادة والريادة تجليتم.. وبمكارم الأخلاق تحليتم.. وعلى القلوب بالحب توليتم.. فهنيئًا لكم هذه المكانة التي تبوأتموها عن جدارة واقتدار».

ثم هنأ سمو الأمير خالد الفيصل الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية بفوزهم بهذه الجائزة وهذا التكريم «لقاء ما قدموه للإنسانية والبشرية من خدمات جليلة». كما قدم سموه الشكر لرجال الفكر والعلم الذين حضروا الحفل.

وقام الدكتور عبدالله الصالح العثيمين الأمين العام للجائزة بتقديم الفائزين بالجائزة في عامها التاسع عشر في مجالات خدمة الإسلام والدراسات الإسلامية والطب والعلوم.

وقد فاز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام دولة داتوء سرِي الدكتور محاضِر بن محمد رئيس وزراء ماليزيا الذي رشحته الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وقد مُنح الجائزة لجهوده العظيمة التي من أبرزها: تقديمه المثل الحي لقيادة إسلامية تؤكد القيم الجوهرية للإسلام فكرًا وعملاً، مع استخدام وسائل النهضة المعاصرة استخدامًا جعل بلاده في طليعة الدول التي تشهد تقدمًا تقنيًا واقتصاديًا رائعًا، واتباعه سياسة حكيمة أظهرت سماحة الإسلام وعظمة نظرته الشمولية، وعمَّقت أواصر الألفة بين المسلمين من شعبه والفئات غير المسلمة منه، وإنشاؤه مؤسسات حضارية مهمة كالجامعة الإسلامية الدولية، والبنك الإسلامي، ومركز فهم الإسلام، ومؤسسة التنمية الاقتصادية الإسلامية، وبذله الجهود في إطار المنظمات الإسلامية لـلتوثيق بين المسلمين، ومساندته للأقليات الإسلامية، وخاصة في جنوب شرقي آسيا لتنال حقوقها المشروعة في المساواة والعيش الكريم.

ونال الأستاذ الدكتور عبدالكريم زيدان بيج - العراقي الجنسية - جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية وموضوعها «الدراسات التي تناولت مكانة المرأة في الإسلام»، وذلك لجهده العلمي في كتابه الموسوعي «المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم» المؤلف من أحد عشر جزءاً، رجع فيه إلى كتب السنة الأصيلة ومصادر الفقه والمراجع المعتمدة، وأبرز فيه مكانة المرأة من خلال الأحكام الفقهية.

وقد رشحته للجائزة أكثر من جهة، هي جامعة الملك سعود، وجامعة الملك عبدالعزيز، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى، والندوة العالمية للشباب الإسلامي.

أما جائزة الملك فيصل العالمية للطب، وموضوعها «أمراض ضمور الجهاز العصبي» فكانت من نصيب كل من: الدكتور كولن لويس ماسترز - الأسترالي الجنسية -، والدكتور كونراد باي رويثر - الألماني الجنسية -، والدكتور جيمس فرانسيس قوسلا - الكندي الجنسية -، وذلك لاكتشافاتهم التي أغنت المعرفة بموضوع الجائزة، وساعدت في إيجاد الأدوية للأمراض المتصلة بهذا الموضوع.

وقد رشحت د. كولن جامعة موناش الأسترالية، ورشحت الجامعة نفسها، إضافة إلى مؤسسة البحوث في ألمانيا، د. كونراد، أما د. جيمس فقد رشحه مستشفى ماساشوستس العام في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن مسوغات منح الجائزة للعالمين ماسترز ورويثر اكتشافهما المادة المسببة لمرض الخرف

منطقة عسير في ضوء الخطط الخمسية الماضية» بحيث لا يقل البحث عن مئة وخمسين صفحة، والدراسات العلمية والتطبيقية: وتخصص هذا العام للدراسات البيئية حول «السياحة بمنطقة عسير.. إنجاز وطموحات» ولا يقل البحث عن مئة وخمسين صفحة (خصصت جائزة لكل فرع).

الإعداد للمؤتمر الثاني للأدباء السعوديين

تقوم - حاليًا - لجنة مشكَّلة بقرار من مدير جامعة أم القرى بالإعداد للمؤتمر الثاني للأدباء السعوديين.

وتعكف اللجنة التي يترأسها د. محمد بن مريسي الحارثي على وضع خطة متكاملة للمؤتمر تشمل الموضوعات والمحاور المتعلقة بالأدب السعودي والأدباء، والمحور الرئيس لأعمال المؤتمر الفكرية.

وفاة العقيلان

توفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ أحمد فرح عقيلان عن عمر ناهز 73 عامًا.

والشيخ العقيلان من مواليد قرية الفالوجا في فلسطين عام 1924م، وتخرج في كلية القدس العربية عام 1942م، وعمل بالتدريس في مدارس فلسطين حتى قدم إلى المملكة العربية السعودية عام 1957م وعمل في مدارسها ومعاهدها، ثم حصل على الجنسية السعودية، وعمل مستشاراً ثقافيًا في الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وهو شاعر له ديوانان مطبوعان هما: «الجرح والإباء» و«رسالة إلى ليلى». وقد أثار كتابه «جناية الشعر الحر» الذي صدر عام 1982م عن نادي أبها الثقافي الأدبي عاصفة عاتية روَّج لها دعاة الحداثة والتغريب الذين هاجموا الشيخ بعنف، وإن لم يتمكن أي منهم من الرد المنطقي على ما جاء في كتابه من حقائق.

معرض تشكيلي جماعي بالمدينة المنورة

شارك أكثر من ستين فنانًا وفنانة في المعرض الثامن للفنون التشكيلية الذي نظمه فرع جمعية الثقافة والفنون بالمدينة المنورة، وافتتحه أمين المدينة المنورة المهندس عبدالعزيز الحصين.

ضم المعرض قرابة 74 عملاً تشكيليًا قدمها المشاركون الذين كان معظمهم من الهواة، فجاء المعرض فرصة للتعريف بهم وبنتاجهم.

كتب جديدة

منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة العامريين وأثرها في الشعر الجاهلي، تأليف د. أحمد

«الزهايمر» الذي يودي بحياة كثيرين في العالم.

أما الدكتور قوسلا فـمُنح الجائزة لاكتشافه مورِّث مرض هنتجتّن الذي يصيب الجهاز العصبي ويسبب حركات غير إرادية للإنسان المريض.

وحصل على جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم وموضـوعها «الفيزياء»، كل من الدكـتور كارل وايمان والدكتور إريك كورنل، وهما من الولايات المتحدة الأمريكية، ويعملان في جامعة كولورادو الأمريكية، التي رشحتهما للجائزة.

ومُنحا الجائزة لنجاحهما في بلوغ هدف يسعى إليه العلماء منذ سبعين عامًا بعد أن تنبأ بوجوده العالمان بوز وأينشتين اللذان قالا إن للمادة حالة جديدة لم تسبق مشاهدتها، هي حالة التكاثف التي تحدث إذا انخفضت درجة حرارتها تحت مستوى معين.

وقد اكتشف الفائزان بالجائزة ذلك، واستطاعـا تبريد المادة إلى أقصى درجة عرفها الإنسان، والتي تقارب جزءًا من البليـون من الدرجة المئوية، وفتح هذا الاكتشـاف العلمي مجالاً رائدًا في علم الفيزياء.

وقدم الأمين العـام للجائزة الشكر لصـاحب السمـو الملكي الأميـر سلطان بن عبـدالعزيز الذي ناب عن خادم الحرمين الشريفين في رعاية الاحتـفال وتسليم الفائزين جـوائزهم، وكذلك شكر كل الذين تعاونوا في عمليات الترشيح والتحكيم والاختيار، مقدمًا التهنئة للفائزين.

وألقى كل فائز بالجائزة كلمة مقتضبة، فالدكتور محاضر بن محمد رئيس وزراء ماليزيا قال: إن «الجائزة تمثل ـ أيضـا ـ تقديرًا عظيمًا لماليزيا وأهلهـا، المسلمين منهم وغيـر المسلمين، فلولا تسامـحهم واحتـرام بعضهم بعضًـا لما كان لبلادنا ـ بما فـيها من تعـدد الديانات والأعراق ـ أن تبلغ ما بلغـته من استقرار سياسي ورخاء».

وذكر أن الإسلام انتشر في ماليزيا منذ 900 عام، من غير أن يُرغم أحد من أهلها على اعتناقه، لما ألفوا في التـجار المسلمين من غـزارة العلم وسمـاحة الطباع، وكـانوا يمارسون التـعاليم الإسلاميـة الحقـيقـية مـن خلال أداء الفـرائض، ومن خلال تأكـيدهم أن الإسـلام هو دين الحق لأنه نظام حـياة متكامل.

وأكد د. محاضر «أن الاستـقرار السياسـي والحكم الرشيد ومواكبـة التقـدم العلمي والتقني، وتحقـيق الثروة المادية، والارتقاء بمسـتوى الحيـاة، كلها في رأينا جزء لا يتـجزأ من العمل نحـو تقوية الأمة الإسلامية حتى نكون قادرين على الدفاع عن ديننا وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

وأوضح الدكـتور عبـدالكريم زيدان أهميـة قضيـة المرأة في هذا العصـر، التي راحت كل دولة تعالجهـا في ضوء ما تراه من أفكار ومبـادئ تؤمن بها ولا تحيـد عنها. ونبه على خطورة ما تـتعرض له المرأة المسلمة من دعـوات مغرضة لإخراجها من ضوابط الدين وحدود أحكامـه ومقتضيـات أخلاقه تقليدًا للمرأة في بلاد الغرب.

وعبّر الدكـتور كولن ماسـترز عن سعادته لتخـصيص جائزة الملك فيصل العـالمية للطب في هذا العام لأمراض «ضمور الجهاز العصبي»، مما يبرز أهمية هذه الأمراض التي تصيب جميع الناس بدرجة أو أخرى نتيجة التـداخلات بين مخـتلف العوامل الوراثية والبيئيـة، وأوضح د. كولن أن التغيرات المؤدية إلى ضـمور الجهـاز العصـبي تبدأ قـبل مدة طويلة، ودون أن يشـعر المريض أن خللاً مـا قد حدث، وأبدى تفاؤله بإمكان التوصل إلى طريقة فعّاله لعلاج مرض الزهايمر والوقاية منه.

من ناحيـته أكد الدكـتور كونراد أن الجائزة التي نالهـا هي تقدير لجهـد جماعي شارك فـيه الفريق البحثي العـامل معه في هايدلبرج، إلى جانب د. ماسترز وفـريقه في ملبورن. وأشار إلى أن أكثـر من 1٪ من الألمان يعـانون من مرض الزهـايمر، وهذه النسبـة تعني أن عـدد المرضى يتجـاوز مليونًا في ألمانيا وحدها، ويتزايد هذا العدد عامًا بعد عام.

وعبر د. كـونراد عن امتنانه لاهتمام مؤسـسة الملك فيصل الخيـرية بهذا النوع من الأمراض، لأن الجائزة شـدت أنظار السياسيين والعلمـاء والناس العاديين إلى خطورة مرض الزهايمر، مـؤكدًا أنه تلقى خطابات عديدة من عدد من المسؤولين بهذا الشأن.

أما الدكـتور جيمس قوسـلا فقد ذكر أنه بدأ الاهتمـام بمرض هنتجتّن منذ وقت مـبكر، فهو مـرض غريب حـقًا، يؤثر في قـدرة الإنسـان على الحركـة، ويصيب الـناس من مخـتلف الأجناس والأعراق.

وقد استطاع بعـد عشـر سنوات من البحث التعرف بدقـة إلى المورِّثة المسؤولة عـن مرض هنتجتّن. وقد عـبر عن أمله الكبير في أن تكون الخطوة التاليـة إيجاد وسائل علاجية فـعالة تساعد على تخفـيف آلام المرضى الذين يعانون مـا يعانونه بسـبب ما ورثوه عن أسلافـهم، مقـدمًا شكره لمؤسسـة الملك فيـصل الخيـرية وللأسر التي تطوع أفـرادها من المصابين بمرض هنتـجتّن حـتى يقوم بتجاربه في هذا المجال.

وألقى الدكتور كارل وايمان كلمـة أوضح فيها الجهد الذي استغرقـه اكتشاف «متكثف بوز وأينشتين»، الذي دام أكثر من سبع سنوات.

وأعرب الدكـتور كورنـل عن أمله في أن تثمر جـهودهم وأن تحقق نفعًا ملمـوسًا للبشرية، واسـتدرك قائلاً: «الطريق أمامنا مـا يزال طويلاً ويستحـيل علينا في الوقت الحاضر التنبـؤ بالفوائد العلمية المرجوة من هذا العـمل»، وقدم في نهاية كلمته الشكر لما لقيـه من حفاوة وتكريم في مدينة الرياض.

هذا، وقد تقرر أن تـكون موضوعات الجائزة للعام القادم (1418هـ/ 1998م) على النحو التـالي: في الدراسـات الإسلاميـة: «الدراسات التي تناولت المكتبات أو صناعـة الكتـاب عند المسلمين». فـي الأدب العـربي: «السـيـرة الذاتيـة عند الأدباء العـرب المعـاصـرين». في الطب: «التحكم في الأمراض المعدية». في العلوم: «الرياضيات».

بن عبدالله الزايدي.

موقف ابن هشام الأنصاري من الجوهري، تأليف د. محسن بن سالم العميري.

صدر الكتـابان السابقـان عن معـهد البـحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة.

المعـاهدات الدوليـة في فـقه الإمـام مـحمـد بن الحـسن الشيباني.. دراسـة فقهيـة مقـارنة»، تأليف عثـمان بن جمـعة ضميـرية، صدر ضـمن سلسلة «دعوة الحق» عن رابـطة العالم الإسلامي.

تأثيـر ألـف ليلة وليـلة في جـوته، تأليف د. عـدنان الرشيد، صدر عن دار اليمامة.

حوليـات سوق حباشـة، تأليف د. عبـدالله أبو داهش، صدر عن مطبوعات نادي أبها الأدبي.

الإمارات

مهرجان لثقافة الطفل
وجوائز الشارقة للطفولة

أقيمت في الشارقة ـ مؤخرًا ـ الدورة الثالثة عشرة لمهرجان ثقافة الطفل بمشاركة وفود من دول عربية مختلفة.

وتميزت دورة هذا العـام بالتركيز على إصـدار العديد من المطبوعـات، منها ثلاثة كـتب ونشرة تواكب المهـرجان، كـما أقيمت ندوة بعنوان «الطفل والإعلان».

وأُعلنت أسماء الفائزين في مسابقـة جائزة الشارقة لخدمة الطفـولة، حيث فـاز بجـائزة الريادة في خـدمـة الطفـولة على مستوى المؤسسات الحكومية كل من المجلس العـربي للطفولة والتنمية ووزارة الشباب والطفولة بالجـمهورية التونسية، ومجلة «ماجد» التـي تصدر عن مؤسسة الاتحـاد للصحافة والـطباعة والنشر بالإمارات.

ونال جـائزة التـميُّز في خـدمـة الطفـولة العـربيـة على مسـتوى المؤسسـات كل من: مؤسسـة نور الحسين بالأردن، ومركز التدخل المبكر بالشارقة.

ونال الجائـزة على مستوى الأفراد: عـوض حاج حـامد مـحمـد (السودان) وعـبـد الرحمن أحـمـد مظهر (اليـمن)، وشيخة علي عبدالله مصبح (الإمارات).

ونال جـائزة الوفاء للخـدمة المميزة في مـجال الطفـولة العربية الراحل د. علاءالدين أحمد حمروش.

وحُجبت جائزة الشارقة للطفولة العربية في مجال إبداع الأطفال لعـدم وجود ترشيـحات تتطابق مع الشـروط، وعدم توافر النماذج التي يمكن بموجبها للَّجنة أن تختار.

يرعى احتفالاتها سمو النائب الثاني:

معهد لعلوم السياحة وبرامج ثقافية وفنية لتنشيط السياحة في عسير



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز

يرعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام الاحتفال ببدء انطلاق المشروعات السياحية التي تم تنفيذها في منطقة عسير، وذلك عقب عيد الأضحى المبارك.

أعلن ذلك صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير رئيس اللجنة العليا للبرنامج الوطني للسياحة في لقاء إعلامي كبير عُقد في أبها في أوائل الشهر الماضي.

وأشاد سموه بتوجيهات القيادة الحكيمة وتأمينها البنية الأساسية للتنمية، وكذلك بدور القطاع الخاص في تنفيذ المشروعات السياحية التي كانت تمثل مغامرة في بداياتها؛ كما أعلن سموه عن إنشاء معهد لعلوم السياحة التطبيقية لإعداد الشباب في مجال السياحة والخدمات الفندقية الذي سيبدأ نشاطه هذا العام.

وأكد سمو الأمير خالد أن السياحة أصبحت ذات مردود اقتصادي ليس لرجال الأعمال فحسب، وإنما للوطن بوجه عام، وأن هناك دولاً كثيرة يقوم اقتصادها على السياحة. ونوه سموه بالمقومات السياحية لمنطقة عسير؛ مبينًا أن من بينها كثيرًا من البرامج الثقافية والفنية والعروض الشعبية والمعارض التشكيلية التي تعكس تراث المنطقة، إلى جانب خصوصية معمارها الذي يهتم به الدارسون والباحثون.

وعن الاهتمام بالإعلام، قال سمو الأمير خالد الفيصل:

إن هناك استعدادًا لإصدار صحيفة يومية متى ما صدر الترخيص لها، ولاسيما أنه قد تم تأسيس مؤسسة للقيام بإصدار هذه الصحيفة، وجُمع رأس المال وجُهِّزت الإمكانات الفنية والبشرية منذ ما يقارب سبعة عشر عامًا، وأبدى سموه أمله في تجاوب وزارة الإعلام حتى تصدر هذه الصحيفة، كما أشاد بدور محطة تلفاز أبها التي تقوم بتقديم العديد من البرامج الناجحة.

وأشار سموه إلى وجود متنزه وطني يُعنى بالحفاظ على البيئة، تم إنشاؤه في عهد الملك فيصل - يرحمه الله -، وأن هناك حملة بيئية تشارك فيها الدوائر الحكومية والمدارس والقطاع الخاص وكل أبناء المنطقة سيتم تنفيذها، وستشمل كل مدن عسير وقراها.

العلوم التطبيقية الأكثر قراءة والنساء أقل إقبالاً

أوضحت إحصائية صدرت عن المجمع الثقافي في أبو ظبي أن العلوم التطبيقية باللغات الأجنبية تحتل المركز الأول بين قراءات مرتادي دار الكتب الوطنية مقابل 15٪ للعلوم التطبيقية باللغة العربية.

وجاءت نسبة قراءة الآداب باللغة العربية 11٪ مقابل 8٪ باللغات الأجنبية، والتاريخ 12٪ باللغة العربية مقابل 10٪ باللغات الأجنبية.

وشكّل الموظفون ما نسبته 66٪ من إجمالي المترددين على المكتبة مقابل 24٪ للطلاب و10٪ لفئات أخرى، وأظهرت الإحصائية قلة إقبال المرأة على ارتياد المكتبة حيث لم تشكل النساء سوى ما نسبته 15٪ من إجمالي عدد المترددين خلال مدة الإحصاء وهي عام 1996م.

دورة حول صناعة المخطوطات العربية والإسلامية

يُعدّ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) وجامعة الإمارات، لتنظيم دورة تدريبية بمقر المركز حول «صناعة المخطوط العربي الإسلامي» خلال المدة من 26 ذي الحجة الجاري إلى 8 محرم 1418هـ (3- 15مايو 1997م).

محاضرات وندوات

«منهج المحدِّثين وأثره في توثيق السيرة النبوية»، عنوان محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، د. أكرم ضياء العمري.

«الشعر العربي تراث متصل»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي في بريدة د. طه عمران وادي.

«العلاقة بين اللغة المنطوقة والمكتوبة في الفصحى»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بمكة المكرمة د. سليمان العايد.

«الآثار في شمال غرب المملكة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي تبوك الأدبي د. عبدالله آدم نصيف.

«الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين»، عنوان محاضرة ألقاها في منتدى شومان بعمان في الأردن د. هشام نشابة.

«التلازم بين العقيدة والشريعة»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع الإمام تركي بن عبدالله في الرياض الشيخ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ.

«إعادة نظر في التاريخ الاقتصادي للمجتمعات الإسلامية في عالم البحر المتوسط»، عنوان ندوة نظمها قسم الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، شارك فيها عدد من المتخصصين.

«السلطان عبدالحميد الثاني وكيفية تعامله مع الشرق»، موضوع محاضرة ألقاها في دار الآثار الإسلامية بالكويت د. فيليب مانسل.

«مواقف في النزاع»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد الدراسات الأسيوية والإفريقية في لندن د. ديريك هوبوود.

«حقيقة الربا وأحكامه والترهيب منه»، عنوان ندوة أقيمت في جامع الإمام تركي بن عبدالله في الرياض، شارك فيها عدد من المشايخ وعلق عليها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

«وقائع مهمة في شرق الجزيرة العربية: البحرين قديمًا في العصر الجاهلي»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية د. عبدالرحمن الفريح.

«أمراض العيون الشائعة وطرق الوقاية منها»، عنوان ندوة أقيمت في مديرية الشؤون الصحية في بيشة، شارك فيها عدد من أطباء العيون.

تتناول الدورة - التي تعد الأولى من نوعها بالنسبة للمركز - مجموعة المسائل العملية والنظرية المتعلقة بآفاق تطوير المهارات الفردية المستعملة في فن صناعة المخطوط، وآخر ما وصلت إليه الوسائل الحديثة في هذا المجال.

يشارك في الدورة متدربون من العاملين في مجال المخطوطات من بلدان عربية وإسلامية مختلفة.

البحرين

المعرض السنوي للفن التشكيلي

اختُتم - مؤخراً - معرض البحرين السنوي الخامس والعشرون، الذي شارك فيه 44 فنانًا وفنانة قدموا تسعين عملاً إبداعيًا.

وحالت مشاركة الفنان راشد بن خليفة في لجنة التحكيم دون فوزه بالجائزة الأولى، التي كانت من نصيب الفنان عبدالرحيم شريف (للمرة الثانية) للوحاته المعبرة عن التجريد الأمريكي (التعبيري)، وفاز بالجوائز الأخرى الفنانون: عبدالكريم البوسطة، وإبراهيم بو سعد، وعبدالجبار الغضبان، وخليل الهاشمي، كما كُرِّم الفنان ناصر اليوسف بجائزة خاصة.

سلطنة عمان

مهرجان مسقط الشعري

اختتم مهرجان مسقط الثاني للشعر العربي أعماله - مؤخراً - بمشاركة شعراء من أقطار عربية مختلفة.

وشهد المهرجان حادثة مؤسفة حين انسحب الناقد المصري د. صلاح فضل ومجموعة من الشعراء العرب من إحدى الأمسيات احتجاجًا على تطاول شاعر جزائري بالهجوم على الأديب المصري نجيب محفوظ.

قطر

وفاة الشيخ عبدالله بن زيد

توفي إلى رحمة الله سماحة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود، رئيس المحاكم الشرعية في قطر، الذي وافاه الأجل عن عمر ناهز تسعين عامًا في نهاية شهر رمضان المبارك.

تميز منهج الراحل في فقهه ووجهته بخمس خصائص تمثلت في تحرره من التقليد، ونزعته الواقعية، ونزعته التجديدية، وميله إلى التيسير، وشجاعته الأدبية، وتبدت هذه الخصائص جليه في خطبه ومقالاته ومؤلفاته التي بلغ عددها قرابة الخمسين مؤلفًا في موضوعات مختلفة.

ويعد الفقيد مؤسس القضاء الشرعي في قطر، بما وضعه له من نظم وأحكام يسير على هديها، كما أنه مؤسس دائرة الأوقاف والتركات عام 1380هـ.

من الكتب الجديدة

إشكالية الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة، تأليف د. محمد عبدالرحيم كافود، صدر عن دار قطري بن الفجاءة بالدوحة.

مصر

ندوة توظيف «الكرتون» في خدمة ثقافة الطفل

نظم المجلس العربي للطفولة والتنمية ندوة بالقاهرة حول «توظيف الشخصية الكرتونية للطفل العربي واستثمارها في أعمال التحريك» بمشاركة عدد من الإعلاميين والمهتمين بفنون الطفل وثقافته.

ألقيت في بداية الندوة كلمة لرئيس المجلس صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز أبرزت حرص المجلس على الإسهام في الارتقاء بثقافة الطفل العربي وتخصيص جوائز لهذا الغرض.

وتناولت الندوة الاحتياجات الضرورية لإنتاج أفلام «الكرتون» من حيث الطاقم الإبداعي والفني، وأهمية إيجاد الطاقات الإبداعية القادرة على مخاطبة الطفل، وكيفية توظيف الشخصية الكرتونية العربية في التنشئة الاجتماعية للأطفال.

دوار العمدة ملتقى ثقافي

في خطوة لتثقيف الريف، قرر وزير الثقافة فاروق حسني إعادة دوار العمدة في القرى المصرية إلى الحياة مرة أخرى، ليس مركز سلطة وإنما ملتقى لحماية ثقافة الريف.

الوزارة اختارت قرية سيدي غازي في محافظة كفر الشيخ لتكون أول قرية تطبق عليها التجربة تمهيداً لتعميمها في القرى الأخرى متى ثبت نجاحها، حيث سيقام في القرية مكتبة وبيت لضيافة المغتربين ودار للسينما، وفصول لمحو الأمية وتنمية المرأة الريفية، وحديقة ثقافية للطفل.

مئتا عام على إنشاء المجمع العلمي المصري

يستعد المجمع العلمي المصري لإقامة احتفالية كبيرة بمناسبة مرور قرنين على إنشائه. وتقام الاحتفالية بالتعاون مع وزارتي الثقافة المصرية والفرنسية.

يُذكر أن المجمع أنشئ إبان الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م، ويضم في عضويته حاليًا مئة عالم مصري، حيث يشترط أن يكون العضو فوق الستين عامًا وأن تكون له نشاطات علمية داخل القطر المصري وخارجه.

العاهل الإسباني يفتتح مركزًا لترميم المخطوطات

افتتح العاهل الإسباني الملك خوان كارلوس بحضور وزير الثقافة فاروق حسني مركز ترميم المخطوطات في دار الكتب والوثائق القومية.

تكلف المشروع ثلاثة ملايين جنية إضافة إلى تكلفة البنية الأساسية، وتحملت الحكومة الإسبانية من هذا المبلغ مليوني جنيه قيمة الأجهزة والمعدات الحديثة التي أحضرها الخبراء الإسبان إلى المركز.

«التوحيد ومكانته والشرك وخطره»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع حلة القصمان بالرياض الشيخ علي بن محمد المقحم.

«التربية والقوى الصاعدة في المجتمعات العربية: النساء والشباب»، عنوان ندوة نظمتها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، حاضر فيها د. نادر الفرجاني.

«جراحات أورام الكبد»، موضوع محاضرة ألقاها ضمن فعاليات المؤتمر السنوي لجمعية الجراحين الباكستانية في لاهور د. رفعت كامل.

«الشفرة الوراثية للإنسان»، عنوان محاضرة ألقاها في الجمعية المصرية للنقد الأدبي بالقاهرة د. أحمد مستجير.

«المصطلحات والتجربة في الشعر المعاصر»، موضوع محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي الثقافي د. أحمد الطامي.

«مشروع إعلان الوادي والدلتا محمية طبيعية»، عنوان محاضرة ألقاها في فندق شيراتون الجيزة بمصر د. رشدي سعيد.

«التوجيهات النبوية الشريفة في المعاملات المالية»، عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الأزهر د. أحمد عمر هاشم.

«تولستوى ورؤية الكُتّاب والمفكرين الروس»، عنوان ندوة أقيمت في المعهد القومي لدراسات السلاف في باريس، شارك فيها عدد من النقاد والمتخصصين.

«انحسار دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية الدراسات الإسلامية بالإسكندرية د. بدر الدين علي.

«الثورة الجديدة في الزراعة بدون تربة: الزراعة الهوائية ايروبتيك»، عنوان محاضرة ألقاها في جمعية الزراعيين بكيفان في الكويت المهندس جون كاركو كوسته.

«نماذج من حياة السلف»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الأمير أحمد بن عبدالعزيز في مدينة الخرمة السعودية الشيخ فايز بن خميس بن حسن الشنبري.

«خريطة أمريكية جديدة للمنطقة»، عنوان محاضرة ألقاها بدعوة من النادي العربي في بريطانيا في ديوان الكوفة بلندن عبدالباري عطوان.

«الآداب الشرعية وصلتها بالحج» عنوان محاضرة ألقاها في قاعة التضامن الإسلامي بمكة المكرمة الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد.

«الوسائط الثقافية في العملية التربوية - تجربة بخت الرضا نموذجًا»، عنوان ندوة نظمها المركز السوداني في القاهرة، واستضاف فيها د. بشير البكري.

سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز يضع حجر أساس مشروع «مركز الفيصلية» ويهدي مكتبة الملك فهد الوطنية مصحفًا ومخطوطة ديوان



سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز يضع حجر أساس مشروع «مركز الفيصلية»

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض حفل وضع حجر أساس مشروع «مركز الفيصلية» الذي تقيمه مؤسسة الملك فيصل الخيرية. وقال سموه: إن هذا المشروع وغيره من الاستثمارات الخاصة في المجالات كافة يعكس ازدهار الاقتصاد الوطني، وما تنعم به البلاد من أمن واستقرار.

ومركز الفيصلية مشروع متكامل يضم برجًا بارتفاع 260 مترًا، يتكون من 30 طابقًا وفندق (خمسة نجوم) و100 شقة سكنية، وقاعات احتفالات كبرى متعددة الأغراض، ومركز تجاري، إلى جانب المرافق الأخرى والحدائق. وسيتم تنفيذ المشروع في غضون 36 شهرًا، وتقدر تكلفته بمبلغ 1,2مليار ريال.

ويأتي هذا المشروع في إطار المشروعات الاستثمارية لمؤسسة الملك فيصل الخيرية التي تحقق مردودًا اقتصاديًا يتم من خلاله دعم المشروعات الخيرية من منَح دراسية، وإنفاق في أوجه الخير المختلفة في العالم الإسلامي، وفي مراكز الدراسات الإسلامية، وفي جائزة الملك فيصل العالمية، وفي مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بمكتبته الضخمة، إضافة إلى ما يتيحه من فرص العمل والتدريب للشباب.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية قد ألقى كلمة عَبَّر فيها عن تقديره لما يبذله صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في دعم كل مشروع يمثل إضافة إلى المعالم الحضارية لمنطقة الرياض. كذلك أشاد سمو الأمير بندر بن سعود بن خالد الأمين العام للمؤسسة بدور سمو الأمير سلمان في دفع عجلة النهضة العمرانية في عاصمة البلاد، وأوضح أن الهدف الرئيس للمؤسسة هو الإنفاق على المشروعات الخيرية بكل وجوهها؛ بدءاً من نشر العلم

وقام العاهل الإسباني بإهداء دار الكتب بردية قديمة يرجع تاريخها إلى ألفي عام، وبردية حديثة تحمل اسم ملك إسبانيا وملكتها باللغات: الهيروغليفية واللاتينية والإسبانية والعربية، وبردية ثالثة تحمل صورتي الملك والملكة.

من ناحية ثانية يقوم المجلس الأعلى للآثار بالتعاون مع السفارة الهولندية والمعهد الهولندي للآثار بالقاهرة ببناء أول معهد لترميم الآثار بالدلتا في مدينة فاقوس بمحافظة الشرقية.

ندوة الدراسات الهلينية في العالم العربي

نظمت كلية الآداب بجامعة القاهرة ندوة بعنوان «الدراسات الهلينية في العالم العربي» استمرت ثلاثة أيام في النصف الثاني من شهر ذي القعدة المنصرم.

تمحورت الندوة في ستة محاور رئيسية هي: الدراسات الهلينية على المستوى الأكاديمي في الجامعات، محاولة رصد الترجمات من اليونانية مباشرة إلى العربية أو عبر لغات وسيطة، الإبداعات في الأدب، الفنون التي تم استعمالها من مصادر يونانية، الدراسات الفلسفية المستمدة في أصولها من الفكر اليوناني، الأصول اليونانية للنظرة التاريخية في عالمنا العربي المعاصر، ومفهوم الإنسانية عند اليونان.

غياب د. هدارة

توفي إلى رحمة الله الناقد الدكتور محمد مصطفى هدّارة أستاذ الأدب العربي والنقد والبلاغة بجامعة الإسكندرية، وأحد أبرز النقاد العرب، عن عمر ناهز 68 عامًا.

والراحل حاصل على جائزة الدولة التشجيعية، كما تولى عمادة كلية آداب طنطا، وترأس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الإسكندرية، وعُرف بأنه من الذين لا يخافون في الحق لومة لائم، حيث سبب له ذلك الكثير من المتاعب، وبخاصة حين قام في خطوة جريئة غير مسبوقة بالشكوى إلى رئيس الجمهورية من الكتابات المسيئة للأخلاق والدين التي ينشرها دعاة الحداثة وسيطرتهم على مجال النشر. وترك الفقيد مؤلفات كثيرة أغلبها مطبوع، وبعضها لم يمهله العمر لطبعه.

صدور «الأهرام العربي»

أحدث مجلة أصدرتها مؤسسة الأهرام، تهتم بالشؤون العربية، وتعكس واقع العالم العربي ومستقبله في متابعة أسبوعية لاهتماماته والتحديات التي تنتظره.

تضمن العدد الأول من المجلة ـ التي تقع في 100صفحة ملونة ـ تعليقات لعدد كبير من الكتاب العرب وحوارات مع بعض رجال السياسة والاقتصاد والثقافة والرياضة، وتقارير من 22 دولة عربية.

يرأس تحرير المجلة الكاتب الصحفي أسامة سرايا.

صحيفة جديدة وأعداد «التطور» في مجلد

انضمت إلى ركب الصحافة المصرية صحيفة أسبوعية مستقلة جديدة تحمل اسم «الأسبوع» وتصدر كل يوم اثنين.

يرأس تحرير الصحيفة مصطفى بكري، وتصدر عن شركة الأسبوع للصحافة والطباعة والنشر.

من ناحية ثانية صدرت الأعداد السبعة من مجلة «التطور» في مجلد واحد عن مطبوعات الكتابة الأخرى، والمعروف أن «التطور» كان قد أصدرها الكاتب الراحل أنور كامل عام 1940م لتكون منبراً معبراً عن «جماعة الفن والحرية» التي تأسست بمصر عام 1939م.

مؤتمر للُغة الفرنسية واستخداماتها

ينظم مركز اللغات المتخصصة بكلية الآداب في جامعة حلوان بالتعاون مع المركز الثقافي الفرنسي بالقاهرة مؤتمراً إقليميًا هو الأول من نوعه للُغة الفرنسية بمشاركة أكاديميين فرنسيين ومصريين خلال يومي 16، 17 ذي الحجة الجاري (23- 24 أبريل).

يدور المحور الرئيسي للمؤتمر حول لغة التخاطب لموضوع أساسي تلتقي من خلاله أفرع اللغويات والعلوم الاجتماعية وعلوم التربية في مجالات التعليم الجامعي.

وكانت كلية الآداب بالجامعة ذاتها قد نظمت في النصف الثاني من شهر ذي القعدة المنصرم مؤتمرها الدولي الأول حول «الفلسفة وتحديات القرن الحادي والعشرين: البيئة وثورة الاتصالات».

ودارت مناقشات المؤتمر حول ثلاثة محاور هي: الفلسفة والطبيعة، والفلسفة والعلم، والفلسفة وثورة الاتصالات. وشارك في المناقشات ـ إضافة إلى أساتذة الكلية ـ فلاسفة من فرنسا وألمانيا وبريطانيا.

كتب جديدة

التيار القومي الإسلامي، تأليف د. محمد عمارة، صدر عن دار الشروق في القاهرة.

المشي بمحاذاة رجل يشبهني، ديوان لهشام الصباحي، صدر ضمن سلسلة «أدب الجماهير».

طلب لجوء، مجموعة قصصية لعبد الإله عبدالقادر، صدرت عن دار شرقيات.

ألاعيب الرجال، مجموعة قصصية لسلوى بكر،

الحركة الثقافية في شهر



مجسم مشروع «مركز الفيصلية» الذي تقيمه مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض

وتشجيع البحث وتقدير العلماء ورواد الفكر، إلى المساعدة في بناء المساجد والمراكز الخيرية والاجتماعية، وغير ذلك مما يخدم البشرية جمعاء.

وضع تصميم المشروع مكتب المهندس سيرنورمان فوستر بالاشتراك مع المكتب الاستشاري بيرو هابولد، وتقوم بالتنفيذ شركة مجموعة بن لادن السعودية.

وقد قام سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض المشرف العام على مكتبة الملك فهد الوطنية بإهداء مصحف كبير طُبع طبعة خاصة وأصل مخطوطة ديوان الشاعر أبي تمام إلى مكتبة الملك فهد الوطنية.

وتقع مخطوطة ديوان أبي تمام ـ التي نُسخت عام 1065هـ ـ في 155 صفحة بخط النسخ، وعليها شروح وتعليقات، واستُخدم في نسخها المداد الأحمر والأسود.

ترجمها إلى الإنجليزية دينيس جونسون، وصدرت عن دار نشر الجامعة الأمريكية في القاهرة.

القيادة الإدارية في الإسلام، تأليف عبدالشافي محمد أبو الفضل، صدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

يحيى حقي: صحوة عبق من عطر الأحباب، تقديم نهى حقي، جمع ودراسة صلاح معاطي، صدر ضمن سلسلة «كتاب الثقافة الجديدة» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ديوان كشاجم: محمود بن الحسين (ت360هـ)، تحقيق د. النبوي عبدالواحد شعلان، صدر عن مكتبة الخانجي.

القرآن في مصر، إعداد وتقديم إبراهيم داود، صدر عن دار توت للنشر والإعلام.

دور جامعة القاهرة في بناء مصر الحديثة، تأليف مالكولم ريد، ترجمه إلى العربية إكرام يوسف، وصدر ضمن سلسلة «كتاب المحروسة» عن مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر.

السودان

علماء ألمان لحماية آثار سواكن ومملكة مروي

تقوم بعثة ألمانية من متحف المصريات في برلين باتخاذ التدابير اللازمة لحماية أهرامات مملكة مروي القديمة الواقعة شمالي مدينة شندي على بعد سبعين كيلاً شمالي الخرطوم.

يذكر أن هذه الأهرامات التي تعود إلى حضارة اندثرت قبل 1500عام تتعرض لعواصف رملية تهدد وجودها. ويقول البروفسور فردريك هنكل من متحف برلين: إن المكتشف الإيطالي فرلنجي وصل إلى المنطقة عام 1825 مع طلائع جيش محمد علي، وإنه قام بفتح المقابر الملكية أملاً في العثور على الجواهر والكنوز. وقد أشرف فردريك هنكل على بعض عمليات الترميم بين عامي 1976- 1988م، وذكر أنه لا توجد تلة أو جبل لحماية الأهرامات من الرياح.

وقالت البروفسورة كارلا كروبر: إن أسرار مملكة مروي لم تتكشف بعد، ولم يُعرف السبب الذي دفع ملوك مروي إلى بناء مدينتهم في هذه الصحراء، حيث كانوا يجمعون مياه الأمطار في أحواض يسمونها الحفير، ويحيطونها بجبال رملية. وتضيف كارلا: إن المرويين قاموا بسودنة أمون، فصوروه على هيئة كبش، وليس بوجه رجل وقرون كبش كما صورته اللوحات المصرية القديمة.

يذكر أن معماريًا ألمانيًا زار مدينة سواكن، وصاحبه في الزيارة المهندس المعماري السوداني مجدي الرشيد المقيم في ألمانيا، وأتت هذه الزيارة في إطار اهتمام مؤسسات علمية ألمانية بمدينة سواكن وآثارها، تمهيدًا لزيارة مجموعة من طلاب السنوات النهائية بكليات الهندسة المعمارية في ألمانيا لمدينة سواكن للاطلاع على آثارها ودراسة الطرائق العلمية لحماية هذه الآثار وترميمها بالأساليب العلمية الحديثة. تشرف على هذه الزيارة جمعية أصدقاء سواكن الألمانية التي تقوم بإنشاء مركز سواكن العلمي.

المركز السوداني للفنون الإبداعية وإصدارات للناشئة

قرر المركز السوداني للفنون الإبداعية إصدار مجموعة من الكتيبات لتثقيف الناشئين. وقال د. محمد عبدالرحيم: إن هذه الكتيبات ترمي إلى ربط الناشئة الذين نشؤوا في خارج البلاد بتراث أجدادهم وتاريخهم وعلومهم وجغرافية وطنهم وتعريفهم بشخصيات بلادهم في شتى المجالات.

معرض تشكيلي سوداني في أسمرا

أقام الفنان التشكيلي السوداني حسان علي أحمد أوائل الشهر الماضي معرضًا تشكيليًا في المركز الثقافي الفرنسي في أسمرا ضمن الموسم الثقافي الذي نظمه المركز.

واشتمل المعرض على 38 لوحة تمثل مراحل مختلفة في مسيرة الفنان الذي أقام قبل ذلك معرضين في أسمرا؛ أحدهما فردي في عام 1991م، والآخر كان مشاركة في معرض جماعي عام 1993م.

فلسطين

أول فرع لمعهد جوته

يُنتظر أن يُفتتح أول فرع لمعهد جوته الثقافي الألماني في مدينة رام الله أو قطاع غزة قبل نهاية العام الميلادي الحالي.

وقال رئيس معاهد جوته الثقافية هيلمار هوفمان: إن الفرع الجديد ستخصص له موازنة قدرها مليون ونصف المليون مارك (800 ألف دولار) وسيؤمن الخدمات ذاتها التي تقدمها سلسلة معاهد جوته في بلدان العالم المختلفة.

لبنان

كتب جديدة

حلية الفرسان وشعار الشجعان، تأليف ابن هذيل الأندلسي، تحقيق مجموعة من الباحثين، صدر عن مؤسسة الانتشار العربي في بيروت.

موسوعة فقه علي بن أبي طالب، تأليف د. محمد رواس قلعه جي، صدرت عن دار النفائس.

القوى العاملة وسياسة العمالة في لبنان، تأليف د. نجيب عيسى، صدر عن المركز اللبناني للدراسات.

غراميات عمر بن أبي ربيعة في أخباره وأشعاره، تأليف د. فاروق سعد، صدر عن منشورات دار الآفاق الجديدة.

أيام في فيتنام، تأليف محمد بن ناصر العبودي، صدر عن دار خضر للطباعة والنشر.

يوميات هر، رواية لإميلي نصر الله، صدرت عن دار الكتاب العالمي.

أحمد مريود (1886- 1926م) قائد ثورة الجولان

منح دراسية مشتركة بين بريطانيا والمملكة



سمو الأمير خالد الفيصل وسمو ولي عهد بريطانيا في أثناء المؤتمر الصحفي الذي عقداه بمناسبة الإعلان عن المنح الدراسية المشتركة

أعلن ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز عن عدد من المنح الدراسية المشتركة بين بريطانيا والمملكة العربية السعودية، منوهًا بأن هذه المبادرة سوف تشجع على قيام تبادل ثقافي بين طلاب ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين.

وقال سموه: إن هذه المنح سوف تشجع على دراسة كل ما هو إيجابي في العالمين الإسلامي والغربي. وتمنى أن يكون ذلك نموذجًا لبرامج مماثلة في المستقبل في العالم الإسلامي.

وكان الأمير تشارلز قد ألقى هذه الكلمة خلال زيارة قام بها إلى مقر مؤسسة الملك فيصل الخيرية بدعوة من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير المدير العام للمؤسسة؛ الذي أعرب في كلمته عن سعادته لاختيار سمو الأمير تشارلز مؤسسة الملك فيصل الخيرية شريكًا في منح سموه الدراسية المعروفة باسم «تشيفيننج»، وأوضح سمو الأمير خالد أن هذا الاختيار لهذا المجال الثقافي ولهذه المنح الدراسية يدل دلالة صادقة على ما يتمتع به سمو ولي عهد بريطانيا أمير ويلز من ثقافة وأفق واسعين لخدمة الإنسانية والبشرية جمعاء.

وعبر سمو الأمير خالد الفيصل عن تقديره لموقف الأمير تشارلز من الإسلام وتعاليمه، مما جعله يتبوأ مكانة مرموقة بين العلماء والمفكرين في العالم الإسلامي.

أما منحة أمير ويلز فيمكن للطالب السعودي خلال عام القيام بإعداد بحث على مستوى الدكتوراه أو ما بعدها في أحد المعاهد التعليمية البريطانية، وفي المقابل، تمنح مؤسسة الملك فيصل الخيرية في كل عام منحة دراسية لطالب بريطاني ليقوم بإعداد بحث مشابه في أحد المعاهد التعليمية السعودية.

أما موضوعات المنحتين، فيمكن أن تكون في أحد المجالات التالية:

- العلاقات التاريخية بين العالم الإسلامي وأوربا.
- العلاقات الحديثة بين العالم الإسلامي وأوربا.
- التراث الثقافي المشترك بين العالم العربي وأوربا.
- صورة الإسلام في الغرب اليوم.
- صورة الغرب في العالم الإسلامي اليوم.
- التقارب بين العالم الإسلامي والغربي.

ومن شروط الحصول على المنحتين أن يكون عمر المرشح أقل من 35 عامًا، وأن يكون قد أثبت قدرة أكاديمية عالية، وأظهر اهتمامًا في مجال تحسين العلاقات بين العالمين الإسلامي والغربي. وقد تحدد أول مايو/ آيار 1997م آخر موعد للتقدم لهاتين المنحتين.

وجنوب لبنان وشرق الأردن، تأليف محمود عبيدات، صدر عن دار رياض الريس للكتب والنشر.

عمارة المساجد، تأليف رؤوف الأنصاري، صدر عن دار النبوغ.

موسوعة تاريخ التكنولوجيا، تأليف برتران جيل، ترجمها إلى العربية هيثم اللمع، وصدرت عن المؤسسة الجامعية للدراسات.

خديجة، مجموعة شعرية جديدة لمحمد جبر الحربي، صدرت عن دار الأمير.

موسوعة الأدب الفلسطيني في القرن العشرين (علامات أساسية)، إعداد د. حسن جعفر، صدرت عن دار الرؤيا.

رسائل جامعية

«هوية الشعراء العرب في المهجر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها مها السعيد.

«السياسة الأمريكية في منطقة الخليج»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق المصرية، تقدمت بها منى سحيم آل ثاني.

«التكوين الاجتماعي للنخبة السياسية الحاكمة في مصر»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، تقدمت بها وفاء سعد الشربيني.

«ابن عطية وابن حيان في الجزأين الأول والثاني من تفسير ابن عطية (المحررالوجيز) و(البحر المحيط) لابن حيان»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها مأمون يونس.

«الاكتشاف المبكر لحاملي أنيميا البحر المتوسط»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة الأزهر، تقدم بها إيهاب شفيق عطا.

«دور المواد المشعة في تقويم أورام العظام»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة القاهرة، تقدم بها أحمد زاهر.

«اسم الآلة في تراث ابن سينا»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدم بها ماهر عميرة.

«حركة الحج الأوربي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسلامي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الإسكندرية، تقدم بها إبراهيم سعد فهيم.

«القليوبية في القرن التاسع عشر: مدارسة تاريخية» عنوان رسالة ماجستير

الحركة الثقافية في شهر

الأردن

كتب جديدة

المولود في مدن القلق، مجموعة قصصية لجاسم المطير، صدرت عن دار النسر للنشر والتوزيع في عمان.

دمعتان على خد القمر، رواية لمحمد سناجلة، صدرت عن دار أزمنة للنشر.

سورية

كشوفات بقلعة حلب من الألف الثالثة ق.م

عُثِرَ على كسر فخارية وأوان تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد وقواعد بازلتية في موقع قلعة حلب مصطفة على نسقين يشكلان زاوية قائمة، ويختفي الضلع الشمالي تحت أنقاض أبنية إسلامية، مما يعطي اعتقاداً بوجود معبد قديم يشبه - إلى حد كبير - معبداً سبق اكتشافه في موقع تل عين دارة.

ويؤيد هذا الاعتقاد ما اكتشفه الآثاريون من وجود كسرة بازلتية من رأس تمثال ضخم يختلف عن التمثالين البازلتيين السابق اكتشافهما بالقلعة، مما يعزز القول بأن القلعة قد عرفت الاستيطان البشري في الألف الثالثة قبل الميلاد.

كتب جديدة

المعبد السوري، تأليف جان ماري دينتز، وميشيل جافليكفسكي، ترجمه إلى العربية موسى ديب الخوري، وصدر عن دار الأبجدية في دمشق.

حماية حقوق المؤلف بين النظرية والتطبيق، تأليف تركي صقر، صدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

المريض الإنجليزي، رواية لمايكل أونداتجي، ترجمها إلى العربية أسامة أسبر، وصدرت عن دار المدى.

السيرة الذاتية والتراث، تأليف رياض الجابري، صدر عن دار المعارف في حمص.

دهشة الساحر، مجموعة قصصية لعبدالله خليفة، صدرت عن دار الحوار في اللاذقية.

تونس

وزراء الثقافة العرب
يؤكدون عروبة القدس

أكد وزراء الثقافة العرب في ختام اجتماعات مؤتمرهم العاشر الذي استضافته تونس - مؤخراً - رفضهم لمحاولات طمس هوية مدينة القدس وتهويدها، مشيرين إلى أن هذه المدينة العربية كانت عبر تاريخها الطويل «مدينة السلام والتسامح وتجاور الثقافات وائتلافها».

ودعا الوزراء إلى توظيف الجهود العربية وتوحيدها لمواجهة التحديات والتحولات المنتظر أن يشهدها العالم بحلول القرن الحادي والعشرين الميلادي.

وكان الوزراء قد ناقشوا على امتداد يومين الخطط القومية والمشروعات الثقافية، وفي مقدمتها الخطة الشاملة للثقافة العربية، والخطة القومية للترجمة، والموسوعة العربية، والموسوعة الصحافية العربية وموضوعات أخرى.

وتقرر أن يكون موضوع «الثقافة العربية وتحديات القرن الحادي والعشرين» المحور الرئيسي للدورة الحادية عشرة للمجلس المقرر عقدها في شهر أكتوبر 1997م المقبل.

الترشيح لجائزة الشابي القصصية

بدأت لجنة جائزة أبي القاسم الشابي الأدبية في تلقي الأعمال المشاركة في دورتها الجديدة التي تقرر تخصيصها للقصة العربية القصيرة.

واشترطت اللجنة أن تُكتب الأعمال المقدمة على الآلة الكاتبة أو الحاسب الآلي على ورق مقاس 21× 31 سم، أو تكون منشورة في كتاب صادر بعد أول يناير 1996م، وألا يقل عدد صفحات المجموعة عن 120 صفحة مع تقديم خمس نسخ منها، على أن تصل المشاركات في موعد غايته 10 صفر 1418هـ الموافق 15 يونية 1997م.

وتتلقى اللجنة المشاركات على العنوان التالي: لجنة مسابقة أبي القاسم الشابي - البنك التونسي - 4 نهج رومة - تونس - 1000 الجمهورية التونسية.

الرئيس التونسي
وزع الجوائز التقديرية

رعى الرئيس زين العابدين بن علي حفل توزيع الجوائز الوطنية التقديرية على الفائزين بها الذي أقيم في القصر الجمهوري بقرطاج.

نال جائزة النقد الناقد أبو زيان السعدي، وجائزة الدراسات والعلوم الإنسانية خليفة شاطر، وجائزة أدب الطفل نافلة ذهب.

المهرجان الدولي للقصور الصحراوية

افتُتح في ولاية تطاوين بجنوب تونس المهرجان الدولي السنوي للقصور الصحراوية في دورته التاسعة عشرة قبل أيام.

يرمي المهرجان إلى إبراز التراث التاريخي والثقافي للمنطقة، والنهوض بالسياحة، ويتضمن معارض وندوات وأمسيات شعرية وسباقات رياضية ورحلات سياحية.

مؤتمر يبحث
آفاق التعاون البحثي مع أوربا

التقى باحثون من عدة بلدان عربية وأوربية إضافة إلى تركيا في مؤتمر علمي استضافته مدينة زغوان حول «آفاق التعاون البحثي بين العالم العربي وتركيا وأوربا في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية».

استمر المؤتمر ثلاثة أيام وخُصِّصَ محور رئيسي لكل يوم، حيث ناقش الباحثون «مجالات التعاون البحثي في العلوم الإنسانية والاجتماعية» و«دور الباحثين العرب والأتراك في حركة المؤسسات البحثية الأوربية»، و«دور مراكز البحث العلمي الغربي في البلاد العربية وتركيا».

يذكر أن المؤتمر جاء استكمالاً لسابقه الذي عُقد أيضاً في

نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها وئام أحمد حسين.

«كليات التربية التابعة لجامعة صنعاء ومدى مساهمتها في تحقيق أهداف التربية الإسلامية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها قاسم صالح الريمي.

«المضمون التربوي في قصص كامل الكيلاني»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدمت بها آمال دوار.

«مقومات الصورة في الشعر في مملكة غرناطة»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها أحمد إسماعيل.

«الصحافة الأدبية في ليبيا ودورها في تطوير الحركة الأدبية من 1971م حتى 1991م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، تقدم بها الطيب سالم الشريف.

«الشخصية المصرية في أدب نجيب محفوظ.. دراسة تحليلية نفسية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها محمد السيد عبدالوهاب.

«الآراء التربوية في كتاب الفتوحات المكية لابن عربي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة المنوفية المصرية، تقدمت بها سهير الشاعر.

«الأمل في قصة ميشيل تورنيه المأخوذة عن قصة روبنسون كروزو»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها سوزي رزق.

«أحمد فؤاد ودوره في السياسة المصرية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الزقازيق المصرية، تقدم بها مدحت إمام.

«المشاركة السياسية لسكان المناطق النائية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بالمنيا في مصر، تقدم بها عدلي أبو عقيل.

سمو الأمير تركي الفيصل
يترأس اجتماع مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



سمو الأمير تركي الفيصل يترأس اجتماع مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

أشار صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى أن المركز يرمي أساسًا إلى خدمة القضايا الإسلامية وإتاحة فرص البحث العلمي فيما يتعلق بهذه القضايا، إذ إنه يهيئ للباحثين الوصول إلى منابع المعلومات ومصادرها بطريقة سهلة وفي وقت وجيز، كما أن المركز ينظم محاضرات وندوات في إطار نشاطه الثقافي يشارك فيها رجال العلم والثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي.

وقال سموه: إن أهم ما بحثه الاجتماع الرابع عشر لمجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية هو تطوير استخدام الحاسوب، وتزويد المكتبة بمزيد من الكتب والمخطوطات والدوريات الجديدة.

وناقش الاجتماع، كذلك، تطوير مجلة «الفيصل» وتوسيع انتشارها في الداخل والخارج، وزيادة المطبوع منها شهريًا حيث يتزايد الطلب عليها من مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، وتطوير قاعدة المعلومات الخاصة بها، ورصد أعلام الكُتّاب في العالم العربي والإسلامي وسيَرهم الذاتية. وتضم هذه القاعدة حاليًا سيَر أكثر من 3500 عالم ومفكر من مختلف الدول العربية والإسلامية، إلى جانب حصر المؤسسات الثقافية والفكرية ونشاطاتها.

تونس العام الماضي وتركزت أعماله حول «منهجية البحث العلمي الغربي في العلوم الإنسانية حول البلدان العربية وتركيا».

كتب جديدة

في نظرية الرواية، تأليف محمد الباردوي.

أغاني الحياة، مختارات من شعر أبي القاسم الشابي، بوبها وقدم لها محمد لطفي اليوسفي.

تحولات العلم الفيزيائي ومولد العصر الحديث، تأليف حمادي بن جاء بالله.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة ضمن سلسلة «عناصر» عن دار سراس للنشر في تونس.

من سومر إلى قرطاج، تأليف عبدالرحمن مجيد الربيعي، صدر عن دار المعارف في سوسة.

المغرب

ندوة حول حقوق الإنسان في الإسلام

تنظم المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) ندوة دولية حول «حقوق الإنسان في الإسلام» في المغرب خلال شهر أكتوبر 1997المقبل.

يُنتظر أن يشارك في الندوة 25 عالمًا ومفكرًا من أنحاء العالم الإسلامي، حيث ستولى الندوة اهتمامًا بإبراز مقاصد الفقه الإسلامي الدقيقة، وإظهار أوجه الاقتراب والافتراق بين خصوصية الإسلام وعالمية الحقوق.

الفائزون بجوائز الدريبي للقصة القصيرة

احتفل فرع اتحاد كُتّاب المغرب بالقنيطرة بتسليم جوائز مسابقة «مبارك الدريبي للقصة القصيرة» للفائزين بها.

فاز بالجائزة الأولى حسن بوعشراوي عن قصته «الستار الأصفر»، تلته حسنة عدي عن قصتها «سارقو الأحلام»، ثم عبداللطيف النيلة عن قصته «شروخ الصيف».

يُذكر أن مبارك الدريبي (1939- 1996م) الذي تحمل المسابقة اسمه يُعدّ من أبرز كتاب القصة في المغرب.

كتب جديدة

الثقافة والمجتمع المدني، تأليف عبدالغني أبو العزم، صدر عن وكالة شراع لخدمات الإعلام والاتصال في طنجة.

ذبذبات الرموز، ديوان جديد لمحمد عزيز الشبيهي، صدر عن منشورات السفير بمكناس.

مختارات شعرية، لفرناندو بيسو، ترجمها إلى العربية المهدي أخريف.

أسئلة الرواية.. أسئلة النقد، تأليف د. محمد برادة

صدر الكتابان السابقان عن منشورات الرابطة بالدار البيضاء.

أندونيسيا

موسوعة إسلامية

صدرت عن دار نشر الاختيار الجديد في جاكرتا موسوعة إسلامية بعنوان «إنسيكلوبيديا الشريعة الإسلامية» في ستة مجلدات باللغة الأندونيسية.

استغرق الإعداد لإصدار الموسوعة مدة عامين، ويبلغ عدد صفحاتها 2208 صفحات، تتناول مختلف الجوانب المتعلقة بالإسلام مثل العقيدة والفقه والتاريخ والمؤسسات والشخصيات الإسلامية والعالمية.

اليونان

اكتشاف 30 قصيدة مجهولة لكفافيس

اكتشفت باحثة يونانية ثلاثين قصيدة مجهولة للشاعر اليوناني ـ السكندري قسطنطين كفافيس وسط الأرشيف الخاص بالشاعر الراحل.

تضم القصائد المكتشفة مجموعة من القصائد التاريخية التي تتناول التاريخ الهليني والبيزنطي وأبولونيوس إله الشعر فضلاً عن قصائد ذاتية.

يذكر أن كفافيس شاعر يوناني قضى جل عمره في مدينة الإسكندرية بمصر التي أحبها وفيها مات عام 1933م.

إسبانيا

دور المنظمات الثقافية في التفاهم بين الشعوب

تستضيف مدينة كانتابريا لقاء دوليًا بعنوان «دور المنظمات الثقافية في تعزيز التفاهم والتعايش بين الشعوب» خلال المدة من 18إلى 28 جمادى الأولى

الحركة الثقافية في شهر

1418هـ (20- 30سبتمبر 1997م).

يرمي المؤتمر إلى إتاحة الفرصة لمفكري العالم الإسلامي ومثقفيه لعرض الاهتمامات التي تشغلهم في أفق القرن الجديد، واقتراح السبل لإيجاد مناخ مناسب للتعايش بين الثقافات.

يذكر أن المؤتمر تنظمه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع مؤسسة «كومباس» الإسبانية.

بريطانيا

ديوان الكوفة يحتفل بمرور عقد على تأسيسه

احتفل ديوان الكوفة بمرور عقد على تأسيسه عبر تنظيم معرض بعنوان «يوميات ديوان الكوفة 1986- 1996م».

ضم المعرض رصدًا للأحداث الثقافية والفنية التي نظمها الديوان، ومن بينها معارض تشكيلية وفوتوغرافية ووثائقية وعشرات من الندوات والمحاضرات والأمسيات الشعرية والفكرية، فضلاً عن شريط فيديو لجوانب نشاطات الديوان.

يذكر أن الديوان أسسه وأشرف عليه المعماري العربي محمد مكيه، ويُعدّ من أبرز المراكز الثقافية العربية الإسلامية في لندن.

أحدث الكتب

حلفاء مستترون، تأليف الكسندر سولجنتسين، صدر عن دار نشر هارفيل برس في لندن.

الزراعات المنزلية والزراعات المخضرة، مج1، تأليف روجر فيليس، ومارتين ريكس، صدر عن دار نشر ماكميلان.

أنتولوجيا نورتن للأدب الإفريقي الأمريكي، إعداد هنري لويس، وجيمس الأصفر، ونيللي ماكي وآخرين، صدر عن منشورات نورتن.

الأسواق ونظرية الفوضى، تأليف برنيس كوهين، صدر عن منشورات جون ويلي وأولاده.

التحدي الإسلامي في الجزائر، تأليف مايكل ويليس.

السياسة الخارجية البريطانية في مصر والسودان 1947- 1956م، تأليف ج. هيل.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات إيثا كابرس.

حديث الصراع، تأليف كولين براون، صدر عن دار نشر سايمون أند شوستر.

الإعجاب بالصمت، تأليف عبدالرزاق قرناح، صدرت بالإنجليزية عن هاميش هاملتون للنشر.

ألمانيا

مؤتمر عالمي للآثار الإسلامية

شارك ثلاثمئة عالم ومتخصص في مجالي الآثار والعمارة من مختلف أنحاء العالم في أعمال المؤتمر الدولي للآثار الإسلامية الذي نظمته اليونسكو في مدينة هلدسهايم.

ناقش المؤتمر على امتداد عشرة أيام مشكلات الآثار الإسلامية، وكيفية المحافظة عليها وأساليب ترميمها.

بلغاريا

ترجمة بلغارية لقصائد د. سعاد الصباح

صدرت المجموعة الشعرية «قصائد حب» للشاعرة د. سعاد الصباح في ترجمة باللغة البلغارية، من ترجمة المستشرقة البلغارية بيتيا الخطيب المتزوجة من صحافي سوري.

وكانت المجموعة قد صدرت في طبعة أولى باللغة العربية في الكويت عام 1992م، أما النسخة البلغارية فجاءت في 140صفحة، وحظيت بإشادة رئيس اتحاد الكُتّاب البلغار، ونقاد الأدب بالصحافة البلغارية.

الولايات المتحدة

معرض استعادي للوحات باتيسيا تيابولو

يستضيف متحف المتروبوليتان في نيويورك حاليًا معرضًا استعاديًا بعنوان «أعمال جون باتيسيا تيابولو» المعروف باسم فنان البندقية.

يضم المعرض مجموعة من أعمال الفنان الإيطالي الشهير الذي ولد في مدينة فينسيا واشتهر برسم اللوحات الضخمة، التي من أشهرها سلسلة اللوحات الموجودة على حوائط القصر الملكي الإسباني في مدريد عام 1762م.

البرتغال

مهرجان للشعر

نظم المركز الثقافي الشعري الفرنسي في لشبونة مهرجانًا للشعر البرتغالي، يلقي ضوءًا على تاريخه منذ العصور الوسطى وحتى العصر الحديث.

وأبرز المهرجان تميز الشعر البرتغالي وتنوعه بدءًا من الشعر الغنائي وانتهاءً بالملحمة الشعرية من خلال أعمال كبار شعراء البرتغال من أمثال كامونز وملحمته «لوسياد» التي نُشرت عام 1572م، وإدواردو لورانسو وغيره من الشعراء المعاصرين.

فرنسا

افتتاح موسم «الربيع الفلسطيني»

استضاف معهد العالم العربي في باريس أول موسم ثقافي فلسطيني انطلق قبل أيام تحت مسمى «الربيع الفلسطيني».

نظمت الموسم وزارتا الثقافة الفلسطينية والفرنسية، ويستمر أربعة أشهر بمشاركة 12 أديبًا ومفكرًا فلسطينيًا في مقدمتهم إدوارد سعيد، ومحمود درويش، وفدوى طوقان، كما يعرض الموسم جميع الأشكال الإبداعية الفنية والثقافية والفكرية والأدبية التي تعكس الهوية الفلسطينية بكل مكوناتها: اللغوية والتاريخية والتراثية، ويطوف المشاركون في عدة مدن فرنسية. ومن أبرز نشاطات الموسم معرضان حول الحرم القدسي الشريف، ومدينة بيت لحم، إضافة إلى الندوات الأدبية والفكرية.

مهرجان ثقافي سوداني في باريس

نظم معهد العالم العربي في باريس مهرجانًا ثقافيًا خاصًا بالسودان، تضمن عددًا من البرامج الثقافية التي تعكس التراث السوداني، وقد قام الروائي الطيب صالح بالتوقيع على كتبه المترجمة إلى الفرنسية، وعُرضت بعض المسرحيات التي تتناول البيئة السودانية، وما فيها من تنوع ثقافي.

من هذه المسرحيات: «درمة ود حامد»، وهي إحدى قصص الطيب صالح، و«المستورة الفاضلة»، و«سلمان الزغرات.. سيد سنار».

«واس» ومتابعة متميزة للحركة الثقافية

تعتمد وكالة الأنباء السعودية (واس) حاليًا منهجًا متطورًا في متابعة الأحداث والفعاليات الثقافية والفكرية في البلاد، إذ تقوم بتغطية هذه الأحداث والفعاليات، وإبراز أهم جوانبها، وإمداد وسائل الإعلام المختلفة بها، مدعمة بالصور، إلى جانب متابعتها الدقيقة للطروحات الفكرية للمثقفين السعوديين في الندوات والمحاضرات والمؤتمرات والمقالات الصحفية وغيرها من وسائل التعبير، وإعطاء صورة معبرة عنها. كما تولي (واس) اهتمامًا واضحًا بالتنويه بأهم مضامين الإصدارات الثقافية، مما يسهل الأمر كثيرًا على وسائل الإعلام التي تتخذ من (واس) مصدرًا من أهم مصادر أخبارها، ويساعد المثقفين المتابعين للحركة الفكرية والثقافية؛ لما يتميز به أسلوب التغطية من دقة وموضوعية، كما تشمل هذه التغطية جميع مناطق المملكة.

وقد أبرزت فعاليات المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية) هذا المنهج المتميز لوكالة الأنباء السعودية، كما عبَّر عن ذلك كثير من ضيوف المهرجان.

البريطانيون يشترون الصحف ولا يصدقون أخبارها

أوضحت دراسة مقارنة أن الرأي العام البريطاني يميل إلى تصديق ما يرد في نشرات التلفاز والإذاعة من أخبار أكثر مما يصدق ما تنشره صحافته، مع أن البريطانيين يعدون أكثر شعوب أوربا شراء للصحف.

وأوضحت الدراسة التي أجريت في فرنسا أن 79٪ من البريطانيين يعتقدون بصدق النشرات الإخبارية الإذاعية والتلفازية مقابل 48٪ بالنسبة لأخبار الصحف.

وتصل نسبة مصداقية الصحافة لدى الإيطاليين إلى 45٪، مقابل 51٪ بالنسبة لأخبار التلفاز، فيما أكد الفرنسيون أن نسبة صدق نشرات أخبار تلفازهم تبلغ 49٪ فقط، ويعتقد من شملتهم الدراسة من الألمان أن نسبة صدق صحفهم تصل إلى 70٪.

معرض لمعمار الثلاثينيات

يقام حاليًا في قصر شايو بباريس معرض عن الفن المعماري في الثلاثينيات الميلادية بمناسبة مرور ستين عامًا على إقامة المعرض الدولي للفنون والأساليب الفنية في باريس عام 1937م.



صاحب الدولة داتوء سري
د. محاضر بن محمد
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

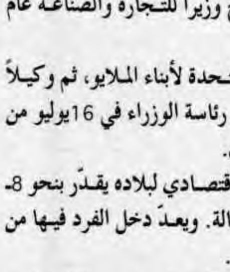
وُلد في ولاية كيدا بماليزيا عام 1925م، وتخرج في كلية الملك إدوارد السابع للطب في الملايو، وأكمل مرحلة الامتياز في الطب والجراحة عام 1954م. عمل طبيبًا مدة سنتين (1955-1957م)، ثم تفرغ للعمل الخاص. وقد بدأ نشاطه السياسي منذ عام 1946م، حينما انضم إلى حزب «المنظمة الوطنية المتحدة لأبناء الملايو»، وفي عام 1964م، انتُخب عضوًا في البرلمان، وفي عام 1969م فقد مقعده في البرلمان، كما ترك الحزب، ثم عاد إليه مرة أخرى عام 1972م.

في العام التالي، اختير عضوًا في مجلس الشيوخ، ولكنه تخلى عن هذا المنصب ليتفرغ للانتخابات العامة التي فاز فيها بالإجماع. وقد اختير عام 1974م وزيرًا للتعليم، كما سبق له أن عمل رئيسًا لأول مجلس للتعليم العالي عام 1968م، وعضوًا بالمجلس الاستشاري للتعليم العالي عام 1972م، ثم عضوًا في مجلس جامعة ماليزيا، ورئيسًا لمجلس الجامعة الأهلية عام 1974م. وفي العام 1975م أصبح نائبًا لرئيس مجلس الوزراء، ونائبًا لوزير الداخلية، إضافة إلى وزارة التعليم، ثم أصبح وزيرًا للتجارة والصناعة عام 1978م.

وقد انتُخب نائبًا لرئيس حزب المنظمة الوطنية المتحدة لأبناء الملايو، ثم وكيلاً للحزب عام 1978م، فرئيسًا له منذ عام 1981م. وتولى رئاسة الوزراء في 16يوليو من العام نفسه، ليكون بذلك رابع رئيس لمجلس الوزراء الماليزي.

وتشير الأرقام إلى أنه استطاع أن يحقق معدل نمو اقتصادي لبلاده يقدّر بنحو 8-9٪ سنويًا، مع انخفاض نسبة التضخم، وعدم وجود بطالة. ويعدّ دخل الفرد فيها من أكبر الدخول في قارة آسيا، وتزيد نسبة التعليم على 80٪ .

وللدكتور محاضر بن محمد مقالات كثيرة توضح فكره السياسي والاقتصادي والإسلامي، كما نال العديد من الأوسمة الرفيعة من مختلف البلدان تقديرًا لأعماله.



الأستاذ الدكتور
عبدالكريم زيدان بيج
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية

وُلد في بغداد عام 1917م، وحصل على بكالوريوس الحقوق من جامعة بغداد عام 1950م، ثم على دبلوم الشريعة الإسلامية من كلية الحقوق بجامعة القاهرة عام 1958م، ثم نال دكتوراه الشريعة الإسلامية من جامعة القاهرة عام 1962م.

قام الدكتور زيدان بتدريس علوم الشريعة الإسلامية في كليتي الحقوق والآداب بجامعة بغداد عدة سنوات، حتى أصبح أستاذًا وعميدًا لكلية الدراسات الإسلامية في تلك الجامعة التي منحته بعد تقاعده لقب «أستاذ مميز» تقديرًا لمؤلفاته وبحوثه. وهو يعمل حاليًا أستاذًا للشريعة الإسلامية والفقه المقارن بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب في جامعة صنعاء باليمن.

له مؤلفات تدرس الآن في بعض الجامعات العربية، وتُرجم بعضها إلى اللغات الإنجليزية والتركية والأندونيسية والماليزية والهندية. وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في كل من العراق واليمن، كما شارك بكتابة بعض الموضوعات في موسوعة الفقه الإسلامي في دولة الكويت، وكان عضوًا لبضع سنوات في مجلس أمناء الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.



الأستاذ الدكتور
كولن لويس ماسترز
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب (بالاشتراك)

وُلد في بيرث بأستراليا عام 1947م، وهو حاصل على الدكتوراه في الطب، وزميل الكلية الملكية لأطباء الأمراض الباطنية بإنجلترا، وزميل الكلية الملكية لأطباء الأمراض الباطنية بأستراليا.

بدأ اهتمامه بأمراض الجهاز العصبي في الستينيات، حينما عكف على دراسة الأمراض التي تسببها الفيروسات غير التقليدية، وكان وقتها طالبًا في كلية الطب في جامعة غرب أستراليا، ثم عمل طبيب امتياز في مستشفى بيرث الملكي عام 1971م، ثم زميلاً باحثًا في قسم الأمراض في جامعة غرب أستراليا (1972 - 1974م). وفي عام 1975م أصبح نائبًا في مستشفى السير تشارلز جيردنر في بيرث. ثم انتقل للعمل زميلاً باحثًا في قسم أمراض الجهاز العصبي في مستشفى ماساشوستس بالولايات المتحدة (1976-1977م)، ثم باحثًا زائرًا في مختبر دراسات الجهاز العصبي التابع لمعاهد الصحة القومية الأمريكية (1977-1980م). وفي عام 1980-1981م مُنح زمالة همبولدت في بيولوجيا الجهاز العصبي من جامعة هايدلبرج الألمانية، ثم عيّن باحثًا رئيسًا في المجلس القومي الأسترالي للبحوث الصحية والطبية (1981-1988م)، ثم أصبح أستاذًا ورئيسًا لقسم أمراض الجهاز العصبي في جامعة ملبورن منذ عام 1989م.

حصل على عدد كبير من الجوائز وشهادات التقدير العلمي من جهات علمية في أستراليا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية.

الأستاذ الدكتور كونراد باي رويثر
الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب (بالاشتراك)

وُلد في لوترزدورف بألمانيا عام 1941م، وهو حاصل على الدكتوراه في كيمياء البروتينات من معهد ماكس بلانك للكيمياء الحيوية في ميونخ بألمانيا.

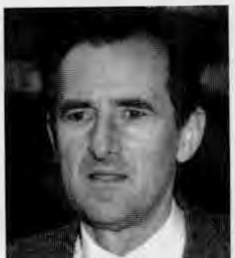
يضم المعرض قرابة أربعمئة تصميم معماري، فضلاً عن مجسمات وصور توضح تطور الفن المعماري في الثلاثينيات وعلاقته بالصناعات المختلفة، إلى جانب نماذج من أعمال كبار المعماريين مثل الفنانين لوكور بوزيه وهانز ماير وفرانك لويد سان مارك الذي أنجز مشروع برج سان مارك عام 1928م.

أحدث الكتب

تاريخ تكساس، تأليف ماريس إيزران، صدر عن دار نشر هارتمان في باريس.

الحياة الممنوعة، رواية خيالية لديديه فان كوفيلارت، صدرت عن دار نشر إليان ميشيل.

السي. دي. روم والثقافة، تأليف باتريك بوتيان، صدر عن دار نشر هيرماس.



تلقى الدكتور كونراد دراساته التخصصية في كيمياء البروتينات والبيولوجيا الجزيئية وعلم الوراثة في جامعات كولون في ألمانيا، وهارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية، وكمبردج في بريطانيا. وعمل مدة سبع سنوات (1968-1975م) باحثًا لما فوق الدكتوراه في قسم علم الوراثة البيوكيماوية في معهد علوم الوراثة في جامعة كولون. وعُيّن بعد ذلك أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا مشاركًا في المعهد نفسه. وأصبح منذ عام 1978م أستاذًا في جامعة هايدلبرج. وهو عضو في أكاديمية هايدلبرج للعلوم الإنسانية والطبيعية، وفي الأكاديمية الألمانية لعلوم الطبيعة.

من إنجازاته العلمية، قيامه بِسَلْسَلَة بروتينات الغطاء للفيروسات العائية، ودراسة بعض آليات التحكم الوراثي في بكتيريا القولون، والعلاقة بين التركيب والوظيفة لعدد من البروتينات المهمة. ثم اشترك، منذ عام 1984م مع الأستاذ الدكتور ماسترز من جامعة ملبورن، في دراسة التركيب الجزيئي للرواسب شبه النشوية في مرض الزهايمر.

حصل على ست جوائز من الجامعات والمعاهد المتخصصة تقديرًا لجهوده العلمية في مجال اختصاصه.

الأستاذ الدكتور كارل وايمان



الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم (بالاشتراك)

ولد في كورفاليس (أوريجون) بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1951م، وحصل على بكالوريوس العلوم من معهد ماساشوستس التقني في بوسطن عام 1973م، ثم دكتوراه الفيزياء من جامعة استانفورد 1977م.

بدأ د. وايمان مسيرته العلمية مساعد باحث في قسم الفيزياء بجامعة ميتشجان عام 1977م، وبعد ذلك أصبح أستاذًا مساعدًا للفيزياء في الجامعة نفسها، فأستاذًا مشاركًا للفيزياء في جامعة كلورادو عام 1984م، فأستاذًا فيها منذ عام 1987م. وهو زميل في المعهد المشترك لعلوم الفيزياء الفلكية التجريبية، الذي يُعدّ أهم المراكز لدراسة الفيزياء النووية والجزيئية. وقد أصبح خلال الأعوام (1993- 1995م) رئيسًا لذلك المعهد، ويعمل حاليًا أستاذًا للفيزياء في جامعة كلورادو. وهو حاصل على عدد كبير من الجوائز والميداليات والزمالات من بعض الجامعات والمراكز العلمية تقديرًا لجهوده في مجال تخصصه.

الأستاذ الدكتور جيمس فرانسيس قوسلا



الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب (بالاشتراك)

ولد في مدينة أوتاوا الكندية عام 1952م، وحصل على بكالوريوس العلوم في علم الأحياء من جامعة أوتاوا، ثم على ماجستير العلوم في الفيزياء الحيوية الطبية من جامعة تورنتو، ونال الدكتوراه في علم الأحياء من معهد ماساشوستس التقني بالولايات المتحدة الأمريكية.

التحق د. قوسلا بوظيفة مدرس في كلية الطب في جامعة هارفارد الأمريكية عام 1980م، ثم أصبح أستاذًا مساعدًا (1984- 1987م)، فأستاذًا مشاركًا لعلم الوراثة (1988- 1992م)، فأستاذًا لعلم الوراثة. وهو الآن يتبوأ منصب أستاذ كرسي بولارد في علم وراثة الجهاز العصبي في الجامعة نفسها، ومدير مركز بحوث مرض هنتنجتن واختصاصي علم الوراثة ومدير وحدة الوراثة الجزيئية للجهاز العصبي في مستشفى ماساشوستش العام. وهو عضو في هيئات تحرير عدد من المجلات العلمية والطبية، وكذلك في كثير من اللجان الاستشارية ذات الصلة بمجال تخصصه. وقد نُشر له قرابة 300 بحث علمي وعدد من الكتب. ومُنح عددًا من الجوائز والميداليات تقديرًا لإنجازاته العلمية، كما ألقى محاضرات حول نتائج بحوثه في كثير من الجامعات والمراكز العلمية.

الأستاذ الدكتور إريك كورنل



الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم (بالاشتراك)

ولد في ولاية كاليفورنيا الأمريكية عام 1961م، ونال بكالوريوس العلوم في الفيزياء من جامعة استانفورد عام 1985م، ثم دكتوراه الفيزياء من قسم الفيزياء بمعهد ماساشوستس التقني في بوسطن عام 1990م.

عمل د. كورنل في بداية حياته العلمية مساعد باحث في جامعة استانفورد، ثم في معهد ماساشوستس التقني. وفي عام 1990م، أمضى بعض الوقت في الدراسة لما بعد الدكتوراه في معهد رولاند بجامعة كمبردج البريطانية، ثم عمل مدة عامين باحثًا في المعهد المشترك للفيزياء الفلكية المخبرية في بولدر، كلورادو. منذ عام 1992م أصبح أستاذًا مساعدًا للفيزياء في جامعة كولورادو، فأستاذًا فيها عام 1995م، إضافة إلى وظائفه الأخرى في المعهد القومي للتقنية والمقاييس، ومعهد الفيزياء الفلكية المخبرية. وقد حصل على زمالة المؤسسة الوطنية للعلوم (1985- 1988م)، كما نال عددًا من الجوائز العلمية تقديرًا لما قام به من إنجازات في مجال الفيزياء.


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن« مؤسسة الجزيرة »للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف« ٤٠٢٥٥٥٥ »..تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

معجم مصطلحات الحديث

كتاب يرمي إلى التيسير على طلاب علم الحديث، فلابد للمشتغل برواية الحديث من الإلمام بأصول هذا العلم وقواعد اصطلاحه؛ فبقواعده يتميز صحيح الرواية من سقيمها، ويُعرف بها المقبول من الأخبار والمردود، لأنها ميزان تصحيح الأخبار.
قام سليمان مسلّم الحرش وحسين إسماعيل الجمل بجمع كل ما هو مهم حول مصطلحات الحديث؛ كالأثر وما قال فيه علماء الحديث، والإجازة وأنواعها والصواب منها، والإسناد العالي والنازل، وأصح الأسانيد عن الصحابة رضي الله عنهم، وأوهى الأسانيد، والتدليس وأنواعه، والمعلقات، وتعريف الحديث الصحيح والحسن والضعيف، وزيادة الثقة، والشاذ، وتعريف الصحابي والتابعي، وطبقات الرواة، وعلم الحديث رواية ودراية، والعلل القادحة، والكلام على الإسناد والمتن، وتعريف الحديث المتواتر، والمدرج، ومراتب الجرح والتعديل عند العلماء، والمردود، والمرسل الخفي، وتعريف الحديث المضطرب، والمعلل، والموضوع.
وبيّن واضعا الكتاب المصطلحات المشهورة عند المحدِّثين؛ كالتصحيف والتحريف، وأقسام الحديث، وكل نوع من أنواعه، كما ذكرا تراجم موجزة لأعلام المصنفين المشهورين؛ كالبخاري ومسلم وأصحاب السنن والمعاجم والمسانيد، وأشارا إلى أول من كتب في علم الحديث مع ذكر أسماء كتبهم وتواريخ وفياتهم. ورتّبا كل ذلك على الحروف الهجائية. وقدم للكتاب الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط.
يقع الكتاب في 171صفحة من القطع الصغير، وقد صدر عن مكتبة العبيكان في الرياض.

معجم ما ألف عن المدينة المنورة
قديمًا وحديثًا

كتاب يضم بين دفتيه رصدًا لـ279 مؤلفًا مما تناول ذكر «طيبة الطيبة» على وجه من الوجوه، عبر أزمنة مختلفة، مرتبة وفق الحروف الهجائية. وذيَّل المؤلف د. عبدالرزاق فراج الصاعدي كتابه (المعجم) بمسرد بأسماء المؤلفين والمحققين، وأتبع ذلك بفهرس للمصادر والمراجع من كتب ودوريات ومقالات.
لم يقتصر عمل المؤلف على الجمع والترتيب، بل ضمَّن المعجم جانبًا من الدرس الوصفي لبعض المؤلفات التي ارتأى أن يقف عندها؛ واصفًا إياها ومسجلاً ما عنَّ له من ملحوظات وتنبيهات وفوائد، ومشيرًا إلى ما كتبه آخرون في هذا الصدد، كما أشار إلى مظان النسخ الخطية والمصورة في خزائن الكتب في العالم.
وقد توصل المؤلف إلى أن المؤلفات في تاريخ طيبة لا تكاد تخرج - شمولاً - عن ثلاثة أنواع: الأول: ما كان تاريخًا عامًا للمدينة، الثاني: ما كان تاريخًا خاصًا لجانب من الجوانب في المدينة (حسية أو معنوية)، الثالث: ما كان في فضائل المدينة.
ومن أكثر ما عُني به كثير من هذه المؤلفات: مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد أسهب كثير من المؤلفين في وصفه، والتأريخ لعمارته المتجددة على مر السنين.
يقع الكتاب في 136 صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن المكتبة العصرية الذهبية في جدة.

الإدارة العامة
في المملكة العربية السعودية

كتاب يسلط الضوء على الإدارة في المملكة بمختلف جوانبها بين الماضي والحاضر، وقد استهله مؤلفوه - د. محمد بن عبدالرحمن الطويل وآخرون معه - بتصدير ساقوا فيه الحاجة الماسة لإبراز واقع الإدارة وفهم أصول نشأتها.
يقع الكتاب في عشرة فصول تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة، وقد تناول بالتفصيل التطور التاريخي للإدارة والسلطة التشريعية والسلطة القضائية، والمؤسسات العامة، والبناء الإداري والتنظيمي للإدارة المحلية، وأجهزة التنمية الإدارية، والخدمة المدنية، وأجهزة الرقابة المالية، ومؤسسات التمويل. وقد ناقش الكتاب هذه الموضوعات نقاشًا شاملاً، وزوده مؤلفوه بالأرقام والجداول، والإحصاءات التي تضمنت الرواتب والمراتب الوظيفية. وجاء في ذيل الكتاب ملحق بالجداول الإحصائية تناول الحركة العامة للمشروعات والقروض البنكية، وفي آخر الكتاب ثبت بالمصادر.
يقع الكتاب في 300 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن معهد الإدارة العامة في الرياض.

قبل أن يقول التاريخ..
قضايا ورجال

كتاب يتناول مراحل تاريخية في القضية الفلسطينية وتطوراتها، مدًا وجزرًا، والموقف المبدئي الثابت للمملكة العربية السعودية من تلك التطورات. ضَمَّن الكاتب الفلسطيني عادل أحمد أبو هاشم إصداره 130 مقالة تناقش تفاصيل مختلفة في القضية، واتخذ منحى تحليليًا في تناوله، ليسلط الضوء على الخلفيات، وجال بذاكرته بحثًا عن المواقف التاريخية، وعن رجال يستحقون أن يُشار إليهم وتُسَجَّل مآثرهم، فتوقف عند المملكة العربية السعودية، وأطال الوقوف أمام قادة ودول جعلوا من قضايا المسلمين، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، همهم الأول.
يقول الكاتب في تقديمه الكتاب: «هذا الإصدار يحوي بعض ما رأيته تعبيرًا عن ثبات موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسطينية في مراحلها المختلفة، وما أورده ليس بحثًا ولا دراسة، ولكنها استجابات وانفعالات وليدة اللحظة، ولذلك جاءت تسجيلاً عفويًا يجعل من اليسير قياس الموقف بالنظر إلى الحدث أو المناسبة، واستقراء نتائج القياسات وإصدار الحكم.. وهذا ما سيفعله المؤرخون لاحقًا».
يقع الكتاب في 614 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر في الرياض 1997م.

مسابقة مجلة الفيصل

١ـ جوائز المسابقة :

*جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عدداً).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عدداً).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية ـ وليس نسخة مصورة ـ للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة . مجلة الفيصل،
ص.ب. (٣) الرياض (١١٤١١)
المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

أجوبة مسابقة العدد 243

ج 1 : ـ طلاق المكره:

ذهب مالك والشافعي وأحمد وداود من فقهاء الأمصار إلى أنه لا يقع، وبه قال عمر بن الخطاب وابنه عبدالله، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وذلك لما رواه ابن ماجه، وابن حبان، والدارقطني، والطبراني، والحاكم، وحسّنه النووي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رُفع عن أمتي السهو والنسيان وما استُكرِهوا عليه». ولأن المكره لا إرادة له ولا اختيار، وهما أساس التكليف.

وقال بوقوعه أبو حنيفة وأصحابه، وهم مخالفون في هذا لجمهور الصحابة.

ـ طلاق السكران:

فيه روايتان: أولاهما: أنه يقع، وهو مذهب سعيد بن المسيب وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي والنخعي وميمون بن مهران والحكم ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي في أحد قوليه وابن شبرمة وأبي حنيفة وصاحبيه وسليمان بن حرب.

والثانية: أنه لا يقع، وهو قول عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومذهب عمر بن عبدالعزيز والقاسم وطاووس وربيعة ويحيى بن سعيد الأنصاري والليث بن سعد والعنبري وإسحاق وأبي ثور وحميد بن عبدالرحمن والشافعي في أحد قوليه، واختاره المزني من الشافعية، وإحدى الروايات عن أحمد وهي التي استقر عليها مذهبه، وهو مذهب أهل الظاهر، واختاره من الحنفية أبو جعفر الطحاوي وأبو الحسن الكرخي. قال ابن المنذر: هذا ثابت عن عثمان، ولا نعلم أحداً من الصحابة خالفه. قال الشوكاني: إن السكران الذي لا يعقل لا حكم لطلاقه لعَدم المناط الذي تدور عليه الأحكام.

ـ طلاق الغضبان:

الغضبان الذي لا يتصور ما يقول ولا يدري ما يصدر عنه لا يقع طلاقه لأنه مسلوب الإرادة. روى أحمد، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق». وفُسِّر الإغلاق بالغضب، وفُسِّر بالإكراه، وفُسِّر بالجنون.

والغضب على ثلاثة أقسام:

1ـ ما يزيل العقل فلا يشعر صاحبه بما قال، وهذا لا يقع طلاقه بلا نزاع.

2ـ ما يكون في مبادئه بحيث لا يمنع صاحبه من تصور ما يقول وقصده، وهذا يقع طلاقه.

3ـ أن يستحكم ويشتد به فلا يزيل عقله بالكلية، ولكنه يحول بينه وبين نيته بحيث يندم على ما فرط منه إذا زاد، فهذا محل نظر. وعدم

نتائج مسابقة العدد 243

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، أحمد بن عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، الرياض، المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعودياً، رجاء محمد راتب الهجر، دير الزور، سورية.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعودياً، هاجر الصادق منصور الهاني، المنستير، تونس.

ب ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عدداً)، كل من:

1ـ محمد علي محمد رشدي، الجيزة، مصر.

2ـ هويدا محمد موسى إسحاق، الخرطوم، السودان.

3ـ بشير محمد فياض الجزازي، عمّان، الأردن.

4ـ عبدالله بن البشير بالكحيح، آسفي، المغرب.

5ـ فضيلة بلعباس عبدالكريم، بوسعادة، الجزائر.

ج ـ وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12عدداً)، كل من:

1ـ أبو بكر ويس، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

2ـ حامد هزاع غطيش البركاتي، مكة المكرمة،

الوقوع في هذه الحالة قوي متجه.

ـ طلاق المدهوش: المدهوش الذي لا يدري ما يقول، بسبب صدمة أصابته فأذهبت عقله وأطاحت بتفكيره، لا يقع طلاقه، كما لا يقع طلاق المجنون والمعتوه والمغمى عليه ومن اختلَّ عقله لكبر أو مرض أو مصيبة فاجأته.

ج 2: هو التابعي الجليل سعيد بن المسيَّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد (13- 94هـ= 634- 713م). سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة المقدمين بالمدينة. جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، وكان يعيش من التجارة بالزيت، لا يأخذ عطاءً. وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته، حتى سمِّي «راوية عمر». توفي بالمدينة.

ج 3: دخل الإسلام إلى بلاد البوسنة والهرسك من طريق الأتراك العثمانيين في عهد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح سنة 768هـ الموافقة لسنة 1463م. وإن كان بعض المؤرخين يُرجع ذلك إلى عهد السلطان مراد الأول بعد معركة كوسوفو سنة 1389م.

ج 4: «دَوْسَر» هي إحدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب، وكانت له خمس كتائب: الرهائن، والصنائع، والوضائع، والأشاهب، ودوسر. أما الرهائن فإنهم كانوا خمسمئة رجل رهائن لقبائل العرب، يقيمون على باب الملك سنة ثم يجيء بدلهم خمسُمئة أخرى، وينصرف أولئك إلى أحيائهم؛ فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في أموره. وأما الصنائع فبنو قيس وبنو تيْم اللات ابني ثعلبة، وكانوا خواصَّ الملك لا يبرحون بابه. وأما الوضائع فإنهم كانوا ألف رجل من الفُرس يضعهم كسرى بالحيرة نجدة لملك العرب، وكانوا أيضًا يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم ألف رجل، وينصرف أولئك. وأما الأشاهب فإخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من أعوانهم، وسُمُّوا الأشاهب لأنهم كانوا بيض الوجوه. وأما دوسر فإنهم كانوا أخشن كتائبه وأشدها بطشًا ونكاية، وكانوا من كل قبائل العرب، وأكثرهم من ربيعة. سمِّيت دوسر اشتقاقًا من الدَّسْر، وهو الطعن بالثقل؛ لثقل وطأتها، قال المثقب العبدي:

ضَرَبَتْ دوسرُ فيهم ضربةً
أثبتت أوتاد مُلْك فاستقر

انظر اللسان والتاج، مادة «دسر».

ج 5: هي معركة «الريدانية» التي جرت وقائعها بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم الأول والجيش المملوكي بقيادة الأشرف طومان باي في الثاني والعشرين من يناير/ كانون الثاني 1517م. وقد أسفرت نتيجة هذه المعركة عن إحكام السيطرة العثمانية على مصر بعد أن أحكموا سيطرتهم على بلاد الشام عقب وقعة «مرج دابق» التي قُتل فيها السلطان قانصوه الغوري.

أسئلة مسابقة العدد 246

السؤال الأول:

اختص الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الأمة الإسلامية بأن جعل لها الأرض مسجدًا وطهورًا. وقد حثَّ الشارع الحكيم على بناء المساجد وإعمارها. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

السؤال الثاني:

يُستحب للمسافر إذا خرج من بيته أن يسمِّي الله ويتوكل عليه، ثم يدعو بدعاء من أدعية السفر المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. اذكر ثلاثة أدعية منها.

السؤال الثالث:

تيودر نولدكة، أحد أكابر المستشرقين الذين خدموا التراث العربي. هل هو فرنسي أم إيطالي أم ألماني؟

السؤال الرابع:

بعض الدول تُصاب بما يُطلق عليه الاقتصاديون مسمَّى «التضخم»، الذي تسببه عوامل عديدة. ما المقصود بـ«تضخم الأسعار»؟

السؤال الخامس:

ديستويفسكي.. روائي روسي وأحد أعلام الأدب الحديث. ما عنوان أول رواية وضعها من تأليفه: هل هي: «المقامر» أم «المساكين» أم «الجريمة والعقاب»؟

المملكة العربية السعودية.

3- رجب سيد عبدالعزيز عمر، المنيا، مصر.

4- محمد إبراهيم خليل، حولي، الكويت.

5- عبدالعزيز محمد عباس يحيى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

6- أمجوض عبدالكريم أبلعيد، تارودانت، المغرب.

7- محمد محمود كالو، جسر الشغور، سورية.

8- زيوش زينب، بوسعادة، الجزائر.

9- علي دارني، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

10- راشد مختار حسن عبدالكريم، الخرطوم، السودان.

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- عبدالله عبدالرحمن حسن المهوس، الرياض، المملكة العربية السعودية.

2- عبدالله يوسف السلاق، عمّان، الأردن.

3- آية مصطفى الزنفلي، الدقهلية، مصر.

4- جواهر سامي علي، المحرق، البحرين.

5- مرتابي مصطفى، الدار البيضاء، المغرب.

قسيمة مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 246
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

لا تُعلِّم اليتيمَ البُكاءَ

قالوا: أغار عَلْقَمَةُ بن جَذْل الطِّعَان في قومه على بني عبدالله بن كنانة؛ فَقَتَلَ منهم عبدالله بن هُبَل وعبيدة بن هبل ومالك بن عبيدة بن هبل وصريم بن قيس بن هبل، وأُسِرَ مالك بن عبدالله بن هبل.

فلما أصيب هؤلاء وأفلت من أفلت، أقبلت جارية من بني عبدالله بن كنانة فقالت لزهير بن جناب الكلبي: يا عمّاه، ما ترى فعل أبي؟ فاستوصفها إياه فوصفته، فقال: نجا أبوك.

ثم أتته بنت مالك بن عبيدة فسألته عن أبيها، فاستوصفها إياه فوصفته، فقال: هلك أبوك!

فبكت الجارية بكاء حارًا، فقال رجل: ما أسوأ بكاءها! فقال زهير: لا تُعلِّم اليتيم البكاء.

أي إن اليتيم موجع فهو أدرى بالبكاء، وهو فيه أقدر من غيره. وهكذا كل مصاب أدرى بمصابه، وكل ذي عمل أعرف بعمله، لأنه به ألصق وهو فيه أخبر.

إن رتعت رتعوا

لما أُتي عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - بتاج كسرى وسواريه وكنوز فارس، نظر لمن حوله وقال: إن الذي أدَّى هذا لأمين!

فقال رجل: يا أمير المؤمنين.. أنت أمين الله يؤدون إليك ما أديت إلى الله تعالى.. فإذا رتعت رتعوا، وإذا بغيت بغوا، وإذا عدلت عدلوا..!!

إجابة مفحمة

يروى أن أحد القادة البروسيين قال لنابليون بونابرت - يومًا - على سبيل التفاخر: نحن البروسيين إنما نقاتل في سبيل الشرف، أما أنتم - معشر الفرنسيين - فتقاتلون في سبيل المال!

فرمقه نابليون وقال ساخرًا: نعم! فكل إنسان يقاتل في سبيل ما ينقصه!

لا تذكر

قيل لأعرابي يومًا: فلان سيئ الخلق!

فقال: أليس فلانًا هذا قد مات؟

قال السائل: أجل! وشبع موتًا!

فقال الأعرابي: حسنًا! أنصحك ألا تذكر الأموات بسوء.. فتكون الأرض أكتم عليه منك!!

الربح والخسارة!

قيل للفيلسوف برتراند راسل: هل نجد لديك تعريفًا عن ربح العالم وخسارته؟

فقال: أجل! إن الكثير الذي ربحه العالم بالعقل، لا يوازي ما خسره بسبب العقل أيضًا!!

قيل له: وكيف ذلك؟!

قال: لأن ما يربحه العالم بالعمل الدائم والجهد الدائب في سنوات طوال، يخسره أضعافًا مضاعفة في لحظة جنون من لحظات الحرب.

فنان .. وعالم

قيل للمفكر آرثر كوستلر يوما: صف لنا الفرق بين الفنان والعالم.

فقال: الفنان له خيال واسع، ولذلك فهو يعامل الحقائق على أنها مثيرات للخيال، أما العالم فهو يستخدم الخيال للربط والتنسيق بين الحقائق.. ومن هنا فإن من يمتلك موهبة الخيال وليس عنده علم ومعرفة.. فهو كمن له أجنحة ولكن بلا أرجل يقف عليها!!

حكمة أعرابي

كان رجل من الأعراب كثير الجمع بين الزوجات؛ فقيل له يومًا: كيف تقدر على جمعهن وهن ضرائر؟

فقال: كان لنا شباب يصابرهنَّ علينا.. ثم كان لنا مال يصيرهنَّ إلينا! فلما ذهب الشباب والمال بقي لنا خلق حسن.. فنحن نتعاشر به ونتعايش!!

درس لبيكاسو!

لاحظت زوجة بيكاسو علامات الإعجاب تغمر وجه زوجها عندما وقفت بجانبه فتاة فرنسية شقراء، باسمة الثغر، في أثناء وجودهما في المصعد بأحد فنادق باريس.

وقبل أن يصل المصعد إلى الدور الثالث..



استراحة العدد

التفتت الفتاة فجأة وقد ظهرت على وجهها علامات الغضب ثم صفعت بيكاسو على وجهه بقوة، وقالت:

ـ سيكون هذا درسًا لك حتى لا تقرص الفتيات مرة أخرى!

ووصل المصعد أخيرا فخرج بيكاسو متأبطًا ذراع زوجه، وقال لها:

ـ أقسم لك أنني لم أقرص هذه الفتاة!

فأجابت الزوجة في هدوء:

ـ أعرف ذلك يا عزيزي، فأنا التي قرصتها!!

الرشيد وابنه

دخل هارون الرشيد يوما على ابنه عبدالله المأمون وهو في مكتبه وقد أمسك بكتاب يقلّبه بين يديه وقد تهلل وجهه بالفرح، فقال له: ما هذا الذي بين يديك؟

فقال المأمون: بعض ما تُشْحَذ به الفطنة، ويُنبَّه من الغفلة، ويُؤنس من الوحشة؟

فقال الرشيد: ما تحب أن أهدي إليك؟

فقال المأمون: جميل رأيك! فإن من كان مثلي في حاجة إلى جميل رأي الأب!

فقال الرشيد: الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر مما ينظر بعين جسمه وسنه!

منعة الإسلام

يروى أن سعيد بن شريك ـ رضي الله عنه ـ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن الإسلام حائط منيع وباب وثيق، فحائط الإسلام الحق، وبابه العدل، ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان، وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف، أو ضربًا بالسوط، ولكن قضاء بالحق وأخذ بالعدل.

البلاء

كتب الحجاج إلى المهلَّب يستعجله في حرب الأزارقة، على أن ينتهي من هذه الحرب بسرعة. وكانت الحرب شديدة الأوار، ولا يمكن للمهلب أن ينهيها كما يشاء، فكتب إليه المهلب: إن من البلاء أن يكون الرأي لِمَنْ يملكه دون من يبصره!!

كيف يَسْلَم؟

قيل لحكيم يومًا: كيف يسلم من له زوجة لا ترحمه، وولد لا يقدره، وجار لا يأمنه، وصاحب لا ينصحه، وشريك لا ينصفه، وعدو لا ينام عن معاداته، ونفس أمّارة بالسوء، ودنيا متزينة، وهوى يردي، وشهوة غالبة عليه، وغضب قاهر، وشيطان مزين، وضعف استولى عليه؟! فقاطعه الحكيم:

ـ ويحك! كفى!.. إن مثل هذا الرجل إن تولاه الله وجذبه إليه، انقهرت له هذه كلها، وإن تخلّى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كان لا يبغي ولا يبخل

روي أن هشام بن عبدالملك قال لخالد بن صفوان يومًا: بم بلغ فيكم الأحنف ما بلغ؟

قال: إن شئت أبلغتك بخلّة، وإن شئت بخلّتَيْن، وإن شئت بثلاث.

قال هشام: فما الخلة؟

قال: كان أقوى الناس على نفسه.

قال: فما الخلتان؟

قال: كان موقى للشر، ملقى الخير.

قال: فما الثلاث؟

قال: كان لا يجهل.. ولا يبغي.. ولا يبخل في موقف قط!

ابدأ بنفسك

قال الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيِّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقْبَلُ إن وعظت ويُقتدى
بالرأي منك وينفع التعليم!



القرية التراثية لمنطقة عسير بالجنادرية



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

هويتنا وقيمنا الأصيلة

عبدالناصر عبدالقادر

طالب بكلية الحقوق

جامعة حلب، سورية.

من أجل أن نحتفظ بجوهر هويتنا ومُثلنا وقيمنا الأصيلة كمجتمع وأفراد، لنا الحق في مواجهة ضغوط وإغراءات الانصهار في حضارة عالمية تحارب التفرُّد والتميُّز. ومن أجل أن يبقى توازننا الروحي والنفسي في حالة صحية جيدة، علينا أن نكون جميعًا مثقفين ومتعلمين وأن نحاول القراءة، لكن بعين ناقدة، فعندما نقرأ قراءة الناقد، نكون بمنأى عن الخطر الذي قد يحدق بنا نتيجة **الإنفتاح** الثقافي، أو ما يدعى «ثقافة الفضاء»، التي باتت تصل العالم أو تربطه **ببعضه البعض** من خلال (الأقمار الفضائية)، وذلك على شاشة التلفاز، وبهذا بات الأمر أكثر خطورة من السابق...؟!

ففي السابق، كانت وزارات الإعلام والهيئات التي تملك حق البث التلفزيوني، تسير وفق خطة سياسية معينة مدفوعة بمصالحها وأغراضها الخاصة، أما الآن فقد بات الأمر لمن يريد أن يقدم أفكاره، سلبية التأثير كانت أم إيجابية، وبات الخطر أكبر من ذي قبل، وهنا بالذات **يدر سؤال في** أذهاننا: كيف نحتفظ بجوهر هويتنا ومثلنا وقيمنا الأصيلة؟! إنه السؤال الذي يمكن أن يُطرح في لقاء صحفي، تجريه قناة تلفزيونية أو إحدى الصحف أو المجلات، أو قد يسأله أي فرد منا يعيش عصر التقنيات والتكنولوجيا المذهلة، عصر الانفتاح الحضاري والثقافي.. الأقمار الصناعية الفضائية باتت تبث ما يُقدّم لها جيدًا كان أم سيئًا، والمتلقي هو الإنسان (المشاهد)، الهدف الأول والأساسي في هذه العملية، وقد ينفعل بما يشاهد أو لا ينفعل، ولكن في النتيجة، تلقّى ما عُرض أمامه. وقلائل هم الذين لا يتأثرون بما يشاهدون في عصرنا، لأن المثقفين - بالمعنى الصحيح للكلمة - باتوا قلائل في هذا العصر نتيجة المسؤوليات الشخصية لكل منا، **إذ أن** أعباء الحياة وهمومها باتت تطغى على حاجتنا من الثقافة، فالحياة ليست سهلة، وتبدو الصعوبة منذ بدء البحث عن العمل وحتى إيجاده، بل حتى آخر لحظة من حياتنا وكل ذلك مقابل الزمن الذي يمضي دون حساب لأي شيء نمرّ به.

إن الإغراءات التي نتعرض لها عديدة، فإما أن ننصهر بها وننجرف مع التيار القائم، وإما أن نتحدى، ولن نستطيع أن نبقى بما نحتفظ من قيم ومُثل إن لم نراجعها كلما تعرضنا لها، فنحن بحاجة إلى أن

نتذكرها باستمرار، وعندما نرجع إليها يجب أن نكون متجردين من كل ما يحاول أن يعلق بنا في الطريق إلى قيمنا ومبادئنا وتراثنا، وأعتقد أننا لن نستطيع مواكبة الركب الحضاري والتحرك **بإتجاهه** في الوقت الذي نعاني فيه من مسؤوليات الحياة الصعبة **وأعباءها**، وأعتقد أننا لن نستطيع مواكبة المجتمعات المتقدمة الأخرى، ما دمنا قد وضعنا الكتاب في آخر **إحتياجاتنا** وما دمنا قد أهملنا القراءة.. إننا نحتاج إلى الكثير من الوقت لمراجعة أفكارنا وقيمنا ومبادئنا الأصيلة، حتى نستطيع الوقوف في وجه التيار الذي تقف وراءه قوى معادية لحضارتنا وقيمنا ومبادئنا وتراثنا العربي الأصيل، تلك التي لا ترحم ولا تتوانى في توجيه كل ما من شأنه أن يؤثر فينا سلبًا ويحقق غاياتهم وأهدافهم العدائية، ولن نستطيع مواجهتهم إلا إذا حاولنا التزام الحذر، ومثّلنا الدور الناقد في مطالعاتنا وقراءاتنا وسلوكياتنا عامة..

التعليق: يا أخ عبدالناصر، إنّ ما كتبته يدلّ على وعيك مجموعة من المشكلات التي تعصف بهويتنا العربية وقيمنا الإسلامية الأصيلة.

وأظنك أخطأت التعبير عندما قلت إنّ الحضارة العالمية تحارب التفرّد والتميّز؛ لأنّ التفرّد بهذا المعنى له علاقة بالإبداع وليس ما قصدته ممّا يتفق مع الهوية وكذلك التميّز؛ ولأن الحضارة العالمية تشجع التفرّد والتميّز بمعنى الإبداع وهي تحارب الهوية الفردية لشعب ما وتميُّزَ شعبٍ على شعب آخر.

أفكارك جيدة، ولكن فيها بعض الاضطراب المنهجي، فدعوتك إلى القراءة محمودة، ولكنّها بطريقة أو بأخرى ربما سيكون لها إذا لم نختر ما نقرأ آثار سلبية يمكن أن تعادل آثار انتشار القنوات الفضائية. فالسيئ والجيد هو في كُلّ شيء، وربّما الأمر المهم تربية المواطن تربية صالحة وليس الحجر عليه.

في كتابتك بعض الأخطاء اللغوية والإملائية والنحوية، مثل فصلك بين المضاف والمضاف إليه في قولك: لنا الحق في مواجهة ضغوط وإغراءات الانصهار، وسنن العربية أن تقول: مواجهة ضغوط الانصهار وإغراءاته..

ثم إنك وضعت همزة قطع للمصدر «انفتاح» وهمزته همزة وصل مثل كُلّ المصادر التي تشبهه. ولزيادة الفائدة لشداة الأدب نقول: همزة أمر الفعل الثلاثي نحو: «اقْعدْ، الْعَبْ»، وماضي الخماسي والسداسي نحو: «انطَلَق، استغفَرَ»، وأمرهما: «انطلقْ، استغفرْ» ومصدرهما: «انطلاق، استغفار» تُسمّى همزة وصل للتوصل بها إلى نطق الحرف الساكن الذي بعدها.

وعرَّفت البعض في قولك: ... أو تربطه ببعضه البعض، وكان من الأفصح القول: أو تربطه ببعضه بعضًا، أو تربط بعضه ببعض... ليستقيم الكلام عربيًا.

وأخطأت في رسم همزة «أعباء» التي اتصل بها الضمير فصارت همزة متوسطة، وباعتبار أنها في كلامك معطوفة على مجرور فحركتها الكسر وما قبلها ساكن فينبغي أن تُكتب على نبرة: من مسؤوليات الحياة الصعبة وأعبائها. وهناك بعض الملاحظات، نذكر منها: التلفزيوني، والصحيح: التلفازي (كما ذكرتها أول مرة). يدر سؤال في أذهاننا، والصحيح: يدر.. إلى. عصر التقنيات والتكنولوجيا، لا حاجة إلى التكنولوجيا لأن التقنيات تعريب لها. إذ أن، والصحيح كسر همزة إن بعد إذ.

نرجو الانتباه إلى الأخطاء - التي وضعناها لك بحرف أسود - والإكثار من القراءة، مع تمنياتنا لك بالتطور والنجاح.

د. محمد خير البقاعي

متابعات

الأخ جهاد يوسف الكراد، درعا، سورية:

قصتك «قفا نبك» أشبه بصرخة عميقة تخرج من صدر حزين، فتحدث صدى مؤقتًا ثم تتلاشى دون أن تترك أثرًا. على أنك حاولت في النهاية أن تربطها بالمقدس الذي تمثل في المئذنة، وصوت نداء صلاة الفجر، مما جعل بطلة قصتك تنطق بالعبارة الوحيدة في القصة: «يا الله أين كنت؟ وأين أنا؟!»، وقد كان ضمير الغائب في القصة كلها هو المعبر عن البطلة، واستخدام هذا الضمير يساعد في إصدار الأحكام دون أن يترك البطل يدافع عن نفسه كالراوي يسيطر على الشخصيات ويفرض عليها وجهة نظره، ويبدو ذلك في المرات القليلة التي تظهر بها «أنا» البطلة في قصتك: «آه منك يا قدري..»، «آه كم سخرت منك ..»، «وأنا.. وقصصي..»، وغير ذلك من المواضع.

هذا التأرجح بين ضميري المتكلم والغائب يضعف البناء الفني لقصتك التي كان يمكن أن تكون أكثر متانة لو أنك اقتصرت على ضمير واحد وأخرجتها مخرج الحوار الداخلي (المونولوج) دون تدخل الأنا، ودون تلك الأحكام التي أباح الضمير الغائب استخدامها، ودون ذلك الاستغراق في الجزئيات الذي لا تحتمله القصة القصيرة.

نرجو أن تهتم بلغتك فأنت لا تضع همزات القطع في أماكنها، وتكتب «تشرأب» والصواب «تشرئب»، ولا أدري لماذا جزمت فعل «يحصي» بعد مَنْ الاستفهامية، ثم عطفت عليه بالجزم أيضًا ولا مكان للجزم هنا. وينبغي تكرار إما؛ فتقول: «إما.. وإما» وليس «إما.. وأو»، مع دعائنا لك بالتوفيق والتقدم في مجال الإبداع القصصي.

الأخ بلال قايد عمر إبراهيم، صنعاء، اليمن:

مقالتك «عنف الأطفال من أين يتولّد» تبشر بموهبة واعدة في مجال الكتابة الصحفية، إذا واظبت على التعمق في القراءة، والتحليل العميق لما تقرأه، وصولاً إلى إغناء الحصيلة اللغوية، واكتساب ملكات التعبير الدقيق عن أفكارك. وفي مقالتك كثير من ذلك، ولكنك في حاجة إلى المزيد لتصل إلى المستوى الذي يليق بكاتب يعبر عن قضايا مجتمعه مع محاولة تجاوز بعض الأخطاء اللغوية والتعبيرية التي جاءت في مقالتك. واختيارك لهذا الموضوع دليل على حسك الاجتماعي الرفيع، فنأمل أن نتلقى مشاركات أخرى تنال حظها من النشر.

ردود خاصة

الإخوة: جسام الجربي، تونس، إياد محمد راتب، دير الزور، سورية، أقدال نبيل، حبشي كمال، قويدر مراح، السلامي أبو الربيع، البيرين، الجلفة، الجزائر:

أسئلتكم التي تطرحونها على الدكتور حسن ظاظا ليرد عليها في «منتدى الفيصل» وصلت بعد نشر الحلقة الخاصة بحوار القراء مع د. ظاظا، ولذلك سوف يحاول الإجابة عنها، وإرسال الإجابات إليكم، وقد يبحث أمر نشرها في المجلة إذا كانت هناك أسئلة كثيرة تستحق ذلك.

وللأخ جسام نقول: إن المجلة تصدر بالفعل كشافًا عامًا بموضوعات المجلة وكتابها سنويًا، إضافة إلى أن هناك كشافًا عامًا بكل الموضوعات التي نُشرت في المجلة صدر عام 1414هـ، وغطى المدة الواقعة بين عامي 1397هـ/1977م - 1413هـ/1992م، أي الأعداد التي نُشرت من السنة الأولى حتى نهاية السنة السادسة عشرة.

الأخ محيي الدين مصطفى عباس، حلب، سورية:

رسالتك حُوِّلت إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لأنه الجهة المعنية بمضمونها، وسوف يأتيك الرد قريبًا إن شاء الله.

الأخت نسيم محمد، صنعاء، اليمن:

نأسف لمخاطبتك بالمكرم الأستاذ، لأنه لم يخطر على بالنا أن هذا الاسم يمكن أن يكون لفتاة، وخاصة أنه لم يكن هناك ما يوضح ذلك. أما القصص التي ترسلينها فهي محل عناية المجلة، كما هو حال كل كتابات الإخوة القراء ومشاركاتهم، ولذلك لا تستغربي إذا كنا خاطبناك بوصول مادتك لأن هذا تقليد تتبعه المجلة مع جميع كتابها. وسوف يصلك خطاب آخر عن موقف المادة من النشر.

أما فيما يتعلق بالتوزيع في اليمن، فهذا أمر تبحثه المجلة ليس في اليمن فحسب، وإنما في جميع الدول العربية حتى يمكن ضمان وصول المجلة إلى قرائها في كل مكان بسهولة ويسر.

وقيمة الاشتراك السنوي كما هو موضح في الصفحة الثالثة من المجلة تبلغ 150ريالاً سعوديًا للأفراد، أو ما يعادلها بالدولار، وقيمة العدد في اليمن 40 ريالاً.

الأخ بو خلوف حمزة بن بلقاسم، باتنة، الجزائر:

«منتدى الفيصل» باب جديد يرمي إلى إتاحة الفرصة للقراء الكرام للتحاور مع الأدباء والمفكرين والمثقفين حول القضايا موضع اهتمام من يستضاف منهم، كما يمكن أن يتطرق الحوار إلى شخص الضيف أيضًا. أما محاضرات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وندواته فيمكن الحصول عليها من المركز، وعنوانه: ص ب 51049 الرياض 11543.

الإخوة: حامد عبدالمجيد حسن كابلي، المدينة المنورة، حبيب جميل الحلفاوي، عبدالعزيز حرزالله، تونس:

هناك صعوبة في إمكان إجابة طلباتكم الخاصة بالحصول على العدد 232 من المجلة الذي ضم ملف القدس، وذلك لأن هذا العدد نفد من الأسواق ومن المستودع، ولا نملك إلا أن نقول: إننا لن نألو جهدًا في مساعدتكم في الحصول عليه.

الأخ جلال الدين محمد البوز، بانياس، سورية:

قيمة العدد من المجلة 8 ريالات أو ما يعادلها بالدولار. وسوف نرسل إليك العدد الذي به قائمة بمنشورات دار الفيصل الثقافية وأسعارها.

الأخ الباحث المهدي بن محمد السعيدي، تارودانت، المغرب:

حُوِّلت رسالتك إلى الجهة المختصة حتى تقوم بالرد على تساؤلاتك واستفساراتك، ونأمل إرسال الطلبات الخاصة بالبحوث والدراسات إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مباشرة، كسبًا للوقت، وحتى يمكن إفادتك في أي موضوع في هذا الشأن، مع أمنياتنا لك بالتوفيق في أطروحتك للدكتوراه.

الأخ محمود حامد عبدالرحمن، حمص، سورية:

مقالتك التي أرسلتها - مؤخرًا - لا تزال تحت المراجعة، لأن هناك مقالات أخرى كثيرة في المجال نفسه الذي تدور حوله المقالة، وثق أن كل مقالة تجد حظًا وافرًا من الاهتمام، وأن أي تأخير في الرد على الكاتب يكون لظروف قهرية، أما المقالة القديمة التي لاتزال حريصًا على نشرها، فنأمل إرسال نسخة منها للنظر فيها، وإبلاغك بموقفها من النشر، مع شكرنا لك، ولكل الذين يهتمون بالكتابة إلى المجلة.

الأخ عبدالرحمن المصري، مؤسسة عبدالحميد شومان، الأردن:

ستصل إليك أعداد من المجلة، نأمل أن تحوز إعجابك، وننتظر مشاركتك بالكتابة على صفحاتها، وما عليك إلا إرسال المشاركة التي تراها مناسبة للمجلة، ثم يصل إليك خطاب بوصول مادتك، ثم يليه خطاب آخر يفيدك بموقفها من النشر، وبعد ذلك يتقرر تاريخ النشر إذا كانت المادة مجازة للنشر.

وكل كاتب يكتب للمرة الأولى في المجلة عليه أن يرفق مع المادة التي يرسلها سيرته الذاتية وصورة شخصية حديثة ملونة مقاس 6×9.

إلى كتابنا الكرام

نأمل من كتابنا الكرام الذين نُشرت لهم موضوعات في «الفيصل» ولم تصل إليهم مكافآتهم أن يوافونا بعناوينهم حتى يتسنى لنا إرسالها إليهم، ونخص بالذكر منهم الأساتذة: وليد مدفعي - مصطفى يعقوب عبد النبي - عبدالرحمن محمد المساوي - عبدالله الطنطاوي.

كما نأمل من جميع الكتاب الكرام الذين يرسلون إلينا موضوعاتهم من خارج المملكة بغرض النشر أن يرفقوا معها الاسم (ثلاثيًا أو رباعيًا إن أمكن) باللغتين العربية واللاتينية التي يتم الصرف على أساسها. مع وافر شكرنا لكل من شارك، ويشارك، في الكتابة للمجلة.

بين القارئ والقارئ

أرجو من الإخوة قراء الفيصل الكرام، ممن تتوافر لديه كتب أو أبحاث أو مقالات عن التشريع الجنائي الإسلامي، أن يتفضل بإرسالها إليّ، نظرًا لأنني بصدد إعداد أطروحة في هذا المجال، ولا تتوافر لديّ الإمكانات للحصول على المراجع الكافية.

إيهاب نبيل محيي الدين إسماعيل
33 شارع منتصر شقة 3
المنصورة، الدقهلية، مصر.

أرغب في الحصول على صحف ومجلات عربية (أدبية وثقافية)، فأرجو من قراء الفيصل الأفاضل تزويدي بأعداد من المطبوعات التي تصدر في بلدانهم، كما أرجو مساعدتي في الحصول على مؤلفات الشيخ أحمد ديدات.

ساليفو ساني
SALIFOU SANNI
P.O. BOX 139 DJOUGOU - BENIN
WEST AFRICA

أتطلع إلى أن أجد المساعدة من الإخوة قراء الفيصل الأفاضل في الحصول على كتب وإصدارات في لغات الحاسوب. وسأكون شاكرًا لمن يعينني للاستزادة من علم الحاسوب.

الوليد الطيب دفع الله العركي
وزارة المالية والتنمية الاقتصادية
ص.ب 175 بوساطة إشراقة الطيب العركي
مدني، ولاية الجزيرة، السودان.

أرغب في الحصول على بعض الكتب الثقافية والدينية التي تساعدني في الوعظ والإرشاد، وتيسر مهمتي في التدريس بالمرحلة الابتدائية، فأرجو من قراء الفيصل أن يمدوني ببعض الكتب المناسبة.

عبدالحميد إسحاق
ABDUL - HAMIDL - ISSAKA
P.O. BOX 294
ABEKA - LAPAZ
ACCRA - GHANA

أرجو من قراء الفيصل الكرام تزويدي بدواوين الشاعر الإسلامي محمود غنيم، وبأعداد مختلفة من مجلة «المختار» من ريدرز دايجست، وأنا على استعداد لتقديم مقابل مادي مناسب لمن يسدي إليَّ هذه الخدمة.

مساعد بن سعد
ص.ب 6558، المدينة المنورة.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ عصمت إبراهيم وهبي، الخرطوم، السودان:
عنوان مركز البحوث بمعهد العلوم الإسلامية والعربية في أمريكا:
8500 HILLTOP ROAD
FAIRFAX, VA 22031
هاتف: (703) 641-4890
فاكس: (703) 641-0119

الأخ فارس عبدالملك، القاهرة، مصر:
عنوان مجلة «الثقافية» التي تصدر عن المكتب الثقافي السعودي في بريطانيا وإيرلندا
ALTHAGAFIAH
SAUDI CULTURAL OFFICE
29 BELGRAVE SQUARE
LONDON SW1 8 QB U.K
هاتف: 0171-2459947
فاكس: 0171-2459895

الأخ يوسف أنور جمال، كاليفورنيا، أمريكا:
عنوان مجلة «الشبل» للأطفال:
المملكة العربية السعودية، الرياض
المعذر، غرب شارع التخصصي
ص.ب 21291 الرمز البريدي 11475
هاتف وفاكس: 4880047

الأخ عبيد العقلي، الكويت:
عنوان مجلة الهداية التونسية:
ساحة الحكومة، تونس 1020

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

مناقشات وتعليقات

نحو منهج عربي في الفهرسة



طالعت كشاف السنة العشرين، وما قبله من كشافات مجلتنا المحببة، وغبطت هيئة الإعداد لهذا التنسيق الرائع، الذي لا بد أن يكون سبقته معاناة في الجمع، والتبويب، والبحث، والترتيب. وهو معبّر عن القريحة العربية حينما تعاني الفن، وليس ذلك غريبًا، والمسلمون هم روّاد فن «الفهرسة» التي يسمونها الببليوجرافيا.

إلا أن هناك ملاحظة أترك لكم تقدير حجم أهميتها، وهي جريان الفهرسة في الكشاف - بالنسبة لمدخل المؤلف - على قلب اسم المؤلف، والبدء بما يسمونه «اللقب»، وهنا ثلاث موادّ لهذه الملاحظة:

الأولى: أن المقرر في تراث العرب والإسلام وعلومه شرف الاسم بشيئين: اللقب، والكنية، وأنه إذا اجتمع الثلاثة بُدئَ باللقب، ثم الكنية، فنقول: تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية. وبهذا يكون اللقب أوْلى بالبدء به. ويكون الفيصل هو: ما اللقب؟

الثانية: المراد باللقب هو تمييز شخص معين وتشريفه على غيره، ومن ثم فالألقاب - إذَا تعدَّدَتْ - تتدرج في سُلّم التمييز والتشريف؛ فمثلاً: شعبة بن الحجاج بن الورد العَتَكي الكوفي: اللقب المميز هنا هو «العتكي» وليس «الكوفي». ومن ثمة يختلف الطابع العربي عن الطابع الأوربي، وعلى أساسه يختلف قانون الفهرسة على اللقب بين الثقافتين؛ فبينما نجد النمط الأوربي يُصرّ على اعتبار «الكوفي» لقبًا يُبدأ به - ويقلده الاتّجاه العربي الحديث - أرى أن يكون البدء باللقب الأخصّ؛ لأنه أوفق لروح تراثنا، وأليق بالصواب.

فمثلاً: ص16 من الكشاف، رقم 117:

- الريسوني، محمد المنتصر:

أرى أن يكون «المنتصر» هو اللقب المدخل، وهو أقرب إلى «اسم الشهرة» عند الغربيين.

الثالثة: هناك أسماء أجداد لا تصلح ألقابًا - أو أسماء شهرة كما يعبّر الغربيون - فمثلا: ص 84 من الكشاف، رقم 1812:

- عبدالحليم، عبداللطيف:

أرى هنا البدء باسم المؤلف، لأن اسم والده أو جدّه لا يمثل خصوصية في هذا الصَّدد. خصوصًا حين نعلم - وأنتم أعلم - أن جماعة من أساطين المفهرسين الإسلاميين قد اعتبروا الاسم، وأخَّروا اللقب والكنية، كصنيع الحافظ بن حجر العسقلاني، في التهذيب وغيره، فهو يترجم للبخاري هكذا:

- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبه البخاري الجُعفي - مولاهم - أبو عبدالله.

صحيح - أستاذنا الكريم - أن آلات خزن المعلومات قد درجت على تحميلها بمثل طريقة الغربيين، إلا أن طريقتهم لها أصولها التي تتناسب مع طبيعة ثقافتهم في التسمية أصلاً، فلماذا لا يكون هناك منهج عربي في علم الفهرسة؛ ذلك العلم الذي يُعْزى إلى العرب أصلاً، لم يسبقهم إليه أحد.

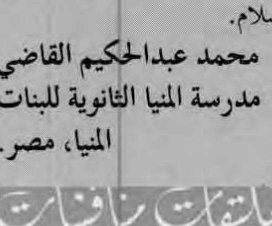
أخي الحبيب الأستاذ الدكتور زيد الحُسيّن:

ليت افتتاحية من افتتاحيات «الفيصل» تحمل عنوانًا مثل: «نحو منهج عربي في الفهرسة والببليوجرافيا»؛ فلا شك أن طريقة «ديوي» في فهارس علوم المكتبات، عليها ملاحظات أيضًا، ولا شك أن العطاء الإسلامي في هذه الفنون له ضوءه الذي لا يخفى.

أخي الحبيب:

هذه عجالة من رأس القلم قد تكون ملأى بأخطاء الذاكرة، وتجاوزات المصطلح، لكن يشفع لي فيها القصد الحسن، وأرجو أن تفيدني حولها علمًا، والسلام.

محمد عبدالحكيم القاضي
مدرسة المنيا الثانوية للبنات
المنيا، مصر.



حول كتيب الترجمة

في كتيّب «الترجمة» المرفق مع العدد 239، طالعت باهتمام دراسة بعنوان «الدولة الإسلامية وترجمة العلوم» للباحث الدكتور حسن ظاظا الذي بذل في إعدادها جهدًا كبيرًا، وكان واضحًا في تقديمه، دقيقًا في تعبيره. ولكن كما يقول المثل الشائع: «لا تعدم الحسناء ذامًّا»، أرجو أن يتسع صدر الدكتور ظاظا كعادته، فلست أقف موقف الذم، بل موقف التنبيه والتعقيب على بعض النقاط الواردة في دراسته

المطوّلة التي استعرض فيها بطريقة منهجية مراحل الترجمة التي بدأت مع ظهور الدولة الإسلامية، وحتى مرحلة ازدهار العلوم فيها. فقد ورد ذكر الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (ت: 85هـ)، ولابد من التنويه بأن أول نَقْلٍ في الإسلام من اليوناني والقبطي إلى العربية تمّ بجهود خالد المسمّى حكيم آل مروان، والذي روى عنه ابن النديم في كتابه الفهرست بأنه «أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر، وقد تفصّح بالعربية، وأمرهم بنقل كتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة». ويُعدّ خالد بن يزيد «أول من تُرجِمَ له كتب الطب والنجوم، وكتب الكيمياء».

وخلال عرض لحياة حنين بن إسحق (194- 260هـ) وهو من رواد الترجمة في العصر العباسي، وواضع منهجية نقل الفكر اليوناني إلى العربية، استوقفتني عبارة وردت في ص23 تقول: «وذهب إلى بلاد فارس، ثم دخل مدينة البصرة.. فتتلمذ لإمام العربية الخليل ابن أحمد، وحمل كتابه «العين» إلى بغداد..».

هذه الرواية العجيبة أوردها المؤرخ ابن جلجل في كتابه «طبقات الأطباء والحكماء» الذي ألّفه سنة 377هـ، وقد تابع هذا الخبر بعد ذلك جميع من ترجموا لحياة حنين مثل: جمال الدين القفطي (ت: 646هـ) في كتابه «إخبار العلماء بأخبار الحكماء»، والطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة (ت: 668هـ) في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» دون تدقيق أو تمحيص. والحقيقة أن الخليل بن أحمد الفراهيدي توفي بالبصرة سنة 170، أو 174، أو 175هـ على أبعد تقدير من أقوال المؤرخين، ولم يلبث تلميذه سيبويه بعده زمنًا طويلاً، فقد توفي سنة 180هـ، في حين أن ولادة حنين - باتفاق جميع المؤرخين - كانت في سنة 194هـ، وبناء على ما تقدم، فإن حنينًا لم يلتق أو يجتمع أو يتتلمذ لا بالخليل بن أحمد ولا بسيبويه خلافًا لما ورد.

وقد ورد في ص26 ما يلي: «من الصعب إحصاء مؤلفات حنين بن إسحق، وأصعب من ذلك مترجماته، أو الأعمال التي ترجمها غيره وقام هو بإصلاحها..».

والواقع أن الاهتمام بحنين بن إسحق ومدرسته في الترجمة، حملت الباحثين - عربًا ومستشرقين - على العناية بكتبه وتتبع مظان وجودها مما هو مطبوع أو منسوخ، وقد بذل الباحثان عامر رشيد السامرائي وعبدالحميد العلوجي جهدًا محمودًا في ذلك حين أوردا ثبتًا بآثار حنين في كتاب خصصاه لهذه الغاية، وعرضا فيه فهرسًا بمؤلفاته بلغت 669 أثرًا، وشرحا ما يتعلق بكل أثر شرحًا موجزًا، والمصادر التي ورد فيها الأثر، ثم إنهما أدرجا في لوائح مفصّلة الآثار التي ترجمها إلى السريانية وعددها 21 أثرًا، وآثار حنين الضائعة، أو التي يُحتمل ضياعها وعددها 108 آثار، ثم الآثار التي راجع ترجمتها وعددها 15 أثرًا، كما ذكرا 53 أثرًا من مؤلفات حنين باللغة العربية، وثلاثة مؤلفات بالسريانية، كما أدرجا آثار حنين المطبوعة وعددها 25 أثرًا والمخطوطة وعددها 65 أثرًا.

وختامًا فإن اهتمام مجلة الفيصل الغرّاء بإرفاق كتيب خاص منفصل مع كل عدد، يتناول موضوعًا محددًا يبحثه نفر من الباحثين المختصين لهو سنّة حميدة وعادة حسنة، نتمنى على إدارة التحرير ألا تحيد عنها، والله الموفق.

د. محمد فؤاد الذاكري
ص ب 12684
حلب، سورية.

المصادر:

1- ابن النديم، الفهرست.
2- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء.
3- ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء.
4- جمال الدين القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء.
5- أحمد بن محمد الديبان، حنين بن إسحق «دراسة تاريخية ولغوية»، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 1414هـ/1993م.
6- السامرائي والعلوجي، آثار حنين بن إسحق، دار الحرية للطباعة، بغداد 1974م.

تعليقات نافذات وتعليقات نافذات وتعليقات نافذات

العوامل التي تؤدي لانحراف الأحداث



توقفت مطولاً عند مقالة الدكتوره تماضر حسون حول «نتائج انحراف الأحداث» في العدد 242 من مجلتنا الفيصل، وبالتحديد عند نقطة «أهمية الوسط الذي ينشأ فيه الفرد» ودور البيئات التربوية المؤثرة في بناء الشخصية.

ورغبةً مني في إغناء هذه الفكرة - لعل القارئ يجد فيها ما ينفع إن شاء الله تعالى - رأيت تسليط الضوء على هذه الناحية بقليل من الإسهاب:

الطفولة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، والطفل يتعلم ما يعيشه، ويكتسب سلوكه وتصرفاته مما يشاهد

عمليًا في الحياة اليومية، وما يلاحظه من تصرفات الكبار الذين يقلدهم ويقتدي بهم.. وكون الطفولة هي الخطوة الأولى المؤدية إلى المراهقة، وهذه الأخيرة هي السن التي يترعرعُ فيها الجنوحُ والانحراف، وفيها تُصقَل شخصية الإنسان، فإما أن تكون الشخصية متزنة وسوية وصحيحة فتكون لبنة صالحة في بناء مجتمع سليم معافى، وإما أن تكون مهلهلة ضعيفة معوجَّة فتكون النتيجة الكارثية، وتكون لبنة فاسدة تصيب جسد المجتمع والبناء الاجتماعي بالخلل والتفكك والفساد.

لقد بينت بعض الدراسات أن هناك عدة عوامل تؤدي دورًا رئيسًا في جنوح الأحداث وانحرافهم منها: الفقر، والجهل، وتفكك الأسرة، لكن تلك العوامل لا تؤدي دورها منفردة بل إنها تتفاعل لتؤثر في كيان الحدث وفي نموه الاجتماعي والنفسي.

وعزا بعض علماء النفس الدارسون لظاهرة الجنوح أسبابها إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية. فالعوامل الداخلية تتمثل برأيهم بتلك الانفعالات القوية التي تعبر عن الغرائز الأولية كغريزة حب التملك التي تدفع صاحبها إلى السلب والسرقة، والغريزة الجنسية التي تدفع إلى ارتكاب جرائم الشذوذ الجنسي وما شابهها.

ومن هذه العوامل أيضًا الأمراض العقلية واعتلال الجسد؛ فالمرض الظاهر يترك في نفس المريض نقصًا يدفعه للانتقام وارتكاب الجرائم.

أما العوامل الخارجية - وهذا ما يهمنا بصورة أكبر - التي تدفع لجنوح الأحداث القاصرين؛ فقد بينها علماء الاجتماع والقانون، ونذكر منها:

1- سوء حالة الأسرة وفسادها. فالجانحون والمنحرفون في الأسرة هم نتاج أبوين ساقطين، فالمنزل الذي يسوده الخلق الدنيء والتصرفات الفاسدة لا شك أنه سيورث أبناءه الشقاء والتعاسة ويدفعهم لمرافقة قرناء السوء بسبب غياب الرعاية الحكيمة والتوجيه السليم، وهذا ما يدفعهم لاكتساب العادات الذميمة والأخلاق السيئة. يقول الشاعر:

عن المرءِ لا تسأل وسَلْ عن قرينه
فكلُ قرينٍ بالمقارن يقتدي

2- تشغيل الأحداث: يؤدي لانحراف سلوكهم واعوجاجهم وقيامهم بارتكاب الجرائم وكسب العادات الذميمة، وتعلُّم ألفاظ السباب، وخاصة إذا غابت رقابة «رب العمل» وإذا غاب حسه بالمسؤولية تجاههم، وعدم غيرته على مجتمعه.

3- الفقر والبطالة: يؤديان لانحراف الأحداث وسلوك طريق الجريمة والعنف للحصول على ما يمسك رمقهم ويستر أجسادهم المتعبة، فإذا ما لجأ الحدث إلى السرقة فإنما يفعل ذلك كرد فعل على واقعه، وكنقمة على مجتمعه وتشفيًا من هذا المجتمع الذي لا يعتني به ولا يعيره أي انتباه.

4- ضعف الرقابة المدرسية: فالمدرسة هي البيئة الثانية التي يترعرع فيها الحدث فإذا ما أهملت المدرسة الرقابة على تلاميذها أو أخضعتهم لأساليب تعليمية جامدة وعقيمة فإن ذلك سيؤدي إلى نتيجة عكسية من التلاميذ مما يدفعهم للانحراف والجنوح.

وللحد من تلك الظاهرة ولاستئصالها من المجتمع يجب أن نعتني بالولد وتربيته وخاصة في مرحلة المراهقة.. وواجب الآباء والمعلمين هو: حُسن التعامل مع المراهق وحسن تأديبه تمثلاً بقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم».

من هذا الحديث الشريف يتبين دور الوالدين والأسرة في تكوين شخصية الفرد وتقويم سلوكه؛ فإذا نشأ في بيت محصن بتعاليم الدين الحنيف وسيرة الرسول الكريم، وإذا نشأ على أداء الفرائض التي أوجبها الإسلام والتخلق بخلق الرسول وصحبه؛ فإنه سيكون صالحًا وذا أخلاق حميدة وعادات سليمة، وهذه لعمري السعادة بعينها لنا وله؛ وإنما نحصد بذلك ثمرة طيبة هي نتاج تربيتنا السليمة، قال الله تعالى في كتابه العزيز: *وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا*. **مريم**:55.

ومن واجبات الآباء مشاركة الأبناء في حل مشكلاتهم وعدم القسوة والشدة في التعامل معهم لكي لا يحقدوا عليهم وتنعكس الصورة رأسًا على عقب، كما يجب خلق الثقة بالنفس لديهم، وتعويدهم الوسطية في كل الأمور حيث «لا إفراط ولا تفريط»، وأن نبعدهم قدر الإمكان من رفاق السوء الذين يقودونهم إلى مهاوي السقوط والرذيلة.. وأن نعزز في نفوسهم الوازع الديني وحب الله ورسوله وأداء الشعائر والواجبات، وأن نحبب إليهم أماكن العبادة والعبادات، وأن نربيهم بالقدوة الحسنة ونكون قدوة لهم في أقوالنا وأفعالنا، وأن نحذرهم من وسائل الإعلام وما تبثه من سموم قد تؤثر في

سلوكهم، وأن نعزز لديهم ضرورة العمل الصالح والحفاظ على الوقت لما له من قيمة في حياة المسلم..

وختامًا، أدعو الله أن يوفقنا وإياكم، وأن أكون قد قدمت ما يفيد القارئ الكريم.. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبدالعزيز إسماعيل أحمد
ص.ب 569
الحسكة، سورية.



من أدب الأمثال

بين الحذف والزيادة

عند اطلاعي على العد 241 من مجلة الفيصل الغرّاء سررت جدًّا بتلك المقالات الهادفة، وذلك التنظيم والإخراج الجيِّد، فهي حقًّا دوحة للعلم، وشجرة للمعرفة؛ فروعها باسقة، وقطوفها دانية، وثمارها يانعة.. ينهل القارئ من نبعها الصافي ويستظل بظلّها الضافي. فحفظ الله القائمين على المجلة وسدّد خطاهم.

ولقد أدهشني في ذلك العدد ما كتبه الدكتور ماجد أحمد المومني في مقاله «من أدب الأمثال» ص67. ودهشتي لم تكن في صلب الموضوع ومضمونه، ولكنها في قضية نشره في هذه المجلة. لا أقول: إن الموضوع غير جيّد، أو إن المجلة كانت مخطئة في نشره، بل إنه موضوع شائق ورائع والدليل على ذلك أنه نُشر في مجلتين - على حدّ علمي - ولا أعلم إن كان قد نُشر في مجلة أخرى أو في طريقه للنشر فيها، وهذا مكمن دهشتي واستغرابي.

فالموضوع ذاته مع نقص بسيط نُشر في المجلة العربية العدد 229، صفر 1417هـ، ص88- 90، قبل أن يُنشر بمجلة الفيصل، وبهذا يكون كاتبه قد أخلّ بأحد شروط النشر في هذه المجلة، وإحدى الملاحظات التي وضعت في صفحتها الأولى، وهي: ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل أو مرسلاً إلى أيّ جهة أخرى ناشرة. ولا أحسب أنه تخفى على الدكتور مثل هذه الملاحظات التي هو أعلم بأهمية التقيّد بها والسير على مقتضاها.

وقد طرأ على مقال الأخ الدكتور بعض التغييرات والإضافات التي كانت من نصيب مجلة الفيصل. فمن التغييرات ما يلي:

1- ورد في المجلة العربية في بداية المقال قوله: «الأمثال حكمة الأزمان»، وجعلها في مجلة الفيصل: «حكمة الدهور».

2- تلافى الكاتب خطأ وقع فيه في المجلة العربية وهو قوله في العمود الثاني ص88: «.. وكذّبوا الأنبياء وحرّفوا كتاب اللّه الذي أُنزله على سيدنا موسى وعيسى - عليهم السلام -»، فصحّحه في مجلة الفيصل بقوله: «.. وكذّبوا الأنبياء وحرّفوا كتابي اللّه اللذين أنزلهما على سيدنا موسى وعيسى - عليهما السلام -».

3- كتب تحت فقرته المعنونة بـ «بعض الأمثال عند بعض الشعوب» يقول: «.. وانتشرت في فروعه بطريق الوراثة..»، ويقول في مجلة الفيصل: «.. بعقل الوراثة..».

أما الإضافات فهي عديدة ومتوزعة على المقال وأشهرها ما أضافه في نهاية مقاله، حيث توقف في حديثه في المجلة العربية عند قوله تعالى: *مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا*.. الآية. وقال: «ولعل هذا المثل هو أفضل مثل يمكن أن نختم به مقالتنا هذه، إذ لو أردت الاسترسال لطال الكلام»، وفعلاً فقد استرسل في مجلة الفيصل وأضاف العديد من الأمثال التي ضُربت في اليهود وحبّهم للمال، وطال الكلام حتى جاوز أكثر من ثلث الصفحة.

ومن الإضافات الأخرى ما يلي:

1- أضاف فقرة في نهاية حديثه عن الأمثال القرآنية هي قوله: «وهي كثيرة يخاطب الله بها العقول الكبيرة». وقد سقطت من المجلة العربية.

2- أضاف في حديثه عن أمثال الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - عقب حديث عبدالله بن عمر الذي رواه البخاري فقرةً لم تُذكر في المجلة العربية هي قوله: «في

هذا الحديث الشريف محادثة طيبة وحوار هادئ جميل يطرح فيه النبي المعلم - صلوات الله وسلامه عليه - المسألة على أصحابه في جَوّ المطارحة العلمية الهادفة، وقد مثل صلوات الله عليه بجماد فقال: «.. من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم..».

3- أضاف مقطوعة اختفت من المجلة العربية هي قوله في العمود الثاني ص68: «وهذه الأمثال - يعني الأمثال الفرضية - وليدة الشرق، لأنه كان موضع الحكم المطلق.. فيلجؤون إلى هذه الأمثال يضربونها».

ويبدو أن الكاتب عندما أراد أن يرسل المقال إلى مجلة الفيصل نقَّح مقاله المنشور بالمجلة العربية، وأضاف إليه بعض الإضافات التي قصد بها الخروج عن نطاق البند الثاني من بنود النشر وقبول الموضوعات في هذه المجلة والتي حثَّت المجلة على التقيّد بها.

وبذلك - كما يظن هو - يمكن أن يرد على كل من يعقّب عليه بشأن البند الثاني بأن الموضوع مختلف عن ذاك المنشور بالمجلة العربية، ولكن الموضوع هو هو، وكان بإمكانه أن يضيف تلك الإضافات إلى موضوعه المنشور بالمجلة العربية وأن يكون ملتزمًا الأمانة العلمية متقيّدًا بشروط النشر تاركًا الجري وراء الشهرة السريعة؛ لأن الشهرة التي تكون على حساب الإخلال بالأمانة العلمية ليست شهرة حسنة.

وفي هذا المقام أدعو جميع القُرّاء الكرام إلى التنبه لهذا الأمر والحذر من كتابة مقال واحد وإرساله إلى جميع المطبوعات، لأن في ذلك إخلالاً بالأمانة العلمية مما يُدخل الضيم على نشاط الأمة الفكري ويهدم ثقافتها ورقيّها. وهذا مجرد عتاب للدكتور، والشاعر يقول:

ومن ذا الذي ترضي سجاياه كلّها
كفى المرء نُبلاً أن تعدّ معايبه

وكلنا ذو خطأ «وخير الخطائين التوابون».

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سلطان علي محمد المالكي
مدرسة القريع بن مالك
بني مالك، الطائف.

حول حديث معاذ المشهور



أحسن الأستاذ إبراهيم عبدالوهاب شرف صنعًا بإضافته تعليقات على مقال «سلطة القاضي في مراجعة حكمه» للدكتور عمار بوضياف المنشور بالعدد 233 من الفيصل الغراء، وقد نُشرت إضافة الأستاذ إبراهيم في العدد 239، واستشهد فيها بمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة، ولكنه فاته أن يُخَرِّجها ويحققها مما عرضه لأن يُستدرك عليه.

وقد أورد الكاتب حديث معاذ المشهور جدًا على ألسنة طلبة العلم وعوام الناس وهو محل نظر، بل من النادر أن يخلو كتاب من كتب أصول الفقه من ذكره على الرغم مما ذُكر حوله من قِبَل علماء الحديث.

والحديث هو: أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أرسل معاذًا إلى اليمن قاضيًا قال له: «كيف تقضي إن عُرض عليك قضاء؟» قال: أقضي بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد؟» قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: «فإن لم تجد؟» قال: اجتهد رأيي ولا آلو. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لما يرضي رسول الله».

والكاتب لم يذكر للحديث تخريجًا ولا تحقيقًا.

وعلى الشهرة الواسعة جدًا لهذا الحديث ولاسيما عند الأصوليين، إلا أن أهل الحديث وهم فرسان الحلبة في هذا الصدد حكموا بعدم صحته وهذا بيانه:

ذكره العلامة الألباني حفظه الله في سلسلته الفذة: «الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة» ثم أعقبه بقوله: منكر، ثم أطال النفس في ذكر بيان الحديث فسوّد في ذلك أكثر من اثنتي عشرة صفحة. ولا يستطيع المرء نقل كل ما كتب، على أهميته، ويبقى بعد ذلك ذكر بعض ما

ورد في هذا الصدد:

يقـول العلامـة الألباني في نهـاية كلامـه الطويل حول هذا الحديث مـا نصه: «وجملة القـول أن الحـديث لا يصح إسناده لإرسـاله وجهـالة راويه الحارث بن عـمرو، فـمن كان عنده من المعرفة بهـذا العلم الشريف وتبين له ذلك فيها، وإلا فـحسبه أن يستحـضر أسماء الأئمة الذين صرحـوا بتضعيفـه فيزول الشك من قلبه، وها أنا ذا أسردها وأقربها إلى القراء الكرام: البـخـاري، التـرمـذي، العـقـيلي، الـدارقطـني، ابـن حــزم، ابن طـاهر، ابـن الجوزي، الذهبي، السبكي، ابن حجر.

كل هؤلاء ـ وغيرهم ممن لا نستحضرهم ـ قد ضَعَّفوا هذا الحديث ولن يضل بإذن الله من اهتـدى بهديهم. كـيف وهم أولى الناس بالـقــول المـأثور (هـم القــوم لا يشــقـى جليسهم)». انتهى بنصه(1).

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

محمد نجيب لطفي

العدوة، الفيوم، مصر.

الهامش:

1ـ انظر الحديث رقم 881 من الجزء الثاني من السلسلة ففيه معلومات مفيدة جدًا وتحقيقات علمية غاية في النفاسة والدقة والمنهجية.

على رسلك يا أخي



لدى اطلاعي على العـدد 244 من الفـيصل استـرعى انتباهي مـا كتبه عني إليـاس القطريب وهو يقرن بين قصـيدة الجواهري: «ثورة النفس» وقصيدتي: «هواجس في أعماق شاعر».

وكـان مـن المفيـد ألا يُخـفي عـلى الداني والقاصي بأنه ما من شـاعر على الكرة الأرضية، سواء كان عربيًا أو أجنبيًا، لا يتأثر بمن حوله فلا شيء يُخلق من العدم. لقـد قرأت المقـارنة بيني وبين الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري بيتًا بيتًا، ولا أنكر تأثري به وبالشاعر القروي: رشيد سليم الخـوري والأخطل الصـغـيـر والمتنبي. ولما كان أخي إلياس منطقيًا وعقلانيًا وموضوعيًا في دراسـته، كـان لا بد من الرد بالشكل العقـلاني الموضـوعي دون انفـعـال، وإنما بعـواطف هادئة، ودون نكران لما هو مـعروف بالسـرقات الأدبيـة المعروفـة على الصعيدين العربي والعالمي. ولكن ما آلمني هو قوله: «ولا أعتقد أن هذا الاتفاق بين القـصيـدتين ينطبق عليـه القـول القديم: قـد يقـع الحـافـرعلى الحـافـر». ولن أسـهـب في هذا الحـديث، ولكن سوف أؤكـد لأخي إليـاس بأنه قد يقع الحافر على الحافر حرفيًا سواء في صدر البيت أو في عجزه وسأكتفي بإيراد مثالين: مثال من التـراث العـربي المعـاصـر، ومـثـال آخـر من التراث العالمي دون الرجوع إلى تشابهات حرفية منذ العصر الجاهلي وحتى يومنا هذا.

يقـول الشاعر جبران:

وما السعادة في الدنيا سوى شبح

يُرجى فإن صار جسمًا ملَّه البشر

ويقـول الشاعر الشابي:

وما السعادة في الدنيا سوى حلم

ناء تضحـي لـه أيـامَها الأمم

وكـما يرى القارئ فمـا تغيَّر في صدر البيت سوى كلمة واحدة. فـماذا نقول عن ذلك؟ وأنا أقـرُّ بتأثـري بالجواهري، ولكن مـاذا تقـول أنت ياأخي: ألم يقع الحافر على الحافر؟

ويقـول الشاعر سيرغي يسينين:

ليس الموت في هذه الحياة

بالأمر الجديد

وبالتأكيد ليس العيش بأكثر جدة..

ويقول الشاعر فلاديمير ماياكوفسكي:

ليس الموت في هذه الحياة

بالأمر الأصعب

الأمر الأصعب هو بناء الحياة..

لن أعلّق على هذه المشابهة أو المطابقة وأترك ذلك لزملائي الأدباء، وما من شـاعر إلا ويعرف القصيدة المشهورة التي مطلعها:

ياليل الصبّ متى غده؟

فقد عارضـها كثيرٌ من شعـراء الأمة العربية؛ فـمـا اختلفـوا في المعـاني، وإنما بتـحـوير بعض المفردات.

بقي أن أشكر أخي إليـاس لأنه عرَّفني لمن لا يعرفني، وأنا أؤكد له بـالأدلة والبراهين والحجج بأنه: قـد يقع الحـافر على الحـافـر، وما جـاء هذا المثال إلا من خلال الواقع الـذي نعايشه. وأشكر هيئـة تحرير مـجلة «الفيصل» التـي اتسع صدرها الرحب لنقول كلمتنا، ويبقى الحكم أولاً وأخيرًا للمتلقي، إذا لا يصح إلا الصحيح أخيرًا.

جاك صبري شماس

ص ب 204

الحسكة، سورية.

الآن..
إلى العولمة والشفافية!

عمر عبدالرحمن أبو راس

جلست مثل الأطرش في الزفّة أستمع لكلمات أساتذة أفاضل في ندوة اقتصادية، تحكي عن التحول من الاقتصاد المحلي إلى الاقتصاد العالمي.. وبما أن علاقتي مع علم الاقتصاد مثل علاقة بنيامين نتنياهو مع مفهوم السلام، فإنني آثرت أن أقوم بذلك الدور المعتاد الذي أتقمصه في هذا النوع من الندوات التي «أُقْحَمُ» فيها!

ويتمثل ذلك الدور في التركيز الشديد على المحاضر حتى يخيل إليه أنك الوحيد في القاعة الذي تتابع ما يقول وتفهمه، وتكون أنت في الوقت نفسه في مكان آخر، وبصحبة أخرى!!

وتذكرت في تلك اللحظات ذات «الاستشعار من بعد» أبيات الشاعر الألماني جوته:

«.. أي حظ طيب هذا الذي قادك إلى هنا
مباشرة من ألف ليلة وليلة
لو استطعت أن تتشبه بشهرزاد في
خصوبة عطاياها
لوعدتك وعدًا صادقًا بأسمى الهدايا
تأهب على الدوام «لتسليتي»..
فما أكثر ما تبتليني أيام دنياكم
بأعظم الكروب والمنغصات..».

وعلى كلٍّ محاولات الهروب «الشعرية» المنداحة من الذاكرة، فقد شد انتباهي إلى المحاضرة التي كنت أظن أنها ستكون في منتهى «الجفاف» كلمات في غاية «الطزاجة» والجرس الموسيقي إن لم أقل العذوبة والشاعرية.

وكدت أسأل صديقي الاقتصادي الذي «جرّني» إلى هذه المحاضرة: هل نحن نستمع إلى ندوة في الفكر والأدب، أم إلى ندوة اقتصادية؟ فقد ترامت عبر أرجاء القاعة الفخمة كلمات مثل: «الشفافية» و«العولمة».. وغيرهما...

وفي خضم ذلك «الهدر» الكلامي صرت فجأة منتبهًا تمامًا مثل صياد في غابة استوائية لتلك الكلمات الجميلة التي تنداح عبر «اللاقط»، وأخذت أطارد ألغاز المصطلحات الاقتصادية، ويكاد قلبي يهتف - بكل عنفوانه - رجاء إيراد «الشفافية»، و«العولمة».

ومن المهم هنا أن أضع الجميع في الصورة الأساسية بكل أبعادها وأُطرها، وهي أنني أذوب «وجدًا وهيامًا» - كما يقول عشاق العرب القدامى - في الكلمات الجديدة المنحوتة، وحتى «المنحوسة» منها.

وقد لاحظت منذ مدة، وبالتحديد مع آخر أيام النظام العالمي القديم، أن هناك كثيرًا من الكلمات الجديدة التي تطل علينا فجأة من «اللا شيء»، لتملأ الساحة والفضاء والجوزاء، مثل: الفعّاليات والبنية التحتية، والمصداقية، والخصخصة - أو الخوصصة كما يقول أهلنا المغاربة -، ويشهد الله أنني قد أضعت زمنًا ليس بالقليل في مطاردة تلك «الألغاز»، وبخاصة ألغاز «البنيوية» بأنواعها المتعددة مثل بضائع «السوبر ماركت» التي تجيء من الصنف الواحد بعشرات المسميات والألوان والدواخل!

وعلى كل حال خرجت من تلك المحاضرة، بقناعة جديدة، هي أن لغة الاقتصاد يمكن أن تكون «مستساغة» لدى «ربعنا» من الذين تستهويهم الكلمات الشاعرية، ولغة الأدب الراقي ولاسيما أن العولمة تعني العالمية - كما فهمت - وانصهار الاقتصاد المحلي في فعاليات الاقتصاد العالمي، كما أن مبدأ الشفافية يتلخص في تحبيذ - لاحظ هذه الكلمة - الرسوم القديمة دون الحواجز الجمركية، إذ لزم الأمر. أليست تلك لغة رائعة؟